جـامـعـة الـجـزائـر
كـلـيـة العـلـوم الإجـتـمـاعـية و الإنـسـانـيـة
قـسـم الـتـاريـــخ

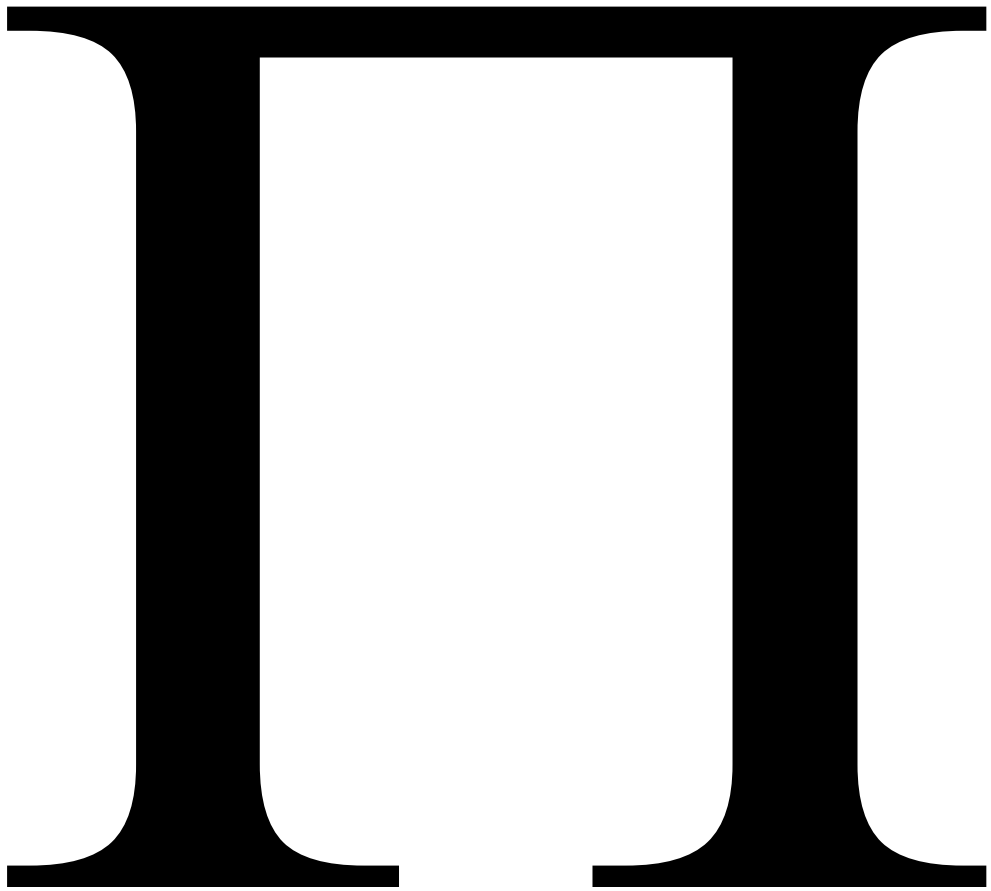
البـعـد الـروحـي لـمـقـاومـة الأمـيـر عـبـد الـقـادر الـجـزائـري

مـذكرة لـنـيـل شـهـادة الـماجـسـتـير في الـتـاريخ الحـديث و المعـاصر.

∃ إعـداد الـطـالـبـة:
عـائـشة بن ساعـد.

∃ إشـراف الأسـتـاذ:
الدكتور: ناصر الدين سعيدون

السنة الجـامـعية: 1424 - 1425هـ
2003 – 2004م



الإهـــــداء

إلـــى والدي و والدتي .
أغلـى ما في وجودي بعد الله

إلـــى كل عائلة بن ساعد
و إلـــى مدلل العائلة توفيق اليزيد
إلـــى وردة المعهد، الراحلة السيدة وردة
إلـى أمي الثانية منى العراقية الباسلة
و إلـى كل الشعب العراقي البطل

إلـــى كل أمين مع الغير، صاف في الحياة.

كلمة شكر وعرفان

إلـى كل من إرتقى إلى درجة الإحسان و أتـمـه.
إلـى كل أساتذتي من مدرسة محمد حانافي إلى جامعة الجزائر :

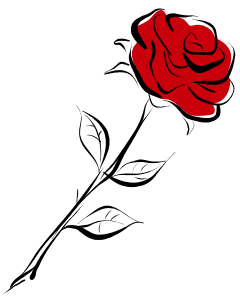
أستاذي المشرف ناصر الدين سعيدوني الذي تكبد معي طول مدة البحث.

الأستاذ الفاضل مصطفى نويصر على مجهوداته معي.

الأستاذ بن يوسف تلمساني و الأستاذة طويل فهيمة

والأخ صلاح الدين بوزارة الشؤون الدينية والأخ الكريم فهيم

و إلى الأخت و الجارة صاحبة الأيدي الماهرة رواتي رزيقة .



و إلـى كل من قدم لي العون و النصح.

ألـف شـكـر.

خـطـة الـعـمـل:

مـقـدمـة.

الفـصل الأول: مكونات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري.

المبـحـث الأول: نسبه و مـولـده.

أ- نسبه.

ب- مولده.

جـ- نشأته التعليمية.

المبـحـث الثـاني: عـصـره و محيـطـه.

أ- عصره.

ب- محيطه الثقافي.

جـ- الطريقة القادرية.

المبـحـث الثـالـث: مميـزات شخـصيتـه

أ- الأخلاق الإسلامية.

ب- التعامل الإنساني.

جـ- التصوف.

الفـصـل الثـاني: إنـتـاجـه الأدبـي و الفـكـري.

المـبـحـث الأول: الـنـثـر.

أ- الأصول.

ب-الحكم.

المـبـحـث الثـانـي: الشـعـر.

أ- الغرض الديني.

ب-الغرض العاطفي.

جـ- الحجازيات و شعر التصوف.

المبحث الثالث: رسائله.

أ- لإخوانه في الدين.

ب- للأوربيين ملوكا وأصدقاء.

جـ- لسائليه.

الفصل الثالث:البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المنطلقات الشرعية.

المبحث الأول: البيعة.

أ- مقدمات البيعة.

ب-البيعة الخاصة.

جـ- البيعة العامة.

المبحث الثاني: الشورى.

أ- مفهومها في الإسلام.

ب- مؤسساتها.

جـ- نماذجها.

المبحث الثالث: الجهاد.

أ- ضرورة الجهاد و أسبابه.

ب- معاملة الجنود و نوعية المعارك.

جـ- معاملة الأسرى.

الفصل الرابع: البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المعاملة و السلوك.

المبحث الأول: العدل و المساواة.

أ- العدل.

ب- المساواة.

جـ- القضاء.

المـبـحـث الثـانـي: التـعـلـيـم.

أ- بناء المدارس

ب-تشجيع الطلاب.

جـ- جمع الكتب و الحفاظ عليها.

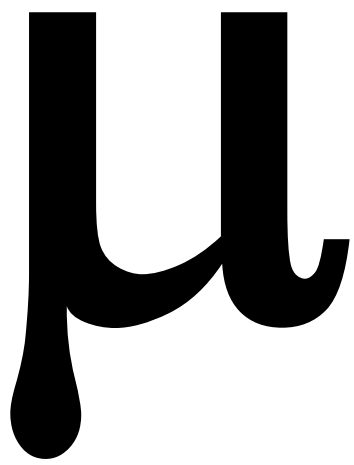
المـبـحث الثـالث: إحيـاء الأخـلاق الإسـلامـية.

أ- منع المحرمات و محاربة الآثام.

ب-العروبة.

جـ- الإقتداء بالسلف الصالح.

الخـاتمـة: الدلالات و القيم الحضارية لمقاومة و مواقف الأمير عبد القادر الجزائري في التاريخ الجزائري.



مـــقـــدمـــة:

يُعد الأمير عبد القادر الجزائري، من أهم الشخصيات الوطنية التي صنعت أمجاد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، ومن عظماء التاريخ أيضًا، محققا بذلك مكانة هامة بعد انتصاراته العديدة، و التي شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء، بعد أن أبهرهم في ساحات المعارك بطلاً، و بتركه للحرب جنوحًا للسلم حِكمة، و إدراكًا لماهيات الأمور و طبيعة الموازين، بفكره العميق.

وقد حقق الأمير هذا الصّيت، بفضل قوة الفكرة التي حملها كلواء لمقاومته من المنظور إسلامي عربيا. وبفضل إيمانه الكبير إنضم الأمير إلى مصاف القادة القلائل في العالم الذين جمعوا بين قوة السيف و قوة القلم و الحكمة.

وعندما كان علي اختيار موضوع للدراسة، أردتُ أن أبحث في منجزات الأمير عبد القادر في دمشقْ ولأن فرصة السفر لم تكن متاحة حور موضوعي للجوانب الروحية لمقاومة الأمير، مع عرض بعض مواقفه في المشرق، فجاء بذلك موضوع البحث معنونا على الشكل التالي: « البُعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري » حددتْ بداية الموضوع بمولد الأمير، لما للنشأة من دور في تحديد ملامح الشخصية ومواقفها، و نهايته تكون في: (1301هـ/1883م) و هو تاريخ وفاة الأمير رحمه الله، رغم أن مقاومة الأمير إنتهت عام: (1265هـ/1848م)، إلاّ أن المواقف الناتجة عن هذه المقاومة لا تنتهي إلا بوفاة صاحبها بل وتمتد أثارها حتى بعد وفاته.

في بداية العمل تخوفت كثيرًا و طرحت على نفسي سؤالاً هامًا هو مالإضافة التي يمكن أن تضيفها هذه الدراسة، فوق أكوام الكتب التي كتبت عن الأمير حتى اليوم من كتابات هواة أو كتابات أكاديمية؟.

إن الكثير من الدراسات تناولت الأمير من حيث سيرته الجهادية أو من حيث بناء دولته الحديثة، و الملفت للانتباه في كل هذه الكتابات المشرقية منها والفرنسية وحتى الجزائرية هو تركيزها الكبير على المحطات العسكرية في حياة الأمير، ثم على تنظيماته الإدارية و الإهتمام بالأمير الفارس و المتصوف

إلا أن هذه الكتابات ظلت بعيدة عن رد الاعتبار للأمير عبد القادر و للدين الذي دافع عنه دفاعًا مستميتًا في وقت نحن بحاجة فيه إلى إعادة ترتيب أوراقنا بالعودة إلى الأصالة في ماضينا ثم الانطلاق منه من جديد دون التخييم فيه.

و من هذا المنطلق اخترت هذا العمل، بعد تشجيع كبير من أستاذي المشرف د. ناصر الدين سعيدوني.

أما الجديد الذي ستضيفه هذه الدراسة المتواضعة، فهو الكشف عن التجربة التي خاضها الأمير عبد القادر، بأبعادها الروحية ومواقفها المنبثقة عن الدين الإسلامي من خلال المعطيات السياسية والعسكرية والأخلاقية في إقامة دولته.

من هُنا نحاول ترسيخ ضرورة عدم التهوين من شأن العوامل الروحية على مستوى الفكر السياسي، والديني للمجتمعات و الدول فيما بعد.

انطلاقا من هذه الأرضية، تبين لي عدم وجود مصدر ينفرد بدراسة هذا الموضوع كاملاً، ماعدا دراسة علمية حديثة، تتمثل في رسالة ماجستير لصاحبها (عبد القادر عامر البغدادي) و المعنونة بـ دولة الأمير عبد القادر الجزائري (1832- 1848) دراسة في نظام الحكم الإسلامي وكذلك بعض المقالات التي ينبغي ذكرها توضيحا للأمانة العلمية وهي كالتالي: (د. عبد الله شريط في مقال: « مشكلة الحكم الإسلامي عند الأمير عبد القادر و الشيخ عبد الحميد بن باديس » . و هو مقال صادر عن مجلة الثقافة، العدد الخاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، عدد 75- 1983م.

و هناك مقال آخر لصاحبه (بومدين بوزيد) بعنوان: " انهزام الحرب وانتصار المعرفة "، الصادر عن جريدة الخبر، عدد 2719، 1996). و بعض المقالات الأخرى عند بعض الأساتذة مثل: (الأستاذ العربي الزبيري، و إشارات هامة للأستاذ: ناصر الدين سعيدوني، في كتابه: عصر الأمير عبد القادر، و كذلك السيدة بديعة الحسيني الجزائري في كتاباتها عمومًا.

وعن كل ماسلف تكونت لدي الإشكالية المحورية التالية:

وهي أهمية البُعد الروحي كمنطلق جوهري لمقاومة الشعب الجزائري، وتكوينه للخلفية الثقافية و الذهنية القارة لدى الجزائريين. وعلى أنه عامل حاسم في تطور أحداث التاريخ، وإن ظل هذا الجانب مهملاً بسبب كثرة الكتابات التي تتناول مقاومة الأمير من خلال الفعل الحربي، و التي ساهمت في تشكيل ما يمكن أن نسميه " بذاكرة الحرب "، أو من خلال بناء دولته الحديثة المخالفة لنظام آل عثمان.

من هنا ينبغي علينا أخذ الحدث التاريخي كاملاً بالابتعاد عن تشويهه بِأخذ الجزء دون الكُل، وبخوض دراسة تجربة الأمير عبد القادر في كفاحه ضد الفرنسيين و في نوعية ثقافته، و نظرته للحياة و تعامله مع المجتمع، و إستيعابه لمميزات الحضارة الغربية، و تعاطيه مع مواقف و محطات كثيرة، صادفت مشواره في الأسر و دار الهجرة.

وهكذا إذن تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الكبرى التالية:

هل أسس الأمير دولته على مقومات دينية؟ و هل كان نظام الحكم الذي أقامه إسلاميًا؟ أليس دفاع الأمير عن وطنه لسنوات ضربًا من ضُروب الأيمان؟

و كيف استطاع الأمير أن يحصد كل هذه الانتصارات حتى بعد 1847: هل تم ذلك بفضل حكمته ومواقفه الإنسانية؟!

و كيف نفسر صموده في أسره لو لا قوة قناعته الدينية وتماشيًا مع وقفاته الروحية حيث تجيبنا إنجازاته في فرنسا ودمشق؟

وهل صنع الأمير كل هذا لوحده كبطل أم أنه كان نتاج لبيئة تتكرر فيها دائما ظاهرة دينية هامة؟ و هي قُوة البعد الروحي و الأثر الديني في تسيير الأحداث منذ عهود بعيدة وتاريخنا حافل بها منذ عبادة إله الفينيقيين، وإله الرومان ثم دخول المسيحية ثم ثورة الدوناتين ثم الفتح الإسلامي ثم دخول الفكر الشيعي و الموحدي ثم قبول الحماية العثمانية، ثم الجهاد ضد فرنسا و الذي قادته معظم المقاومة الجزائرية.

و كيف بقي الأمير حيًا في الذاكرة الجزائرية و الإنسانية؟ وهل يصلح كنموذج للحاكم المسلم العادل؟، و هل تصلح أيضًا هذه التجربة كنموذج للدولة الجزائرية مستقبلاً؟.

و قد عولت في عملي هذا على مصادر معروفة، منها كتب للأمير نفسه، وهي الأصول المعبرة عن آرائه بصدق مثل: ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، و المقراض الحاد، و المواقف في التصوف و الوعظ و الإرشاد. بالإضافة إلى مصادر أخرى مثل: هنرى شرشل، و مذكرات الكولونيل إسكوت و مارسيل إيمريت و السلاوى الناصري، و المزاري...إلخ.

و كذلك عدد معتبر من المقالات الثرية و العلمية الصادرة عن المجلات التالية: الثقافة الأصالة، الهلال المصرية، الرسالة، العربي، مسالك، الرؤية، قضايا عربية، التاريخ الدراسات التاريخية...إلخ وأعمال ملتقيات خاصة بالأمير عبد القادر وعدد من الجرائد[1].

و قد اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي الاستقرائى، بالبحث عما هو روحي، ديني، إنساني، في مقاومة الأمير عبد القادر. و منهج تحليل المضمون في دراسة مواقفه بكل أبعادها الدينية.

وتبعًا لهذا المنهج جاء البحث في مقدمته و ثلاثة فصول وخاتمة وملاحق وفهارس.

تناولت المقدمة طرح موضوع البحث، و إبراز أهميته وصِلته بالواقع الجزائري.

في حين أن الفصل الأول: المعنون بمكونات شخصية الأمير عبد القادر يتكون من ثلاثة مباحث:

[1]- أنظر البليوغرافيا المرفقة بالبحث.

المبحث الأول يتحدث عن مولد الأمير عبد القادر و نشأته و نسبه الشريف أما **المبحث الثاني** فهو يتناول عصر الأمير ومحيطه ثم زاويته في حين أن المبحث الثالث يحدد لنا شخصية الأمير و مميزاتها من خلال مواهبه الفطرية ومحيطه ودور الزاوية في تكوينه الديني وتصوفه.

وجاء **الفصل الثاني** ليظهر لنا إنتاجه الفكري والأدبي من خلال كتبه، وقصائده ورسائله.

أما **الفصل الثالث** و عنوانه كفاح الأمير عبد القادر من خلال المنطلقات الشرعية ويتكون من ثلاثة مباحث، يتناول الأول مفهوما هاما جدًا وهو الجهاد و إحياء الشعائر الدينية ويتحدث عن مقدمات البيعة، وتعليقات خاصة بالبيعتين أما المبحث الثاني فتطرقت فيه لمصطلح الجهاد وضرورته الشرعية، ومفهوم الشهادة وكذلك حول معاملة الأمير لجنوده ونوعية المعارك التي كان يخوضها، ومعاملته الراقية للأسرى.

أما **المبحث الثالث** فهو يخص الشورى بمؤسساتها ونماذجها.

أما **الفصل الرابع** فهو يخص البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المعاملة والسلوك وتوجهاته الدينية في تسيير الدولة كالعدل والمساواة والتعليم وإقتدائه بصفحاة خالدة من الحضارة العربية الإسلامية بتجسيده لقيمة الإنتماء والهوية.

و كانت **الخاتمة** متضمنة للدلالات و القيم الحضارية لمقاومة الأمير عبد القادر.

و لتتحقق الفائدة دُعِّم البحث بملحق بِه بعض النصوص الهامة وفهارس تسهل البحث.

أما بعد فإن هذا البحث مساهمة بسيطة تلقي الأضواء على تراث فكري وتفتح الأفاق على دراسة روحية لكل المقاومة الجزائرية بإذنه تعالى.

و في الأخير لا يسعني إلاّ التقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون.

و الله من وراء القصد

الجزائر في:2004/04/07

الـــفـــصـــل الأول

مكونات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري

الفـــصل الأول:
مكونات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري.

المبـحـث الأول: نسبه و مـولـده.

أ- نسبه.

ب- مولده.

جـ- نشأته التعليمية.

المبـحـث الثـاني: عـصـره و مـحيـطـه.

أ- عصره.

ب- محيطه الثقافي.

جـ الطريقة القادرية.

المبـحث الثـالث: مميـزات شـخصيـتـه.

أ- الأخلاق الإسلامية.

ب- التعامل الإنساني.

جـ- التصوف.

مـــدخـل:

لكي نتعرف على الأمير عبد القادر الجزائري لابد لنا من التعرف أولا على نسبه الشريف، الذي كان عاملا مهما في نشأته، وفي تكوين شخصيته وثقافته، وقد ساعد على تأهيله حقا لمنصب الإمارة والحكم بعد ذلك.

إن هذا النسب بالذات جعله محل إحترام الآخرين، ومحل ثقة الأغلبية الساحقة كما أكسبه الشرعية أيضا بالتفاعل مع العوامل الأخرى.

وقبل تسلمه لمسؤولية الحكم، لابد من الوقوف عند محطات هامة في حياته، مثل روح العصر الذي عاش فيه، ومحيطه الذي تأثر به وأثر فيه، والزاوية التي ربته، فحصل ذلك التفاعل الإيجابي، في بناء شخصيته المتدينة والفاعلة، والمستقلة والمجتهدة علاوة الصبغة الصوفية التي نزع إليها والمعاملة الإنسانية التي طبعته بقوة وعمق.

المـبحث الأول:

نسبه و مولده:

سنتعرف من خلال هذا المبحث على نسب الأمير عبد القادر، وتاريخ ميلاده و مكان نشأته و روافد علومه الأولى، نظرًا لأهمية هذه المقدمة التقليدية في توضيح بعض العناصر المهمة في الموضوع لاحقًا.

أ- نـــســبـــه:

ينسب الأمير عبد القادر الجزائري، نفسه إلى ذرية سيدنا علي بن أبي طالب[1] و قد « كانت أسرته تعتز بامتداد حلقاتها حتى الإمام علي بن أبي طالب و تبدأ عند مؤرخيه بالسيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين بن المصطفى.[2]» « بن محمد بن أحمد بن المختار ابن عبد القادر.بن أحمد المختار بن عبد القادر المعروف بابن خدة. بن أحمد القديم بن عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرزاق بن الغوث الرباني سيدنا عبد القـادر

---

[1]– محمد.العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، و المؤسسة الوطنية للطباعة، (1982)، ص.12.

[2]– أحمد.رويش، في صحبة الأميريين. أبي فراس الحمداني، و عبد القادر الجزائري، ط.1، الكويت، مؤسسة جائزة. عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (2000)، ص.145.

الجيلاني[1] بن صالح بن موسى بن عبد اللّه بن يحيى الزاهد بن الإمام موسى الجوني بن الإمام عبد الله المحض بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب »[2] و زوجه فاطمة الزهراء.بنت سيد الوجود.

محمد رسول اللّهρ [3].

هاجرت أسرته إلى المغرب، ومن هناك انتقلت إلى نواحي وهران واشتهر رجالها بالورع و كانوا قدوة للناس[4] فهم في الأصل من فروع الأدارسة الذين أقاموا دولتهم في المغرب [5] من نسل محمد بن ادريس الأصغر.و ذريته على التوالي: « أحمد ثم عبد القوي ثم يعقوب وطاووس و مسعود ومحمد وبشار ويوسف وخالد وعبد القوي وأحمد وعلي ومحمد وعبد القادر بن المختار ثم محمد ثم مصطفى ثم محي الدين ثم الأميرعبد القادر»[6] و من أجداده أيضا عبد القوي الذي تولى القضاء في تاهرت[7] ويعرف بحاكم تفريست و محمد المعروف بالمجاهد و الذي استشهد في معركة ضد الإسبان، وأحمد

---

[1]- الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني(470- 562هـ/ 1078- 1167م): ولد في جيلان بجبال كركوك شمال العراق، استوطن بغداد و اعتكف على الدراسة و التعلم و تضلع في الفقه الحنبلي و ألف عددًا من الكتب في الأصول و الفروع و الأدعية و في التوسل إلى الله مال إلى حياة الزهد و التصوف و ألف طريقته الصوفية القادرية بعد أن كثر اتباعه و انتشرت بسرعة في بلدان المغرب العربي.

- أنظر كذلك: يحيى بوعزيز، « الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر»، في: مجلة مسالك، الجزائر، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر،عدد3، (1998)، ص.21.

[2]– الأمير عبد القادر. الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق: محمد الصغير بناني و محفوظ سماتي و محمد الصالح الجون، ط.2، الجزائر، دار الأمة، (1998)، ص.44.

[3]– الأميرة بديعة. الحسني الجزائري، ناصر الدين الأمير عبدالقادر الجزائري بن محي الدين، سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، ط. 2، دمشق، مطبعة السلام،(1992)، ص.32. راجع: الملحق رقم: 02.

[4]- نزار. أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري. العالم المجاهد، ط. 1، دمشق، دار الفكر، (1994)، ص.09.

[5]- دولة الأدارسة: أقيمت دولة الأدارسة في المغرب على يد إدريس الأكبر عام(172هـ/ 788م) و سقطت في عهد آخر ملوكهم، محمد المستعلي ابن إدريس بن علي عام (459هـ/ 1066م).

راجع لذلك – الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري. (حقائق و وثائق)، ط. 1، دمشق، دار الفكر للطباعة، (2000)، ص.16.

[6]- الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع نفسه، ص16.

[7]- تاهرت: تسمى أيضا تيهرت كانت عاصمة للدولة الرستمية التي أسسها القاضي عبد الرحمن بن رستم في القرن الثاني الهجري الثامن الميلاد(160هـ/777م)، تغلب الفاطميون على هذه العاصمة سنة 279هـ 909 م و تفرق الخوارج في كل إفريقيا و يطلق عليها الآن تيارت.- أنظر: الموسوعة العربية العالمية، ط.2، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، (1999)، ج6، ص.41.

إذن عبد القادر، كان شريف النسب. منتميا إلى الدوحة النبوية المباركة، تمرس أجداده في الجهاد والعلوم، و إقامة الدول ثم واصل السير من بعدهم على نفس هذا النهج.

ب- مـــولـــده:

ولد عبد القادر بن محيي الدين [1] بن مصطفى[2] و ابن السيدة الزهراء[3] يوم: (23 رجب 1222هـ / 26 سبتمبر 1807م) [4] و كان ذلك يوم الجمعة [5]، بينما جاء في مذكراته الشخصية تاريخ ميلاده في هذه السنة[6] حيث يقول كاتبها: « مولد هذا السيد في أحد و اثنين و عشرين و مائتين و ألف من قرننا هذا » [7].

---

[1]- محي الدين: ولد بوادي الحمام عام [1190هـ/ (1776-1777)م] درس على أبيه و ورث عنه مشيخة الزاوية فكثر عليه طلاب العلم، اشتهر بسداد الرأي وغزارة العلم، قاوم الظلم في عهد الباي حسن بن موسى، و توفي في: (1249هـ/ 1833م) فخلفه ابنه في رئاسة الزاوية، و تولى عبد القادر إمارة الجهاد.

- راجع: يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط.1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ج2، ص.245.

[2]- مصطفى بن المختار الغريسي: هو جد الأمير عبد القادر، أخذ القادرية على الشيخ عبد القادر المشرفي حين زار بغداد في طريق الحج، تبرع بماله الخاص لتوسيع ضريح عبد القادر الجيلاني،فأصبح يعرف بزيادة الشيخ مصطفى المغربي عند عودته من الحج. أسس زاوية بوادي الحمام (1206هـ/ 1791م)، فوظف في زاويته أجلّ العلماء أمثال شيخه عبد القادر المشرفي توفي في سنة: (1212هـ/ 1797- 1798م) عند عودته من حجته الرابعة ببرقة، ودفن بعين غزالة قرب درنة وما يزال قبره معروفًا حتى الآن.- راجع: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.ص، 244- 245.

[3]- هي السيدة الزهراء: نبيلة النسب من عائلة أولاد سيدي عمر بن دوحة سبق لها الزواج قبل محي الدين حيث أنجبت ولدًا و مات، وأنجبت من محي الدين عبد القادر، و خديجة.أنظر أيضا: ADRIEN. Delpech,«histoire de'Lhadj Abdelkader , par son cousin Hasen ben Ali Ben Abi Taleb», traduction partielle, in: Revue Africaine, T.20/1876, p.419.

و أيضا:- Paul. AZAN,«les débuts d'Abdelkader», in: bulletin de la société de géographie d'Oran, T.XII, (1921), p.198.

[4]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر. شرح و تعليق ممدوح حقى، ط.2، دمشق، دار اليقظة العربية، 1964، جزآن في مجلد واحد، ص.932. بينما نجد اختلاف حول سنة ميلاده عند بعض الأساتذة، فيجعلها كل من الأستاذين (العربي الزبيري).راجع: محمد العربي الزبري،الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص.12.

و أيضا (إسماعيل العربي) في(1223/ 1808م). راجع كتابه: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، د.ط، الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975،ص.38. في حين يجعل شهر ميلاده (هنري تشرشل) في: (ماي 1222هـ/ 1807م). أنظر لذلك: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة و تعليق أبو القاسم سعد الله، ، ط. 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص.39. ويجعلها الأستاذ: (ناصر الدين سعيدوني.) في: (15 رجب 1222هـ/ سبتمبر 1807م). راجع كتابه: عصر الأمير عبد القادر، ط.1، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،(2000)، ص.155.

[5]- محمد السيد.علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه،د.ط، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1986،ص.15.

[6]- لم يكن عبد القادر الابن البكر لأبيه، فقد تزوج محي الدين بأربعة نساء، الأولى وريدة و أنجبت له سيدي محمد سعيد، ثم الزوجة الثانية وهي الزهراء أم عبد القادر و خديجة (الزوجة مصطفى بن تهامي خليفه معسكر) و الثالثة هي فاطمة و أنجبت له سي المصطفى و رابعة اسمها خيرة بنت سيد العوايد و أنجبت له الحسن و عائشة، و أمة سوداء أنجبت له محيي الدين.

راجع أيضا: - A. Delepech, op. cit, p. 419

[7]- الأمير عبد القادر الجزائري، المذكرات، المصدر السابق، ص.48.

في قرية القيطنة [1] التي بناها جدهُ، و قد حملت هذه التسمية إشارة إلى أنها ليست قرية مرتحلة بل قاطنة مستقرة، تقع بالقرب من مزار يحمل اسم محمد بن الحنفية [2] بن علي بن أبي طالب[3].

و قد اختط جده هذه القرية على سفح جبل استانبول على الجانب الأيسر لوادي الحمام[4]، قبل سفره للحج حيث اختار لها أرضًا خصبة تطل على واد من أكبر الأودية وأعذبها.

- الـفـطـرة والمـوهـبـة:

يظهر جليًا عند الأمير عبد القادر أثر الوارثة الجيدة [5]. و التي تعود لتوفر بعض العوامل عنده دون غيره من شباب عصره، كنسبه الشريف الممتد بجذوره إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما.)

حيث يشرح لنا الأمير عبد القادر معنى الآية الكريمة:(إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا) [6] بتوضيحه لموقفه من آل البيت. و النعم التي خصهم بها الله عزّ وجل. بإذهابه الرجس عنهم [7]. يظهر لنا مدى اعتزازه وارتباطه الروحي بهذا النسب المقدس.

بالإضافـة إلى انتمائه إلى قبيلة بنـي هاشم العربية و انتمائـه إلى عائلـة المرابطين [8].

---

[1]- القيطنة: هي قرية تبعد عن معسكر بـ 28 كلم، بناها مصطفى المختار جد الأمير، سنة 1206هـ/ 1791م، وكانت مقصدًا لطلاب العلم إلى الزاوية القادرية.

[2]- محمد بن الحنفية: هو أخو الحسن والحسين ولدي فاطمة من علي و الآن هو مزار يسمى بحمام بوحنيفية، و يبعد بحوالي 30 كلم عن معسكر المدينة.

- راجع: مذكرات الأمير، المصدر السابق، ص.46.

[3]- أحمد. رويش، في صحبة الأميريين، المرجع السابق، ص.145.

[4]- ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.102.

[5]- رابح. تركي، « من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر. الأمير عبد القادر و أثر البيئة الثقافية و التربية التى نشأ فيها في تكوين شخصيته.» في: مجلة الثقافة، العدد. 88، السنة. 15، (جويلية- أوت. 1985،)،ص.118.

[6]- سورة الأحزاب، الآية، رقم: 23.

[7]- الأمير عبد القادر، المواقف، صورة من النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، د. ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، (1996) ج2، ورقة رقم:104.راجع: نموذج من النسخة الأصلية، الملحق رقم: 04.

[8]- رابح.تركي، المقال السابق، ص.91.

كما نعرف جيداً مكانة أسرته بين بني وطنه [1] فهو من عائلة كريمة المنشأ عظيمة وشريفة [2].

ووالدان اجتمعت فيهما أحسن الصفات فوالده ابن الحاج مصطفى الغريسي الحسيني. الذي كان من أكبر علماء زمنه. فضلاً عن كونه زعيم للطريقة القادرية [3].

و بذلك اجتمعت فيه خصال البطولة والتدين والسطوة الروحية [4].

ومن جهة أمه، فهي السيدة الزهراء بنت عبد القادر بن خدة الحسيني من بيت علم وتقوى هي الأخرى[5].

فورث الأمير من الناحية البيولوجية والعقلية صفات كقوة الجسم، وصفة البدن وكذلك الأخلاق النبيلة[6] إضافة إلى الاستعدادات النفسية الطيبة[7] وذكاء القلب وصفاء النفس والقدرة على كسب حب الأخرين[8] بفطانة الذهن[9]. و الإرادة القوية والشجاعة الفائقة، وقدرة رزينة في التأقلم مع الظروف والقدرة على التنظيم[10].

كما وهبه الله أيضا، نبوغًا غير عادي من ناحية المواهب الفكرية[11] أين يكتمل جميل هذه لصفات، بفصاحة اللسان، وقدرة البيان المفصح و الذي تطور لديه حتى التعبير الشعري[12].

لكن يبقى هذا الاستعداد الفطري لوحده غير مجدٍ. بدون أرضية، يتبلور عليها خاصة إذا احتوت على الظروف الملائمة لتحفيزه[13].

---

[1]- أبو القاسم.سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، د.ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1978)، ج03، ص.128

[2]- يحيى. بوعزيز، المرجع السابق، ص.77.

[3]- رابح. تركي، المقال السابق، ص.91.

[4]- يحيى. بوعزيز، المرجع السابق، ص.77.

[5]- عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.27.

[6]- رابح. تركي، المقال السابق، ص.91.

[7]- المقال نفسه، ص.93.

[8]- نفسه، ص.117.

[9]- نفسه، ص.91.

[10]- نفسه، ص.197.

[11]– رابح.تركي، المقال السابق، ص.92.

[12]- أحمد. رويش، المرجع السابق، ص.147.

[13]- أحمد. ملاح، التصوف و الإصلاح عند الأمير عبد القادر، دراسة تحليلية نقدية (رسالة ماجستير)، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، (1987)، (عمل غير منشور)، ص.24

جـ- نـشـأتـه التـعـلـيـمـيـة:

تلقى عبد القادر دروسه الإبتدائية في مسقط رأسه القيطنة غربي معسكر [1] من إيالة وهران [2] تحت إشراف والده[3] الذي بذل قصارى جهده في تعليمه وفقا للمقاييس و الإمكانات المتوفرة في عصره، و لم يدخر جهدا في سبيل ذلك لما لاحظه عليه من الذكاء و الفطنة [4]، فأخذ الأمير من والده مبادئ القراءة والكتابة، و أتقنها في سن مبكرة جدا وعمره لم يتجاوز سنوات الخمس [5].

ثم لقنه العلوم الإسلامية و حفظه القرآن الكريم[6] في زاوية أسلافه بالقيطنة [7] في مدرسة جده مصطفى الغريسي، فنشأ بذلك في بيت علم و تقوى و في بيئة دينية متعلمة محافظة[8] صارمة في تربيتها فأجاد حفظ القرءان ومبادئ العلوم اللغوية و الدينية[9].

---

[1]- معسكر: مدينة تقع على بعد 95 كلم من وهران، و هي مدينة قديمة معمورة، ذات موقع إستراتيجي. أما عن تاريخ هذه المدينة، فقد عرف أنها شيدت في المنطقة التي تدعى بالوطن الراشدي، على الحافة الشمالية الغربية لسهل غريس الكبير، يحدها شرقًا جبل المناور، وغربًا جبل كرسوط وشمالاً قلعة بني راشد و جنوبًا واد البيان وأقرب رواية حول تأسيسها هي أنها تأسست في القرن (7هـ/ 13م) على عهد بني زيان عندما اتخذ يغمراسن الحشم جنودًا له كفاصل بينه و بين بني توحين " أمراء تاهرت"، فعسكرت بها القوات وكبرت حتى أصبحت عاصمة للبايلك في القرن(12هـ/ 18م) بدءًا من عهد الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم (1113هـ-هـ/ 170م).

- راجع: الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير، مصدر سابق، ص.45.

- و أيضا راجع: بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب و الحسب و الفضائل و التاريخ و الأدب في أربعة كتب، ط1، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، (1961)، ص.33.

- راجع أيضًا: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص.ص، 227- 228.

[2]- وهران: عاصمة إيالة الغرب في العهد العثماني، تقع على السفح الشرقي لجبل المايدة (سيدي هيدور) ينتمي سكانها القدامى إلى مغرواة و نفزاوة يعود تأسيسها إلى ما قبل عهد الفينقيين كان يطلق عليها المرسى الصغير أول من اختط وهران و طورها الخزر المغراوي سنة (290هـ/ 902م).

راجع: يحيى بوعزيز، وهران، د.ط، الجزائر، (منشورات وزارة الثقافة والسياحة)، طبع وحدة الرغاية مؤسسة الفنون المطبعية (1985)، ص.ص، 29-30. و أيضا: بل هاشمي بن بكار، مرجع سابق، ص.34.

[3]- يحيى. بوعزيز، الأمير عبد القادر. رائد الكفاح الجزائري، د. ط ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1983، ص.41.

[4]- رابح، تركي، مقال سابق، ص.92.

[5]- هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.39.

[6]- أبو القاسم. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء الأول القسم الأول، (1992)،ص.173.

[7]- عبد الحميد.حاجيات، « الأمير عبد القادر و إنتاجه الأدبي. »، في: مجلة التاريخ،عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، ص.82.

[8]- عبد الحميد. شعابنة، « الأمير عبد القادر المجاهد المثقف و السياسي الفارس.» في: مجلة أول نوفمبر، عدد 165، 2001، ص.27.

[9]– إسماعيل. العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص.38.

أصبح طالبا و كلف بإعطاء الدروس في زاوية عائلته خاصة علوم التفسي[1] وفي الخامسة عشر رحل إلى مدينة أرزيو[2] للدراسة على قاضيها، الشيخ(أحمد بن الطاهر)[3] قبل أن يتحول إلى مدينة وهران حيث انتسب إلى مدرسة أحمد بن خوجة[4] التي قضى فيها ما يقرب السنة انكب فيها على توسيع معارفه اللغوية والفقهية[5]. فأخذ « النحو وجوهرة البيان. والمنطق عن بعض علماء وهران، كالسيد مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد»[6] فضلا عن ذلك لم يحرم الأمير نفسه من العلوم الأخرى، فكان يقرأ كل ما تصل إليه يده من كتب العلم والفلسفة كأعمال فيثاغورس[7] وأرسطو[8] وكتب إخوان الصفا[9] وغيرها من المتون التي استهوته.

نستنتج من كل ما سبق أن الأمير عبد القادر.شريف النسب. عريق المنبت ينتمي لآل البيت الذين اصطفاهم اللّه، كما ساعدته ثقافة أهله على الإبحار في العلوم العقلية والدينية.

---

[1]- رابح. تركي، « من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر » ، المقال السابق، ص.92.

[2]- أرزيو: مدينة ساحلية تقع شرق مدينة وهران.

[3]- أحمد بن الطاهر الرزيوي: قاضي أرزيو، أصله من مدينة أرزيو تولى القضاء لدى الأتراك بوهران، ودرس عليه الأمير عبد القادر في صدر شبابه عندما فرض عليهم الباي حسن الإقامة الجبرية، لكن بعد أن تولى الأمير الإمارة قدمه للمحاكمة و أعدمه في مدينة معسكر، بعد أن ثُبت تعامله مع الفرنسيين أعداء البلاد.

- أنظر: يحي. بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق،ج2، ص.210.

[4]- مدرسة أحمد بن خوجة: أصل صاحب هذه المدرسة من مستغانم استوطن وهران، و أنشأ بها مدرسة للأعيان ونشط في الكتابة حيث كتب (در الأعيان في أخبار وهران) و تتلمذ على يده الأمير عبد القادر و غيره من أبناء الأعيان.

- راجع: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.210.

[5]- ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.102.

[6]- الأمير عبد القادر، المذكرات، مصدر سابق، ص.49.

[7]- فيثاغورس: (580ق.م)، فيلسوف يوناني وعالم رياضيات، ذاع صيته بسبب نظريته المشهورة، (فيثاغورث)، ولد في جزيرة ساموس، و استقر في كروتانا (إيطاليا)، عام (529 ق.م) وأسس فيها مدرسة الأخوة وسط الحي الأرستقراطي، اشتهر بفكرة تناسخ الأرواح التي تجلت في الكثير من النظريات الدينية.

- أنظر: الموسوعة العربية العالمية، ، ط.2، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، (1999)، مجلد. 17، ص.647 -648.

[8]- أرسطو: (384؟- 322 ق.م) فيلسوف ومعلم وعالم يوناني، من تلامذة أفلاطون ولد في بلدة ستاجيرا شمالي اليونان، علم أبناء الملوك في مقدونيا وأنشأ (الليسيوم) و هو مدرسة خاصة لتلاميذه الذين أطلق عليهم (المشائين) لأنه يلقي دروسه أثناء مشيه، مات أرسطو هربًا من تهم وجهت له في كلكيس، له عدة مؤلفات فلسفية هامة: كالمذكرات والمقالات.

- راجع: الموسوعة العربية العالمية، مجلد 17،ص.506.

[9]- إخوان الصفا: من أهم الجماعات الفكرية التي ظهرت في تاريخ المسلمين الفكري و السياسي، ظهرت أول ما ظهرت في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي (373هـ/ 983م) وكانت سرية التنظيم لها فروع في بغداد من أشهر ما ينسب إليها، رسائل إخوان الصفا و هي أربعة رسائل متنوعة، ناقشها الإمام الغزالي:(55هـ/ 674م) و ابن تيمية: (728هـ/ 1327م).

- راجع: الموسوعة العربية العالمية، مجلد 01، ص. 361.

المـبحـث الثـاني:

عصره و محيطه:

في هذا المبحث تتضح تفاصيل ماأجملناه في هذا المبحث السابق بدقة أكبر إنشاء الله.

قبل أن نستعرض تجربة الأمير عبد القادر، و بناءه لدولته القائمة على روح الدين الحنيف، لا بد من الحديث عن شخصيته، و للتعرف عليها وعلى مكوناتها من خلال طفولته ونبوغه باستعراض مراحل نشأته عن طريق التطرق للبيئة التي عاش فيها، و محيطه العائلي المقرب، ودور الزاوية القادرية في تكوينه وكذلك ما أضافته له رحلته إلى المشرق حاجًا في أوج مراحل شبابه.

فالملاحظ إذن أن عوامل عدة ساهمت في صقل مواهب الأمير الفطرية وساعدته على تكوين شخصيته المميزة.

وهذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

فلا يمكننا إذن الاكتفاء بما عرضناه سابقًا، فالشخصية هي نتاج صادق عن الوضع العام الذي تربى فيه الإنسان ولا يمكننا إذن التعرف على مميزات شخصيته كاملة، والحكم عليها حكما صائبًا إلا إذا عرفنا أمور منها:

خصائص العصر الذي نشأ فيه من الوجهة السياسية والاجتماعية والثقافية، لأنه كأي شخصية عادية ينفعل بأحداث بيئته، وقد أثر ذلك بالضرورة في أخلاقه و سلوكاته.

ثم التعرف على بيئته المقربة، ومحيطه الأسري وما أثر في تكوينه النفسي والفكري وبالتالي الاجتماعي والسياسي[1].

ودور الزاوية القادرية في تكوين الأمير الديني والحربي، فما هذا المحيط في واقع الأمر، إلا جزء من الكل، فيجدر بنا إذن البدء من العام لنصل إلى الخاص.

---

[1]- رابح. تركي، المقال السابق، ص.ص، 91- 94.

أ- عصر الأمير: 1-الحالة السياسية:

تميز العصر الذي عاش فيه الأمير عبد القادر الجزائري على المستوى السياسي بحال الجزائر المنضمة ضمنيا للدولة العثمانية.

و لا بأس بأن نعطي لمحة بسيطة عن هذا الانضمام و النتائج المترتبة عنه.

فلقد انضمت الجزائر للدولة العثمانية بعد استنجاد سالم تومي (حاكم ميناء الجزائر) بالأخوة بربروس[1] بعد محاولات الغزو المسيحية، و بالفعل لبى عروج (أوروج) النداء لكنه لم يكمل عمله بوفاته في إحدى حروبه مع الإسبان ضواحي تلمسان، فخلفه أخاه خير الدين[2] و في خضم هذه المقاومة طلب خير الدين المساعدة من السلطان سليم الأول[3] الذي زوده بجيش من الإنكشارية قدر بـ 2000 عسكري مسلحين مع قوة مدفعية، كما أعطى للذين يتوجهون إلى الجزائر تطوعا امتيازات هامة [4].

و بفضل هذه المساعدة تمكن خير الدين من دخول تونس عام (1546م- 953هـ) وبدأ بذلك الحكم العثماني في الجزائر و الذي مر بأربعة عهود:

و قد تميزت المرحلة الأولى و الممتدة من (1546م- 953هـ/1587م-996هـ) و المسماة بمرحلة البايلربايات. بمقاومة خاصة ضد الإسبان هزم خلالها شارل الخامس[5] عام (1541م- 948هـ)[6].

---

[1]– بربروس: تعني اللحية الحمراء.

[2]– خير الدين(بربروس 871هـ/953هـ - 1546/1466م): إسمه الأصلي خزر (KHIZIR) ، مجاهد تركي مسلم مشهور ولد في متلين اكتسب شهرة واسعة لمهارته وشجاعته. ولاه أخوه عروج على الجزائر وبعد وفاة هذا الأخير عين خلفا له فطلب العون من السلطان العثماني سليم الأول وقدم له فروض الولاء والطاعة بإسم البلاد التي دخلها أخوه ومنحه لقب باشا وأرسل إليه ألفي رجل، وأستدعي إلى الأستانة وسمي (قابودان باشا)، توفي بها ودفن في المسجد الذي بناه بها. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 4، ص.ص، 291-292.

[3]– سليم الأول:272هـ/296هـ - 1520/1467م) هو سليم بن بايزيد الثاني، ولد بأستنبول، كان واليا على سنجق طرابزون تنازل له والده على السلطة مكرها سنة(918هـ/1512م) اهتم بتجديد معاهدات الصلح والهدنة مع الدول الأوربية، أوقف محاولة الصفويين ضم العراق سنة (920هـ/1514م) قضى على دولة المماليك في الشام ومصر وضم إليه الحجاز وبدأ في عهده النفوذ العثماني على شمالي إفريقيا وخاصة في الجزائر وارتبط هذا بأسرة بربروسة، حاول أن يجعل من أسطنبول مركزا علميا للبحوث المختلفة، مات بمرض معوي قرب جركو دفن بإسطنبول. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 13، ص.84.

[4]- أرجمند.كوران، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر (1827- 1847)، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، ص.11، و أيضا: أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري، (1808- 1847)، ط1، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (1983)، ج1، مرجع سابق، ص. 33-35 .

[5]– شارل الخامس: ملك إسبانيا دخل في حرب مع الدولة العثمانية في الجزائر

[6]– أرجمند.كوران، مرجع سابق، ص.13.

أما المرحلة الثانية و التي بدأت عام (1587م- 996هـ) وبموت العلج علي كانت المرحلة للسيطرة على أوجاق الغرب (الجزائر) عن طريق إرسال باشاوات، ولاية كل واحد ثلاثة سنوات و انتهت عام (1596م/ 1005هـ) على يد الخزر باشا بعد أن أخذ ديوان الإنكشاريين لإدارة الولاية بعد ضعف الباشاوات و رغبتهم في جمع الأموال فقط. و هنا تبدأ مرحلة جديدة ترغم فيها الدولة العثمانية على القبول بالأمر الواقع بسبب مجيء الأغاوات الذين يجددون كل شهرين تجنبا للاستفادة من توابع النفوذ والسلطة كالسرقة و الاختلاسات.

و لكن هذا الشكل الجديد من السلطة المنتخبة أثار تنافسا جديدا ينتظر التغيير كغيره، و بالفعل كانت نهايته عام (1671م/ 1082هـ) بانقلاب قام به رؤساء البحرية الذين غيروا شكل الحكومة و انتخبوا دايًا يُغير بموته فقط، و كان أول حاكم هو علي جاويش[1] و بدأت بعهده فترة الدايات[2] حيث ينتخب الداي من قبل الديوان (يشبه البرلمان) مدى الحياة، بواسطة وزراء معينين تعيينًا مهمته أيضًا تعيين الولاة [3].

و المميز للتواجد العثماني في الجزائر هو تلك الاستقلالية الخاصة رغم صك النقود باسم الدولة العثمانية، وهي لم تجعل من الرجوع للأستانة واجبا حين ترغب في عقد اتفاقيات أو إرسال بعثات دبلوماسية [4] بالإضافة إلى استقلالية الخزينة التي كانت مواردها تأتي من البيالك [5] الأربعة.

حيث أن البلاد كانت تخضع إلى تقسيم إداري، تسمى فيه المنطقة بايلك و يعود هذا التقسيم إلى عهد حسن بن خير الدين [6] و يحكم هذه البيالك (نواب) أو بايات أصولهم

---

[1]- علي.شاوش باشا: داي الجزائر أوائل القرن الثامن عشر بعد إعدام الداي إبراهيم المدعو بالمجنون عاش عدة مؤامرات ضد حياته، أجبر السلطان على تعيينه باشا كان على خلاف مع العلماء ورجال الدين الذين نسبوا إلى سياسته ابتلاءهم بالمرض والطاعون، مات على فراشه ولم يقتل. راجع: جون. ب و واف، الجزائر و أوربا (1500- 1830م)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (1986)، ص.ص، 382-386.

[2]– أرجمند.كوران، المرجع السابق، ص.15.

[3]– أبو القاسم.سعد الله، أبحاث و أراء، ط3، ج1، ص.245.

[4]– فتحي.دردار، الأمير عبد القادر الجزائري، بطل المقاومة الجزائرية، 1832-1847، الجزائر، 2001، المرجع السابق، ص.11.

[5]– بايلك: مقاطعة.

[6]– حسن .بن خير الدين: أصبح بايلارباي شمال إفريقيا بعد وفاة أبيه خير الدين عزله السلطان بعد سعي من السفير الفرنسي لذلك، يعود له أمر تقسيم البلاد إلى مقاطعات. راجع: جون.ب وواف، الجزائر وأوربا (1500- 1830م)، مرجع سابق، ص.64، ص.69، ص.115.

إما تركية أو كرغلية [1] و هي كالآتي:

بايلك دار السُلطان، و يشمل العاصمة و المدن و المحيطة بها و الممتدة من شرشال غربا إلى دلس شرقا، و هو أول بايلك من حيث الظهور و بحكم الموقع و تمركز السلطة فيه يشمل على أغنى السهول [2].

بالإضافة إلى بايلك التيطري و تأسس عام (1540م/ 947هـ) و عاصمته المدية ويقع بين بايلك الشرق و دار السلطان و بايلك الغرب [3]، ثم بايلك الشرق و تأسس عام (1565م/ 973هـ) و هو أكبر المقاطعات و عاصمته قسنطينة[4] و تمتد من حدود تونس شرقا إلى القبائل الكبرى[5] و آخر بايلك هو الموجود في الغرب، و الذي تأسس عام (1565م/ 973هـ) بـبيان حكمه في بداية الأمر أحدهما بـمازونة و الآخر بـتلمسان ثم أصبحت عاصمته قلعة بني راشد ثم بمعسكر (1122هـ/1710م)، ثم بوهران، ثم بمستغانم(1152هـ/ 1739م) ثم وهران بعد تحريرها الثاني عام(1207هـ/ 1792 م). في عهد الباي بوشلاغم و تمتد حدوده (قرب تيطري إلى الحدود المغربية)[6].

ثم تأتي مرحلة أخرى من مراحل عصر الأمير، و هي الإحتلال بكل ما حمله من أسباب بمقدماته الحقيقية و الواهية و التي أحدثت في نهاية الأمر النكبة.

يذكر التاريخ دائمًا الأطماع الفرنسية اتجاه الجزائر نتيجة للعلاقات التجارية المضطربة و التي انتهت بحملة شارل العاشر[7] العسكرية على الجزائر[8].

بعد الادعاءات الفرنسية و التي غطت عليها مروحة الداي في: (1243هـ/ 29 أفريل 1827 م) و التي نفضت الغبار عن ديون فرنسية لصالح الجزائر تعود إلى عام:

---

[1]– كراغلة: هم المولودين من أم جزائرية وأب تركي. راجع: جون.ب وولف، مرجع سابق، ص.105.

[2]– أديب.حرب، المرجع السابق، ص.36.

[3]– فتحي. دردار، مرجع سابق، ص.12

[4]- يحيى.بوعزيز، وهران، مرجع سابق، ص.70.

[5]- فتحي. دردار، مرجع سابق، ص.12.

[6]– نفسه، ص.12.

[7]– شارل العاشر: هو الكونت دارتوا، خلف أخاه لويس الثامن عشر (1814- 1824)، (1230هـ/1240هـ)، أنزل الحكم بتاريخ: 11 جويلية (1830). راجع: أديب حرب، مرجع سابق، ج1، ص.38- 39.

[8]– أديب.حرب، المرجع نفسه، ص.42.

(1210هـ/1795م) بقيمة 24 مليون فرنك فأزعجت القنصل دوفال[1] فكان الثمن الحصار من: (1827-1830م/1243-1246هـ) لتخلص منها .

و بذلك دفعت الجزائر ذاك الثمن المزعوم بستة بوارج بحرية منطلقة بنية التأديب والغزو أوائل ماي(1246هـ/ 1830) من مرسى طولون تحت قيادة دوبورمون[2] بعدد خيالي قدر بـ 37617 مقاتل و بعتاد أكثر من مائة مدفع و 4546 حصان.

أمام هذه الموجة الخيالية و الغير متكافئة إذا ما قورنت بالإمكانيات الجزائرية، و التي كانت تعاني من خسائر فادحة بعد معركة نافارين (1827م/ 1243هـ).

أمام هذا الاصطدام بين قوتين غير متكافئتين و أمام تطور الأسلحة الفرنسية و أمام الصدمة التي خلفت أخطاء منها إبقاء المتطوعين خارج العاصمة و عدم إمدادهم بالسلاح و رفض المواجهة العسكرية داخل البحر بالانسحاب و التحصن في العاصمة دون ضواحيها بسبب القيادة الغير كفؤة[3]. و التي سمحت بالإنزال في سيدي فرج ثم قادت إلى لنتيجة الحتمية و هي الاستسلام في ظل تلك المعطيات.

رغم تلك الوعود الوهمية التي أطلقها دوبرمون في ندائه إلى مشايخ و علماء الجزائر بحمايته الأعراض و المعتقدات، تنتهي حكاية احتلال وطن اتفقت الأطماع على اقتسامه و عجزت الخلافة الأم عن حمايته لأنها ضعيفة.

و بعد انسحاب الداي حسين إلى نابولي ثم الإسكندرية [4]. تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الاحتلال و النكبة و كيفية تعامل الفرد الجزائري المؤمن معها.

و بالفعل تمتد يد الاحتلال الطامعة إلى كل أنحاء البلاد خاصة الغرب الذي ودعه عبد القادر حاجًا ليعود إليه فيجده محتلاً فاقدًا لسيادته بعد أن استسلم الباي كنتيجة حتمية لاستسلام الداي.

---

[1]– القنصل دوفال: قنصل فرنسا في الجزائر والمتسبب في إدعاء فرنسا بضرورة إحتلال الجزائر بعد حادثة المروحة التي كان أحد مسببيها بعد إستفزازه للداي الحسين بخصوص قضية الديون الفرنسية العالقة والتي رفضت فرنسا تسديدها.

[2]– دوبرمون: لوي أوغست فكتور دوبرمون، Louis Auguste Victor Debourment ولد في أيلول(1280هـ/ 1773م)، و توفي بتاريخ 27 تشرين الأول (1846م/1263 هـ)، كان وزيرًا للحربية في عهد شارل العاشر، بعد إنقلاب لوي فليب غادر الجزائر ليعود إلى فرنسا حيث سكن قصره حتى وفاته. راجع: أديب حرب، مرجع سابق، ج1، ص.48.

[3]– فتحي. دردار، المرجع السابق، ص.19.

[4]– الداي حسين: كان داي الجزائر أثناء الإحتلال الفرنسي للجزائر كان خزناجيا أو وزيرا للمالية ولقرابة له مع الداي الذي سبقه وصل إلى الحكم، يعرف عنه كذلك استعانته باثنين من التجار اليهود، غادر الجزائر بعد توقيعه لمعاهدة استسلام مع فرنسا، توفي بالإسكندرية (1838م/ 1254هـ). راجع: جون.ب وولف، مرجع سابق، ص.ص، 440-441 .

و رغم محاولاته غير المجدية في الاحتماء ببني هاشم انتظارا لإبعاده إلى الإسكندرية هو و عائلته.

في هذا البايلك تتغير المعطيات السياسية من حول عبد القادر و يتغير كذلك تعاطي فرنسا مع هذا الأمر حسب أوضاع فرنسا الأم.

فيخلع شارل العاشر في:(1246هـ/ 29 جويلية 1830)، و يجيء لويس فليب[1] فيرسل كلوزال (12 أوت 1830 أو مارس 1831) [2] ، الذي بالغ في ثقته في نفسه بعد أن تصرف دون الرجوع لحكومته كإرساله الإنذار للسلطان عبد الرحمن[3] كما اتصل بتونس في مشروع مشابه لما حدث في الشرق و دامت أسبوعين ثم رحلت بسبب رفض الفرنسيين منحهم حقوق تجارية قد حلت في: (22 مارس1831م/1247هـ).

و للتخفيف من نقمة الناس رحل كلوزيل و عوضه بيير تزيين لتدارك الأمر في: (21 أوت 1831) إلى (17 ديسمبر 1831م/ 1247هـ) [4].

و صار واضحا للجميع خطورة الوضع الذي وصلت إليه البلاد، فتوجهوا إلى محي الدين الذي وجههم بدوره من جديد إلى السلطان عبد الرحمن[5] و لم تستقرأموره

---

[1]– لويس.فليب: (1773-1850)، ملك فرنسا في الفترة من: (1830-1848م)، ولد في باريس الإبن الأكبر الدوق فليب إنضم للحرس الوطني واشترك في مؤامرة ضد الجمهورية وإضطر للراحيل عن فرنسا عام (1814)، نودي به ملكا بعد رحيل شارل العاشر (1830)، دام حكمه 18 سنة، عارضه الجمهوريون بسبب أساليبه الاستبدادية ورفضه اصلاح قوانين الإنتخابات و أجبر في النهاية على التخلي عن العرش وهرب إلى إنجلترا .راجع: Larousse L/3 Tome III (Paris 1966, p.76) ، وأيضا: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 21، ص.235.

[2]– كلوزال: برتون دوكلوزال Conte Bertrant Declausel ولد بتاريخ 12 ديسمبر 1772، و توفي في 21 أفريل 1842 كان مفتشا عاما السلاح في عهد لويس الثامن عشر، عينه لوي فليب مفاليد الحكم خلفا لديبرمون ليستخلفه بير تزين ثم يعود للجزائر بعد 5 سنوات كحاكم عام للبلاد من تموز 1835 جانفي (1837)، أديب حرب، مرجع سابق، ج1، ص.ص، 51-52.

[3]– أديب.حرب، المرجع نفسه، ص.51.

[4]- بير تزيين: ولد في 24 ماي (1775) و توفي في نوفمبر (1847) . راجع: أديب حرب، مرجع سابق، ج1، ص.58.

[5]- مولاي عبد الرحمن: هو عبد الرحمن بن هشام سلطان الدولة العلوية بالمغرب، (1204-1276هـ/1709-1859)، حكم من (1238-1276هـ/ 1822-1859م)، تميز عهده بإمضاء عدة معاهدات مع الدول الأوروبية في غير صالح المغرب، وحاول التدخل في شؤون الناحية الغربية إثر سقوط الجزائر تحت الإحتلال، فإنهزم في معركة إيسلي سنة (1844م)، وإضطر إلى توقيع معاهدة مغنية (1845)، التي نصت على غلق الحدود المغربية في وجه المقاومين الجزائريين و الامتناع عن تقديم أية إعانة للأمير عبد القادر. راجع: خير الدين الزركلي، مرجع سابق، مجلد 3، ص.341. وأيضا: عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ط2، دار البيضاء، مطبعة إديال، (1990)، ج5، ص.2.

فخلفه بواييه[1]. ثم خلفه دوروفيقو[2].

خلاصة القول أن عصر الأمير يصلح لأن نقسمه إلى مرحلتين تتضح معالمها بسهولة و هي المرحلة الأولى التي دخلت فيها الجزائر ضمنيا تحت سلطة الدولة العثمانية حيث توزعت السلطة في أغلبها عموما بين أيدي تركية من الداي أصلا إلى أبسط جندي بينما كان الجزائريون يجندون لخدمة هذا الجيش أو يعينون في مناصب دينية كما كان عليهم دفع الضرائب و الإعتراف بالخلافة الحامية باسم الدين خوفًا من المطامع الأوربية فكانت بدايتها الخوف من الاحتلال و نهايتها الاحتلال كان عصر المواجهة حتى و إن تأجلت كثيرًا لم تكن مواجهة متكافئة، ولدت من رحم التاريخ تلبية لنداء الدين و الواجب.

2- الحالة الاجتماعية:

بلغ عدد السكان في الجزائر ما قبل الاحتلال حسب حمدان بن عثمان خوجة 10 ملايين نسمة. ففي مدينة الجزائر وحدها بلغ عدد السكان خمسين ألف نسمة و في إحصائيات أخرى بلغوا مائة ألف منهم 5000 يهودي رغم الظروف الكثيرة المؤدية للهجرة. أما فيما يخص التركيبة الاجتماعية آنذاك فقد تميزت بأنها مقسمة على أساس شروط و أُسس و بالتالي رسمت الملامح البارزة التركيبة السكانية في الجزائر على يد (نخبة) متفرعة إلى أقسام على أساس امتلاك القوة العسكرية أو على أساس اكتساب الثروة أو على أساس امتلاك النفوذ الناتجة عن العوامل السابقة أو على النسب وصلة القرابة الواسعة [3] و عليه سنتعرض باختصار لهذه التركيبة السكانية التي شُكلت محيطا واسعا للأمير.

أول هذه الأطراف المشكلة للبنية الاجتماعية.

---

[1]– بواييه: توفي في 26 نوفمبر 1864. راجع: أديب حرب، مرجع سابق ،ص.ص، 60- 61.

[2]– دورفيقو: 19 ديسمبر 1831- 4 مارس 1833م) 1247هـ/1248هـ)، عاد إلى فرنسا بسبب إصابته بسرطان في الحلق مارس 1833 و توفي بعد ثلاثة أشهر من ذلك.

[3]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص.107.

الأتراك:

في أعلى السلم الاجتماعي يُسيطرون على الحكم من الباشا إلى اليلداش أبسطهم منهم الوزراء و البايات و الأغوات و أعضاء الديوان. و كذلك العاملون في الجيش يستقدمون في شكل متطوعين بشكل مستمر.

ميزات هذه الفئة:

1- انغلاقها على نفسها.

2- السيطرة التامة على الوظائف العليا و المحورية [1].

و إلى جانب الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي يشير إلى أنه لا يكاد يخلو مصدر عن العهد العثماني مهما كان دون أن يصدمه الفساد و الجور و الانحراف [2].

بالإضافة إلى ملاحظة هامة جدا تمثلت في نظرتهم الإستعلائية للسكان فكل ما كان يهمهم هو (الدنّوش) و التي يحملها البايات كل 3 سنوات و خلفاؤهم كل نصف سنة كما اتهموا بسرقة أموال الأوقاف و تقاضي الرشاوي [3].

هذا ما سيرسم واجهة العلاقة التي ستربطهم بالسكان حين تنتقل الجزائر إلى مرحلة الاحتلال و الغزو. ظلت هذه البنية في مجملها معزولة عن بقية السكان رغم أهميتهم في هذه التركيبة إلاّ أنهم بقوا قوى غريبة عن واقع الجزائر العميقة [4].

الكراغلة:

و هم فئة المولدين العثمانيين (أي المولودين من أُمهات جزائريات) [5]. اشتقت الكلمة من قول أوغلي (إبن العبد).

ميزتهم:

1- ترفعهم عن باقي السُكان.

2- عجزهم عن الاندماج مع الأتراك [6].

---

[1]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق ، ص.107.

[2]– أبو القاسم.سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج1 ، ص.147.

[3]– أبو القاسم.سعد الله،، مرجع سابق، ج1، ص.149.

[4]– ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.112.

[5]– نفسه، ص.149.

[6]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.108.

و لأنهم أبعدوا عن مقاليد الحُكم (ماعدا بعض البايات) مما أحدث حساسية تشبه المنافسة مع الأتراك و تؤكد لنا بعض الحوادث الصدامية ذلك [1] الناتجة عن إبعادهم عن الحكم و إخفاء آبائهم حقيقة الانتماء إليهم حيث كانوا يعترفون بأبنائهم من أمهات مسيحيات و يخفونهم من أمهات مسلمات [2].

- المخزن:

و هم عشائر تعاملت مع الأتراك وصفها أ.د.سعيدوني بأنها مجموعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها المختلفة في أعراقها [3] ذات طابع ريفي مهمتها المشاركة في الحملات الفصلية لمعاقبة عصاة الجباية، تتمركز في مناطق هـامة (نقاط مراقبة) [4] من بينها مخزن وهران بايلك الأمير و عرف بالدوائر و الزمالة [5] و الذي أصبح فيما بعد رديفا للاستعمار ليحافظ على امتيازاته [6] .

- الحضر:

و تضم هذه الفئة الأسر العريقة في المدن الكبرى كالجزائر و وهران وتلمسان و مازونة و معسكر و المدية و البليدة و مليانة و قسنطينة و ميلة و عنابة[7]. كما تضم كذلك العلماء و التُجار و أصحاب الحرف و الصنائع و الكتاب و الإداريين و أصحاب الأملاك [8].

كان عددهم ضئيلاً و يشكلون ما يعادل 5% من السكان.

ميزتهم:

1- هم برجوازية [9].

---

[1]– عام (1022هـ/ 1629م) طردت فرق جيش الإنكشارية من مدينة الجزائر إلى وادي الزيتون و وادي يسر (تخوم بلاد القبائل). كذلك حادثة قمع كراغلة تلمسان عام:(1161هـ/ 1748م) و التي أدت إلى إنزوائهم. راجع: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، ص.108.

[2]– أبو قاسم.سعد الله، المرجع السابق، ص.149.

[3]– ناصر الدين.سعيدوني،« وضعية عشائر المخزن الإجتماعية و الآثار التي ترتبت عليها » ، في: المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد 7-8، جانفي (1977).

[4]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.111.

[5]– الدوائر و الزمالة: قبائل مخزنية عارضت الأمير و إنضمت لفرنسا .

[6]– المرجع نفسه، ص.112.

[7]- أبو القاسم.سعد الله ، مرجع سابق، ج1، ص.104.

[8]– نفسه، ص.150.

[9]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير ، مرجع سابق، ص.109.

2- هم فئة محرومة من التطلع السياسي رغم دورها الإجتماعي و الإقتصادي والعسكري. إلاّ أن هذه الفئة جد مهمة لأن لها بعدان الجاه المادي و الجاه الروحي (من علماء) و هي فئة تتطلع آنذاك للخلاص [1]. و من بين هذه العائلات (ابن النيقروا، و حمدان بن عثمان خوجة) و في تلمسان بن نونة و ابن الفكون في قسنطينة [2] بالإضافة إلى أشراف معسكر و غريس [3].

طوائف المدن المحرومة:

قدمت هذه الفئة للعيش في المدن (البرانية) و بلغ عددهم عام 1830 عشرة ألاف. وقد تكون هجرة هؤلاء النازحين فصلية أو نهائية يتدبرون من خلالها العمل في العاصمة و المدن الرئيسية في حوانيتها ومصابغها ومدابغها و حماماتها.

ب- محيطه الثقافي:

1- لمحة عن حال لتعليم:

مثلت التعليم في عصر الأمير مؤسسات ثقافية متنوعة على اختلافها كان مضمون التعليم يعتمد على الحفظ و على مضمون كتب معروفة أشهرها ابن عاشور و رسالة أبي زيد القيرواني و مختصري خليل وابن الحاجي وعقائد السنوسي وألفية ابن مالك [4]. و لعل أهم مرحلة اهتم فيها العثمانيون بالعلم كانت على عهد الباي محمد الكبير [5].

---

[1]- أبو القاسم.سعد الله، مرجع سابق، ص.150.

[2]- ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.109.

[3]- للمزيد من المعلومات حول أشراف و مرابطي غريس و عائلاتها. راجع: بلهاشمي بن بكار، مرجع سابق، ص.33.

[4]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.133.

[5]– الباي محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكبير ابن اسحاق الحاج عثمان ابن إبراهيم، تولى شؤون بيلك الغرب سنة: (1192هـ/1779م)، اشتهر بأعماله الحربية ومآثره العمرانية وقد تم على يده استرجاع وهران للمرة الأخيرة من يد الإسبان سنة: (1206هـ/1791م)، نقل مقر بيلك الغرب إليها وافته المنية ببلاد أصبيح سنة (1213هـ/ 1798م). راجع: أحمد بن عبد الرحمن الشنراني الراشدي، القول الاوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، مصدر سابق، ص.72. وأيضا: ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.138. و أيضا: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، ط1، القاهرة، عالم الكتب، (1969)، ص.ص، 15- 19.

و الذي كان له الإنجازات ما كان له تأثير إيجابي على الناحية الغربية و التي تشكل بيئة خاصة و مقربة للأمير، إذ كان هذا الباي حريصًا على الثقافة و على المثقفين حبا في ذلك [1] و حبًا في استشارتهم [2] فقام لتحقيق مرادهم ببناء دور العلم و المساجد.
كبناءه للجامع العتيق سنة(1175هـ/ 1761م)، حيث أعاد بناءه بهندسة متقنة [3] و جامع معسكر المعروف بجامع محمد الكبير أو جامع العين البيضاء سنة:(1175هـ/1761م) و الذي تحول إلى المدرسة المحمدية و التي أفرد لها أوقافًا. و مسجد بن ناصر بمعسكر(1207هـ/ 1792م) [4]. و جامع الباشا(حسين باشا) الذي كان يرسل له مصاريفه بالإضافة إلى اهتمامه بالمدارس، كالمدرسة الجليلة بخنق النطاح[5](يوجد بها ضريحه) و تجديده لمدرستين بتلمسان و حبس خاص للجامع الكبير [6].
و لم يكتف الباي بالبناء بل واصل اهتمامه بالعلماء و هيئة التدريس بأن رتب للمسجد خطيبا و إماما و أربعة مدرسين و إيمانا منه بحاجة الناس إلى ذلك [7] دون أن يهمل المؤن الخاصة بكل مدرسة [8] فرتب لكل مدرسة ما يكفيها لشراء الزيت كل شهر بالإضافة إلى تقديم راتب معلوم للطلبة و لمن يقرؤون الحزب داخل المسجد صباحا ومساء [9].

بالإضافة إلى مرتبات خاصة بالعلماء زيادة على المنح و الهدايا التي كان يفاجئهم بها في الأعياد [10]. و يذكر لنا ابن سحنون الراشدي أنهم كانوا يأخذون وظائفهم من الأحباس فيقول:« رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونا من الأحباس

---

[1]– أحمد. بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ط1، القاهرة، عالم الكتب، (1969)، ص. 24.

[2]– مسلم.بن عبد القادر، خاتمة أنيس الغريب و المسافر،تحقيق و تقديم رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (1974)، ص.23.

[3]- مسلم.بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص.23.

[4]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.38.

[5] خنق النطاح: مكان قريب من وهران

[6]- أحمد. بن هطال، المصدر السابق، ص. 27.

[7]– أحمد.ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.132.

[8]– أحمد. بن هطال، مصدر السابق، ص. 24.

[9]- أحمد.بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.132.

[10]- أحمد. بن هطال، المصدر السابق، ص. 25.

بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيئ إلاّ من كان متولّيا لخطة أو مستعملاً في خدمة فانشرحت الصدور للقراءة و كثر طلبة العلم»[1]. سميته «عقود المحاسن» [2] .

كما كان الباي يحب جمع الكتب و لا يكتفي باقتنائها بل يستنسخ منها ما لم يستطع شراءه و يحمل لنا الراشدي بدقة هذه الميزة فيقول:« ولمحبة هذا الأمير للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ و يستكثر منها و يستنسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه. و كثيرًا ما يأمر بقراءتها في حضرته في مجلس حكمه» [3] حتى أنه كان يحب أن يحافظ على ذكرى العلماء فأنشأ مقبرة لمشاهير شخصيات معسكر [4] و أمر ببناء مزار للسيد محمد بن عودة(من علماء القرن 11 دفين فليتة). و مشهد للولي أحمد بن يوسف(دفين مليانة من علماء القرن العاشر) [5].

و لعل اهتمامه بعلماء معسكر و ضواحيها يؤكده تكليفهم بمهمة تأسيس رباط بيته و بين الإسبان جبل المائدة لخطة ذات بعد ديني يثبط بها همة الإسبان و ليحولوا دون دخول السلاح و المؤن التي تأتيهم من الخارج.

لهذا زخر عهده بالكثير من التأليف منها كتاب عجائب الأسفار لمحمد أبي راس المعسكري و كتاب الثغر الجماني لأحمد بن علي بن سحنون، و كتاب الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية لصاحبه مصطفى بن عبد الله بن زرقة [6].

كما أمر بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك و أجزل العطاء لأحد الطلاب بسبعين دينارًا [7].

أما عن الشعراء فكان يحب الأدب و يجزل لأصحابه العطاء كمنحه للراشدي مائة دينار ذهبيا على اختصاره لكتاب الأغاني للأصفهاني [8].

---

[1]- أحمد.بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.135.

[2]- أحمد.بن سحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص.146.

[3]- المصدر نفسه، ص.142.

[4]- أحمد. بن هطال، المصدر السابق، ص. 26.

[5]- أحمد.بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.132.

[6]- أحمد. بن هطال، المصدر السابق، ص. ص،25- 26.

[7]- أحمد.بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.146.

[8]- أحمد. بن هطال، المصدر السابق، ص.26.

و يؤكد بن سحنون ذلك التشجيع حين يقول:« أمرني باختصار الأغاني فاختصرته في نحو الثمانين كراسة.فأثابني بمائة سلطاني ثم أمرني أيضا بجمع طب القاموس فضممته و زدت عليه من كلام الأطباء فأثابني عنه بخمسين سلطانيا و قد كنت ألفت باسمه كتآبا في الأدب ».

و كان عدد طلبة هذا الرباط يزيد على خمسمائة طالب يرأسهم محمد بن المولود الغريسي و يدرسهم الطاهر بن حوا قاضي معسكر. كما أعفى ضريبيا كل من يسكن هذا الرباط في جبل المائدة [1].

و للمزيد من التفاصيل حول أشهر كتاب الناحية الغربية الذين ازدانت بهم معسكر يمكن مراجعة ناصر الدين سعيدوني في كتابه عصر الأمير الصفحة 139.

و ما دام الهدف من التعرض للحياة الثقافية في الجزائر في القرن التاسع عشر هو تحديد ملامح الثقافة في عصر الأمير و خاصة فيما يتعلق ببيئته الثقافية لا بد من التحدث أيضًا عن الوسط الخاص الذي عاش فيه الأمير ألا و هو منطقة غريس [2] موطن الفقهاء و ذوي الصلاح و بلد الزوايا و المزارات في كل مكان [3].

حيث كان أشراف غريس[4] اهتماما كبيرا بعلوم الدين و بالعلوم اللغوية فأسسوا لذلك الغرض زوايا للعلم المجاني و انتقوا لها أحسن المدرسين و هذا ما شجع الوافدين إليها بالتزايد حيث كان « الواحد منهم يؤسس زاوية لطلبة العلم يوظف بها أجلة المدرسين فيقصده طلبة العلم من آفاق على نفقة صاحب الزاوية لذلك كثرت الرحلة لطلب العلم لوطن غريس ما بين القرن العاشر و الحادي و الثاني عشر» [5].

---

[1]- أحمد. بن هطال، المصدر السابق، ص،26.

[2]– غريس: من سهول الوطن الراشدي سمي غريس لأنه كان مغروسًا بأنواع الشجر ذوات الأثمار. سكنه بني زروال و بني توجيب ومغراوة و هو وطن تكثر الرحلة إليه لكثرة الزوايا. راجع: بلهاشمي.بن بكار، المرجع السابق، ص.34.

[3]– ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.141.

[4]– أشراف غريس: يعرفون بالمرابطون لما ربطوا أنفسهم و حبسوها على الشهوات و من حيث حفاظهم على الصلوات و أنهم مهما فرغوا من صلاة انتظروا التي بعدها. منهم الزعماء و القادة. من زعماء و قادة غريس أيام الأتراك و أيام الأمير عبد القادر بيت سيدي الحاج محمد و بيت سيدي الحاج المكي بن عبد الله و بيت سيدي عبد الرحمن بن حسن و غيرهم من أبناء عمهم و من أئمتهم السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي و ولده العلامة السيد السنوسي و الإمام المرتضى السيد المصطفى بن عبد الله. و أعيان المرابطية أولاد سيدي أعمر بن دوبة و أولاد سيدي دحو. راجع: بلهاشمي.بن بكار، مرجع سابق، ص.ص،331- 332.

[5]– بلهاشمي.بن بكار، المرجع نفسه، ص.373.

و ذلك بفضل بعض العائلات التي رعت العلم و حافظت عليه [1] و من أهم علماء المنطقة في عصر الأمير و في غريس بالذات يذكرهم لنا صاحب القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم للعلامة الطيب بن المختار الغريسي المختاري ت:(1320م/707هـ) و الذي أورده بلهاشمي بن بكار في كتابه مجموع النسب.

- السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي و أولاد سيدي عمر بن دوبة و أولاد سيدي دحو [2].

- و سيدي بن يامنة بن دوحة (خال الأمير) و سيدي أحمد بن علي و سيدي أحمد بومعزة و ولده سيدي عبد الرحمن بن أحمد و ولد سيدي الطيب بن عبد الرحمن (قضاة زمن الباي حسن).

- و الشيخ مصطفى الرماص صاحب الحاشية المشهورة على شرح الشيخ التتائي [3].

- و السيد عبد القادر بن عبد الله المعروف بالشيخ المشرقي(صاحب زاوية الكراط) وحفيده ابن عبد الله [4].

- و ابن فريحة خليفة الأمير.

- و أولاد سيدي أحمد الوغي [5].

- و الحاج عبد القادر درس و كتب(متولي قضاء وهران). و عبد القادر الصغير[6].

- و محمد بن حواء و أولاده سيدي عبد القادر بن المختار و أحمد المختار و ولده بن خدة الذي كان له تعليق حاشية على صغرى السنوسي [7].

- و مصطفى بن المختار.

- و العلامة ابن زيان (في العروض).

---

[1]– عائلات غريس راعية العلم: المشارقة و الخروبي و ابن التهامي و المختار الحسني. راجع: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص.141.

[2]- لهاشمي.بن بكار، مرجع سابق، ص.332.

[3]– مرجع نفسه، ص.333.

[4]- المرجع نفسه، ص.334.

[5]- بلهاشمي.بن بكار، المرجع السابق، ص.335.

[6]- بلهاشمي.بن بكار، المرجع نفسه، ص.336.

[7]- نفسه، ص.336.

و أبي عبد الله المجاوي [1].

و أما عن عائلة الأمير بالذات، عائلة المختار الحسيني فقد اشتهر فيها الطيب بن المختار ابن عم الأمير عبد القادر صاحب القول الأعم في بيان أنساب الحشم والذي استفدنا منه كثيرا في ثبت أسماء علماء غريس.

و مصطفى ابن التهامي ابن عم الأمير و صهره و الذي كتب السيرة الذاتية للأمير أو تنسب إليه أحيانًا و الذي درس على يده القاضي الطيب بن المختار، توفي في: (1307م/707هـ) [2] و كذلك الحسين بن علي بن أبي طالب ابن عم الأمير و الذي كتب تاريخًا مختصرًا عن الأمير نشر في المجلة الإفريقية [3]. و كذلك أحمد بن محي الدين أصغر إخوان الأمير عملوا في القضاء كالمشارفة مثل المشرفي محمد (منافس الأمير) و ابن عبد السقاط المشرفي و كذلك القاضي أحمد المجاهد بن محمد بن عبد القادر بوطالب [4].

معظمها في الدين و علم التفسير الحديث، والفقه، و الفرائض والأصول وعلم الكلام والتوحيد والسير والأخبار وعلوم اللغة و المنطق و الفلك و الحساب [5]. فتؤم هؤلاء الطلبة مؤسسات ثقافية كما ذكرنا:

أولها: الجوامع الكبرى، كجامع كتشاوة، وجامع سيدي الأخضر بقسنطينة وجامع العتيق بمعسكر و الجامع الكبير بتلمسان.

---

[1]- بلهاشمي.بن بكار، المرجع السابق ، ص.338.

[2]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.142.

[3] - A.Deleph, Opcit, P.P, 417- 455.

[4]- أحمد المجاهد: هو أحمد بن محمد عبد القادر بوطالب ولد بواد الحمام بمعسكر سنة(1252هـ/1836م)، وهاجر والده محمد بوطالب إلى طنجة ويعد أحمد المجاهد من القضاة الذين عاشوا في الجزائر والمغرب الاقصى وتونس والمشرق ولهم صلات قربى بعائلة الأمير عبد القادر ونشأ في نواحي معسكر وعمل في شرق الجزائر، تولّت أسرته وظيفة القضاء للفرنسيين مبكرا، عارض جده عبد القادر بوطالب وعارض الأمير عبد القادر لأسباب تبدو صوفية، ت:(1308هـ/1890م). راجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4، ص.ص، 483-444. وأيضا: ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، ص.143

[5]– المرجع نفسه، ص.133.

ثانيا: المدارس الخاصة، و أشرفت عليها الدولة و يرعاها حكام المدن في كل المدن الكبرى في الجزائر و تلمسان و قسنطينة و مازونة و معسكر المعروفة بالمدرسة المحمدية [1].

ثالثا: الزوايا، و قد قام بهذا الدور الزوايا الرئيسية بالمدن و الأرياف خاصة منها زوايا بلاد القبائل و نواحي وهران و جهات الصحراء و منها زاوية القيطنة [2].

و كان المدرس في هذه الزوايا يقبض جيدًا و لا يتدخل في السياسة رغم أنهم يخلقون وحدة حقيقية أخلاقية و دينية في المجتمع [3]. فتوزعت المهام التعليمية إذن بين الفقهاء في المدن و على نشاط شيوخ الزوايا بالريف [4].

2- الطرق الصوفية:

دخلت ظاهرة التصوف للمغرب قبل مجيئى العثمانيين بسبب الاحتكاك القائم بين المغرب و المشرق في مواسم الحج و بسبب طلاب العلم، و تحولت من زهد وورع إلى تصوف نظري و فلسفي في عهد المرابطين لدى ابن العريف [5] و من بعده تلميذه محي الدين بن عربي و ابن محمد عبد الحق بن سبعين [6] .

وفي مستهل القرن السادس عشر ميلادي تعرضت بلدان المغرب إلى أخطار كثيرة خاصة بعد سقوط غرناطة عام: (1492م/898هـ)، وطرد سكانها، وامتدت يد إيبيريا لإمتلاك موانئ جديدة قبل أن تلقى بلاد الساحل والمغرب نفس المصير قبل سقوط كل من دولة بني زيان و الحفصيين حين ظهرت قوى جديدة فرضت نفسها للوجود[7]. وهي سلطة الطرق الصوفية التي سبقت العثمانيين إلى المغرب بكثير و كذلك الأمر

---

[1]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.133.

[2]- نفسه، ص.133.

[3] Marcel. Emerit, « Un problème de distance morale : la résistance Algérienne à lépoque d'Abdekader », in :Revue d'information héstorique N° 127,juillet , octobre (1953), Paris, P.128.

[4]- ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.131.

[5]– ابن العريف: أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي، ولد سنة 481هـ ت 538هـ له كتاب محاسن المجالس. طرح فيه أصول طريقة صوفية جديدة أثرت في الشاذلية و تتلخص في الزهد في كل شيئى ما عدا الله، كان له أثر في ثورة الموحدين على المرابطين.

[6]– ابن سبعين: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم ولد سنة 614هـ ت بمكة سنة 668 هـ من كتبه يد العارف. راجع: بن يوسف تلمساني، الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية)، (1798-1900)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،(1998)، ص.28.

[7]– جيلالي.صاري، « الدور التاريخي للطرقية بلدان المغرب العربي »، ورقة عمل، قدمت في: ملتقى الفكر الإسلامي الواحد و العشرون بمعسكر من 26 أوت إلى 1 سبتمبر 1987، ص.01، (عمل غير منشور).

بالنسبة للجزائر. فأبومدين شعيب بن الحسين[1] التقى في عرفات بالشيخ عبد القادر الجيلاني و تتلمذ عليه ثم عاد للجزائر و تتلمذ عليه بعدها محي الدين بن عربي وعبد السلام بن مشيش الذي ورث علومه إلى أبي الحسن الشاذلي[*] [2] و على يد حسن بن باديس(صاحب السينية و الذي تحدث عن الجيلاني في القرن 8هـ، و محمد الرواوي العرواسني، صاحب المرائي الصوفية في القرن 9هـ و مدرسة عبد الرحمن الثعالبي [3] و محمد بن يوسف السنوسي [4] و أحمد رزوق) [5]. فظهرت بفضل هذه الأرضية طرق صوفية دينية كثيرة تختلف في تعدداها و كثرة شيوخها و إختلاف ميولها و تباين أساليبها [6]. رغم أن معظمها يعود للقادرية و الشاذلية. و قد أحصى (رين) إحدى و عشرين طريقة و زاوية معظمها متداخلة تصب في أصل واحد. حيث يذكر أ/سعد الله أن في (القرن 19م/ 13هـ)، أحصيت الطرق فوجدوا ثلاثة عشر طريقة من مجموع ستة عشرة شاذلية الأصل [7] لهذا سـنشير إلى المعـروف منها

---

[1]– أبو مدين شعيب: بن الحسن الأنصاري الاندلسي، ولد سنة 520هـ بإحدى قرى إشبيلية التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في الحج و مال إللى التصوف. ت 549هـ (تلمساني ص.29).

[*]– ابن الحسن الشاذلي: هو الشيخ علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، ابو الحسن (591-656هـ/1195-1258م)، ولد في جبال الغمارة قريبا من سبتة في المغرب الأقصى وسكن شاذلية إحدى القرى التونسية التي نسب إليها، درس في تونس ثم رحل إلى المشرق أقام بالإسكندرية و توفي في صحراء عباب في طريقه إلى الأماكن المقدسة، له رسائل عديدة في التصوف منها (حزب الشاذلي). راجع: إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ط1، الجديدة المغرب، منشورات دار الأفاق، (1993).

[2]– يحيى.بوعزيز، « الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر »، مقال سابق، ص.22.

[3]- عبد الرحمن الثعالبي: ولي الجزائر وعالمها ولد بوادي يسر قرب العاصمة انتقل إلى بجاية وأخذ العلم عن علماء أجلاء بها بعد أن طاف بتونس ومصر وتركيا والحجاز واستقر في الجزائر حيث توفي بها في:(23 رمضان 875هـ/1470م) من كتبه تفسيره للقرآن الكريم(الجواهر الحسان، و قطب العارفين).

راجع: عادل نوهض معجم أعلام الجزائر، ط1، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (1971)ص.90.

وأيضا: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الاوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1991)، ص.34.

[4]– محمد بن يوسف السنوسي: ولد بتلمسان بعد عام (830هـ/1426م) و توفي يوم: الأحد 18 جماد الثاني عام(895هـ/18 أفريل 1490م) تخصص في علم التوحيد والتصوف، ألف متون السنوسية الكبرى، الصغرى والوسطى التي كانت تدرس في القرويين والزيتونة والأزهر وقسنطينة، تزعم مدرسة تلمسان الصوفية، دفن في مقبرة العباد ولا يزال مسجده قائما حتى اليوم بحي القيصرية بتلمسان. راجع: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص.80.

[5]– أبو القاسم.سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ، مرجع سابق، ج1، ص.183.

[6]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.114.

[7]- أبو القاسم.سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص.466.

فقط [1] لنتطرق بإختصار شديد إلى بعضها ضمن ممن كانت لها مواقف مع الأمير عبد القادر.

1- الطريقة الشاذلية:

تأسست هذه الطريقة في النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد و هي أولى الطرق التي أدخلت التصوف لبلاد المغرب [2].

و يعود تأسيسها إلى الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي الملقب بتقي الدين(593هـ/ 1196م) أو (656هـ/1258م).

تتلمذ على يد أبي محمد عبد السلام بن مشيش الذي بدوره تتلمذ على الشيخ أبي مدين، و اختلفوا في مكان ولادته.

الشاذلية قرب جبل فزان أو في غمارة قرب سبتة، و يعود التأسيس الفعلي للطريقة إلى أبي القاسم الجنيدي الذي تأثر بالشيخ أخو شعيب أبو مدين الأندلسي، و على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش و يرجع منبع الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الثلاثة [3].

---

[1]– الطرق الصوفية المعروفة آنذاك هي كالتالي حسب الظهور:
الشاذلية: (656هـ/ 1258).
العيساوية: (936هـ/ 1523- 1524م).
الأحمدية: (1016هـ/ 1608م).
الشيخية: (1026هـ/ 1615م).
الطيبية: (1089هـ/ 1678- 1679م).
الحنصالية: (1114هـ/ 1702م).
القادرية: (1125هـ/ 1713م).
الزيانية: (1145هـ/ 1733م).
التيجانية: (1196هـ/ 1781-1782م).
الرحمانية: (1208هـ/ 1793- 1794م).
السنوسية: (1250هـ/ 1830م).
راجع: يحيى.بوعزيز، « أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنيين التاسع عشر و العشرين »، في: مجلة الثقافة، العدد ماي، جوان (1981)، ص.ص، 17- 18.

[2]– لوثروب.ستودارت، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نوهيض، ط3، سورية، دار الفكر، (1971)، ج2، ص.396.

و منها تفرعت الدرقاوية [1] و غيرها من الطرق الأخرى.

2- الطريقة الطيبية:

تنسب إلى مولاي الطيب الشريف، رئيسها شريف وزان(1089هـ/ 1678-1679م)، لعب دورًا هامًا في المغرب و هو مايفسر رضوخ السلطان عبد الرحمن لفرنسا [2]. أنتشرت في سهول الناحية الوهرانية [3] توسعت نحو الشرق و كسبت مزايا من السلاطين العلويين لتضمن لهم تأمين القوافل و تطوير التجارة [4]. و أغلب مناصريهم الدوائر و الزمالة مما يفسر صراعهم مع الأمير عبد القادر.

و يعود بسب الطيبية الصراع بين الحضر و الكراغلة في مناطق نفوذ القادرية إلى حرب أهلية بين الطرفين [5].

3- التيجانية:

هي طريقة صوفية تنسب إلى مؤسسها أحمد التجاني[6]، تأسست سنة: 1782 بمسقط رأسه عين ماضي (الأغواط) [7] (1150هـ/ 1737م)، من نسب شريف يعود إلى محمد الملقب بالنفس الزكية. كان التجاني مالكي المذهب لكنه كان يأخذ أحيانا بالمذهب الشافعي و يرجحه عن المالكي.

---

[3]– عمار.هلال، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (1988)، ص.142.

[1]– الدرقاوية: طريقة صوفية جزائرية مراكشية متفرعة عن الجزولية اسسها الشيخ العربي الدرقاوي، ابو حامد (1239/1150هـ - 1823/1737م)، الذي ينحدر من سلالة الادارسة، وكان من مشاهير الفقهاء أما اسم الطريقة فهو مأخوذ من أبي درقة (يوسف بن الحسن أحد أسلاف السيد العربي والحقيقة أن أول من دعا إلى الدرقاوية هو الشريف إدريس الذي كانت جماعته تقطن بشمال الغربي من فاس. أما المولى العربي فقد قام بتنظيمها و وضع أسسها، يختلف و يتميز عن الشاذلية بأنه دعا إلى جمع كلمة المسلمين على مبادئ بسيطة في التصوف، و صرفهم عن مغريات الحياة و حثهم على تجنب أصحاب السلطة. لهم أتباع في كل مكان من بين ثوراتهم ضد المركز ثورة ابن الأجرش شمال قسنطينة و عبد القادر الشريف في وهران. – راجع: إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص.169. وأيضا: ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص.115.

[2]- Marcel Emerit, " Un problème de distance moral", OPCIT, P.128.

[3]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.116.

[4] -Ahmed. Nadir, "Les ordres religieux et la conquête française (1830- 1851)", in: Revue Algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques,éposode 4 (1972), P.831.

[5] - Ibid, P.832.

[6]- أحمد. التيجاني: ولد أحمد التيجاني بعين ماضي سنة: (1150هت/ 1737م)، من نسب شريف يعود إلى محمد الملقب بالنفس الزكية أما أمه فهي عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن السنوسي التيجاني، نسبة إلى قبيلة توجين. - أنظر: بن يوسف، تلمساني، « الطريقة التيجانيةو موقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الإستعمارية)، 1782-1900 » مرجع سابق، ص.63.

[7]– راجع: بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص.ص، 63- 64.

إنتشرت في عدة جهات من الوطن و خارجه كالمغرب حيث يوجد ضريح أحمد تيجاني بفاس، و لهم أتباع كثيرون في إفريقيا الغربية و مصر و الجزيرة العربية و أوروبا و أمريكا.

4- الرحمانية:

يعود تأسيسها إلى محمد بن عبد الرحمن القشتواي الجرجري الأزهري ت (1208هـ/ 1792- 1794م) [1] هو من آيت اسماعيل بجرجرة، و أخذ الطريقة الخلواتية بمصر [2].

كانت تُعرف في وقت من الأوقات بالبكرية، نسبة إلى مصطفى البكري الشامي [3] و انتشرت في الوسط و الشرق، و شرق الصحراء. كما كان لها نفوذ كبير ببلاد القبائل [4] من بين 533.026 منخرط جزائري 2.201.398 للرحمانية [5] .و رغم أهميتها الرقمية لم تلعب الرحمانية دورًا كبير في النصف الأول من القرن 19 و كأنها تعاملت بعدم اكتراث مع الوضع و الردود و الأفعال التي نسجلها هنا و هناك. تخضع كثيرًا للمعطيات السياسية المحلية أكثر من الأوامر المنبثقة عن سلطة عليا [6].

و تفرعت عن هذه الطرق زوايا و يعود تاريخها أيضا إلى ما قبل العهد العثماني في الجزائر و تعني في معناها البسيط مكان إنزواء و خُلوة للعباد الصالحين[7] .

3-الزوايا السائدة:

-الزاوية (المصطلح):

هي عبارة عن مكان للتثقيف، يكون باسم أحد المرابطين و هي عبارة عن مسجد وقبة على ضريح المرابط المنسوبة إليه [8].

---

[1]– بطرس البستاني، دائرة المعارف قاموس عام لكل فن و مطلب، بيروت، دار المعرفة، مجلد 10، ص.79.

[2]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير ، مرجع سابق، ص.116.

[3]- بطرس البستاني، دائرة المعارف، مرجع سابق، مجلد 10، ص.79.

[4]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير ، مرجع سابق، ص.116.

[5] -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.820.

[6] - Ibid, P.821.

[7]– يحيى.بوعزيز، « أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنيين التاسع عشر و العشرين »، مقال سابق، ص.17.

[8]- المعلم.بطرس البستاني، دائرة المعارف، مرجع سابق، مجلد 09، ص.161.

تتوسع إلى مجمعات من البيوت و المنازل المتنوعة الأشكال و الأحجام فتشمل على بيوت للصلاة كمساجد، و أخرى لسكن الطلبة و طهي الطعام، و تخزين المواد الغذائية و العلف و إيواء الحيوانات التي تشتغل في أعمال الزاوية [1].

في هذه الزاوية يلتقي الشيخ بمريديه لإقامة حلقات الذكر و قراءة الأوراد وحفظ القرآن، و بعض العلوم الدينية الأخرى تكون في أغلبها ملكًا لصاحبها يتوارثها أبناؤه و أحفاده من بعده [2].

و لا يكون الإنتساب إليها إلاّ بمحفل ديني تحترم فيه الطقوس المطبقة من طرف شيخ الزاوية [3].

حيث يقرأ القرآن في محل، و تدرس العلوم في محل آخر، و ثالث يُعلم الصغار بالإضافة إلى منازل خاصة بالطلبة الذين يريدون إتمام دراستهم للتدريس أو نيابة القضاء، و منزل آخر للفقراء و المسافرين و قد يكون فيها مقبرة لأهل الصلاح القاصدين مجاورة قبورهم لقبور المرابطين و الأساتذة في الزوايا المرابطون أنفسهم.

أما عن الضيافة في الزاوية فهي فرض لكل من دخل الزاوية و لو كان حيوانًا و بذلك لا يكون هناك متسولون و لا فقراء محتاجون للقوت اليومي و الكسوة اللازمة [4] وتوفي الزاوية حاجياتها من المؤن و الذخيرة التي تأتيها من كل قبيلة تنذر نفسها لخدمة إحدى الزوايا فتأتيها بالحبوب و الماشية و الفضة و الأموال الجزيلة. فأصبح لها ريع كبير من الأوقاف [5].

ولا يقتصر نشاط الزاوية على الإيواء و الإطعام لعابري السبيل و لا جمع الأموال فإطاراتها من شيوخ زوايا يتمتعون بسمعة عالية نافست في الجزائر ممثلي السلطة المركزية وكذلك الأعيان التقليديين كرؤساء القبائل و زعماء العائلات النبيلة[6]. خصوصًا بعد أن أصبحت هذه الزوايا تشرف على الحركات التجارية الحساسة

---

[1]- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.ص، 15- 16.

[2]- يحيى.بوعزيز، المقال نفسه، ص.17.

[3] - Marcel.Emerit, OPCIT, P.129.

[4]- المعلم.بطرس البستاني، المرجع السابق، ص.162.

[5]– نفسه، ص.162. للتعرف على أملاك الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر راجع: Louis.Rinn, Marobouts et Khouan, Etude sur l'Islam en Algérie, Alger, Imprimeur librair de l'Académie, 1884, P232.

[6]– جيلالي.صاري، المقال السابق، ص.03.

بواسطة امتلاك أراضي و جمع نفقات مختلفة أثناء مواسم معينة مثل الجنوب الوهراني[1] و الأمر كذلك بالنسبة للقادرية كما سنرى بعد قليل فقد شكلوا شبكة منتشرة عبر الأرياف حيث الإنعزال عن السلطة المركزية كانت الزوايا مركز للإشعاع و النشاط الفكري و هي أحيانًا الملجأ الوحيد للتعليم و تبادل الأفكار والجد والنقاش و كذلك الإنتاج الذي كان مقتصرًا على التكوين لترجمة الشخصيات الدينية[2] وإتسع نشاط شيوخ الزوايا ليشمل بذلك التربية و التوجيه و التعليم و الإرشاد و القيام بمهمة الحاكم و وظيفة القاضي مما جعل منهم سلطة حقيقية مستقلة بشرعيتها. خاصة بعد تقديمهم ليد المساعدة و العون للفقراء و العجزة و المحتاجين و توفيرهم الحماية للمضطهدين لأنها مأوى للاجئين [3] كما سبق و أن ذكرنا.

و من أهم هذه الزوايا المنتشرة عبر القطر كاملاً نوعان:

الخلواتي: و التي يدعي أصحابها معرفة الأسرار الغيبية و يلقنون أصحابها وردًا في شكل ذكر يومي.

غير الخلواتي: و أنصارها لا يدعون المعرفة بالغيبيات و لا يتخذون وردًا [4].

و قد بلغ عدد الزوايا في مطلع (القرن 14هـ/ 19م) 349 زاوية موزعة عبر مناطق البلاد [5].

أولها زاوية عاصمة الدولة حيث ظهرت:

- زاوية عبد الرحمن الثعالبي و عبد القادر الجيلاني.
- و زاوية سيدي محمد الشريف.
- و زاوية أحمد بن عبد الله الجزائري(صاحب المنظومة الجزائرية).
- و زاوية سيدي جمعة و سيدي السعدي و سيدي الكتاني و سيدي الفاسي...إلخ من الزوايا التي يطول ذكرها [6].

أما عن زوايا الشرق ففي قسنطينة وحدها أكثر من عشرة زوايا منها:

---

[1]– جلالي.صاري، مقال سابق، ص.03.

[2]- جيلالي.صاري المقال نفسه، ص.03.

[3]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.131.

[4]– يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.ص، 16- 17.

[5]– رابح.تركي، « من أعلام الجهاد »، المقال السابق، ص.114.

[6]– أبو القاسم.سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.263.

- زاوية سيدي الكتاني.
- و زاوية سيدي عبد المومن.
- زاوية سيدي المناطقي.
- زاوية سيدي مخلوف و سيدي ميمون و سيدي راشد و سيدي عفان و سيدي التلمساني [1]، و زاوية الشيخ الحملاوي[2].
- و زاوية الشقفة بين جيجل و القل[3]. و سيدي خالد و سيدي عقبة و تماسين [4].

أما عن بلاد القبائل فقد أضهرت بها أيضًا زوايا مثل:

- زاوية سيدي أحمد بن إدريس
- زاوية منصور الحنادي.
- زاوية عبد الرحمن المصابحي اليلولي.
- الشيخ الحسين بن أعراب أولاد مصباح.
- الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن القشتولي [5].

أما زوايا الغرب الجزائري حيث محيط الأمير المقرب نذكر منها ما أورده بلهاشمي بن بكار في ترجمة لبعض أولياء الله.

- زاوية تلمسان سيدي الطيب، سيدي بومدين و سيدي السنوسي و احمد العماري [6].
- زاوية سيدي محمد بن أبي القاسم [7].
- زاوية سيدي محمد الموسوم في قصر البخاري [8].
- زاوية سيدي بن عبد الله الدرقاوية الشاذلية في معسكر [9].

---

[1]– ناصر.الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص.264.

[2]- بلهاشمي.بن كار، كتاب مجموع النسب و الحسب و الفاضل و التاريخ و الأدب في أربعة كتب، مرجع سابق، ص.160.

[3]– أبو القاسم.سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.264.

[4]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.132.

[5]– المرجع نفسه، ص.132.

[6]- أبو القاسم.سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص.264.

[7]– بلهاشمي.بن بكار، المرجع السابق، ص.177.

[8]– المرجع نفسه، ص.159.

[9]– نفسه، ص.160.

- زاوية سيدي محمد بن عمر صاحب الزاوية الطيبية الوزانية الشاذلية بين تلمسان و ندرومة [1].
- زاوية الشيخ بن تكوك صاحب زاوية مجاهر قرب مستغانم [2].
- زاوية الشيخ بن عليوة صاحب زاوية مستغانم [3].
- زاوية سيدي أبو عبد الله صاحب زاوية أرزيو [4].
- زاوية الحاج محمد بن عبد الله الديلمي شيخ الطريقة الخلوتية بالمسيلة [5].

أما عن زوايا معسكر بالذات و التابعة للطريقة القادرية فنجد بلهاشمي بن بكار يوردها في كتابه الرابع كتاب شرح المنظومة المسماة بغية الطالب للعلامة سيدي عيسى بن موسى التيجني الغريسي و شرحها العلامة سيدي محمد الأعوج الغريسي فيقول: «كثرت الرحلة لطلب العلم لوطن غريس ما بين القرن العاشر و الحادي و الثاني عشر كزاوية سيدي محمد يحي السليماني، و زاوية سيدي عبد الله بن عبد الله الرزاق الإدريسي وزاوية الشيخ سيدي محمد المشرفي، شيخ مصطفى الرصاصي و زاوية سيدي عبد القادر بن المختار الإدريسي، و زاوية سيدي عبد الرحمن المحمودي الإدريسي، و زاوية سيدي الخضير المهاجي الإدريسي و زاوية سيدي محمد الاعرج السليماني، و سيدي محي الدين بن مصطفى الغريسي و غيرهم ممن يطول سردهم» [6].

4- موقف مراكز السلطة من الزوايا:

تعددت كما رأينا الطرق الصوفية في الجزائر و تعددت زواياها و طقوسها بعضها كان محليا و له سرعة في الانتشار و تمكنت من خلق وسائل سياسية هامة و كبرى حتى الأتراك أخذوا منها الحيطة و أسكتوا في بعض الأحيان شيوخها بالهدايا [7].

---

[1]- بلهاشمي.بن بكار، مرجع سابق، ص.165.

[2]- نفسه، ص.166.

[3]- نفسه، ص.167.

[4]- نفسه، ص.169.

[5]- نفسه، ص.171..

[6]- نفسه ،ص.373.

[7]– M.Emerit, " Un problème de distance morale", OPCIT, P.128.

بعد أن اعتمدوا عليهم كثيرًا بين القرنيين 16 و 17 أصبح شيوخ الزوايا يحرضون السكان و يتزعمون القبائل ضد الوجود العثماني بسبب تطور الطرقية في المغرب الأقصى ناهيك عن الانسحاب النهائي للإسبان من وهران سنة: (1207هـ/1792م).

و ثقل الهيمنة التركية على السكان بدءًا من القرن 18 [1] و لعل الباي الوحيد من سبع بايات تعاقبوا على بايلك وهران(1207-1247هـ/1792-1831م)، و هو الباي حسن الذي عرف بمواقفه الصريحة تجاه رجال الدين و الحد من نفوذهم [2] و قد تزامن وجوده مع ثورة درقاوة و التيجانية أيضا بالإضافة إلى تعديه على العلماء كالشيخ ابن القندوز [3] و هذا ما جعل أهل الغرب لا يترددون في النقمة عليه عشية الاحتلال.

رغم أن بعض العلماء لم تكن لتعنيهم السياسية وظلت سلطة الزوايا والطوائف الدينية أقوى من سلطة العلماء [4].

قامت إحدى دراسات الجيش الفرنسي الموجهة لمحاولة التعرف على المصادر المعنوية و المادية و العسكرية للقبائل لكنه ترك في الظل حينها معظم القوى الروحية للبلاد في عام: (1266هـ/1849م) استدعت لأول مرة السلطة الفرنسية المعنيين بجمع المعلومات الدقيقة حول الهيئات الدينية عن طريق معطيات رقمية غيرت من المواقف السياسية لفرنسا اتجاه هذه الهيئات [5]. فتنبهت الإدارة الاستعمارية إلى ضرورة تفكيكها نهائيًا بمختلف الوسائل و أحصت حوالي 349 زاوية و 295189 منتسب للزاوية [6] و دليل أحقية هذا التخوف انتظام كل مقاومة بوجود زعيم وشخصية طرقية بارزة[7] .

---

[1]– عائشة.غطاس، « سياسة العثمانيين الدينية في الجزائر(1516- 1830)»، مذكرة السنة الأولى ماجستير، جامعة الجزائر، (1981-1982)، ص.11.

[2]- عائشة.غطاس،المرجع نفسه، ص.14.

[3]– أحمد بن محمد ابن سحنون.الراشدي، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، قسنطينة،(1973)، ص.52.

[4] -M. Emerit , OPCIT, P.128.

[5] –Ahmed.Nadir, OPCIT, P.P, 219- 220.

[6]- L. Rinn, OPCIT, P. 156 .

[7]– جيلالي.صاري، المقال السابق، ص.04.

5- دور الزوايا:

- كان أصحاب هذه الزوايا التي تخشاها السلطة يعرفون أن إيديولوجيتهم الروحية لا يمكن أن تنقص منها الإيديولوجية العامة و التي و لا تنقصها حتىالأوامر السياسية[1] .
- و بما أن هذه الزوايا تتحكم في توجهات السكان الروحية و مواقفهم السياسية فقد ازدوج دورها بين إيجابي و سلبي تبعا لمصالحها رغم ذلك حاولت:
- نشر القرآن و تحفيظه.
- قاومت الجهل [2].

- عمقت الإنتماء و الأخوة الإسلامية بين قبائل الريف الجزائري بواسطة الإرشاد الأخلاقى و التوجيه الروحي [3].

- حاولت محو الفوارق الطبقية [4].
- كانت مراكز للعبادة و تلاوة الأوراد و الإنشاد الجماعي و الوجد الصوفي [5].
- حوت مخازن للكتب في كل ضروب العلوم [6].

- ملأت الفراغ الروحي و الثقافي و حتى السياسي و العسكري بسبب عزلة الحكام فأطرت السكان للحفتظ على مصالحها من الأتراك ثم من الغزو الأجنبي بسنها للجهاد. " فصيحة جهاد واحدة تكفي لجمع السكان حول مرابط " [7].

- قاومت التنصير بأن أعطت الشعب وافرًا من التحصين الديني أمام الغزو الصليبي الذي يستغل فقر الشعب فيحمل الصليب في يد و يعطي الخبز باليد الأخرى [8].
أما على الصعيد الآخر العلمي فقد اكتفت بمناهجها القديمة [9].
- و بالغت بعضها في احتضان الشعوذة و الدجل و الخرافات .

---

(1) - M.Emirit, Distance moral, Opcit, P.71.

(2)– يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.18.

(3)– ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.113.

(4)- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.18.

(5)- ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.113.

(6)- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.18.

(7)- ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.114.

(8)– صالح.خرفي، المقال السابق، ص.113.

(9)- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.19.

- كما أن هذه الحركة المرابطة ذات الأصل الديني كانت صارمة جدًا و انتهت إلى أن أفسدت بابتعادها عن أهدافها و هي (التعريب، الإسلام، و مكافحة الغزاة المسحيين) وكرست نفسها لأعمال نفعية فورية.

- و بعد أن أهملت إعتقاداتها الدينية، ففي بعض المناطق بأن أصبح أحفاد المرابط أميون لا يتكلمون حتى العربية [1]. فانتشر الفساد باستغلال الأواخر الذين انحدرت إليهم القداسة بالوراثة، فتعلق الشعب بالأشباح حتى السذاجة [2]. فانصرفت الطرقية بتعاملها مع الاستعمار وذلك من أجل المال، الجاه و السلطة [3].

جـ - الطريقة القادرية (دور الطرق الصوفية في البعث الديني):

لعب الدين و لا يزال، دورًا كبيرًا في السياسة و الأدب إضافة لكونه محركًا أساسيًا للكفاح [4] و كان الكثير من أعلام الثورات الدينية هم ممن تلقوا تربية دينية وعلمية بداخل الزوايا. حيث كانت هذه الأخيرة مدرسة عسكرية يتخرج منها المجاهد في سبيل الله مزودًا بسلاحه الروحي الذي يعوضه قصر ذات اليد إلى السلاح والعتاد.

و يُعد الأمير عبد القادر الجزائري أشهر هؤلاء الذين ثقفوا بثقافة " الرباط" [5] الذي نشأ فيه و هو رباط القادرية . قبل ذلك علينا أولاً تعريف بالزاوية ثم بالدور الذي لعبته في الغرب الجزائري إلى أن نخلص لما قدمته للأمير عبد القادر الجزائري من تكوين و ما قدمه هو بدوره لها.

---

(1) -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.P,822- 823.

(2)- صالح.خرفي، المقال السابق، ص.117.

(3)- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.20.

(4)– عبد الله.الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1981، ط1، ص.81.

(5)– عبد المجيد.مزيان: « تنبيهات بشأن قراءة المواقف »، في: مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، العدد الأول، سبتمبر 1989،ص.157.

1- القادرية:

هو تنظيم سيدي عبد القادر الجيلاني [1] الذي اتسع صيته في كل بلاد الإسلام [2]. كان عبد القادر الجيلاني مؤسس هذه الطريقة رجل خير و عالم مدرس شرف عدد من الصوفية بالتعليق على كتبه بالعربية و التركية و الهندية متبحر في أكثر من 13 عالما[3].

له نظرة خاصة لسيدنا عيسى عليه السلام، أين كان يحب كرمه و يعطيه مكانة دينية و احترام ديني خاص [4] نجد انعكاسه راسخا فيما بعد في نفس الأمير. من مقولاته في ذلك:« لابد أن لا ندعو لأنفسنا فقط بل لكل من خلقه الله مثلنا » [5]. كانت هذه الطريقة تدعوا إلى بعد ديني إنساني يمتاز بروح التسامح مع النصارى و اليهود[6] وكأنه يحاول تبرئة أخطائهم فيما يخص العقيدة. كما كانت تدعو إلى مقت الكذب والأنانية و بث روح الغفران و الإصلاح بالحسنى[7] و كنموذج صادق لذلك ندرج ما حكاه الجيلاني عن حادثة وقعت له في رحلة حج له و هو يعطي سارقه كل نقوده مع أنه لم يرها فسأله السارق عن سر إظهاره للنقود مع أنه لم يرها فأكد له أن أمه أخذت

---

[1]– هو محي الدين أبو عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح بن عبد الله بن يحي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي المكارم بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السيط بن علي و فاطمة الزهراء (رضي)، بينه و بين الرسول (ص) أحد عشر أبا أمه فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي حملت به و هي ابنة الستين سنة و يقال لا تحمل في هذا السن الا قرشية . ولد في جيلان بقرية نيف، قرب بغداد عام:(476هـ/ 1079م)،. من أصول شريفة و أبوين فقيرين لكنها من بيوت علم و فقه باب الأزج و إرتحل إلى بغداد و دخلها سنة ثمان و ثمانين و أربع مائة و إستمر فيها إلى نهاية حياته. أخذ في بغداد العلم الظاهر بسائر فنونه على جماعة من الأعيان و برع في جميع العلوم حتى كان يجيد المناظرة في ثلاثة عشر قرنا. و من بين من درس عليهم أبي الوفا علي بن عقيل الحنبلي و أبي الخطاب محفوظ الكلواذاني الحنبلي و غيرهم. ثم صحب بعد ذلك جماعة من أرباب القلوب و أكابر أهل الحقيقة فأخذ عنهم علم الطريقة و عمدته الشيخ أبا حصاد الدباس الذي بقي معه نيفا و عشرين سنة عمل بالتدريس و الإفتاء لمدة ثلاث و ثلاثون سنة من (528- 561هـ/ 1133-1165م)، و توفي بها في سن 90 سنة، ليلة 8 ربيع الثاني ليلة الجمعة للسبت عام: (561هـ/ 11 فيفري 1166م) ، و دفن بمدرسة بغداد في يومه ترك مصنفات منها:

- إغاثة العارفين و غاية منى الواصلين. - أوراد الجيلاني. - الحزب الكبير. - الرسالة الغوثية.- دعاء البسملة.

- بواقيت الحكم، يلقب أيضا سلطان الأولياء.راجع: عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، تعليق محمد المنلا، طرابلس، منشورات مكتبة النجاح، 1304هـ ص.79. و أيضا: عبد القادر الجيلاني، سر الأسرار و مظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي، بيروت دار السنابل، ص.32.

و أيضا: L.Rinn, Opcit, P.P,173- 174. و أيضا: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.114.

[2] – Marcel.Emirét," Distence morale", OPCIT, P.129.

[3] –L. Rinn, OPCIT, P.177.

[4] - Ibid,P.174.

[5] - Ibid, P.174.

[6] –Ibid, P.133.

[7]– لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، ج2، ص.395.

منه وعدًا في صيغة شرط أن لا يكذب فهدى بذلك السارق الذي أعاد له المال و وزعه على كل القافلة [1].

و أصبح للشيخ الجيلاني منزلة روحية خاصة لدى أهل الجزائر [2] بعد أن دخلت هذه الطريقة إليها عن طريق الحجيج و طلاب العلم و لعل أول من نشرها في المغرب [3] أبو مدين شعيب بن الحسين الذي التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في عرفات و تتلمذ و درس عليه في مكة ثم عاد إلى الجزائر، و استقر في بجاية و ورثها لعدد من تلاميذه و أبرزهم محي الدين بن عربي دفين دمشق، و عبد السلام بن مشيش الذي ورثها من بعده إلى أبي الحسن الشاذلي، و عنه انتقلت إلى الشيخ مصطفى بن المختار و الشيخ محي الدين جد و والد الأمير عبد القادر [4] فبعد عودة أبو مدين شعيب إلى المغرب الأوسط استقر ببجاية و تصدى للتدريس و من ضمن من تتلمذ عليه محي الدين بن عربي الأندلسي دفين دمشق و الذي أتى بجاية طالبًا للعلم عام: (590هـ/ 1193م)، و الفقيه محمد بن حماد الصنهاجي القلعي و عبد السلام بن مشيش، يدرس لهم الرسالة القشيرية [5]. و المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى [6] و تخرج على يده ألف شيخ و عالم لكنه ورث طريقته القادرية لتلميذه عبد السلام بن مشيش [7] و الذي ورثها لتلميذه نور الدين أبي الحسن الشاذلي [8] فانتشرت هذه الأفكار في المغرب كاملا. إلى أن وصلت الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي جد الأمير و الذي درس و أخذ تعليم القادرية على الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي[9]. و بعد عودته من فريضة الحج للمرة الرابعة و سفره إللى بغداد قصد

---

[1] – L. Rinn, OPCIT, P.175.

[2]– جمال.الغيطاني، المقال السابق، ص.74.

[3]– بن يوسف.تلمساني، المرجع السابق، ص.41.

[4]– يحيى.بوعزيز، الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر، مقال سابق، ص.22.

[5]– لصاحبها عبد الكريم القشيري ت (462هـ).

[6]– لصاحبه أبي حامد الغزالي (1059- 1111م).

[7]– عبد السلام بن مشيش: صاحب كتاب إعانة الراغبين في الصلاة و يعتبر شيخ الشيوخ الطريقة الشاذلية القادرية. توفي مقتولا في جبل العلم قرب دزات. هو أحد أقطاب الصوفية الأربعة في بلاد المغرب و ورث طريقته إلى نور الدين أبي الحسن الشاذلي.
راجع: يحيى بوعزيز، الطريقة القادرية، ، المقال السابق، ص.24.

[8]– نورالدين أبي الحسن الشاذلي: (592- 655هـ/ 1196- 1258م)، ولد في مغارة قرب سبتة على رأي و في شاذلة بتونس على رأي آخر توفي في حميرة بصعيد مصر فإنتشرت طريقته. راجع: يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.24.

[9]– يحيى.بوعزيز، المقال نفسه، ص.25.

التبرك بمشائخها و زيارة ضريح عبد القادر الجيلاني حيث زاد في مسجده زيارة تعرف بزيارة الشيخ مصطفى المغربي [1] وجدد هناك أخذ الطريقة ولبس الخرقه [2] هناك على مقدم الشيخ عبد القادر الجيلاني [3].

و بعد عودته اتخذ زاوية بدرب واد الحمام و اعتكف فيها للتدريس و تلقين الأذكارعام(1206هـ/ 1791- 1792م)[4]، و اختص بتلقين الورد القادري في ذلك العصر و درست هذه الزاوية كل زوايا القطر آنذاك و يذكر سيد مصطفى بن المختار أنه تلقى الطريقة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني يقظة لا مناما ككرامة [5].

كما كان جد الأمير شيخا للطريقة، كان من ورثة الطريقة الحاتمية أي طريقة الشيخ الأكبر محي الدين و أجازه فيها المحدث الصوفي محمد مرتضى الزبيدي ت: (1205هـ/ 1791م).

و انتقلت بعده الوارثة الروحية في المشرب القادري الأكبري لابنه محي الدين [6] قاوم محي الدين سياسة الظلم و القسوة تطبيقا لتعاليم القادرية التي أخذها عن والده. حاول الباي الحسن بن موسى[7] نقله ومراقبته عندما تأكد من بطلان الوشاية فرحل مع ابنه عبد القادر للحج عام (1236هـ/ 1821م)، و بقي هناك حتى عام (1241هـ/ 1825م) [8].

---

[1]- بلهاشمي. بن بكار، المرجع السابق، ص.340.

[2]– لبس الخرقة: يرجعونها لإبراهيم عليه السلام فعندما جرد من ثيابه و قذف في النار عريانا أتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة، و يعتقد أبي ابن عربي أن الخرقة كان يلبسها الخضر لأولياء الله بيده و كان يعتمد بن عربي لبسها و يلبسها الناس. و الخرقة نوعان، خرقة إرادة للمريد الحقيقي و خرقة التبرك و هي للمتشبه بالقوم و يفضل الصوفية خرقة التبرك و هي للمتشبه بالقوم و يفضل الصوفية الخرقة الزرقاء مع أنهم يتركون الحرية للشيخ في إلباس المريد ما يشاء من ألوان. راجع: عبد الفتاح أحمد الغاوي، التصوف عقيدة وسلوكا، ط1، بيروت، مكتبة الزهراء، دار الجيل، 1995، ص.ص191- 193.

[3]- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.25.

[4] بلهاشمي.بن بكار، المرجع السابق، ص.340.

[5]- نفسه، ص.338.

[6]– محي الدين بن مصطفى: ولد بوادي الحمام عام:(1190هـ/ 1776- 1777م).

[7]– حسن بن موسى: باي وهران أثناء الإحتلال الفرنسي عرف باحتجازه لمحيي الدين وعبد القادر عند رغبتهما في الحج ثم لجأ إليهما عندما احتل الفرنسيون وهران، استسلم للفرنسيين في 4 جانفي(1247هـ/ 1831م) ونقل للإسكندرية.

راجع: شارل هنري.تشرشل،المصدر السابق، ص.52.

[8]– يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.ص، 26- 27.

توجه إذن محي الدين و ابنه للحج و قبلها إلى بغداد أين مكثا بها ثلاثة أشهر [1] لتسلم الخرقة و أخذ الطريقة العلية القادرية على السيد محمود الكيلاني [2] شيخ السجادة القادرية [3] منها للحج مرة ثانية [4] و قد كان هذا الحج حجان حج شريعة و حج طريقة لكليها [5] و عندما وصل إلى القيطنة أوائل عام (1243هـ/ 1828م)، و عندما إحتل الفرنسيون وهران يوم 4 جانفي 1831 تزعم محي الدين و رشح إبنه للجهاد وبدأت المقاومة [6] فانتقلت بذلك الوراثة الروحية في المشرب القادري لابنه عبد القادر قبل وفاته (1249هـ/ 1833م) [7] مؤهلا لهذا المنصب بفضل التعلم الديني الذي نشأ فيه الأمير وسط زاوية جده و كنف والده مقدم الزاوية فتشكلت ثقافته ذات الطابع الديني [8] القوي بالإضافة إلى اشتمالها كذلك على علوم غير دينية أهلته لتوازن علمي و قدرة على تحمل المسؤولية. فلا غرابة في أن يقود الأمير المعركة ضد الفرنسيين رغم قصر تجربته. و قد خلفه أثناء الجهاد في ترأس الزاوية أخوه محمد السعيد الذي هاجر للشام بعد نهاية مقاومة الأمير [9].

و للتعرف أكثر على القادرية التي شكلت محطات بارزة في شخصية الأمير و كذلك شخصية جنوده و محيطه الذي قام معه لمقاومة الاستعمار و لهذا سنحاول التعرف على مدى انتشار القادرية في العهد العثماني في الجزائر و عن علاقاتها مع مراكز السلطة و علاقاتها بالفرع القادري و ما كانت تقدمه للمجتمع الجزائري مع التعرف على بعض مضامينها و أورادها.

---

[1]– عبد الباقي.مفتاح، المقال السابق، ص.ص، 21- 22.

[2]- بلهاشمي.بن بكار، المرجع السابق، ص.36.

[3]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.49.

[4]– عبد الباقي.مفتاح، « الأمير عبد القادر الجزائري مع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي »، في: مجلة مسالك، عدد 5، جويلية 1998، ص.ص، 21-22.

[5]- حج الشريعة و حج الطريقة: حج الشريعة: حج البيت بشرائطه و أركانه حتى يحصل ثواب الحج، و حج الطريقة: راده الميل إلى صاحب التلقين و أخذه منه و ملازمة الذكر باللسان و تحصل حياة القلب به ثم يشتغل بذكر الباطن حتى يصفيه بملازمة أسماء الصفات فتظهر كعبة السر بأنوار الصفات كما أمر الله تعالى إبراهيم و إسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين (سورة البقرة الآية 125)، فتظهر الكعبة للطائفين يقابلها تطهر كعبة الباطن لنظر الخالق. راجع: عبد القادر الجيلاني، سر الأسرار، مصدر سابق، ص.115.

[6]- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.28.

[7]– عبد الباقي.مفتاح، المقال السابق، ص.21

[8]– عبد الحميد.حاجيات، الأمير و إنتاجه الأدبي، المقال السابق، ص.81.

[9]– ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.114.

2- انتشار القادرية في الجزائر:

انتشرت القادرية في العهد العثماني في الجزائر و ازدهرت [1] وتواجدت في أكبر طريق تجاري (الهضاب العليا جبال عمور تواجدت و اتسعت في كل المغرب حتى السودان) [2]، و يذكر لنا رين (RINN):حسب إحصاء له سنة(1300هـ/1882م) أن الزوايا القادرية بلغت 29 زاوية بـ 268 مقدم و 14574 مريد[3] وزاوية الأمير واحدة منها[4]. و تركزت هذه الزوايا خصوصا في المناطق التي فيها احتكاك بين المدني و القروي أين يقوم المرابط بدور الغيور على لقانون والعقيدة الإسلامية [5] وبذلك فهم الأكثر عددا و انتشارا لأنهم كانوا يقدمون تعليما نوعيا و لأن أنصارها كانوا من القبائل العسكرية كالدوائر الزمالة و البرجية كذلك في قلب البرجوازية المغربية لتلمسان و لهذا كان مسموح بها من قبل البايلك [6]. وتفرعت إلى قسمين:

- العيساوية [7]

- العمارية [8] و سميت الكثير من الأماكن باسم عبد القادر الجيلاني، دون تعداد المساجد حيث يوجد أكثر من 20 مصلى أو قبة باسمه [9].

3- علاقاتها:

لم تكن علاقة العثمانيين بالقادرية بالذات عادية فقد كانت المعاملة معهم محسوبة بفضل الحماية التي عقدها الباي العالي لسيد الهيئة القادرية في بغداد فاستفاد الفرع القادري في الجزائر من عطف الحكام العثمانيين فمنذ مجيئهم استحقت القادرية دور الوكيل الرئيسي للسياسة العثمانية بالمغرب، حتى أن باي وهران المصلح والمجاهد محمد بن عثمان كان مريدا من مريدي القادرية والذي لم يكن يرد لهم طلب[10] حاول أحمد بن يوسف بواعز من الأتراك على إغراق المغرب في فوضى

---

(1) – Roger paret, « Quand l'Algérie ne savait pas qu' elle était Algérienne », in : Prenves, OPCIT, P.71.

(2) -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.225.

(3)– Rinn,OPCIT, P.200 راجع كذلك: ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص.114. (يقول أن عددها بلغ 33 زاوية).

(4) –L.Rinn,OPCIT, P.200.

(5) -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.823.

(6) - OPCIT, P.831.

(7)– العيساوية: نسبة إلى سيدي محمد بن عيسى المكناسي.

(8)– العامرية: نسبة إلى عمار بوسنة. راجع: ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، ص.114.

(9) - L.Rinn,OPCIT, P.125.

(10)- يحيى.بوعزيز، المقال السابق، ص.28.

دائمة وخلق منافسين لأسياد فاس عن طريق القادرية [1]. ومن جهة أخرى كان رد الفعل المغربي حملات تأديبية و حتى بطلب دعم القوى المسيحية ثم التقرب من الباب العالي حين ساءت العلاقة مع الجزائر[2].

ربطت القادرية علاقات جيدة مع العثمانيين في البداية، لكن هذه العلاقة أخذت تشوبها الكثير من الاضطرابات لتغير تعاملهم مع شيخ القادرية في القيطنة أوائل القرن 13[3]. و تحول أغلب شيوخ القادرية من موقف الحيطة و الحذر إلى موقف التحدي و العدوان بعد معركة عواجة (1236هـ/1820). على يد الشيخ التيجاني.

و فرضت عليهم ضرائب قُدرت بـ 50.000 ريال بوجو و وصلت حد السجن مع العلماء [4] و مع محي الدين نفسه و ساءت العلاقة خاصة بعد انتهاء الدور البحري أصبح السكان مطالبين بملأ خزائن الدايات و ترأس البايات للجباية و هذا هو الأصل الانقطاع بين القادرية و الإيالة [5].

في نفس إطار العلاقات كانت الزاوية في كل سنة تنظم حجا عظيما يتوجه لبغداد لأخذ هدية تمثل سبعة أغطية مسرجة بالذهب لضريح القطب الجيلاني ويتواصل هذا الحج بحج آخر للأماكن المقدسة [6] لتنصب المريد و ما إن يفاجئه الموت يختار المريدون و الإخوان مريدا آخر بالإجماع في الحضرة و عليه يأخذ الموافقة من بغداد و يذهب لجلبها و غالبا ما يوافقون على اختيار المريدين [7].

لكن هذه العلاقات لم تكن مستمرة دائما بين مقدم الجزائر و الدار الأم، حيث كان المقدم يتمتع باستقلالية بسبب الظروف و بعد المسافة.

رغم أن هذا لم يكن يمنعه من أن يزور الدار الأم أين تأتيها الركب من كل مكان من الهند و اسيا حاملين المؤن إليها و هذا ما يسمح لنا أيضا بتصور حجم المؤن و حتى الأسلحة التي تكون بحوزة المقدم على مستوى الزوايا [8].

---

(1) -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.225.
(2) -Ibid, P.825.

(3)– أبو القاسم.سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.184.

(4)- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.115.

(5) -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.860.
(6) - L. Rinn,OPCIT, P.177.
(7) - Ibid, P.200.
(8) -L .Rinn,OPCIT, P.177.

فالقادرية من خلال سياستها الإصلاحية في الجزائر أضعفت كل الهيئات الدينية، و انتزعت منها السلطة القضائية كذلك الأمر بالنسبة للزكاة التي تعطى المقدمين [1].

و لهذا كان بإمكان الزاوية أن تطعم عدد كبيرا من المدعوين إلى الأكل حتى لا يبقى شيئى من المال الذي جمع بالإضافة إلى استقبال عابري السبيل الدائم [2].

4- دورها التعليمي:

بالإضافة إلى الدور التعليمي الذي كانت تقوم به القادرية حيث يأتيها التلاميذ من مراكش و سوس و شنفيط و حتى من الإسكندرية و كان عدد هؤلاء الطلبة يفوق 500 أو 600 شخص حيث الدراسة في المسجد الذي توضع به سبعة حلقات للتدريس [3].

كما كانت القادرية في بعض حلقاتها تهيئ لقراءة محي الدين بن عربي وتدرس في حلقات مصغرة كتاب الفتوحات المكية بصفته كتاب الأسرار الصوفية أو حكم ابن عطاء الله الإسكندري[4] بمختلف شروحها و بالخصوص شرح ابن عباد الرندى فكلها كانت من القراءات اليومية [5].

5- مضمون الطريقة:

فيما يخص مضمون الطريقة فهي تقوم على مبادئ منها علم، استمرارية ورحمة، و خلافة و واجبات خاصة بها أهمها ذكر الله، و مقت الكذب، و عدم تقديس وتكديس الثروات [6].

فذكر الله لديهم يتم بالصلاة و التي هي تهدئه لآلام الروح المهزومة و ملء للروح المتألمة بتمارين روحية تمتص الألم و تمنع من التفكير فيه كقول الورد من الذكر البسيط حتى أعقد الآفاق الدينية [7] .

---

(1) -Ahmed.Nadir, OPCIT, P.855.
(2) - Ibid, P.55.
(3) – Ahmed.Nadir, OPCIT, P.55.
(4)- ابن عطاء الله الإسكندري: ولد في الإسكندرية في منتصف القرن السابع أو الثامن جده الملقب بعبد الحكم كان فقيها، تتلمذ إبن عطاء الله على يد أستاذه نضير الدين بن عبد السلام، ألف كتاب الحكم في شبابه وسلمها لاستاذه أبو العباس المرسي.
(5)– عبد المجيد.مزيان، « تنبيهات بشأن قراءة المواقف »، مقال سابق، ص.157.
(6) - L.Rinn,OPCIT, P.181.
(7) - Ibid, P.183.

الورد الوحيد الممنوح من بغداد لفروع القادرية في الجزائر يتمثل في إنشاء 165 مرة بعد كل صلاة من الصلوات الخمس الإجبارية لا إله إلا الله. و أضافت لها بعض فروع القادرية في الجزائر إنشاد 100 مرة قول أستغفر الله، و 100 مرة قول اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي [1].

كما يختلف الورد عما يذكر في الحضرة و تتمثل في:

الفاتحة و الصلوات العادية و الدعاء بالرحمة للشيخ و أيضا بتكرار عدد معين من الصلوات على النبي [2]. و عن مراسيمها للدخول في الطريقة فهي تتم عبر محفل عن طريق ممارسات ضرورية تعد واجبات لكسب رضا الشيخ [3] و هو يشبه في صياغته أسلوب القسم.

6- رأي القادرية في الذكر والصلاة و الحج:

- الذّكر عند القادرية:

للذكر شروط فيجب على الذاكر أن يكون على وضوء تام و أن يحصل الذكر بصوت قوي حتى تحصل أنواع الذكر في بواطن الذاكرين و تحيا قلوبهم بهذه الأنوار[4] و هكذا كانت تتصف حلقاتهم بعد الصلاة.

- الصلاة:

عند القادرية صلاة شريعة و صلاة طرقية:

---

(1) – L.Rinn, OPCIT, P.P, 183- 184.

(2)- للمزيد من المعلومات حول صلوات الحضرة راجع: Ibid, P.184.

(3)– تتم بعد تجديد الوضوء الأكبر و صلاة ركعتين مع ذكر الفاتحة و صورة الإخلاص 7 مرات و الجلوس أمام الشيخ و التوجه بالدعاء و البسملة مرة واحدة ثم ذكر التالي:

- اللهم اغفر لنا: 7 مرات.
- أنا أو من بالله و ملائكته و كتبه و رسله و بيوم القيامة وبالقضاء و العقاب بعد الموت.
- أنا مسلم و أتلقى التأكيد في إيماني.
- أتطهر من كل ذنوبي و أتوب خالصا لله، أبعد عني كل ما يشوب الخطأ.
- لا إله إلاّ الله الواحد القهار لا شريك له و أشهد أن محمدًا نبيه و رسوله و منه أتلقى القبول للطريقة و أستعد لأن أقبل.
- و أقسم بالوفاء بين يدي الشيخ، و أتكفل بمراقبة القوانين الإلهية و القيام بكل ما يجعل آخرتي حسنة و أشكر الله على الإبتلاء.

ثم يتلقى نصيحة من الشيخ باتباع صارم للطريقة و للإسلام ليقص له خصلة من أعلى الجبهة من شعره و هو يقول: « ربي اقطع انشغاله بالدنيا و أمكنه من الدين و امنحه الرضا و السعادة ثم بشر له كأس ماء ليذكر الكثير من الذكر الحكيم.

- ثم يعطي المريد يده للشيخ و لكل المنخرطين من المريدين الحاضرين.
- و ينتهي المحفل بالدخول في عادة الشيخ و كالعادة يدعو للمريد باسم عبد القادر الجيلاني. راجع: L.Rinn,OPCIT, P.P,187-188.

(4)– عبد القادر.الجيلاني، سر الأسرار، مصدر سابق، ص.83.

الأولى: هي حفظ الصلاة بحركاتها الجسمانية (حافظوا على الصلوات) [1] .
أما الثانية: فهي صلاة القلب و الصلوات الوسطي[2] و المراد منها صلاة القلب وهي مؤيدة مسجدها القلب و جماعتها إجتماع قوى الباطن على الاشتغال بأسماء التوحيد بلسان الباطن و إمامها الشوق في الفؤاد و قبلتها الحضرة [3].
- **الزكاة**: نوعان

- **زكاة الشريعة**: أن تبلغ النصاب بعد دوران الحول و هي صدقة في القرآن.
- **زكاة الطريقة**: أن يعطى من كسب الآخره كله في سبيل الله إلى فقراء الدين والمساكين و هي مؤيدة و منها تزكية القلب من صفة اليقين (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) [*] [4].

نشطت القادرية كتيار إصلاحي [5] رغم أن البعض كان يرى فيها تيارا غير ديمقراطي لعصيته و تكتلاته القبلية الا أنه كسب تأثير سكان التلال كان قويا بأملاكه و فرسانه و قدرته على جمع التبرعات [6].

استمد منها الأمير عبد القادر المرجعية في الجهاد و في بناء الدولة ومعاملاتها و هذا ما سيتوضح لنا في الفصول القادمة.

7- تأثير الرحلة الـدينية على شخصية الأمير عبد القادر:

لنقل أن الأمير كان محظوظًا بأنه اختير من طرف والده لأداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام و روضة نبيه الكريم عليه أزكى الصلوات و شكلت هذه الرحلة الدينية في حياة الأمير قيمًا ثابتة ساعدته في مواجهة المسؤوليات التي كُتب له

---

[1]– سورة البقرة، الآية رقم: 238.
[2]– سورة البقرة، الآية رقم: 238.
[3]- عبد القادر.الجيلاني، مصدر سابق، ص.106.
[*]– سورة الحديد، الآية رقم:57.
[4]– المصدر السابق، ص.110.
[5] – Ahmed.Nadir, OPCIT, P.819.
[6] –Marcel.Emerit, OPCIT, P.129.

تحملها فيما بعد و بدأ مشروع هذه الرحلة حين شعر محيي الدين، الذي كان - عندئذ في الخمسين من عمره - بضرورة أداء و اجب الحج إلى مكة فحاول أبناءه التوسُل إليه للذهاب معه إلاّ أنه رفض، لكن في اليوم الموالي وقع استثناء في صالح عبد القادر[1] فانتقلا إلى وهران لكنهما لم يغادراها بعد أن منعوا من طرف أعوان الباي الذي كان حاكمًا لوهران و هو (الحسن بن موسى) أين وضع الشيخ محيي الدين وابنه عبد القادر رهن الاحتجاز بسبب أن خبر حج محيي الدين خلق نوعًا من الجمهرة العارمة للشعب[2] مما أخاف الباي و جعله يأخذ احتياطاته بإبراز سلطاته أمام الرعية لكنه ما زاد الطين إلاّ بلة - كما سبق و أن رأينا -.

لكن سُمعة محيي الدين جعلت بعض رجال المخزن يتوسطون له، لدرجة أن الروايات تقول: بأن أفراد من أسرة الباي و منهم زوجته توسطوا لإطلاق سراحهما [3]. في هذا الظرف « تأكد الأمير من ضعف الأتراك السياسي و العسكري مع أتساع استغلالهم للطبقات الشعبية الكادحة» [4].

و نجحت هذه المساعي و أذن لهم الباي بالحج في شعبان 1230هـ الموافق لـ مارس 1825. و بدأت الرحلة الدينية بالتحاقهم بوادي الشلف ثم ببرج حمزة ثم قسنطينة و منها إلى تونس، حيث أعجب الأمير فيها بالفقيه الشيخ أحمد المازري و وكيل المغاربة الحاج الحرشي، و منها ركبا البحر إلى الإسكندرية فزاروا معالمها، و وقفوا عند مقام أبي العباس المرسي و ابن عطاء الله و أبي الحسين البصري، ثم انتقلوا إلى القاهرة و حظوا فيها بضيافة الوالي الفقيه محمد سعيد القاندي وأقاما في بيته لمدة إحدى عشر يومًا [5] حيث زار بـها مساجد الحسـين و الإمـام

---

[1]- هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.42.

[2] -Ahmed. Nadir, Opcit, p, 833.

[3]- ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص156

[4]- يحيى. بوعزيز الأمير عبد القادر رائد الكفاح، مرجع سابق، ص.41.

[5] - Emir. Abdelkader, Autobiographie, Alger, Edition Dar El Oumma, (1997), p.57.

الشافعي[1] و الجامع الأزهر [2]، هناك تعرف على الشيخ علي الميليو الشيخ فراج[3] و إطلعا هناك على منجزات محمد علي [4] خاصة في المجال الزراعي ومجال الجيش الذي سأل الكثير عن دقائق تنظيمه بالطريقة العصرية التي كان عليها بمصر في تلك الأثناء[5] الأمر الذي أدى إلى الإعجاب به و التأثر بأعماله الإصلاحية والتحديثية في بناء الدولة [6].

ثم انتقلا إلى مكة و الحجاز بلد الوحي و مهبط النبوة و موطن الرسُول الأعظم محمد بن عبد الله [7]ρ .

ثم ركب الحجيج إلى المدينة المنورة عبر السويس و انفصلا عن جماعتهما و ذهبا إلى دمشق و بقيا بها عدة شهور أين قضيا معظم وقتهما [8] بالجامع الأموي، فأخذ من اثنين أحدهما عالـم و الآخر صوفي، أما العالـم فهو أبو أحمد عبد الرحمن بن محمد

---

[1]- الإمام الشافعي: ولد محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القريشي ولد سنة: (150هـ) بغزة، أبوه قرشي عادت به أمه إلى مكة فحفظ القرآن و هو في السابعة من عمره وحفظ موطأ مالك في سن العاشرة، تلقى فقه مالك على يد مالك وتفقه بمكة على شيخ الحرم ومفتيه مسلم بن خالد الزنجي ت: 180هـ، تلقى من محمد بن الحسن وتلقى منه فقه ابا حنيفة، يعد الشافعي أول من ألف في علم أصول الفقه و يتضح ذلك في كتابه الرسالة، توفي سنة: 179هـ وهو بذلك صاحب أحد المذاهب الأربعة السنية الكبرى. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 14، ص.ص، 21- 22. وأيضا: عبد الفتاح محمد الحلو، أعلام التراث الإسلامي، ط1، جدة، دار عكاظ للطباعة والنشر،(1981) ص.ص، 8-11.

[2]- الجامع الأزهر: بناه جوهر الصقلي (في 24 جمادى الأولى سنة 359هـ/ 970م) و أكمل بناءه في:(9 رمضان1361هـ/972م)، سمي أولاً بجامع القاهرة ثم أطلق عليه الأزهر في عصر العزيز بالله الفاطمي بعد إنشاء القصور الفاطمية الزاهرة و أنشأ كمسجد للخلافة ثم أصبح مدرسة.

- راجع: دائرة المعارف الإسلامية، ج3، ص.623.

[3]- ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.157.

[4]– محمد علي: ولد في: (1183هـ/ 1769م و توفي في 1266هـ/ 1849م)، في قولة بمقدونية، اليونان ابوه هو إبرهيم أغا، ولي مصر من (1220هـ/ 1805م- 1265هـ/ 1848م)، و أجرى إصلاحات عظيمة في مصر أهمها: تشجيع تام للصناعة المحلية، و تشجيع كبير لحركة الترجمة والعلم، حاول الإنفصال عن الدولة العثمانية بالتوسع في مناطق كثيرة، حطمته الدول الأوروبية بمعاهدة لندن.

- أنظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر (1990)، ج.06، ص.92.

[5]- محمد. العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص.16.

[6]- مصطفي. نويصر، الأمير عبد القادر في ذكراه المؤوية 1983م، (لمحة تاريخية و بيبليوغرافية)، د.ط، الجزائر، مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث، (1983)، ص.12.

[7]- يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح، مرجع سابق، ص.42.

[8]- هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.45.

بن خلف إمام الحديث بالشام و الصوفي إمام المتصوفة الشيخ أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي الشهرزوري(*) [1].

فواصل الوفد رحلته الدينية و الدنيوية حيث قاموا بحج آخر لا يقل قداسة في نظرهما عن الأول، الذي أدياه في مكة، بزيارة قبر الولي الصالح عبد القادر الجيلاني حارس الجزائر[2] و بعد ثلاثين يوما[3] كانت العودة و هي عادة العلماء و الصالحين الذين يتوجهون للحج ثم بغداد لتقديم الهدايا الثمينة إلى حراس الضريح[4] فتعرفا على وكيل الضريح، نقيب الأشراف الشيخ محمود القادري شيخ السجادة القادرية[5] و كانت تلك الزيارة مكملة للحج دائمًا عند ضريح مولى بغداد و التبرك به [6].

ثم غادرا إلى دمشق و حلا بالمدينة المنورة أين أديا مناسك الحج و العمرة ثانية، و أما في القاهرة فقد احتفلوا بالمولد النبوي الشريف ثم عادا للجزائر عبر طرابلس الغرب و الكاف إلى أن حلا بالقيطنة من جديد سنة : 1243هـ و الموافق لـ 1828م[7] .

فساهمت هذه الرحلة الدينية في إثراء معارف عبد القادر العلمية حيث جلب له سفره ذاك سنة: (1244هـ/ 1828م) إلى الشرق و زيارة الأماكن المقدسة، استفادة عظمى

(*)- الشيخ أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي الشهرزوري: (1193هـ/1779م)، ت: (1242هـ/ 1826م)، من علماء الفقه والحديث من أشهر أتباعه شهاب الدين الالوسي مفسر روح المعاني. راجع: عبد الباقي مفتاح، « علاقات الأمير بالعلماء والصوفية »، مقال سابق، ص.106.

(1)- عبد الحميد. شعابنة، « الأمير عبد القادر المجاهد والمثقف والسياسي والفارس »، مقال سابق، ص.28.

(2)- هو الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني(470- 562هـ/ 1078- 1167م) الذي ولد في جيلان بجبال كركوك شمال العراق، استوطن بغداد و اعتكف على الدراسة و التعلم و تضلع في الفقه الحنبلي و ألف عددًا من الكتب في الأصول و الفروع و أدعية في التوسل إلى الله مال إلى حياة الزهد و التصوف و ألف طريقته الصوفية القادرية بعد أن كثر اتباعه و انتشرت بسرعة في بلدان المغرب العربي.

أنظر كذلك: يحيى بوعزيز، « الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر »، مقال سابق، ص.21

(3)- عبد الحميد. شعابنة، المرجع السابق، ص.28.

(4)- محمد. بلغراد، « الجانب الصوفي و الثقافي في حياة الأمير عبد القادر الجزائري »، في: مجلة التاريخ، عدد خاص بوفاة الأمير عبد القادر الجزائري،(1983)، ص.68.

(5)- ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.157.

(6)- المقال السابق، ص.68.

(7)- ناصر الدين. سعيدوني، المرجع السابق، ص.157.

باستماعه إلى صحيح البُخاري[1] الذي كان قد حفظه عن ظهر قلب من الإمام المحدث أبي أحمد بن عبد الرحمن الكزبري[2] بدمشق[3] و أخذ عن الإمام ضياء الدين الشيخ النقشبندي الشهرزوري بعد أن تردد عليه كثيرًا، حتى انتفع منه و برع في علوم الشريعة و دامت زيارته هذه رفقة والده ستة أشهر عادا بعدها للجزائر.

تضلع عبد القادر في الثقافة العربية الإسلامية بعد أن قرأ كتُب مشاهير المؤلفين في العهود العربية و كتب التاريخ الحديث، والفلسفة، واللغة والفلك والجغرافيا بل حتى علم العقاقير و الطب[4].

وهذا لم يمنعه أبدًا من التعاطي مع العلوم الأوربية فدرس رسائل أفلاطون[5] و فيتاغورس و أرسطو طاليس[6].

فتجمعت لديه مكتبة ضخمة نهبها الجيش الفرنسي بعد استئمان الأمير عبد القادر سنة (1264هـ/ 1847م)[7] (أنظر ما يخص الزمالة).

وامتاز الأمير بفضل هذه المحطات العلمية بتفاسيره الجيدة التي يعطيها للمسائِل الغامضة، و توضيح ماخفي من أفكار و البرهنة عليها بطريقته الخاصة.

و كان هذا الاجتهاد يظهر مع حجم الوقت الذي كان عبد القادر يُخصصه للدراسة بالإضافة إلى الصّلاة التي تتبعها العزلة و التفرغ للعلم حتى وقت متأخر من الليل.

---

[1]- البخاري: (194هـ/ 256هـ) (810م/ 870م)، صاحبه هو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة البخاري، الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري و لد الإمام في بخارى و نشأ يتيمًا فقام برحلة طويلة في طلب العلم فكان آية في الحفظ و سعة العلم و الذكاء. جمع في الصحيح نحو ستمائة ألف حديث اختار منها ما وثق برّواته و قد ألف باقتراح من أصحابه فصنفه في ست عشرة سنة ، كما له مصنفات أخرى مطبوعة، التاريخ، الضعفاء، في رجال الحديث، الأدب المفرد، اتهم بالتعصب فخرج إلى إحدى قرى سمرقند و مات بها.

- راجع: الموسوعة العربية العالمية، مجلد 04، ص.239.

[2]- ابن أحمد بن عبد الرحمن الكزبري: هو وجيه الدين عبد الرحمن الكزبري من مواليد مكة (1184هـ) توفي (1262هـ) هو من أخذ الأمير عبد القادر عنهم علم الحديث.راجع: عبد الباقي مفتاح، المقال السابق، ص.106.

[3]- أحمد. رويش، في صحبة الأميرين، المرجع السابق، ص. 146.

[4]- رابح .تركي، « من أعلام الجهاد الإسلامي »، المقال السابق' ص. 92.

[5]- أفلاطون: (427ق؟- 347ق.م) فيلسوف و معلم يوناني، من أهم المفكرين في تاريخ الثقافة الغربية ولد في أعرق أسر أثينا، في عام 387 ق.م، أسس مدرسة الفلسفة و التي عرفت بالأكاديمية، من أهم كتبه المحاورات و نظريات في الأخلاق و المثل.

- راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 02، ص.400.

[6]- جورجي. زيدان، مشاهير الشرق،.ط3، بيروت، منشورات دار الحياة، ج1، ص. 242.

[7]- رابح. تركي. « من أعلام الجهاد الإسلامي »، المقال السابق، ص.92.

إن اكتساب الأمير لملكة النفوذ الفكري الذي يدرك البواطن يؤكد هدفه الحقيقي من الدراسة، و هو تزويد ذهنه بشيئ من المعرفة الجديدة و بتحليل الأفكار و استنباط قضايا يوحي بها اجتهاده الخاص. فامتاز بخصوبة الفكر و سعة الخيال و حسن التأمل مما جعله يتفوق[1].

و يقول الأمير بنفسه إن الحق تعالى « لا يعطى أحدًا ما يطلبه بلسان مقاله إلاّ إذا وافق طلب لسانه، طلب استعداده» [2].

هذا ما يجعلنا نستنتج أن الأمير كان مؤمنا بأهمية أخذ العلم، من منطلق أنه فريضة على كل مسلم و لما جعله الله من فضل للعلماء.

- فائدة الرحلات الدينية بالنسبة للأمير:

كان لهذه الرحلة الروحية أثرها العميق في أعماق نفس الشاب عبد القادر، و سمحت له أن يتعرف على الكثير مما كان يجهله من خلال المحطات التالية:

1- أتاحت له هذه الرحلة فرصة ليتمكن من الإطلاع على أشكال الأنظمة العربية [3].

2- سمحت له بالإطلاع أيضا على النظم العسكرية و الإدارية [4].

3- نال بفضلها حظًا وافرًا من ثقافة المشرق العربي و اطلع على قضاياه السياسية عن كثب [5].

4- اتصاله بالشرق الإسلامي مكنه من التفاعل مع البيئات العلمية فيه و أخذ من علماء البلاد التي زارها.

5- مكنته الرحلة من دراسة أحوال البلاد الشرقية و نظمها.

6- إنتبه للأمراض التي يُعانيها المجتمع الإسلامي في شتى الميادين [6].و أخذ العبرة منها.

---

[1]- أحمد. ملاح « التصوف و الإصلاح عند الأمير عبد القادر »، مرجع سابق، ص.23.

[2]- المرجع نفسه: ص.24.

[3]- يحيى. بوعزيز، رائد الكفاح، مرجع سابق، ص. 43.

[4]– الجيش «الذكرى 48 لوفاة الأمير عبد القادر »، في: مجلة الجيش، السنة الرابعة،(1967)، ص.13.

[5]- عبد الحميد. حاجيات، « الأمير عبد القادر و إنتاجه الأدبي »، مقال سابق، ص.82.

[6]- أنيسة بركات، « الجانب الأدبي من شخصية الأمير »، مجلة التاريخ، (عدد خاص بوفاة الأمير عبد القادر)، (1983)، ص.13.

7- توثقت فكرة الرابطة الإسلامية في نفس الأمير [1]. بفضل ما اقتنع به هناك.

أراد الأمير من خلال هذه الرحلة أن يأخذ العبرة بما يصلح أن يسوس به دولة المغرب الأوسط (الجزائر) التي يحتفظ بها له القدر و يخبئها له المستقبل [2]. خاصة بعد أن سمع بالدعاية الوهابية [3] و اكتسب بعدًا جديدًا بتوسيع حقله المعرفي [4].

نستنتج أن لهذه الرحالات أثر كبير في نفسية عبد القادر وبالتالي في شخصيته كما سنرى في المبحث التالي.

---

[1]- عبد الحميد. شعابنة، الأمير عبد القادر المجاهد والمثقف والسياسي الفارس، مقال سابق، ص.29.

[2]- يحي. بوعزيز. رائد الكفاح، مرجع سابق، ص.43.

[3]- الوهابية: يطلق لفظ الوهابية على جماعة إسلامية أسسها محمد بن عبد الوهاب، (1115 –1201هـ/ 1703- 1787م)، كانوا يسمون طريقتهم بالمحمدية إشارة إلى اتباع سنة الرسول (ص) و كانوا يتمذهبون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل وفقا لتفسيرات ابن تيمية الذي هاجم البدع. أنظر: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس و أخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة، (1998) مجلد 32، ص.ص، 10172- 10179.

[4] -Ahmed. Nadir, «Les ordres religieux et la conquête française (1830- 1851) »,Op, Cit, P 833.

المبحث الثالث:

مميزات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري:

يتعذر أحيانا فهم سياسة دولة ما دون فهم مزاج و شخصية رئيسها [1] و لهذا وجدنا أنه من الضروري أن نتحدث عن مميزات شخصيته المرتبطة بالدين و بالفكرة الدينية، فنستخلص من الروايات الكثيرة التي تحدثت عن الأمير وصفا و مضمونا مزايا اتصف بها دون غيره، نبدأها بالخاص إلى العام.

فحتما كان لشكل الأمير عبد القادر تأثيره الخاص على شخصيته حيث أن ملامحه كانت تدل على « قوة حريته ممزوجة بقوة روحية جعلت وجهه جميلاً خلاباً »[2] حيث كانت بشرته بيضاء مشوبة بشيئي من الشحوب بينما كان جبينه عرضا مستطيلا يحتله حاجبان أسودان دقيقان و لحية سوداء ناعمة تحوط وجها مستديرا نائرا.

و يد نحيلة صغيرة ناصعة البياض تتخللها عروق زرقاء و أصابع طويلة تنتهي بأظافر نقية و قامة متوسطة و عضلات تدل على قوة الجسم. [3]

أما عن اللباس و الذي يُعد مكملاً لمظاهر الشخصية فكان عند الأمير بسيطا يتمثل في عباءة بيضاء ذات برنس يكملها الأمير بامتطاء جواده الأسود [4] فيكتمل تناغم الألوان و يكتمل المشهد المهيب الذي يدل على أن المشاعر التي تطغى على ملامحه هي مشاعر ذات طبيعة كلها دينية حيث يصف لنا بير بروجير وجه الأمير فيقول : « إن الوجه له شيئ من الورع الذي يذكر المرء برؤوس الرهبان الجميلة من ذلك النوع الذي تركته لنا العصور الوسطى و هي تلك الرؤوس التي تذكرنا بالرهبان المحاربين الذين نلتقي بهم كثيرا وسط ضجيج المعارك أو في السكينة المعتمة للأديرة » [5].

---

[1] – عمر.بوزيان، جذور إتحاد المغرب والجزائر (1832- 1845)، الرباط، منشورات دار عكاظ، (1988)، ص.85.

[2] – عبد الكريم.الصفاقصي، « محاضرة في تاريخ الأمير »، في: مجلة البصائر، عدد 12، (1947)، ص.6.

[3] – المقال نفسه، ص.6، راجع كذلك: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، ص.180.

[4] – جمال.الغيطاني، « الأمير عبد القادر، البطولة بعين فرنسية »، في: مجلة العربي، الكويت، العدد 296، جويلية، (1983)، ص.73. راجع كذلك: أدريان.بيار بروجير، « رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر في الونوغة و البويرة 1837-1838 »، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، في: مجلة الذاكرة، العدد 5، ربيع الثاني 1419هـ- أوت 1998، ص.205. كذلك: أحمد تيمور بك، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ط1، القاهرة، لجنة النشر للمؤلفات التيمورية، 1968، ص.375.

[5]- أدريان.بيار بروجير، « رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر في الونوغة و البويرة »، المقال السابق، ص.205. أنظر: الملحق رقم: 01.

أما عن باقي مظاهر و مميزات هذه الشخصية ففضلنا تصنيفها إلى ميزات و لو أنها تندرج كلها ضمن أخلاق عالم مسلم و تصرفات بطل يؤمن بالجماعة و شيخ الطريقة المتواضع [1] نموذج الإنسان المؤمن بالإنسانية، و لذلك اجتمعت لديه ميزات تنم عن العبقرية و أهمها:

أ- الأخلاق الإسلامية:

1- **قوة الإرادة:**

جمع الأمير عبد القادر بين قوة الإرادة في الدفاع عن الإسلام و بين قوة التركيز والتفكير و البحث العلمي، مما جعله مؤهلا حين بدأت المقاومة من القيادة بحزم مظهرا قوة شخصيته و عزيمته التي لا تكل في الحق و لا تلين[2] رغم صغر سنه استطاع تحمل مسؤولية الجهاد و مسؤولية خوض الحرب مع قلة الإمكانيات الكافية لمواجهة و مطاردة الاستعمار[3].

وهو في إحدى المرات الكثيرة التي تلقى فيها رسائل التهديد، يمتع ضيوفه الفرنسيس بحكمه التي تدل على قوة شخصيته و رغبته في إبراز ثقته الحقيقية و الكبيرة بنفسه وبإمكانيات جيشه المجاهد، حين قال مقاربا لحاله مع حال السمك في الماء و صعوبة صيده قائلا: « عندما تكون جالسا على الشط و أنت تنظر إلى السمك السابح بحرية في البحر فإنه يخيل إليك أن الأمر لا يحتاج إلاّ إلى مد اليد لصيده و مع ذلك فإنه يجب توفير كل المهارة و شباك الصيد إذا كان المرء يرغب في أن يكون سيد الموقف و الأمر كذلك بالنسبة للعرب»[4].

كما تميز الأمير بحيوية دفعته إلى تفكير مبدع تغلب بفضله على صعوبات كان ظاهره استحالة التغلب عليها[5] و من بين هذه المحطات تلك التي ذكرها الإسكندر بيلمار في شجاعة الأمير و تجدد قوته حين يقول: « إن من العجب رجوع قوة الأمير عبد القادر إلى حالها الأولى بعد أن اعتراها الاضمحلال و التلاشي ثلاث مرات، الأولى بعـد

---

[1]– ناصرالدين. سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص.119.

[2]- عمر.بوزيان، جذور إتحاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص.85.

[3]– المرجع نفسه، ص.86.

[4]- أدريان.بيار بروجير، المقال السابق، ص.199.

[5]- تشاارل.هنري تشرشل، مصدر السابق، ص.148.

إستيلاء الجنود الفرنسيين على عاصمته معسكر و الثانية بعد غزوة تلمسان، و الثالثة بعد واقعة سكاك و كل حادثة من هذه الحوادث كانت صالحة لأن تكون سببا قويا لسقوط أعظم سلطان راسخ القدم و مع ذلك فإنا لم تؤثر في أمره، و لم تحصل الأمة الفرنسية منه على طائل» [1] .

هذا عن المعركة الجهادية، أما عن جهاد الوحدة فكان ميدانا آخر أظهر فيه عبد القادر قوته حين جعل معظم قبائل الغرب الجزائري كتلة واحدة. و كذلك دوره القوي في العلاقات المغربية الجزائرية[2].

بالإضافة إلى محطات كثيرة أثبت فيها و في أحرج لحظات المواجهة أيا كانت عسكرية، سياسة، أو دبلوماسية، أو فكرية، قوة شخصيته النابعة من ثقته الكبيرة بنفسه وبإمكانياته و بتوكله على الله وحده [3] فهو الذي دعا إلى تطهير النفس و حثها على اتباع صوت الإيمان فقد ذكر في كتابه المواقف و بخصوص التوكل، موقفا هاما ذكر فيه أنه:« ليس التوكل إلا الثقة و الطمأنينة لا ترك الأسباب مع الشك و الاضطراب فهذا سبب العارفين إمام المتوكلين جند الأجناد و طاهر بين درعين و حفر الخندق قوة سنة وتداوى و ما ترك سببا إلا فعله» [4]

هنا تفهم من الأمير أن قوة الإيمان هي التي قوت عنده التوكل و زكت في نفسه الغيرة على الدين و الوطن و ألهمت فيه حماسا فائقا بحب الجهاد يمليه عليه الواجب رغم ميله الإعتزال و اللجوء إلى الحياة الخاصة [5] حيث يرضي نهمه العلمي بقوة.

2- احترامه البالغ لتقاليد الأسرة و المجتمع:

كان الأمير دون تكلف متمسكا بتقاليد الأسرة ودودا لأهلـه، معـروفا بطاعـة

---

[1]- يحيى.بوعزيز، الأمير عبد القادر الجزائري، رائد الكفاح، ص.ص،79-80.

[2]- عمر.بوزيان، المرجع السابق، ص.82.

[3] – رابح.تركي، من أعلام الجهاد الإسلامي، مقال السابق، ص.118.

[4]– الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج1، ص.370، (موقف 165).

[5]– شارل هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.129.

والده، و منذ رحلة حجه كان يحرص على خدمة والده بنفسه[1].

كما كان يرى في والدته مثله الأعلى فبرّ بها و حنا عليها و استشارها دائما حتى في أصعب لحظات حياته، كما بقى دوما محافظا على التقاليد التي تعلمها منها تلك المرتبطة بالعقيدة الدينية[2] .

و كما ظل عبد القادر محافظا على صلة الرحم بأهله عن طريق مراسلته لإخوانه ممن اتجهوا إلى المغرب الأقصى بعد(1258هـ/ 1842م) و هم سعيد ومصطفى و حسين[3] و اشتراطه عند استئمانه سفر أهله معه و بره بهم و بحاجتهم في دار الهجرة [4].

و لا يتردد الأمير كما سنرى من خلال دراستنا لنماذج من شعره في الإفصاح عن مشاعره النبيلة بطريقة راقية فهذا الضرب من المشاعر لا يكون إلا في قلوب العظماء [5].

كما عبر الأمير عن حبه للطبيعة و الجمال و توجها بميزة أخرى هي:

3- الفروسية:

صقل الأمير هواياته العربية الأصيلة و المفضلة و هي الصيد بإجادة الفروسية فأحب الفرّس و ساعدته قبيلته على تنمية هذه الموهبة فافتخر بإتقانه صيد الغزال والنعامة كما افتخر باندفاعه، و حنكته حيث أن هذه المغامرات العنيفة كانت تتطلب الكثير من الجهد البدني و العقلي معا، كما تدرب في نفس الوقت على الحرب [6] ولدرجة حبه الشديد للصيد لم يكن ليشغله عنه غير القيام بالجهاد و العلم [7] فقط.

---

[1]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.181.

[2]– الأميرة بديعة الحسني، ناصر الدين، ص.118.

[3]– ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.181.

[4]– الأمير عبد القادر. الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق ممدوح حقي، ط.3، بيروت، دار اليقضة العربية، (1965)، ص.8.

[5]– عمر.بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ص.28.

[6]– شارل هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص40.

[7]– جرجي.زيدان،« أشهر الحوادث و أعظم الرجال الأمير عبد القادر الجزائري» ، في: مجلة الهلال، المصرية، القاهرة، جانفي (1893)، السنة الأولى، ج5، ص.194.

فتوازت هذه الهواية مع شغفه بالفروسية و سباق الخيل و هو في سن مبكرة [1].

مع إشتهاره و هو في السابعة عشر من عمره بشدة البأس و قوة البدن [2] و بمهارة متفوقة في كل متطلبات هذه الرياضة التي توجب العين و اليد الثابتة و الرجولة الحقة [3].

كما كان الأمير يُكمل لقب الفارس الذي ناله عن جدارة بركوبه لجواد قاتم السواد والذي يدل على استعدادات الحصان الممتازة و لأنه يمثل الضد للون برنسه الأبيض فيجعله محل انتباه و بجدارة [4].

إذن نستنتج أن حب الطبيعة و الفرس يوحي بشاعريته التي غابت عن الكثير من الشخصيات في زمننا الحاضر.

4- التواضع و الزهد:

اتصف الأمير بالتواضع، لكنه لم يكتف بنسب هذه الصفة لنفسه، بل كان يلزم مساعديه بالتحلي بالتواضع و ما ينجر عنه من مساواة و عدل و إحسان فهو قدوتهم في ذلك فهو أول من أنكر على أهله البذخ و أولهم زوجته التي انزعج منها أيم انزعاج لارتدائها الحلي و الثياب الغالية الثمن [5].

و كذلك أخوه الذي رآه يرتدي برنوسا به شواشي و حواشي من الذهب فقطعها [6] أيضا بانزعاج لأنه يمقت التباهي و يحب التواضع لكونه يؤمن بأن من تواضع لله رفعه كما أثبت لرعيته عمليا أنه لا فرق بين أموالهم و أمواله حين يتعالى نداء المساعدة من أجل إنجاد الجيش بالسلاح و المؤن و نتيجة لتباطؤ القبائل في منحه

---

[1]– عبد الحميد.شعابنة،« الأمير عبد القادر المجاهد المثقف السياسي، » مقال سابق، ص.27.

[2]– جرجي.زيدان، تراجم مشاهير الشرق، مرجع سابق، ج1، ص.241.

[3]- رابح.تركي، المقال السابق، ص.93.

[4]– تشارل هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.40.

[5]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، ص.121.

[6]– شارل هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.40.

القرض باع الأمير في الحال مجوهرات أسرته في سوق معسكر، معلنا أنها ستوجه لبيت المال عندها فقط تحركت القبائل [1] بتقديم الدعم.

إذن كان الأمير يتواضع من أجل نفسه و كذلك من أجل الآخرين لأنه يعرف نوازع النفس البشرية و يعرف أن علاجها لا يكون بالقوة بل بالمبادرة و التطوع وتربية المجتمع و تعويده على التواضع و التكافل، و هذا ما كان يجدد الغيرة الدينية عند جنوده و يجعلهم يمددون الصمود إلى أجل غير مسمى.

إذن أثبت الأمير عبد القادر بسلوكه الأخلاقي أنه مثال الشخصية، المصلحة التي لا تطمح إلا إلى بناء الدولة. لم يهتم الأمير بهذه الدنيا لأنه تربى على قناعة تامة بأنها فانية. و لهذا لم يحب الثروة و الغنى في بداية جهاده و كانت نظرته للمال خاصة لأجل تحقيق الغايات الخيرة التي سمح بها الدين فعاش حياته ببساطة [2] يمقت أن يجد في أهله ترفا و رحى الحرب قائمة.

فذات يوم عند رجوعه من غارة منتصرة على العدو وجد خيمته و أهله في زينة لاستقباله فلما رأى ذلك صرح قائلا: « إن هذه الخيمة ليست لي و هذه المرأة ليست زوجتي و لم ينزل عن جواده حتى نفذوا رغبته و أزالوا مظاهر تلك الزينة» [3]

فكان دائما يلبس ثيابا بسيطة [4] و يشارك في البناء معهم أسوة برسول الله ρالذي يشارك في بناء أول مسجد بالمدينة المنورة مسجد قباء.

فكان الأمير عبد القادر لا يميز عن العمال إلا بصعوبة و هو يضع على رأسه مظلة من سعف النخيل [5].

و قد برر الأمير زهده في الثياب بتأكيده التام أن تصرفه مبرر لا لكي يتجنب مكائد العدو و محاولة قتله بل ليظهر للجميع أنه من الأفضل أمام الله شراء الأسلحة أو الذخائر عوض الزينة الغالية التي تشبه الأغلال في يد عبد أرضه محتله وعرضه

---

[1]– أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.158.

[2]– تشارل هنري.تشرشل،مصدر سابق، ص.146.

[3]– عبد الكريم.الصفاقصي،« محاضرة في تاريخ الجزائر » ، مقال سابق، ص.6.

[4]– المقال السابق، ص.146.

[5]–نفسه، ص.138.

منتهك [1]. و لهذا كان عبد القادر يمنع نفسه عن أخذ شيء من الأموال العامة حتى الهدايا و غيرها كانت توجه إلى بيت المال [2] و كان دخله القليل يكفي لسد حاجات أسرته و الفائض يصرف على الفقراء و المسافرين و جرحى الجهاد [3].

كما كان لا يأكل و لا يشرب الا ما أحله الدين [4] و يؤثر على أكله الجهاد و الصلاة لا ينزل عن ظهر جواده لساعات طويلة إلا للصلاة أو لتناول قدر يسير من الأكل البسيط [5].

و لو أحب الأمير المال في أية مرحلة من مراحل عمره و نقصد تلك التي قضاها في الشام. ما تصدق بماله و جعل منه مرتبا شهريا لعلماء دمشق و فقراءها حيث كان في دار الهجرة [6].

أين أثبت مجددا محافظته على طهارة روحه حرصا على بقائه نظيفا من شوائب الدنيا و الطمع فحين دعي في المدينة المنورة ليشاهد كنوزها، من هبات رؤساء الدول و الشخصيات البارزة لها، رفض تلك الدعوة متخذا و معلنا موقفا من هذه الثروات الهامدة، غير المستغلة معتبرا إياها مظهرا من مظاهر تبذير الأموال وعدم الاستفادة منها [7].

ب- التعامل الإنساني:

1- الحوار و حب التواصل مع الغير:

كان الأمير عبد القادر يحب الاتصال و التواصل مع الغير كما كان يؤمن بمفهوم السعي وراء المصالح بالدبلوماسية و أدب الحوار و المناظرة لقضاء عمل أو عبادة و لهذا لم يكن ليحب الانزواء ينمي وعيه بالأحداث التي تجري في العالم لدرجة أنه اشترك بانتظام في الصحافة الفرنسية، و وضع من يترجم له المقالات

---

[1]– عبد الكريم.الصفاقسي، مقال سابق، ص.154.

[2]– تشارل هنري.تشرشل، ص.146.

[3]– نفسه، ص.145.

[4]– نفسه، ص.146.

[5]– عبد كريم. الصفاقسي، المقال السابق، ص.6.

[6]– أحمد.تيمور بك، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ط1، القاهرة، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، (1968)، ص.364.

[7]– عبد الحميد.ساحلي، أصول الفكرة الإصلاحية من خلال الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية(1903- 1925)، جامعة الجزائر، كلية الآداب و اللغات، قسم علوم الإعلام و الإتصال، (2000 – 2001)، ص.60

الهامة عن الجزائر و مناقشات البرلمان الفرنسي، و مشاريع بعض الأحزاب الفرنسية وسياساتها كالحزب الليبرالي الفرنسي [1].

هادفا إلى الإطلاع السريع على مستجدات الأحداث، و لإيجاد الحلول للمشاكل والعالقة أو التخطيط المنظم للمشاريع المؤجلة وهذا التواصل يؤكد تمسكه بتعاليم الإسلام السمحة وتفتحه على العالم بمختلف تطوراته السياسية والعلمية والحضاري [2]

كما كان الأمير لا يتردد في حضور مجلس عائلي أو اجتماعي أو حتى سياسي مما أكسبه خبرة، و تجربة، في التعامل مع الآخرين، و في التحاور معهم [3] حين كان **والده** قد عوده على اصطحابه، في الرحلات و الزيارات الرسمية للبايات ولقبائل الصحراء [4].

فتعلم الإصغاء الجيد للجميع بكل صبر و خلق عظيم [5] و لأن الحوار أوصى عليه الإسلام و اتصف به الرسول ρ لقوله تعالى: (فقال لصاحبه و هو يحاوره أنا أكثر منك مالا و أعز تفرا) [6] و أيضا: (قال له صاحبه و هو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) [7].

و لهذا اقتدى الأمير بالرسول ρ والأنبياء الصالحين لما في هذا الأمر من خير كبير و قد بدء الأمير الحوار مع والده عندما اقترح عليه البيعة و قبلها يوم (22 نوفمبر 1832م/ 1248هـ) حوار مبايعة بأن وعدهم بأن يأخذ بالقرآن قانونا لدولته معلنا الجهاد [8] ثم حاور الأمير زوجته كما فعل الرسول ρ تماما عندما دخل على خديجة يخبرها و يخبرها عما سيلاقيه و لها أن تختار بين حياة هادئة

---

[1]– تشارل هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.114.

[2]– عبد الحميد.ساحلي، المرجع السابق، ص.58.

[3]- عبد الحميد شعابنة،« الأمير عبد القادر » ، المقال السابق، ص.28.

[4]– المرجع السابق، ص.58.

[5]– نفسه، ص.63.

[6]– سورة الكهف، الآية رقم: 34.

[7]– سورة الكهف، الآية رقم: 37.

[8]– محمد.طاهر.عزوزي،« حوار الأمير عبد القادر في فترة الجهاد بالجزائر » ، في: أعمال ملتقى الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، الجزائر، دار الحكمة، (2001)، ص.80.

أو حياة متعبة رفقة زوج مأمور لإعلاء كلمة الله. فقال عبد القادر لزوجته:« إذ أردت أن تبقي معي من غير التفات إلى طلب حقك فأمرك بيدك لأني قد تحملت ما يشغلني عنك »[1].

كما تدل هذه الإلتفاتة في نفس الوقت على قوة شخصية الأمير و مدى ثقته بالله عز وجل و بنفسه و بسمو المشروع الذي أقدم عليه و اقتدى بالسلف الصالح من الأنبياء ممن أعطى حق الزوجة أثناء التفرغ لعبادة الجهاد بحوار تميزه الصراحة والوضوح، و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان و بالفعل أكدت له زوجته أنها شريكته في الجهاد كما أنها شريكته في الحياة [2] .

ثم تطورت مراحل الحوار عند الأمير إلى ربط صلات بأهم قادة العالم من خلال رسائل كثيرة آلت إلى صلات دولية واسعة مكثفة و متعددة و متنوعة مع كثير من ساسة العالم و قادته في كل الميادين الحربية و الدبلوماسية و الفكرية [3].

اختار فيها الأمير لكل واحد منهم طريقة لتبليغه و مخاطبته بما يفهم [4] و منهم أحد مُعارضيه ابن نونة الذي حاوره في إبقاء الكراغلة في تلمسان تحت سلطة الأمير[5].

كما حاور الأمير بجدارة القائد الفرنسي ديميشال بخصوص الأسرى و قادت هذه المغامرة إلى معاهدة سلام [6] و يذكر محمد طاهر بن عزوز « أن هذا الحوار أثبت أن ديمشال كان في حالة ضعف و الأمير في أحسن حـال و لـذلك تـواصلت بينهما المكاتبات» [7] و وسّط بن دوران[8] تمهيدا لاتفاقية تافنة، التي حررت في (1253هـ/ 30 ماي 1837م).

---

[1]– أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.156. أنظر: الملحق رقم: 15.

[2]– نفسه، ص.156.

[3]– يحيى.بوعزيز، و دوميكيل دوإيبالزا، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليلة، ط1، الجزائر، دار البعث،(1982)، ص.9.

[4]– نقلا عن:عبد الحميد.ساحلي، المرجع السابق، ص.61.

[5]– محمد الطاهر.عزوزي،« حوار الأمير عبد القادر في فترة الجهاد بالجزائر » ، المقال السابق، ص.81.

[6]– معاهدة ديمشال: حيث تبادل الوثيقتين في: (1850هـ/ 25 فيفري 1934م)، و أخرجت للوجود في:(1250هـ/26 فيفري1834م).

[7]– محمد.الطاهر عزوزي، المقال السابق، ص.84.

[8]– بن دوران: يهودي نصبه الأمير للوساطة في مدينة الجزائر. راجع: هنري تشرشل ، مصدر سابق، ص.109.

كما حاور الأمير أسقف مدينة الجزائر، و عاتبه عندما سعى لديه لإطلاق سراح بعض الأسرى المسيحيين دون غيرهم، و لامه على هذا التحيز و تلك العنصرية العرقية [1] و أثبت هذا الحوار ما يتمتع به الأمير، من إحساس و رحمة، تدُل على تعاطفه مع الأسرى، و الدليل كان إرساله، قطيعا من الماعز لإعالة عائلاتهم [2] و في هذا الإخطار اعتذر برسالة خطية نتيجة لفعل صهره غير الإنساني بأسرى معركة سيدي ابراهيم موجها إياها للملك لويس فليب [3].

و كذلك حاور سلطان مغرب، عند بداية إمارته معلنا عدم رغبته في الإمارة و حتى عندما اهتزت علاقته الودية بسلطان المغرب، لم يشأ الأمير أن يسلبه حكمه مع أن القبائل المغربية قد منحت الفرصة للأمير [4] على طبق من ذهب و قد لا نحصى عدد الرسائل التي بعث بها الأمير لرؤساء الدول الأوربية، ولقاب الدولة العثمانية[5].

وفي آخر محطات جهاده حاور الفرنسيين، و خانوه بعدم نقله إلى بقاع إسلامية كما طلب.

ورفض كذلك محاورا عرضهم لبقائه فيها قائلا: « إني لا أقبل هذا و لو فرشت لي سهول فرنسا و مسالكها بالديباج».

و حاور بعد فتنة الشام الدروز، والعالم المسيحي كله، بعد حواره الإنساني التاريخي لم يكتف الأمير بالحوار السياسي و الإنساني، بل حاور منذ صغره علماء المسلمين وعلماء الغرب، و يعد بحق هذا الجانب دليل على عظمته الفكرية [6].

فقد حاور الأمير العلماء الذين درس عليهم، كوجيه الدين عبد الرحمن الكزبري، الذي درس عليه علم الحديث، والشيخ ضياء الدين خالد الشهرزوري، كما حاور أمير

---

[1]– يحيى.بوعزيز،« الأمير عبد القادر و الحوار في خدمة الإنسانية » ، في: أعمال ملتقى الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، الجزائر، دار الحكمة، (2001)، ص.147.

[2]– محمد الطاهر.عزوزي،« حوار الأمير عبد القادر في فترة الجهاد بالجزائر » ، المقال السابق، ص.89.

[3]– المقال نفسه، ص.89. راجع كذلك: تشارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.ص، 235- 237.

[4]- للمزيد من التفاصيل راجع: المقال نفسه، ص.ص، 91-93.

[5]– راجع : محمد طاهر عزوزي، المقال السابق، ص.ص، 93-94.

[6]– شعبان عبد العزيز.خليفة،« الأمير عبد القادر الجزائري و حواره مع علماء المسلمين» ، في: أعمال ملتقى الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، الجزائر، دار الحكمة، (2001)، ص.175.

علماء آخرين أخذ عنهم الطرق الصوفية، أو علما نافعا كشيخه محمد بن مسعود الفاسي[1] ولشيخ محمد الحراق التطواني[2] حاور الأمير عن طريق الأخذ والرد محمد عبده[3] وتبادل معه المعارف، و كذلك مع الإمام شامل [4] و في دمشق وجـد عددا من العلماء الذين اندمج معهم كعبد الرزاق البيطار، ومحمد الخاني، ومحمد الطنطاوي، ومحمود أفندي مفتي دمشق، و عبد الغني الرافعي و غيرهم.

كما استفتى الأمير فاتحا باب الحوار بخصوص الجهاد مع العالم أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي، و مع قاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله الحسني وكذلك مع الشيخ محمد عليش، بخصوص فتاوي أثبتت عدم العلاقة في اتخاذ قرارات الحرب. كما استفتى في أمور فقهية و دينية، فبخصوص الرؤيا سأل العـالم إبراهيـم

---

[1]– محمد بن مسعود الفاسي: صاحب الأمير في مكة عام 1279هـ بعد أن ألتقاه في مصر، و قد ذكره الأمير في المواقف أنه قدم إليه إلى الحجاز و أنه منذ عشرين سنة كان في انتظاره و أعطاه الطريقة الشاذلية و فتح الله عليه فتحا عظيما. توفي بمكة عام 1289هـ . راجع: يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة براهيم عطوة عوض، بيروت، المكتبة الثقافية، (1999)، ج2، ص.372.

[2]– محمد.الحراق التطواني: (1188هـ - 1261هـ/ 1774م- 1845)، هو سليل عائلة شريفة ذات مجد اجتماعي و سياسي صعد نجمه في فاس حيث اضطلع بتدريس علوم الشريعة و العربية. أخذ الطريقة الشاذلية على يد الشيخ العربي الدرقاوي. راجع: عبد الباقي مفتاح، المقال السابق، ص.108.

[3]– محمد عبده: (1323/1266هـ - 1905/1849م)، هو محمد عبدوه بن حسن خير الله أحد رجال الفكر الإسلامي النابغين في مصر في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت ولادته بقرية محلة مصر، من مديرية البحيرة نقلتهم الحروب إلى الشام، ثم إلى أرياف مصر تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، تخرج عام(1294هـ /1877م)، في جامعة الأزهر، من أتباع المفكر جمال الدين الافغاني الذي نادى بالصحوة العالمية للقوى الإسلامية، شارك في مناصرة الثورة العرابية فسجن ثم نفي إلى بلاد الشام (1299هـ/1881م)، اشتغل بالمحاماة كتب في جريدة الوقائع المصرية و أصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني، حين سافر إلى باريس جريدة العروة الوثقى، من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم، ورسالة التوحيد وهو عالم من علماء الأزهر، ومفتي الديار المصرية وممن دعوا إلى تجديد الفكر من قيود التقليد، فكان لأفكاره أثارا في النهضة الإسلامية. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 16، ص.ص، 101-102. وأيضا: محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي أشنوفي، تونس، الشركة الوطنية للتوزيع، (1978)، ج3، ص.ص، 265-269.

[4]- الإمام شامل الداغستاني: ولد بين: (1210هـ/1214هـ/ الموافق لـ 1795- 1799م) في داغستان ببلاد الشيشان. تربى تربية دينية إسلامية في الزاوية النقشبندية، بويع بالإمارة سنة: (1250هـ/ 1834م)، و أخذ لقب الخليفة، ولقب امير المؤمنين. كانت له تنظيمات أقوى من تنظيمات الأمير عبد القادر. اهتم بالعلم و الجهاد معًا نظرًا لكثرة الخيانات. اضطر للتفاوض مع الروس في 1837 لكن المفاوضات فشلت و أعادها سنة: (1255هـ/ 1839م)، يمنح أحد أبنائه كرهينة لكنهم خانوه بإختطافه و إرساله إلى قصر القيصر نيكولا الأول في:(1275هـ/ 1858م)، لجأ إلى قلعة فدنو و لم يبق معه إلا 400 مريد فأضطر للإستسلام في: (1276هـ/6 سبتمبر 1859م) و نفي إلى كالوغا (Kaloga) جنوب غرب موسكو حتى: (1286هـ/1869م) حيث سمح له بالذهاب للحجاز أين استقبله السلطان العثماني و رافقه الخديوي، إلى جدة و منح قصرا بالمدينة المنورة و اقترب من الأماكن المقدسة حيث توفي في: (1288هـ/ 4 فيفري 1871م) ودفن بالمدينة المنورة. - راجع المراجع التالية: - M. Canard, « Chamil et Abdelkader», in: Annales de l'institut d'Alger des orientales, Alger, T. XIV, 1956, p.p, 231- 256.

- أيضًا: بوعلام. بالسايح، «الأمير عبد القادر المغاربي و الإمام شاميل، الأسيوي رمزان بارزان للدفاع عن الاستقلال الوطني و الذود عن الإسلام»، في: محاضرات الموسم الثقافي، (1998- 1999)، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر،(1999)، ص.ص،133- 142.

الأحدب، ومصطفى الإمام، وعباس أفندي الإيراني، و ظاهر السمعدوني الشاذلي. بخصوص الكعبة المشرفة حيث استفتى شيخه محمد الفاسي.

2- العبقرية:

يجمع المطلعون على تاريخ الأمير عبد القادر على تصنيفه ضمن عظماء العالم الإسلامي. لما أظهره من عبقرية حربية نادرة لا تقل كذلك عن عبقريته السياسية [1].

و كذلك عن طريق استعماله، لكل أنواع المواجهة المشروعة، مع العدو حتى الاقتصادية منها. و كذلك في فلسفته الخاصة، في توجيه الدخل، و تأمين القوت[2] لضمان الاستمرارية لدولته الإسلامية، و بأمانته -صفة الأنبياء و خاصة محمد ρ- كان يلقب بالأمين، مما عزز ثقة الناس فيه أكثر مما سبق. بالإضافة إلى نعم الله عليه من كسب حب و احترام الناس، و وصله لصلة الرحم، بذكاء و حبه الظفر بالجمال والشاعرية، وقدرته الكبيرة على الحوار والإقناع و المناظرة، إذ أنه امتاز بمجالسة العلماء، والاستفادة من حديثهم وكسب أجر حضور حلقات العلم، فكان الأمير متواضعا متساميا زاهدًا في الدنيا لكنه يحترم الزمن فيها [3] و يقدره من أجل العمل مع الاتكال على الله وحده، والتمسك بالإيمان و العقيدة، والمحافظة على الروح الإنسانية فلا جدال في أن شخصية الأمير عبد القادر تتميز بعبقرية فذة في معالجة الأمور الدينية و الدنيوية على حد سواء فإذا عدنا إلى مساهمته في إثراء العلم استنادا إلى تغيير مواقفة الصوفية، وباقي أصوله المكتوبة نجدها مكسبا للعلم في العالم الإسلامي أجمع[4] كما تفرض نظرته للإيمان كذلك الإعجاب الشديد بأفكاره، لأنه كان يرى أن الإيمان الحقيقي هو الباطني المرتكز على حب الله وحده، وفهم الأبعاد الدينية والفكرية الروحية والنظر للشريعة في إطارها الواسع[5]. لا في إطارها الضيق.

---

[1]– الكولونيل.سكوت، مذكرات عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، (1841)، ترجمة إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1981)، ص.108.

[2]– أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.158.

[3]– أحمد. رويش، المرجع نفسه، ص.155.

[4]– إدريس.الجزائري،« شمولية شخصية الأمير و نظرته لمفاهيم عدة تفرض الإعجاب » ، في: مجلة مسالك، عدد2، جوان، جويلية، (1998)، ص.4.

[5]– المقال نفسه، ص.4.

جـ - التصوف:

قبل أن نباشر في عرضنا لتصوف الأمير عبد القادر الجزائري و العوامل المشكلة له و مراحله.

- يستوقفنا بقوة مصطلح التصوف، لنتوقف عنده قليلاً بغرض التعرف على معناه ومصدره و نشأته كعلم، رغم أنه من العسير ضبط تعريفه، بجميع ما كتب عنه و مع كل خصائصه ما يرضي كل المتصوفين لأن الصوفية أنفسهم قد عجزوا عن ضبط مفهومه.

- ناهيك عن غيرهم فحتى الآن كل ما قُدم لا يعدو إلا تعريفات جزئية غير كاملة لأن كل واحد منهم يرى التصوف من زاويته الخاصة. مع هذا سنحاول عرض بعض المفاهيم، و حيث نجد محاولة الأستاذ عبد الفتاح الغاوي في كتابه " التصوف عقيدة وسلوكا " حيث يصنف تلك المفاهيم حسب الزاوية التي ينظر منها كل صوفي لهذا الموضوع.

- فمنهم من جعل من الأخلاق ركيزة للتصوف في معنى أنهم أهل (الصفة)، مثل من اتصفوا بالمجاهدة و المحاسن[1] ليستعين برأي الكتاني[2] الذي قال: « خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء» [3] .
و كذلك القصاب[4] بقوله أن التصوف: « أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام». و آخرون « أنه دخول في كل خلق سني و الخروج من كل خلق دني» [5] في معنى أن من صفت أسراره بقيت آثاره[6]. يراه البعض معرفة مثل أبي

---

[1]– محمد.بن عبد الكريم.الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، ط1، الجزائر، دار هومة، (1997)، ص.8.

[2]- الكتاني: هو أبو بكر محمد بن جعفر الكتاني، صاحب كتاب الجند النوري أقام بمكة و مات بها سنة (322هـ/933م).

[3]– عبد الفتاح أحمد.الغاوي، التصوف عقيدة و سلوكا، مرجع سابق، ص.8.

[4]– القصاب: هو شيخ الجنيد.

[5]- عبد الفتاح أحمد.الغاوي، المرجع السابق، ص.9.

سعيد أحمد بن عيسى الخزار[1] حيث يقول أن « الصوفي من صفى ربه فامتلأ قلبه نورًا»[2] في حين يراه آخرون قائما على مبدأ الزهد كقولة سمنون المحب[3]: « التصوف ألاّ تملك شيئا». و قول آخر أنه« التمسك بالفقر و الافتقار و التخفف بالذل والإيثار و ترك التعرض و الإختيار»[4].

و ما نلاحظه على هذه التفسيرات أنها تقوم على صفات النفس و لا تجعل من المظهر كاللباس أساسًا للتصوف كما سنرى عند البعض حيث يرجعها إلى اشتقاق كلمة التصوف، إلى عدة معاني ألف فيها عبد القادر البغدادي كتابًا جمع فيه أول قول حول مفهوم (الصوفي و التصوف) مرتبة على حروف المعجم[5].

فمنهم من نسبها إلى اسم التصوف الذي يعني الصوف أو لبس الصوف أو تقلد شعار الصوفية[6] و إن كان هذا لا يُعد دليل قطعيا على مصدر اشتقاق هذه الكلمة لأن الرسول ρ لبس الصوف و غير الصوف[7] و رحم الله إمرءا قال:« لو كانت التقوى بلبس الصوف لكان أتقى خلق الله الخروف »[8] و بينما ينسبها البعض إلى "صوفة" و هو اسم رجل كان قد انفرد بخدمة الله عند بيته الحرام بعد أن نذرته أمه لذلك[9] فانتسب إليه الصوفيون لتشابههم معه في الإنقطاع إلى الله[10] و ينسبه آخرون إلى الصفة وهي زاوية أقامها الرسول ρ خارج مسجد الصفاء بالمدينة يأوي إليها

---

(6)- محمد.بن عبد الكريم.الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، المرجع السابق، ص.9.

(1)- أبي سعيد أحمد بن عيسى الخزار: صحب ذا النون المصري و قيل أنه أول من تكلم عن الفناء.

(2)– عبد الفتاح الغاوي، المرجع السابق، ص.8.

(3)- سمنون المحب، هو سمنون بن حمزة من أهل البصرة. راجع: خير الدين الزركلي، الأعلام، خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس و تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، ط12، بيروت، دار العلم للملايين، فبراير، (1997)، ج3، ص.140.

(4)– محمد بن عبد الكريم الجزائري، المرجع السابق، ص.9.

(5)– عبدالفتاح الغاوي، المرجع السابق، ص.18.

(6)- حسن الشيخ.الفاتح.الشيخ قريب الله، في الزهد و التصوف، ط1، بيروت، دار الجيل، (1991)، ص.51.

(7)– عبد الفتاح.الغاوي، التصوف عقيدة و سلوكًا، المرجع السابق، ص.12.

(8)– محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص.21.

(9)– صوفة: إسمه الغوث بن مُرّا الملقب بصوفة.

(10)– المرجع نفسه، ص.14.

فقراء المسلمين خاصة المهاجرون[1] و لهذا يسمى هؤلاء بأهل الصفة و هم الفقرا والزهاد و كانوا يسمون كذلك بالغرباء لأنهم يسكنون صفة المسجد أي فنائه الملحق به[2].

كما نجد محمد بن عبد الكريم الجزائري قد لخص إلى حد ما ذكرناه سابقًا مقسمًا معنى التصوف إلى ثلاثة معاني، معنى لغوي و معنى فني و معنى معرفي.

أما المعنى اللغوي فمعناه تكلف لبس الصوف.

و المعنى الفني فهو علم مدون تُعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس شرعًا و عقلاً كعيب الحسد و الحقد و الرياء و التقرب إلى الأغنياء و الحكام و التجافي عن الفقراء و العلماء.

أما عن المعنى المعرفي فهو التخلق بأخلاق الصوفية و الإقتداء بهم في الأقوال والأفعال و المقاصد[3].

1- ظهور التصوف:

أما عن ظهور التصوف، فالشائع أنه ظهر في القرن الثاني الهجري لكنه انتشر في القرن الثالث[4] بدليل أن المعروف لدى الباحثين في حقل التصوف الإسلامي، أن أقدم المؤلفات الصوفية يرجع إلى القرن الثالث الهجري، و بالتالي نشأة التصوف تكون حتمًا قد سبقت هذا التاريخ بزمن ليس بالقليل. خاصة و أن هذا العصر كان عصر بداية الإزدهار و نضج التصوف الإسلامي[5].

و هو نفسه العصر الذي عبد فيه الهوى، و انحرف الناس عن آداب الإسلام، و جنح الأمراء، و ولاة الأمور، إلى العتو، و مال الجميع إلى مفاتن الملذات.

و كأن المتصوفة هم من أنقذوا الضالين الحيارى و شدُوا من عزائم الأخيار وأصلحوا كثيرًا من الأشرار و دفعوا بهم إلى الاستقامة و قاوموا سُلطة الطغاة[6] .

---

[1]– سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام، دراسة و تحليل، ط.4،بيروت،الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العلمي،ص.14

[2]– عبد الفتاح أحمد الغاوي، المرجع السابق، ص.15.

[3]– محمد بن عبد الكريم الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، مرجع سابق، ص.17

[4]– جواد المرابط، التصوف و الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، دمشق، دار اليقظة العربية، (1966)، ص.53.

[5]– محمد. عبد الله الشرقاوي، الصوفية و العقل، ط1، بيروت، مكتبة الزهراء، دار الجيل، (1995)، ص.18.

[6]– جواد.المرابط، المرجع السابق، ص.53.

إذن نستنتج أن الحياة الروحية أو التصوف في نشأته استجابة لإنعاش القرآن الكريم للتقيظ الفطري في الإنسان، فالقرآن الكريم أثار حماسًا كبيرًا عند نفر من المؤمنين نما مواهبهم و غدى مكاسبهم[1] [و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودًا] [2].

2- قواعده:

يبنى التصوف على قواعد أساسية يراها البعض عشرة[3] أو البعض الآخر يراها أقل من ذلك، في حين نجدها واحدة تصب معانيها في معنى واحد، سنحاول أن نعرض له في القواعد التالية:

القاعدة الأولى: هي صفاء النفس و محاسبتها أو معناه أن كل من يريد أن يكون متصوفًا فعليه أن يبدأ بمحاسبة نفسه قبل أن يحاسبه الله[4] . وكذلك في قوله عز وجل:« لا أقسم بيوم القيامة و لا أقسم بالنفس اللوامة »[5].

أما القاعدة الثانية: فهي قصد وجه، الله بأن يقصد المتصوف وجه ربه في جميع أقواله و أفعاله غاسلاً قلبه بماء الإخلاص[6] مصداقًا لقوله تعالى:[و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه][7]. و يراد من هذا التوجه لله بالدعاء ثم التوبة النصوح لقوله تعالى:« و توبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم

---

[1]– محمد. عبد الله الشرقاوي، الصوفية و العقل، مرجع سابق، ص.21.

[2]– سورة الإسراء، الآية 79.

[3]– أركان التصوف: عشرة، أولها تجريد التوحيد، ثم فهم السماع، و حسن العشرة، و إيثار الإيثار، و ترك الأخيار و سرعة الوجد و الكشف عن الخواطر و كثرة الأسفار، و ترك الإكتساب و تحريم الإدخار. و معنى تجريد التوحيد أن لا يشوبه خاطر تشبيه أو تعطيل و فهم السماع أن يسمع بحاله لا بالعلم فقط. و إيثار الإيثار على أن يؤثر على نفسه غيره بالإيثار ليكون فضل الإيثار لغيره و سرعة الوجد أن لا يكون فارغ السر الوجد. و لا ممتلء السرّ مما يمنع من سماع زواجر الحق و الكشف عن الخواطر. و أن يبحث عن كل ما يخطر على سرّه فيتابع ما للحق و يدع ما ليس له و كثرة الأسفار لشهود الإعتبار في الافاق و الأقطار. و ترك الإكتساب لمطالبة النُفوس بالتوكل و تحريم الإدخار في حاله لا في واجب العلم. راجع: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، (1999)، ص.48.

[4]– عدنان حقي، الصوفية و التصوف، قدم له الشيخ محمد كريم راجح، ط2، دمشق، ص.39.

[5]– سورة القيامة الأية رقم: 75.

[6]– عدنان. حقي، الصوفية و التصوف، المرجع السابق، ص39.

[7]– سورة الليل، الأية رقم: 19-20.

تفلحون»[1] بتحسين النية في القول و الفعل:« و ما أمروا إلا ليعبدوا الله له الدين حنفاء »[2].

و القاعدة الثالثة: فهي للزهد في الدنيا و معناه القناعة في متاعها عزوفا بالنفس عما يلهيها فالتقشف، هو دليل على قطع حبل الوصال بين العبد و الشيطان و تتهيأ بالنفس لعبادة خالصة[3]. و قوله تعالى:(يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) [4].

أما **القاعدة الرابعة**: فهي توطين القلب على الرحمة و المحبة. و معناه أن كل صوفي ملازم بمحبة كل المسلمين بعضهم بعض حق للإسلام من التعظيم و التوفير[5] [و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين] [6] فهي محبة للمؤمنين[7] و قوله تعالى في هذا الأمر:[ثم كان من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و تواصوا بلمرحمة][8] و في مضمون قول لأبي بكر الصديق:« لا تحقر أحدًا من المسلمين فإن حقير المسلمين عند الله كبير».

القاعدة الخامسة: و هي التجمل بالأخلاق التي بعث بها الله نبيه ρ لإتمامها و هذه القاعدة تُعد زبدة الدين و حقيقة أخلاق الصوفي لقوله تعالى: (قولوا للناس حسنًا) [9].

عدا هذه الأركان نجد أبي عبد الرحمن السلمي في كتابه المقدمة في التصوف يلخص هذه الأركان في شرائط فيقول:« شرائط التصوف ما كان عليه المشايخ المتقدمون من الزهد في الدنيا و الاشتغال بالذكر و العبادة و الغنى عن الناس و القناعة و الرضى بالقليل من المطعوم و المشروب و الملبوس و رعاية الفقراء و ترك الشهوات و الزاهدة و الورع و قلة النوم والكلام و جمع الهمة و المراقبة و الوحشة من الخلق و الغربة.

---

[1]– سورة النور، الأية رقم: 31.

[2]– سورة البينة، الأية رقم: 4

[3]– عدنان. حقي، الصوفية و التصوف، المرجع السابق، ص39

[4]– سورة فاطر، آية رقم: 51.

[5]– المرجع نفسه، ص.41.

[6]- سورة الأنبياء، آية رقم: 107.

[7]– محمد.بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص.53.

[8]– سورة البلد، آية رقم: 17.

[9]– عدنان.حقي، المرجع السابق، ص.41.

و لقاء المشايخ و الأكل عند الحاجة و الكلام عند الضرورة و النوم على الغلبة و الجلوس في المساجد و لبس المرقعة و الرثّ فما كان على ذلك فالكتاب العزيز ناصف به رسول الله ρ شاهد بقوله»[1].

و للتصوف أيضا حالات:

الأولى: في حالة رجل طلب الرشد لما رأى من إقبال العامة على الطائفة فأحب ذلك و فرح بالرواق و الجمعية و الزي.

و الثانية: رجل طلب المشرد عن حسن ظن بالطائفة و أحبهم و أخذ يضم القلب كل ما نقل عنهم بالاعتقاد الصحيح النظيف.

و الثالثة: رجل بلغ من الطريق العوالي درجات و وقف عن الآية الكريمة[سنريهم آياتنا في الأفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد][2].

فتارة يرى نفسه بمشهد الآية التي أريت له فيغيب بها عمن أراه إياها، و ساعة يرى نفسه بمشهد الآية التي أريت له في نفسه فيغيب بها، و هذا المشهد مشهد إلا دلال (منه تحصل الشطحات و التجاوز).

الرابعة: رجل سلك الطريق مقتفيا آثار النبي ρ في كل قول و فعل و حال و خلق حاملاً راية العبودية فارشًا جبين الذل في الحضرة الربانية[3].

3- تصوف الأمير:

عرف عن الأمير عبد القادر تصوفه، الذي تطور عبر مراحل عدة كانت نتيجتها عدة أصول من تأليفه في هذا المضمون. الاّ أن عوامل تصوف الأمير لم تكن واحدة المنبع، بل كانت متعددة متنوعة.

---

[1]– أبي عبد الرحمن السُلمي، المقدمة في التصوف، تقديم و تحقيق دكتور يوسف زيدان، ط1، بيروت، دار الجيل،(1999)، ص.72.

[2]– سورة فصلت، آية رقم:53.

[3]– عدنان حقي، المرجع السابق، ص.42.

مال الأمير منذُ صغره ميلاً داخليًا للتصوف، و قد وجه هذا الميل و زاده عائلة الأمير، و على رأسها والده الذي كان صوفيًا من أتباع القادرية [1].

و التي كان لها تأثير في تربيته الدينية في عصر لأهم ما يقال عنه أنه عصر تصوف [2].

حيث أصبح سائدًا أن اتخاذ شيخ مرب [3] عارف [4] أمر ضروري. و لهذا كانت هذه التوجيهات الروحية تنضج في روح الأمير شيئًا فشيئا [5] و لم يكن ذلك الورع الذي أخذ منه الأمير في زاوية القبطنة [6] و ذاك الزهد الاّ اقتناع من عائلة الأمير « بأن الدنيا دار غرور و لا ينبغي الإرتباط بها إلاّ بالقدر الكافي الذي يضمن سعادة الآخرة» [7].

و لهذا عمل محي الدين، على تربية ابنه تربية دينية علمية صوفية، و تأهيله ليستخلفه في منصبه، مكملاً بذلك رغبة في نفس عبد القادر بأن يكون مرابطًا [8].

كما أن في انتساب الأمير إلى الدوحة النبوية المباركة تشجيع آخر بنى الأمير عليه تصوفه، كأرضية لمطالعاته الكثيرة، و التي سنتعرض إليها بعد قليل.

---

[1]– القادرية: من أتباع عبد القادر الجيلاني.

[2]– رابح.بونار، « الأمير عبد القادر حياته و أدبه »، المفال السابق، ص.15.

[3]– شيخ: هو أساس الطريقة في التصوف و ما تفرقت الطرق الاّ تبعًا للشيخ، و تسمى كل باسم مشايخها و مؤسسيها فلا تصوف دون مشيخه و يقول عبد القادر الجيلاني حول المشيخة أن « من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبدًا »، و الشيخ عندهم فوق أنه شخص يجب أن يسلم المريد نفسه إليه فهو معني يجب أن يتمثله المريد و يطبع نفسه عليه و بدون ذلك لا يكون المريد صادقا في سلوكه و لا مخلصا في طريقه، و لن يظفر بالوصول، مهما أفرغ جهده في العبادات، و بذل وسعه في الطاعات. أنظر: عبد الفتاح.أحمد الغاوي، التصوف عقيدة و سلوكا، المرجع السابق ، ص.178. من أجل التعرف على آداب المريد مع شيخه راجع: المرجع نفسه، ص.186- 176.

[4]– عارف: العابد يعبده بالحال و العارف يعبده في الحال، العارف عند الصوفية وهو من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود، راجع: أنور فؤاد أبي حزم، معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة جورج عبد المسيح، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون،(1993)، ص.591، و أيضا راجع: كمال عبد الرزاق الفاشاني، إصطلاحات الصوفية، مصر، الهيئة المصرية للكتاب، 1981، ص.106.

[5]–عبد الرازق.بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ط.1، الكويت، مؤسسة جائزة. عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (2000)، ص.152.

[6]– عبد القادر.بن حراث، المرجع السابق، ص.16.

[7]– أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.19.

[8]- عبد الرازق.بن السبع، المرجع السابق، ص.152.

و نجد الأمير يفسر هذه الآية الكريمة [1] و التي تقول:(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرًا) [2] و معنى ذلك أن الله يعنى عناية هامة بأهل البيت النبوي لأنهم أهل خير.

فمن منطلق النسب الشريف اعتمد الأمير منابع تصوفه من القرآن و السنة، ثم من كتب القوم المتصوفة. و يقول الأمير بنفسه عن هذا الاهتمام المبكر: « كنت مغرمًا بمطالعة كتب القوم منذ الصبا غير سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم و أكابرهم يقوم منها شعري و تنقض منها نفسي » [3].

كان اتجاه الأمير منذ البداية صوفي علمي بتمحيص كل ما يقرأ فيأخذ ما يراه نافعًا و يكتفي بقراءة ما يراه خطأ أو خروجًا عن حمى و حدود المعقول و هو الذي تربى على مطالعات صوفية منها كتاب والده إرشاد المريدين، و منظومة جد جده المختار التي شرحها الإمام اليوس [4] و على هذا النحو تأثر الأمير بمجموعة من المتصوفة خاصة بعد استقراره في دمشق أين أتيح له مطالعة و دراسة كتب الشيخ الأكبر و هي تُعد بالمئات و التي لم يطلع عليها من قبل و كلما ازداد عكوفًا عليها الاّ و ازداد بها شغفا[5]. و ازدادت العلاقة بينه و بين شيخه رسوخًا. فهو يرى أن كتاب (التجليات) لابن عربي[6] غاية في الأهمية «لو كتب بماء العيون كان قليلاً في حقه» [7].

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج2، ص.104، (موقف 276).

[2]– الآية الأحزاب، رقم:33.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص.46 ،(موقف 13).

[4]–عبد الباقي.مفتاح، « الأمير عبد القادر الجزائري مع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي »، في: مجلة مسالك،العدد رقم 5 ص.22.

[5]– المقال نفسه، ص.22.

[6] إبن عربي: هو الشيخ الأكبر إبن العربي (560- 638هـ/ 1165- 1340م): هو محمد بن علي بن محمد إبن العربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين إبن عربي الملقب بالشيخ الأكبر نسبته إلى حاتم الطائي فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم ولد في مرسية بالأندلس و إنتقل إلى إشبلية و قام برحلة فزار الشام و بلاد الروم و العراق و الحجاز أنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صوفية صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا وإستقر في دمشق فتوفى بها. له نحو أربعمائة كتاب و رسالة منها (الفتوحات المكية) عشر مجلدات في التصوف و علم النفس و(محاضرة الأبرار) و مسامرة الأخبار في الأدب مجلدان و (ديوان شعر) و كتاب (فصوص الحكم) و (مفاتيح الغيب) لمزيد من المعلومات حول كتب إبن عربي. - راجع: محمد عبد القادر بمطرف، جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن و قبائلهم، ط.4، صنعاء، الهيئة العامة للكتاب، (1998) ص.ص، 534- 535. راجع أيضا: جان شوفليي، التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق، (1999)، ص.ص 60-66.

[7]- عبد الباقي.مفتاح، المقال السابق، ص.22.

و ليس هذا الرأي بالغريب عن موقف الأمير من شيخه فهو لطالما نوه به مشيدًا بأصوله حيث يقول:« فإنه خزانتنا التي منها نستفيد ما نكتب إما من روحانيته و إما مما متبه في الكتب » [1].

و لا بد من أن هذه الآراء لم يحصل عليها الأمير قناعة، الاّ بعد جهد جهيد ودراسة مفصلة، لكل مؤلفاته كالفتوحات المكية، و فصوص الحكم، و التي عـنى بها الأمير طويلاً حتى احتوى كل أبعادها و ألغازها، وذلك من خلال ما قدمه الأمير من شروح لفصوص الحكم، مؤكدا من أنه فهمها فهمًا دقيقًا [2] و دافع عنه و نفى عنه كتبًا تنسب إليه.

كما ورد على ما كتبه ابن تيمية من هجوم على الإمام محي الدين بن عربي قائلاً:« و احذر أن ترميني بحلول أو اتحاد أو امتزاج أو نحو ذلك فإني بريئ من ميع ذلك ومن كل ما يخالف كتاب الله و سنة رسوله، و أعلم أني قد فهمت ما فهمت أنت وزدت عليه » [3].

كما تأثر الأمير بفكر عبد القادر الجيلاني، كيف لا ، و أسلافه كانوا شيوخًا للطريقة، القادرية، المنسوبة لإمام التصوف في القرن السادس الشيخ عبد القادر الجيلاني، توفي أستاذ قطب التربية الروحية في المغرب العربي في عصره الشيخ أبي مدين (589هـ/1193م). الذي كان كذلك من ورثة الطريقة الحاتمية (أي طريقة محي الدين بن عربي و قد أجازه فيها الصُوفي محمد مرتضى الزبيدي في مصر) ت:(1205هـ/1791م) [4].

و زاد من هذا التأثير رحلته الدينية، و التي كانت في روح ذاك الزمان برهانًا كبيرًا على التدين المفرط الذي يدل على ميل الأمير للروحيات أكثر من الماديات [5].

---

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج3، ص.1337 (موقف 367). راجع كذلك: أحمد ملاح، المرجع السابق، ص.25.

[2]– أحمد.ملاح، المرجع نفسه، ص.26.

[3]– الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج2، ص.296، (موقف 284).

[4]– عبد الباقي.مفتاح، المفال السابق، ص.22.

[5]– عبد القادر.بن حرات، أغراض ديوان الأمير عبد القادر،رسالة ماجستير، ديبلوم الدراسات العربية العليا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، (1966)، ص.33.

هذه الرحلة التي توقف فيها الأمير في بغداد لزيارة قبر الشيخ الولي عبد القادر الجيلاني، حيث أُخذ عليه العهد من الشيخ محمود القادري نقيب الأشراف ببغداد وطلب منه جواز نشر الطريقة القادرية بالجزائر بعد عودته [1] .

وقد كانت هذه الطريقة بالفعل هي إحدى عوامل عبقريته الحربية إذ جعلت منه القائد الصوفي العظيم،الذي نهج نهج أسياده العارفين، الذين قادوا حركات الإصلاح[2]

و لعل أوجه تأثير ابن عربي بالذات في الأمير تكمن حتى في مفهوم التصوف نفسه و الذي استوحاه الأمير من محي الدين بن عربي و هو الحافز الأول في رفع همته لمقابلة العدو « بالنظر نحو المواقف الداخلية بالبناء المتكامل عسكريًا و اقتصاديًا وفكريًا أثناء حكمه و جهاده » [3].

كما تأثر الأمير بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي و كان تصوفه بذلك قريبًا منه فنقل منه و دافع عنه حين علق على قول الغزالي المشهور:« ليس في الإمكان أبدع مما كان» بأن قال:« أنه لا إعتزال فيه و لا فلسفة » [4]. وتكتمل صورة هذا التأثير في كتاب الأمير، ذكرى العاقل و تنبيه الغافل في بيانه للعلم و أقسامه [5].

وهو يرى في طريقة الصوفية زبدة الفكر الإسلامي. يُنصح بإتباعه لأنه لا سُبل إلى معرفة الله إلاّ بها [6].

كما تأثر الأمير بالغزالي، في اكتسابه لمنهج المنطلق العلمي في كتابه ذكرى العاقل. و منه الأسلوب العلمي في تسيير دولته، و تشجيعه للعلم و حسن الاستفادة من تجارب الغير، في التسليح و الاقتصاد لمواصلة الجهاد. و يظهر هذا في إعجابه مثلاً بتسليح الأوروبيين [7].

---

[1]– زكية.عبد الرحيم، « الفكر الصوفي عند الأمير »، في: ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرون، من 26 أوت إلى 1 سبتمبر (1987)، معسكر، (عمل غير منشور)، ص.3.

[2]– زكية. عبد الرحيم، « الفكر الصوفي عند الأمير »، المقال السابق، ص.4.

[3]– المقال نفسه ، ص.7.

[4]– عبد القادر الجزائري.الحسني، المواقف، ج2، ص.501، (موقف 226).

[5]– الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، تحقيق ممدوح حقي، بيروت، دار اليقضة العربية، (1976)، ص.ص، 32، 33.

[6]– زكية.عبد الرحيم، المقال السابق، ص.5.

[7]– عمار.طالبي، « الأمير عبد القادر والتصوف »، في: مجلة الثقافة، عدد 75، ماي، جوان، (1983)، ص.261.

و المتبع لخطوات الأمير في المجال الصوفي يمكنه تقسيم مسيرته الروحية إلى ثلاث مراحل على حد تعبير السيد عبد الباقي مفتاح:« باستعمال اصطلاح القوم نقول أنا أولاً التعلق ثم ثانيا التخلف و ثالثًا التحقق » [1].

إن مسيرة الأمير الصوفية تبدأ من مرحلة التلقين إلى الفتوة و الرباط و هي التي تشكل مرحلته الأولى، مرحلة الإمارة و الجهاد من(1246هـ/1264هـ - 1830م/ 1848) [2].

كان الأمير في هذه الفترة متعلقا بالطريقة الصوفية محبًا لأهله، اكتسب تكوينًا نظريًا و تثقيفًا فكريًا مكنه من فهم المكتوبات الصوفية، برموزها و ألغازها، و إدراك عقلي ممتاز لحقائقها [3]، تعلق فيها الأمير بما قرأه أو رآه في رحلته الدينية رفقة والده لزيارة ضريح القطب الرباني عبد القادر الجيلاني، [4] وكل ذلك انعكس إجمالا على جهاده لعدوه و لنفسه.

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التخلف حيث خلوات [5] السجن و المجاهدة [*][6]. عندما اصطدم الأمير بالأسر فكان اللجوء الكامل لله عزّ و جّل في خلوة اقتنع فيها أن الذُل لا بد من أن يكون لله وحده بالصلاة و الخضوع و الدماء.

---

[1]– عبد الباقي.مفتاح، المقال السابق، ص.24.

[2]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.153.

[3]– المقال السابق، ص.24.

[4]- محمد.بلغراد، مقال السابق، ص.63.

[5]– خلوة: أساسها تحنث النبي (ص) قبل البعثة بغار حراء. راجع: عبد الفتاح أحمد الغاوي، التصوف عقيدة و سلوكا، المرجع السابق،ص.205.

و هي أيضا صفة أهل الصفوة و العزلة و لا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه و من حق العبد إذا آثر العزلة أن يفتقد باعتزاله عن الخلق سلامه الناس من شره و لا يقصد سلامته من شر، الخلق، فإن الأول من القسمين نتيجة إستصغار نفسه و الثاني شهود مزيته على الخلق، و من إستصغر نفسه فهو متواضع، و من رأى لنفسه، مزية على أحد فهو متكبر.

و هي أيضا سبيل لا بد له من التسبب إلى الطاعة لا بد له من المعرفة بحال نفسه و علامة ذلك استكشاف آفات النفس، و لا بد من مجالسة عالم بالله. و لا بد له من توبة نصوح و علامتها قطع أسباب الهوى و الزهد فيما كانت النفس راغبة فيه و لا بد من قرين صالح يؤازره على ذلك. و علامته معاونته على البر و التقوى و نهيه على الإثم و العدوان. راجع: أنور فؤاد أبي حزام، معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة، جورج عبد المسيح، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، (1993)، ص.ص. 331- 332

[*]– المجاهدة: هي قطم النفس عن مألوفها و حملها على خلاف أهويته و ضعها من الشهوات و أخذها بالمكابدات و تجرع المرارات وكثرة الأوراد و استدامه الصوم و النوافل من الصلوات مع الندم على المخالفات و نقلها عن قبيح العادات و الإجتهاد بتعويض النوم بالسهر و عن الشبع جوعًا و عن الرفاهية بؤسًا و أعلى مجاهدات المريد الزهد في الجاه الذي حصل من نتائج الطاعات، أي آخر مجاهداته. راجع: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص.829-830.

[6]- عبد الباقي.مفتاح، المقال السابق، ص.24.

هنا كانت ترد الواردات [1] عليه مبشرة فاستلهم منها الأمير جزءا من صبره بعد أن ضاقت عليه الأرجاء و تغير حاله فلم يجد عزاء غير الدُعاء في الخلوة [2] مع الكثير من التأمل و التفكير الروحاني الهادئ و العميق [3].

فبعد أن سلم أمره لربه راح يملأ وقته الموحش بالدراسة و المناقشة.

و كانت هذه المرحلة بالفعل حلقة وصل بين مراحل تصوفه الأخرى.

هنا التقى الأمير بمحمد الشاذلي القسنطيني « و يبدو أن الأمير عبد القادر تتلمذ عليه و تلقى عليه مبادئ الطريقة الشاذلية [*] [4] و أصولها و ناقشه في الموضوعات الصوفية[5] و ما أن استجاب الله لابتهالاته و صلواته و حقق وعده له بالنصر والحرية.

دخل الأمير مرحلة أخرى من التصوف هي مرحلة التحقق أو ما سماه هو بالفتح [6] المبين و الحصول على التمكين [7] و قد تواصلت هذه المرحلة على وفاته و تحولت فيها علاقته بالشيخ الأكبر من القول إلى الفعل [8] في مرحلة عمـرها ثـلاثين سـنة

---

[1]– الواردات: هي أهم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مخاطبة، و هي إختيار من الحضرة الإلهية و هو ما يرد على القلوب من معاني من غير تعلم العبد و تكون إما روحانية و إما نارية و هي الملكية و الشيطانية و الفرق بينهما الوارد الملكي و الشيطان. فالملكي يعقب بردًا ولذة و لا يترك ألمًا و لا يغير صورة و يخلق علمًا. و الشيطاني يعقب حيرة و كربًا و تخبطًا و ألمًا و ثقلا فالملكي لا يرى الاّ على روحانيتك و هي لا تتألم منه لأنه من جنس عالمها تستلذ به و إنما إنحرف المزاج لوروده على النفس و لأنه شغلها. و الوارد الشيطاني يعقبه ألم لأنه من الشيطان و لأنه وارد على القلب تزداد حرارته لأن الشيطان من مارج من نار. راجع: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص.ص- 1021- 1022.

[2]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.153.

[3]– المرجع نفسه، ص.154.

[*]– الشاذلية: أصول طريقتها خمسة أشياء، تقوى الله في السر و العلانية و أتباع السنة في الأقوال و الأفعال و الإعراض عن الخلق في الإقبال و الإدبار و الرضا عن الله تعالى في القليل و الكثير و الرجوع إلى الله في السراء و الضراء. راجع: أنور فؤاد أبي حزم، معجم المصطلحات الصوفية، المرجع السابق، ص.577.

[4] والجدير بالذكر أن الأمير عبد القادر تلقى كذلك أصول الطريقة النقشبندية والطريقة المولوية.

لمزيد من التفاصيل راجع: أحمد.تيمور بك، مرجع سابق، ص.364.

[5]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.154.

[6]– الفتح: هو ما انفتح على العبد من مقام الولاية و التجليات أنوار الأسماء الإلهية المبينة لصفات القلب و كمالاته المشار إليه بقوله تعالى: « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ». و هو ما انفتح على العبد من مقام الولاية و تجليات الأنوار و الأسماء الإلهية المعينة لصفات القلب وكمالاته و بأهل الفتح يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف و الأسرار و يجعلهم الله على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم لكل من يفتح عليه في شيئ من العلوم و المعارف. راجع: موسوعة مصطلحات التصوف، مرجع سابق، ص.ص، 702-703.

[7]– عبد الباقي.مفتاح، المقال السابق، ص.24.

[8]– المقال نفسه، ص.24.

قضاها الأمير في العبادة و الذكر [1]. كانت خلوة الأمير فارغة من الملذات الدنيوية مغلقة على العالم الخارجي مفتوحة على العالم الداخلي.

يكتفي فيها الأمير بحبة تمر و شربه ماء، بزاد روحاني آخر حيث كان يصوم شهر رمضان على الكعك و الزبيب [2] و لعل الوقت الكافي الذي أخذه عبد القادر في حجة سنة و نصف أهله للدخول إلى الخلوة للفتح العظيم إبان خلوته في البقاع المقدسة(1272هـ/1280هـ - 1863م/1864م).
بعد أن بشره بهذا الفتح العارف بالله الأستاذ محمد الفاسي، تبيح الطريقة الشاذلية و في الحج ارتقى الأمير إلى معارج الأسرار [3] في غار حراء و استظهر من القرآن آيات و من الحديث صحيحه فمدح شاكرًا شيخه على بشارة الخير [4].
لم يكن إذن تخلي الأمير عن الكفاح المسلح نهاية لتصوفه بل بداية له. بداية ترفض كل أشكال الركون وتعبر عن عزيمة مُقاومة، رغم هذا لم يتوقف الأمير كولي عن القيام بواجبه كمسلح، بل راح يفرج كروب الأمة برحمة أفرادها [5] بعد أن أصبح كل همه روحانياته و الطرق المؤدية إلى الله.

و يقول الأمير عن هذه الخلوة واصفًا ما حدث له فيها:« دخلت مرة خلوة فعندما دخلت انكسرت نفسي و ضاقت بالأرجاء و فقدت قلبي و إذا المعرفة نكرة و الإنس وحشة و المطايبة مشاغبة و المسامرة مناكرة. فكان ناري ليلاً و ليلي ويحا و ويلا و مكن الشيطان بالتمريج و التخليط فلم يسبق معي من أنواع الصلات الاّ الصلاة و في أثناء هذا الابتلاء رأيت

---

[1]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.154.

[2]– أحمد.تيمور بك، المرجع السابق، ص.364.

[3]– معارج: معراج: عبارة عن القرب. فمعراج الأنبياء يكون من وجه الإظهار بالشخص و معراج الأولياء يكون من وجه الهمة والأسرار و أجساد الأنبياء في الصفاء و الطهر و القربة مثل قلوب الأولياء و أسرارهم و هذا فضل ظاهر و يكون ذلك بأن يجعل الولي مغلوبا في حالة حتى السكر، عندئذ يغيب عنه سرّه في الدرجات و يزيد بقرب الحق. راجع: معجم مصطلحات التصوف، ص.904.

[4]– عبد الرازق.بن سبع، المرجع السابق، ص155.

[5]– جواد مرابط، المرجع السابق، ص.54.

رسول ρ مع جماعة و إني آخذ بطرفي سبحة كانت في يده و دفعها إلى وقال " و الدعاء " فعرفت أنه يريد ني مشتغلا بالذكر و الدعاء» [1].

4- الشطحات الصوفية:

أما فيما يخص الشطحات الصوفية [2] بانقطاع الأمير في غار حراء و ما هو معروف منها الصوفية بعد استقرار الأمير في المدينة المنورة حيث أنه استأجر بيتا في أول يوم من (رجب 1280هـ الموافق لـ 12 ديسمبر 1863م).

و طلب بعدها خلوة له فمنحه صديق محل بجدار المسجد هو في الأصل بيت لسيدنا أبو بكر الصديق فانقطع الأمير في ذلك المحل و اختلى فيه بنفسه فقويت فيه معارفه [3] و يقول الأمير عن ذلك الذي حدث له هناك:« كنت ثالث ليلة رمضان متوجها للروضة الشريفة فحصل لي حال و بكاء. فألقى الله تعالى في قلبي أنه عليه الصلاة والسلام- يقول لي أبشر بفتح... و كنت أذكر الله تعالى فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتي و صارت ذاتا واحدة أنظر إلى ذاتي فأرى ذاته الشريفة ذاتي فقمت فزعًا مرعوبًا فرحًا فتوضأت و دخلت المسجد للسلام عليه ρ» [4]. و في عودته للخلوة يقول مواصلاً عما حدث له «فأخذني الحق تعالى عن نفسي و عن العالم ثم ردني بعد أن ألقى إلي قوله:(الآن جئت بالحق) [5].

فعلمت أن الإلقاء تصديق للرؤيا تم بعد يوم أخذني الحق تعالى عن نفسي كالعادة فسمعت قائلاً يقول لي:« أنظر ما أكنته حتى كنته» [6].

و عن رؤاه للرسول ρ يقول أنه في إحدى الليالي التي كان فيها في المدينة في صلاة الوتر قرب الحجرة الشريفة طرأ عليه حال و سالت دموعه.

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري ، المواقف، ج1، ص.471، (الموقف211).

[2]– الشطحات الصوفية: و هي ما وقع منهم في حال السكر و الغيبة بواردات الأحوال و السكر بسبب مباح يسقط التكليف في الشرع بالشرط بالمعروف في كتب الفقه. و إلى هذا المسلك الذي هو الاعتذار بالسكر. راجع: موسوعة مصطلحات التصوف، مرجع سابق، ص.498.

[3]– محمد.باشا، تحفة الزائر، مرجع سابق، ج2، ص.702.

[4]– الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج1، ص.ص، 47-48، (موقف 13).

[5]– سورة البقرة، الآية رقم 71.

[6]– الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج1، ص.،48، (موقف 13).

و اشتعلت بداخله نار المحبة [1] محبة الرسول ρ فقال لي في الحين«ألست تراني في كل شيئ» فحمدت الله أما فيما يخص تلقي الأمير للقرءان تلقى غيبي فهو أمر غير واضح و إما في مفهومه عن الصوفية.

و نحن نعلم أن الأمير قد استكمل حفظه للقرآن في سن مبكرة جدًا و ما هذا التلقي الاّ استذكار و استظهار لما يحفظه و يفهمه بكل جوارحه ونجد حالة مشابهة لما ذكرنا في الموقف الأول بالذات حيث يشرح الأمير الآية التي استظهرها:(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [2]. فيقول الأمير بهذا الخصوص:« إن الله تعالى قد عودني أنه معها أراد أن يأمرني أو ينهاني أو يسترني أو يحذرني أو يعلمني علمًا أو يفتنني في أمر إستفتيته فيه الاّ و يأخذني مني مع بقاء الرسم ثم يلفي إلى ما أراد بإثارة آية كريمة من القرآن ثم يردني إلي فأرجع بالآية قرير العين ملآن اليدين ثم يلهمني ما أراد بالآية» [3].

و في نفس المحتوى كتأكيد لمصدر هذه الآيات يقول:« أنا بفضل الله محفوظ الوارد في المصادر و الموارد ليس للشيطان علي سلطان». إن كلام الله لا يأتي به شيطان وما تنزلت به الشياطين و ما ينبغي لهم وما يستطيعون [4]. بفرض أن ينفي الأمير عن نفسه اتهام أن الشيطان و الجن هي من تسهل أو تخيل له ذلك.

رغم أن الصوفية شجبوا عبارات الشطح التي بدت من بعضهم لا لخروجها عن الدين أو منافاتها للعقيدة، و لكن لأنها من أسرارهم التي ينبغي الاّ يُباح بها لغيرهم و من مكنون غيبهم المخبئ في سراديب كشفهم [5]. و يُقسمها الغزالي إلى قسمين:

أحدهما: دعاوى العشيق مع الله تعالى و الوصال. و ثانيهما كلمات غير مفهومة لها ظواهر و ليس وراءها طائل [6].

---

[1]– محبة: هي إفراط في الميل بلا نيل، يعني ميل القلب إلى الرب و إلى ما أمر به مما يدعو إلى القرب بلا أمل عطاء و لا جزاء ذلك. راجع: موسوعة مصطلحات التصوف، مرجع سابق، ص.846.

[2]– سورة الأحزاب، الآية رقم: 21.

[3]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.60.

[4]– نفسه، ص.60.

[5]– عبد الفتاح أحمد الغاوي، التصوف عقيدة و سلوكًا، مرجع سابق، ص.155.

[6]– المرجع نفسه، ص.162.

5- الزهد:

شكلت هذه الميزة محطة كبرى في ملامح شخصيه حيث يعكس ميل الأمير إلى الزهد و استغراقه في التأمل نوعية ثقافته و نظرته للوجود، و تقييمه للعلاقات الإنسانية و موقفه من الأديان، كما نجده واضحًا فيما ألفه في التصوف، و العقيدة والأخلاق [1].

و لم يكن الأمير مبذرا في صباه و لا أمثال امتلاكه لسلطة الإمارة و لا في أسره رغم كل المغريات التي عرضت عليه و لا في هجرته مستأمنًا و هو الذي كان يدخل الخلوة أربعين يومًا على قطرات من الماء و على لوزة و تمرة كل يوم في حين كان يأكل عشرات الضيوف و عشرات الخدم من مطبخه و على مائدته [2].

6- الكرامات:

قد يحول الحديث الغامض عن الكرامات [3] و لهذا وجب علينا تبديد الظلم الذي يحيط بشخص عبد القادر حين يقدمه الجميع كأنه صوفي غامض حتى النبؤات الغامضة المصرحة لعبد القادر بمستقبله و أنه محمي من سيد القدسين عبد القادر الجيلاني لم تغط على أعماله العسكرية حقيقة أنه نشأ في وسط هيمنت عليه الإيديولوجية الدينية [4] لكنه لم يكن صاحب معجزات و لا مشعوذ يأتي بخوارق العادات ويمنح البركات و الدعوات الصالحات لكنه كان عربيًا مسلمًا و رجلاً اجتمعت فيه مزايا عظيمة [5]. كما أن المدرسة الصوفية التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر لم تحاول إكتساب السيطرة والحكم في المادة، لذلك نجد حسب زكية عبد الرحيم موقف ابن عربي الذي إلتزم الصمت إزاء محاولات خلط الكرامات بالسحر كما أن أصحاب هذه الطريقة لا يربطون التجربة الصوفية بما يمكن تسميته بالخوارق وإشراك جميع الناس في ذلك[6].

---

[1]– ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.122.

[2]– عبد الرزاق.بن سبع، مرجع سابق، ص.154.

[3]– الكرامات: أمر ثابت بالقرآن الكريم جاء في أكثر من موضع و حالة و من ذلك قصة الرجل الذي عنده علم من الكتاب. راجع: عبد الفتاح أحمد الغاوي، مرجع سابق، ص.102.

[4] – Ahmed.Nadir, OPCIT, P.839.

[5]–عبد الكريم الصفاقسي: « محاضرة في تاريخ الأمير »، في: البصائر، عدد 9 أكتوبر(1947)، ص.3.

[6]- زكية.عبد الرحيم، مقال سابق، ص.3.

7- الاتحاد و وحدة الوجود:

هذه الوحدة [1] ترى في الإنسان أو العالم صورة لله و هي السبب الذي جعل خصوم ابن عربي يرموه بالكفر و الإلحاد و الزندقة و اختلف الصوفية حول سبب هذا الانحراف للوصول إلى الذات الإلهية، و جعل الإنسان صورة لها. فقال البعض أن هؤلاء كانوا يظهرون شيئًا هو التقوى و يبطنون الكفر و قال بعضهم أنهم أصيبوا بمس من الجنون فزعموا أنهم اتحدوا بالإله [2] و أن الإله اتحد بهم و صاروا جزءًا واحدًا معه [3].

كما لا نهمل ما ذكره شيخ الإسلام بن تيمية حين علق ما تضمنه كتاب فصوص الحكم بأنه كفر باطنًا و ظاهرًا و أن أهل الاتحاد يسمون أنفسهم المحققين [4]. أما عن مدى إيمان الأمير بهذه الفكرة فمحصور في أن المعروف عن الأمير عبد القادر أنه كان يمحص كل ما يقرء منذ صغره و يأخذ ما اقتنع به ليترك ما عداه. و قد حذر الأمير في فاتحة كتابه المواقف من أن يتهم زورًا معلنًا براءته حين يقول:« و احذر أن ترميني بحلول أو اتحاد أو امتزاج أو نحو ذلك فإني بريء من جميع ذلك و من كل ما يخالف كتاب الله و سنة رسوله فإنني فهمت منها ما فهمت أنت و زدت عليه» . كما حذر حتى من تـأويل كلامه إلى الضد فكتب قائلاً:« و إياكم ثم إياك أن تتوهم و تتخيل فيما أذكره في هذا الموقف تشبيها عقليا أو تمثيلا أو حلولا أو اتحادا أو سريانا أو امتزاجا أو ارتساما أو اتصالا أو انفصالا أو مقابلة أو مقارنة أو تقديما أو تأخيرا أو قبلية أو بعدية أو كيفا أو

---

[1]– وحدة: هو إصطلاح أطلقوه على معتقدات بعض الفرق الصوفية أي أن الخلق الظاهر هو الخلق الباطن ويعرف أهل هذه الفكرة بأصحاب وحدة الوجود أو القائلين بالإتحاد وليست فكرة الإتحاد أو الحلول إلا فكرة الصوفية على إله الواحد وهو نتيجة لجمع الصوفية بين التشبيه و التنزيه و إعتبار الله تعالى في كل شيئ وفي نفس فوق كل شيئ. راجع: موسوعة مصطلحات التصوف، مرجع سابق، ص.1034.

[2]– الاتحاد: هو ثلاثة أصناف: الأولى الذين قالوا بالإتحاد في الظواهر و الثانية الذين قالوا بالإتحاد في البواطن و الثالثة الذين قالوا بالإتحاد المطلق و أن تصير ذاتين واحدة و لا يكون في العدد و هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق ويستنجد به الكل من حيث كون كل شيئ موجودًا به معدومًا بنفسه لا من حيث كون كل (شيئ) موجودًا به معدومًا بنفسه، لا من حيث أن له وجودًا خاصًا اتحد به موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كونه معلومًا بنفسه لا من حيث أن له وجودا خاصًا اتحد به، فإنه محال و إنما يتحقق شهود الواحد إذ كان مطلقا بهذا الوجه أي بإتحاد الكل به لا غير و ذلك لأن الواحد المطلق لا يكون وراء شيئ خارج بعينه. راجع: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، (1999)، ص.ص، 6-116.

[3]– عبد الرزاق.بن سبع، مرجع سابق، ص.178.

[4]–نفسه، ص.178.

كما أو معية أو إبنا أو... فمن توهم شيئا من ذلك سقط في مهواه من التلف على رأس أمه».

و لم تبق هذه النظرية وقفا على ابن عربي و الأمير، بل أن جُل المتصوفة رموا بسهامهم. و أدلوا بدلوهم في الموضوع بسهام النقد و الطعن، و تباينت الآراء بين تأييد و إنكار، مستعملين طريق الوصل إلى الله. و تتحصل المعرفة. الذوق و الروح والوجدان غير متقيدين بظاهر الشريعة يفسرون الآثار تفسيرًا باطنًا، يخالف ما تدل عليه ظاهرًا مما جعلهم يرمون و يتهمون [1].

يرى جواد مرابط في هذه النظرية، أنها نظرية فلسفية ضد الشرك و كل ما فيها أنها تدل على الوحدة في نظام العالم و انسجام قوانينه و أن الحياة مهما كان فيها ما يوحدها و يجعلها في وجود واحد فإن فيها من الأسرار و ما لا يصل إليه العقل ليجعلها كلها خاضعة لفكرة واحدة.

و أن الإنسان أعجز من أن يجمع العالم الغامض و خفاياه المجهولة في نظرية واحدة نهائية [2].

كان الأمير ينطلق من هذا المفهوم لشرح الحياة و لخلق إبداعاته و تسيير تفكيره.

وحتى هذه النظرية الدينية تستمد أصولها من النصوص الإسلامية و الكونية، لأنها تقدم الأبعاد الخفية للنصوص الفلسفية فلا تتعلق بالفرد بل بالعلاقة التي تربط بين الخالق وخلقه و المشكلة التي تُفسر خلق الله للكون تكفي بالنسبة للأمير لأنه يعرف عقيدته وفلسفته [3]. فالمحبة التي تعيش في نفس المتصوف هي انعكاس حتمي له فيحب نفسه و من يحيط به فلا يملك عاطفة خاصة فيتقرب من الله و لا يتحد به [4].

هذه النظرية الفلسفية عند الأمير تعطينا حلولا لعدة مفاهيم و يعتمد عليها التجديد الفلسفي، لأنها تتسم بالمنطقية في طرحها و تستلزم أن كل شيء إلهي و أن الله مطلق و أن ننظر إلى المخلوقات تأملا لا نهائية لا كما تظهر. و تؤكد على أن الإنسان

---

[1]- عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص.179.نفسه، ص.179.

[2]– نفسه، ص.179.

[3] -Rabia. Mimoune, « l'homme dans la vie et l'œuvre de l'émir Abdelkader» in: Annales de l'université d'Alger, N°4 , P. 551.

[4]– عبد القادر بن حراث، مرجع سابق، ص.43.

ينفصل عنها جميعها متميزًا بالعلم [1]. و باعتبار أن الأمير كان تلميذًا لابن عربي فقد تأثر كغيره لأنه بشر و لا ريب أنه قد اندفع أحيانا مقلدا أو متأثرا، و تاهت به الفكرة فوقع في بعض المحظور. و أصبح قوله يؤول تـأويلا ربما لم يعتقده الأمير البتة [2].

«كان التصوف ظاهرا على كل أعمال عبد القادر، لم تثنه الإمارة فيما بعد و لا الجهاد و لا السجن و لا المنفى و لا مخالطة رجال عصره من مختلف الأجناس و المسؤوليات فهو لو يتبدل و لم يتغير» [3].

فالتصوف عند الأمير عرفان ذوقي يختلف عن المعرفة النظرية و هو طريق خاص ذاتي سواء في مجال الوجود أو في مجال المعرفة و أن للأمير أذواق و واردات في مجالات التصوف المتعددة و حقائقه المحمدية [4].

لم يكن تصوف الأمير عائقا عن الجهاد لأنه تصوف تجريدي فلسفي ذوقي لم تدخله الشعوذة و الخرافة التي تعتبر محطات و طوابير الاستعمار الفرنسي فيما بعد فتمكن من الربط البنيوي بين مصالحه و حركية الجهاد.

فكان بذلك إسلامه الصوفي الجهادي واحدًا من المرتكزات الأساسية في منظومة القيم لدى الأمير [5].

فنقل الأمير بذلك، التصوف من الموقف الفرداني إلى الموقف الجماعي و من الموقف الطبقي إلى الموقف الشعبي و من النخبة إلى الجماهير و من الكشف إلى الجهاد والاستشهاد [6].

لم يكن التصوف مجرد تطهير للنفس عند الأمير عبد القادر و إنما منهج للمعرفة يقوم على التطهير الروحي [7]. هذه المعرفة هي ثورة حقيقية للضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقتصر على ما يصدر عن الآخرين و إنما تنصب أولاً

---

[1]- R.Mimoune, OPCIT, , P.531

[2]– عبد الرزاق.بن السبع، مرجع سابق، ص.179.

[3]– محمد الطاهر عزوي، « تصوف الأمير عبد القادر تصوف جهاد »، مقال سابق، ص.187.

[4]– زكية.عبد الرحيم، المقال السابق، ص.5.

[5]– حمزة.صالح بلحاج، حمزة. صالح بلحاج، « الأمير عبد القادر الجزائري. و منظومة القيم» ، في: الثقافة، الجزائر، (وزارة الثقافة والإعلام)، العدد 114(1997)، ص.39.

[6]– نفسه، ص.41.

[7]– كمال.مصطفى الشيبي، « الشعر الصوفي هو الشعر العربي الوحيد الذي يصلح للعالمية »، في: ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرون، معسكر، 26 أوت إلى 1 سبتمبر (1987)، ص.57، وأيضا: في: مجلة الحوادث، 10-4 (1987)، ص.57.

على ظلم الإنسان لنفسه، حين تقترن هذه الثورة برغبة في الكشف عن الله بأية وسيلة تصفي القلب من كل شاغل [1].

فتصوف الأمير عبد القادر بعيد عن الشكوى و التضايق بل يذهب إلى حد التمرد و الثورة [2].

فرفض الأمير للاستعمار كان أولاً لأنه حالة طارئة على صفاء مواطنه البادية فتجسد هذا الفرض بسلوك الجهاد القائم على البيعة الشعبية [3].

إذن كان إرضاء الله خوفًا منه باستعمال وسيلة الجهاد بالفناء في الله بالجهاد مع الإخلاص في العلم [4]. يجمع الأمير بين السيف و المصحف و العقل و العاطفة وبين التسبيح في المسجد و البيت في ظلام الليل و التكبير في ساحة الجهاد على صهوات الخيل [5].

كل هذا البناء الصوفي كان أساسه تراثه الموروث و الأدب و العلم [6]. مما أنتج ثقافة فقهية و فيلسوفا و حكيما يتمتع بصفاء الرؤيا و بمعرفة قلما تمتع بها غير الأنبياء. استطاع بفضلها أن يحل مشاكل قومه و مصيرهم [7]. بعد أن مرّ بتطهير النفس فبقدر ما طهر نفسه بقدر ما اكتشف معاني جديدة و كأنها العودة إلى فكره الروحي. فالنبي نفسه جدير بالوحي لأنه مطهر النفس. ركز على الروحانيات و ترك الماديات و إدراكه للمعاني أعمق، و تتسع روحه في مقابل الماديات التي تحكم العالم [8]. حالة الوعي هذه أنتجت حالة الرفض تلك للوضع القائم [9].

---

[1]– سعيد.بن زرقة، « شعر الأمير عبد القادر، إتساع الرؤية الصوفية »، في: الخبر، عدد 2569، 1 جوان (1999)، ، ص.19.

[2]– حمزة.بلحاج صالح، المقال السابق، ص.35.

[3]– نفسه، ص.41.

[4]- عبد القادر.بن حراث، المرجع السابق، ص.47.

[5]- المرجع السابق، ص.ص.147- 148.

[6]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.154.

[7] -R.Mimoune, OPCIT, P.51.

[8]- كمال.مصطفى الشيبي، المقال السابق، ص.57

[9]

- حمزة.بلحاج صالح، المقال السابق، ص.35.

الـفـصـل الـثـانـي

إنـتـاجـه الأدبـي و الفـكـري

الفـصـل الثـانـي:
إنـتـاجـه الأدبـي و الـفـكـري:

المـبحـث الأول: الـنـثـر.

أ- الأصول.

ب- الحكم.

المـبـحـث الثـانـي: الـشـعـر.

أ- الغرض الديني.

ب- الغرض العاطفي.

جـ- الحجازيات و شعر التصوف.

المـبـحـث الثـالـث: رسـائـلـه.

أ- إخوانه في الدين.

ب- لملوك أوربا و الأصدقاء.

جـ- لسائليه.

مـدخـل:

إهتم الأمير عبد القادربالفكر والثقافة على غرار إهتمامه بالمعارك والسياسة فوضع بذلك مؤلفات جد هامة في العلوم الشرعية ضمنها أفكارًا علمية و دينية عكست روح العصر الذي نشأ فيه و بيئته الإيمانية المتماسكة فترك لنا الكثير من الأصول النثرية و الشعرية التي تُدل على حسه الفني المرهف.

لكن هذا التراث ظل بعيدًا عن الدراسات الأكاديمية مغيبًا، مع علو صوت سيوف المعارك و الحروب، و التي – رغمها- وازن جيدًا في واجباته متنقلاً من الواجب المقدس المتمثل في الجهاد إلى الواجب الآخر، و هو إفادة الناس بالعلم خاصة بالكتابة التي يراها جد مُهمة لدورها في إكثار العلوم حيث يقول بخصوصها: لولا الكتابة ما استقام للناس دين و لا دنيا فالكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب...» [1] لدرجة أنه لم يبخل بهذا العلم حتى على أعدائه مثبتًا عُلو روحه و تساميه عن الأحقاد، و ثقته في نفسه و بإمكانياته و رغبته في إظهار قدراته العلمية، و الخروج من قوقعة الانغلاق و محاولة تعريف الآخر بالذات الإسلامية الأصيلة من خلال ما كتب من نثر و شعر و رسالة.

كما سنلاحظ أن الإنتاج الأدبي للأمير متنوع، لأن أخلاق الأمير تأمر و قلمه يفسر و تطرقنا لهذه النماذج ما هو إلاّ لغرض التعرف على وجدان هذه الأمة وضميرها من خلال ما ينعكس من إنتاج الأمير و فكره.

---

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص.129.

المـبـحـث الأول:

الـــنـثـر:

تُعد الكتابات النثرية، كمظهر من مظاهر الجمال، مثلها مثل الشعر، تُسجل بصدق ما يدور في المجتمع من مظاهر ثقافية و علمية، مع ذلك، نقول أنه ليس من السهل أبدًا احتواء ما كتبه الأمير عبد القادر من أعمال فلسفية، و صوفية لصعوبة الأمر من جوانب عدة، لا يسعنا هذا البحث لذكرها.

إن تحمل مسؤولية تحليل هذا العمل يجدر به أن يكون عملا منفردًا و ضخمًا بإيفائه حقه كاملاً. و ما سنقوم به في هذا العنصر لا يتعدى عرض هذا الإنتاج للتعرف على شكله و تلمُس الجوانب الروحية فيه و ليستطيع القارئ في الأخير التمييز بين هذا الإنتاج بالنسبة للأصول وكذلك هو الأمر بالنسبة لرسائله، بأسلوبها الفريد في الخطابة حيث عرف كيف يصيغ رسائِله للقبائل المناصرة، و أخرى للقبائل المعادية، بليونة وحكمة و عبقرية سياسية تحمل في طياتها الرحمة الإنسانية و أسلوب رص الصفوف، بأساليب بلاغية لإيفاء الغرض. بالإضافة إلى رسائله الإنسانية التي تدعو للعفو عن البعض أو إكرام ضيافتهم أو رسائل شكر و امتنان أو تلبية لطلب ما.

كما كان حريصا جدًا على أن يجيب بنفسه عن القضايا التي تردّ عليه من كبار علماء الإسلام و مفكري الغرب مسهبًا في الإجابة عن تلك الاستفسارات. موجهًا أيضًا بعض الأسئلة إلى مجالس العلماء و كبار الفقهاء سواء بالمغرب الأوسط أو الأقصى أو بمصر و فرنسا. و هذا ما أهله بالفعل إلى الكتابات الأدبية[1] .

---

[1]- يحيى. بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح، مرجع سابق، ص.151.

أ- الأصول:

1- وشاح الكتائب و زينة الجند المحمدي الغالب:

و هو ملخص القوانين العسكرية التي سنها الأمير عبد القادر الجزائري عام (1249هـ/ 1833م)، و عنوانه الكامل هو (وشاح الكتائب و زينة الجند المحمدي الغالب)[1]، قانون الجيش المحمدي و هو رسالة في فنون الحرب تتضمن ملخص الأنظمة و القوانين العسكرية، و أنواع المكافآت و العقوبات[2] فهي في شكلها رسالة تشريعية مستوحاة من الشريعة الإسلامية[3]. تعود مناسبة تأليف هذا الكتاب أو هذا الدستور إلى قرار اتخذه الأمير بعد انعقاد مجلس الشورى الذي قرر إنشاء جيش نظامي، و إلى ضرورة وضع قانون للجيش كان من إيحاء و توجيه الأمير لكاتبه قدور بن رويلة [4] بغرض إنجاز لمدونة عسكرية تجمع قوانين الجند و الضباط[5] حيث يذكر لنا بن رويلة ذلك بنفسه في مقدمة كتابه قائلاً:« و جعل –نصره الله- لكل من عسكره المحمدي و جيشه الأحمدي، قوانين تخصه على حسب تفاوتهم في المراتب وسبقهم للمزايا و المناقب و أمر –نصره الله- بكتابتها على وجه مخصوص فجاءت –بحمد الله- »[6] حيث جاءت في مقدمة و أربع و عشرين قانونا[7] و خاتمة.

في المقدمة الدينية أمر بترتيب الصفوف كالبنيان المرصوص لأن الوضع يتطلب ذلك. كما تحدث فيها عن تقسيم الجيش إلى ثلاث فرق أو الخيالة الفرسان أو الخيالة المشاة

---

[1]- الأميرة بديعة، فكر الأمير، مرجع سابق، ص.58، أنظر كذلك: تحفة الزائر، ج1، ص.120.

[2]- فؤاد.صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفًا و شاعرًا، د. ط، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، (1985)، ص.93.

[3]- عمر.بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا و أنواعا و قضاياو إعلاما،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،(1975)،ص.20

[4] - قدور بن رويلة: توفي في سنة (1272هـ/ 1855م) و لد في الجزائر العاصمة بعد سقوطها في يد الفرنسيين، فرّ إلى (مليانة) للإلتحاق بجيش الأمير فاتخذه الأمير كاتبًا له حتى سنة (1259هـ/ 1843م) و هو تاريخ وقوعه في أسر الفرنسيين، في معركة طاقين (قرب التلالة) بقيادة دومال أطلق سراحه و بقي في المدينة المنورة فاعاد اتصالاته بالأمير ثم زاره في بروسة و أراد الإنتقال معه إلى دمشق لكنه توفي في الطريق لبيروت في التاريخ المذكور أعلاه. راجع : عمر بن قينة في الأدب الجزائري الحديث تاريخا و أنواعا وقضايا و أعلاما، المرجع السابق، ص.19.

[5]- أنيسة.بركات، محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، د.ت.ن، ص.106.

[6]– قدور.بن رويلة، وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب و يليه ديوان العسكر المحمدي المليانى، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1968)، ص.38.

[7]– الأميرة بديعة الحسني، مرجع سابق، ص.58.

ثم الرُماة و وضع على كل ألف مقاتل قائد و على الخمسين ألف آغا[1] إعلانا للجهاد بحيث نادى المنادي في الأسواق:« ليبلغ الشاهد الغائب، أنه أصدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد و تنظيم العساكر من كافة البلاد فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة معسكر ليقيد اسمه في الدفاتر الأميرية ». [2]

و لعل من أهم القوانين العسكرية فيه القانون الأول.

فاتجه هذا الكتاب و هو الخاص برواتب الجند إلى كيفية التكفل بحياة أُسرهم، و كما حدد أيضا كيفية الإشراف على الجنود و على عباداتهم كالصلاة و ما تحتاجه من ماء للوضوء و للطهارة، و تحديد أمكنة العبادة و تكليف الباش كاتب بالأذان للصلاة وبمهمة الإرشاد و التوجيه و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و دوره في تعليم الجند أمور دينهم.[3]

ثم نجد أيضا المسألة الثانية، أو القانون الثاني، و التي توحي لنا بمدى سِعة تفكير الأمير و تتحدث كذلك عن زي جنوده الموحد و ما قد يوحي به ذلك من نظام ومساواة ويجعلهم يتذكرون الله و ثقل الأمانة التي يحملونها فيقول بن رويلة في هذا الصدد:« أمر مولانا أن لا يغير أحد كسوته المخصصة به و لو بلغ ما بلغ في الغنى و من إستوهن فإنه يعاقب العقوبة الشديدة» [4] بعلامات.

كما ميز الأمير بين رتب الجند و الرؤساء [5] و جعل هذه العلامات قرآنية، تحمل آيات من الذكر الحكيم، أو حكما تدفع بحاملها إلى الثقة بنفسه و بواجبه.

- فلآغا مثلا أربع علامات ذهنية إحداهما كتب عليها الشهادة: « أشهد أن لا إله إلاّ الله و أشهد أن محمدًا رسول الله» و الأخرى كتب عليها « الصبر مفتاح الفرج » بالإضافة إلى رموز أخرى كشكل القمر.

- أما رئيس الخيالة فكتب على إحدى منكبيه علامتي الذهب التي يحملها " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة". و على الأخرى " محمد رسول الله".

---

[1]– الأميرة بديعة الحسني ، فكر الأمير، المرجع السابق، ص.61.

[2]– محمد.بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1، ص.191.

[3]– الأميرة بديعة الحسني، مرجع سابق، ص.61.

[4]– محمد.بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص.193.

[5]– المصدر نفسه، ص.193.

- أما السياف فله علامتان كتب على الأولى " لا أنفع من التقوى و الشجاعة " لتكتمل الحكمة في المنكب الأيسر لتقول:« و لا أضّر من المخالفة و عدم الطاعة» [1]

- و لسيّاف الخيالة علامة واحدة تقول:« أيها المقاتل!! إحمل تغنم».

- و لرئيس الصف علامة مكتوب عليها:" من أطاع رئيسه و تقى مولاه نال ما يرجوه.[2]

و للباش كاتب علامة من الفضة على شكل مكتوب عليها "ناصر الدين" [3].

أما الباش طبجي و هو رئيس الطوبجية فيحمل علامة كتب عليها قوله تعالى:(و ما رميت إذْ رميت و لكن الله رمى) [4] كتبت على ساعده الأيمن[5].

و لم يهمل الأمير دور العوامل النفسية في إذكاء حماس الجندي و بعثه على الإخلاص في عطاء الجهاد و لهذا تناولت المسألة الرابعة من هذا القانون كيفية المكافأة المتمثلة في وسام يسمى بالشيعة المحمدية و هو دائرة نقش وسطها ناصر الدين في شكل أصابع يد بشرية لاصقة بالدائرة[6] و هي تمنح لمن أظهر شجاعته ووقف موقف الشجاعة في ساحات المعركة حيث يعلم الجميع بهذه المكـافأة المغرية والتي تجعل منهم أبطالا باعتراف الأمير بنفسه يقول صاحب الوشاح في ذلك: « و أعلم العسكر أن من ظهرت شجاعته و عمل مزية في وقت القتال بأن خلص أخاه من العدو أو هجم على العدو، و قبل غيره، و ثبت لدى السلطان –نصره الله- فيلبسها له هو بيده الكريمة و يضرب عليه الطنبور إعلاًما بمزيته» [7].

كما نجد من الأهمية أيضًا من التنبيهات الخاصة بكيفية معاملة الجنود و عائلاتهم وطرق العناية بهم بعد الإصابة بالجراح في الحرب أو في حالة المرض و هي موجهة للمشرفين على تنفيذها و هي أشبه، بنموذج متفهم لحقوق الجندي أو بالأحرى

---

[1]- نجد نفس الحكمة في كتاب و شاح الكتائب و هي تقول:« لا أنفع من التقى و الشجاعة و لا أضر من المخالفة وقت الطاعة». راجع: قدور بن رويلة، وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب، و يليه ديوان العسكر المحمدي المليانى، المصدر السابق، ص.45.

[2]– محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج1، المصدر السابق، ص.194

[3]– المصدر نفسه، ص.194.

[4]- سورة الأنفال آية رقم:17.

[5]– قدور بن رويلة، ، مصدر سابق، ص.45

[6]– مصدر نفسه، ص.48.

[7]– قدور بن رويلة، المصدر السابق، ص.ص، 48-49

حقوق الإنسان. حيث ينص التنبيه الأول على ضرورة عدم انقطاع راتب المتوفي شهيدًا إذا كان آغا أو سيافا أو كبير الصف [1] كما تتطلبه هذه المهمات من تسبيل كامل للنفس، و كفالة عائلات هؤلاء هو أبسط ما يُمكن أن يقدم لهم، و أعظم ضمان يطمئن به المجاهد على أهله لضمان استمرارية الجهاد و العطاء حيث يقول بن رويلة في ذلك: «إن الأغا أو السياف أو كبير الصف إذا مات في القتال فلا ينقطع راتبه و إنما يبقى جاريًا على ولده إلى أن يقدر على حمل بندقيته»[2].

أما التنبيه الثاني فهو خاص بكيفية تسوية حال الجندي المجروح و نقله إلى الفرقة التي تناسب وضعيته الجديدة أو إعفائه من الخدمة مع مواصلة مده براتبه في حال الإعاقة و عدم إمكانية مواصلة القتال أو الجهاد فيقول في ذلك:« إذا جرح في القتال جرحًا يمنعه من المشي و يقدر على القتال راكبًا فيجعله السلطان –نصره الله- خيالا و إن تعطل بالكلية فإنه يجري عليه راتبه إلى أن يموت»[3] .

أما في حال المرض الذي يشهد به الأطباء له فيستفيد الجندي من نصف راتبه إلى أن يموت [4] فيقول القانون بهذه الحال:« يجرى عليه السلطان –نصره الله- نصف راتبه إلى أن يموت» [5] و ليتعلم الجندي زمن الفوضى و الحرب والنفير كيفية المحافظة على أسلحته، و لباسه، سنّ المسألة السادسة التي تطالبه بالتعويض إذ فقد الأمانة نظرًا لحاجة الجهاد لها فيقول:« إذ أضاع الجندي شيئًا من الكسوة و آلات الحرب في الحرب أو في حال تعلمه فلا ضمان عليه و عليه أن يسددها»[6].

و نلتمس دائمًا في كل مواقف الأمير، حرصه على اختيار و انتقاء عناصر ذات كفاءة مواقف خاصة القادة منهم و لهذه يذكر لنا في القضية السابعة ما يخص رئيس المعسكر، و أنه بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله و إذا فسد فسُد الجسد كله فيقول في ذلك:« أوجب أن يكون كبراء هذا العسكر المحمدي الذين يختارهم من ذوي

---

[1]– محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1، ص.196.

[2]– قدور بن رويلة، مصدر سابق، ص.49.

[3]– المصدر نفسه، ص.44.

[4]– محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1، ص.196.

[5]– قدور.بن رويلة، المصدر السابق، ص.44.

[6]- محمد.بن عبد القادر الجزائري ،تحفة الزائر، ج1، ص.197.

النجدة والشجاعة و الجرأة و الباس و الإقدام و الدين و اليقين و الصبر و الثبات و النباهة للمكائد وقت القتال» [1] فحامل الراية مختار إذن، كما أنه لم يهمل غذاء جنده، فحدده كي يحل النظام و هذا ما حددته المسألة الثامنة حين نصت على أنه:« لكل عسكري خبزة وزنا خضراء عشرون أوقية و وزنا نضيجة ثمان عشرة أوقية و رطل،أ غير ربع دشيشة و أوقيه غير ربع سمًنا»[2].

و تتجلى رحمة الأمير بجنده فيما نص عليه القانون الحادي و العشرون من إنسانية، و تفهم للمشاعر الإنسانية، حين يخص تساريح الجند لزيارة الأهل مع ترك الأسلحة المعهودة إليهم و كذلك وضع المريض حيث اختار الأمير أطباء من ذوي الخبرة يتخلقون بالأخلاق الإسلامية و سلوكياتها، و يتقاضون رواتبهم من بيت المال[3] حيث يذكر أن «اعتناء أمير المؤمنين –نصره الله- بعسكره و رفقه بهم و شفقته عليهم أن جعل لهم طبيًبا ماهرًا عارفًا، و جعل له إقامة الدواء من كل ما يحتاج إليه، و جعل لعسكره المرضى دارًا، فيها ما يخصهم من الأكل و الشرب و الفراش و الغطاء و جعل لهم صناءـًا من
العسكر أصحاب نباهة و أدب و خلاقة وجه و وسع خاطر لئلا تضيق نفوس المرضى منهم»[4].

أما الخاتمة فهي الحكم الشرعي للمخالفات التي قد يرتكبها الجند حيث عرضت واضحة، يُقابل فيها كل خطأ أو تعد عقابه. وضرورة مراقبة الجند، و إن ثبت الإهمال تبدأ العقوبات، من الحبس لأيام، إلى الحِرمان من الراتب، إلى الطرد و الإهانة وجعل عقوبة العصيان خمسة عشر يومًا، و التخاف عن سماع الطنبور، حبس يومين والتخاف عن الحرب، حبس شهر، و من الخروج دون كسوة السلطان حبس يوم و ليلة [5].

---

[1]- المصدر السابق، ص.ص،53-54.

[2]– المصدر نفسه، ص.55، راجع أيضا: التحفة، ص.198.

[3]– الأميرة بديعة الحسني، فكر الأمير، مرجع سابق، ص.61.

[4]– قدور بن رويلة، المصدر السابق، ص.67.

[5]–نفسه، ص.69.

و الجدير بالإضافة أن هذه القوانين، كانت تقرأ، مرتين في الشهر، لمختلف الوحدات، و تتخللها الوصايا، و الوعود والكفاءات نتيجة السلوك الطيب[1] موازاة مع التذكير، الذي ينفع المؤمن المجاهد، كانت الصرامة في تطبيق القانون و التحلي بالانضباط أمامه.

إذن ما يمكن أن نلاحظه على أسلوب هذا الكتاب فهو حتمًا الوضوح والمباشرة مع أنه لا يخلو من المفردات العامية أو بالأحرى النطق العامي للكلمات مثل: (وقية بدل أوقية) و غيرها. لكنه يبقى عملاً يدل على ثقب نظر الأمير في مسائل الحرب، و حبه للنظام الذي يكفل له حتمًا الهدوء و النجاح لمعاركه الجهادية وهو دليل آخر على أن الأمير كان جادًا كل الجدية في توليه الإمارة و لم يكن يخشى من سن القوانين، و لهذا كتب الدستور العسكري للدولة منذ البداية، على هدي القرآن والشريعة و لم يكن ممن يخافون القانون، و لا يكتبونه لأنهم أول من يخالفه. و لو أن الصياغة جاءت من قدور بن رويلة، يبقى المحتوى من أفكار الأمير و بتوجيه عام منه كما سبق و أن رأينا و أخيرًا يمكننا أن نقـول أن وشاح الكتـائب هي من أهـم المصادر المتعلقة بالقوانين العسكرية التي طبقت بالفعل على قوات الأمير[2] و التي اعترف بأهميتها الكُتّاب، و أهمية ما جاء فيها من رمزية روحية أكد عليها هنري تشرشل[3] هكذا كان الدين موجودًا في الجيش و الإدارة و القانون " باعتبار أن الدين أساس ضروري و مدعم للجهد الإنساني"[4].

2- المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد:

يشبه هذا المؤلف الرسالة [5] وجاءت كصورة من صور الخلق الإسلامي والدفاع العلمي عن محاولات تشويهه [6] و هي محاولة جادة تصدى فيها الأمير القادر بالحجج الدافعة و الأدلة المنطقية العقلية، و الكونية، على وجود الله تعالى جاعلاً من هذا الكتاب خلاصة لبحث و تنقيب و تمحيص، ملفت للانتباه، لكل ما روي قبل

---

[1]– هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.14.

[2]– أديب.حرب، المرجع السابق، ج2، ص.44.

[3]– هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.ص، 145-146.

[4]– المصدر نفسه، ص.146.

[5]– عبد الرزاق.بن سبع، المرجع السابق، ص.203.

[6]– أنيسة.بركات، المرجع السابق، ص.112.

عصره أو نُشر عن الديانات السماوية [1] محاولاً تضمينها أسس الدُستور الإلهي للقرآن، معرفًا أيضًا بالمواضيع الرئيسية في الفقه الإسلامي و الأخلاقيات الإسلامية من وفاء و عدل و رحمة [2].

- مناسبة التأليف:

عندما كان الأمير سجينًا في قصر أمبواز[3] كلمه أحد الضُباط المكلفين بإدارة شؤون القصر، بأنه سمع أحد القسيسين [4] يقول أن الغدر، غير قبيح عند المسلمين وأنه يريد أن يوضح له هذه الأمور [5].

فرأى الأمير أنه من واجباته الروحية، كشف النقاب عن هذه الأكاذيب فأرسل رسالة إلى علماء باريس و للقسيسين عنونها بـ: " المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد" [6] حدد فيها مفهومه لملكة العقل و ما تعلق به من نظر في خلق الأرض و السماوات و الإنسان و إثبات النبوة و شرع الإسلام [7].

و قد ذكر الأمير على لسانه سبب هذا التأليف، عارضا مصادر عمله بتوضيح شديد حيث يقول في مقدمة هذا الكتاب:« عندما طلب مني شرح عن معتقداتي الإسلامية أجبتهم بأني لا أصلح تلميذًا لعلماء المسلمين فضلاً أن أكون من جملتهم، و لكنني سأبذل الجهد وأذكر كلام الله سبحانه و تعالى و أحاديث رسوله ε و كلام التابعين، و الخلفاء الراشدين» [8].

---

[1]– أنيسة.بركات، المرجع السابق، ص.203

[2]– الأميرة بديعة.الحسني الجزائري، فكر الأمير، المرجع السابق، ص.149.

[3]- أمبواز: هو عبارة عن حصن لأحد ملوك فرنسا يتمثل في قلعة عالية الأسوار تحيط به سهول واسعة و أنهار. أنظر: الأميرة بديعة الحسني، المرجع السابق، ص.160.

[4]- قس: لقب من ألقاب رجال الدين النصراني و في عدة طوائف دينية تقوم بدور الكاهن في المراسم الدينية كما يعدم النصح و الإرشاد الديني.

[5]– محمد طاهر.عزوي، « تصوف الأمير عبد القادر تصوف جهاد في الجزائر وفي السجن بفرنسا وفي المنفى باالمشرق العربي »،في: مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد الأول، (1998)، ص.203، أنظرأيضا: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 18، ص.187.

[6]– الأميرة بديعة. الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص.52.

[7]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص.122.

[8]– الأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل و الإلحاد، محررها عبد الله الخالدي المغربي، د.ط، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، دون تاريخ نشر، ص.07.

و لقد جسد الأمير مفهوم الدعوة عنده من خلال الكتابة، فأصبح سلوكه لفظيًا، عن طريق تحقيق هدفه بإصلاح ما شوه من خلال الكلمة الطيبة مصدقًا لقوله تعالى:(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) [1].

و ترجمت هذه الرسالة إلى الفرنسية، و ناقشها علماء الفكر[2] فخلقت بذلك جوًا علميًا بين العلماء و حركة فكرية[3] جعلت جمعية العلماء في باريس تضع إسم عبد القادر من بين أسماء علماء العالم و عظمائه في ديوان الأمم[4] حيث استفاد الأمير من هذه الفرصة لنشر دعوة الإسلام و كسب رضى الله عزّ وجل [5].

أما عن شكل الكتاب فيفوق المائتان و خمس و أربعون 254 صفحة متوسطة الحجم قسمه الأمير إلى شبه مقدمة و ثلاثة أبواب بها عناوين، مثل المبحث حرره محمد بن عبد الله الخالدي المغربي.

بدأ الأمير كتابه بتعريف العقل، مبينًا احتياج كل فرد للآخر ومبينًا نعم الله على عباده. ثم تكلم عن إثبات الألوهية، و إيضاح الطريق إليها، ثم تحدث عن الروح لينتقل للحديث عن النبوة، و الرسالة، و ضرورة إثباتها عن طريق العقل. و تحدث عن بيان ما في شرع الإسلام من الوفاء و الغدر و في النهاية يختم كتابه بقول لبيد في مدح الرسول عليه أزكى الصلوات، و يخلو الكتاب من الفهرس و يضم في البداية مقدمة الكتاب خط الأمير عبد القادر.

و قد اعتمد الأمير عبد القادر على جملة من المصادر الهامة التي تدل على سعة طلاعه من جهة و على حجم اهتمامه بالموضوع من خلال إدراج أكبر عدد ممكن من المصادر الهامة رغبة منه في التعريف بها عند طالبه.

---

[1]- سورة إبراهيم، آية رقم: 54.

[2]– الأميرة بديعة الحسني، المرجع السابق، ص.52

[3]– أنيسة.بركات، المرجع السابق، ص.105.

[4]– المرجع السابق، ص.52.

[5] – المرجع نفسه، ص.53.

فنهج إذا بذكاء أسلوب الاستدلال و الاستشهاد بما ذكره العلماء المسلمون وغيرهم[1] بالإضافة إلى تأكيد كلامه بالآيات القرآنية التي يسهل ترجمتها خشية تحريفها فخاطب الأمير العقول بها[2] بالإثبات. و كما يقول السيد محمد بلغراد:« أن الإبداع يمكن أيضًا أن يكون نفخًا في روح مادة لم يكن من قبل»[3] ليضفي أهمية حقيقية على ما قام به الأمير عبد القادر.

فاعتمد على الإمام الغزالي [4] و كتبه [5] كما اعتمد على إمام الحرمين[6] و ضمّن أدلته في إثبات الألوهية[7] وعلى فخر الدين الرازي[8] و كتبه[9] و صدر الدين

---

[1]– عبد الرازق.بن السبع، المرجع السابق، ص.205.

[2]- الأميرة بديعة.الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص.53.

[3]- محمد. بلغراد، المقال السابق، ص.ص،61- 62

[4]- أبو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد به محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي، ولد في طابوان من ناحية طوس (خراسان) عام (450هـ/ 1058م)، لما توفي والده فتعهد صديق له بتربيته هو و أخيه. تلقى العلم على أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي و علق عنه التعليقة، لازم إمام الحرمين و بعد موتهذا الأخير خرج إلى العسكر قاصدًا للوزير نظام الملك سنة (848هـ/ 1144م)، و تولى التدريس في المدرسة النظامية و هو لم يتجاوز الثامنة و العشرين.

و إنتهت إليه رئاسة العلم في العالم الإسلامي، فأقام بيت العلم و صنف الأسفار، و زهد في الدنيا عام (499هـ/ 1105م)، حتى سنة: (500هـ/ 1106م)، حيث إعتزل التدريس بعد إغتيال الملك فخر الدين عاد إلى طوس و وزع وقته على قراءة القـرآن و الوعـظ والإرشاد توفي في: يوم الإثنين 14 من شهر جمادى الآخرة سنة خمس و خمسمائة للهجرة الموافق لـ 1111م. من مصنفاته: رسالة الوالدية، و الدرة الفاخرة في أحوال الآخرة. راجع: محمد أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، الجزائر، دار الثقافة، (1991)، ج1 ص.6.

[5]– لقد إعتمد الأمير على كتبه التالية: تهافت الفلاسفة، أنظر: المقراض الحاد، ص.46، و كذلك: إحياء علوم الدين، أنظر: المرجع نفسه، ص.48، و مراصد المقاصد، أنظر: المصدر نفسه، ص.115.

[6] - إمام الحرمين: (419-478هـ/1028-1085م)، هو أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني المعروف بإمام الحرمين ولد في جوين، تفقه أولا على يد والده وتناول مصنفاته فزاد فيها تحقيقا وتدقيقا بقي في مكة أربع سنين، ثم ذهب إلى المدينة، فأفتى ودرس جامعا لطرق المذاهب، من آثاره مغيث الحق، الإرشاد، الشامل في أصول الدين، البرهان في أصول الدين من أصحاب الإمام الشافعي. راجع: محمد أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص.04. وأيضا: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 8، ص.610. وأيضا: محيي الدين بن عربي، خاتمة أنيس الغريب و المسافر،تحقيق و تقديم رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (1974)، ص.81.

[7]– المقراض الحاد: المصدر السابق، ص.44- ص.113.

[8]- فخر الدين الرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين ولد في الري بطبرستان في عام:(455م/ 606هـ)، و توفي عام:(1150م/ 1210هـ)، أخذ العلماء عن كبار عصره و منهم والده حتى برع و توافدعليه طلاب العلم لأخذ التفسير و علم الكلام و الفلك والفلسفة عنه. ترك عدة مؤلفات أهمها التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب غلب على فكره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة. إختلف في وفاته و قيل مات مسمومًا. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مجلد 11، ص.59.

[9]– المصدر السابق، ص.41، ص.94، ص.104، ص.107، ص.121.

الشيرازي[1] في أسفاره الأربعة[2] و مواقف عضد الدين[3] والتفتزاني[4] في كتابيه التلويح و شرح المقاصد[5].

و البيضاوي[6] في تفسير للقرآن[7] و الطوالع[8] و على سهل التستري[9] و على عدد من الأئمة [10] كالمناوي[11] و الإمام اليافعي[12] في كتابه (مرآة الزمان)[13] و كذلك الراغب [14] و الشافعي و غيرهم من الأئمة و لم يكتف بذلك بل سعى إلى الاستشهاد بالخلفاء الراشدين كسيدنا عمر بن الخطاب[15] و عدد من المصادر الأوروبية، ليثبت

---

[1]- صدر الدين الشيرازي: هو محمد الشيرازي بن غياث الدين منصور الملقب بمير صدر الدين ولد في عام:(228م/ 903هـ) و توفي (1424م/ 1497هـ)، عني بالتدريس و التصنيف فبنى مدرسة بشيراز، تتلمذ عليه فيها الكثيرون. من مصنفاته: حواش على شرح مختصرات الحاجب في الأصول. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد14، ص.303.

[2]– المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.45.

[3]– المصدر نفسه، ص.43، ص.23، ص.73، ص.121.

[4]– التفتزاني سعد الدين: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ولد بتفتازت عام:(712م/791هـ)، اشتهر بعلم الأصول و التفسير و العقيدة و البلاغة و الأدب، له عدة كتب منها التلويح في كشف حقائق التنقيح في الأصول، وشرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين و المطول في البلاغة. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد07، ص.54.

[5]– المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.13، ص.46، ص.58، ص.64، ص.162.

[6]– البيضاوي ناصر الدين: هو أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد قاض و إمام مبرز من بلاد فارس تولى قضاء شيراز و كان صالحًا متعبدًا، له عدة مؤلفات أهمها المنهاج الوجيز في أصول الفقه و تفسير أنوار التنزيل و أسرار التأويل توفي في مدينة تبريز. - راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 05، ص.445.

[7]– المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.45.

[8]– المصدر نفسه، ص.109.

[9]– سهل التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري ولد في شيسر قرب شيراز في بلاد خوزستان أحد أئمة الصوفية في عصره له أقوال و تفاسير جمعها أبو بكر محمد البلدي في كتاب و نسبه له، توفي بالبصرة، راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 6، ص.291.

[10]- المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.56

[11]- المناوي: هو محمد بن عبد الرؤوف، ولد في عام:(952هـ/ 1545م)، و توفي عام: (1031هـ/ 1622م)، لغوي من كبار العلماء عاش في القاهرة و توفي بها له نحو 80 مؤلفًا منها كنوز الحقائق، فرض القدير و شرح الجامع الصغير و مختصر التسيير و شرح الشمائل و شرح ألفية العراقي و شرح القاموس المحيط و غيرها. راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 24، ص.224.

[12]- الإمام اليافعي: هو عبد الله بن أسعد بن علي بن عثمان بن فلاح الشافعي عفيف الدين ابو السعادة أبو البركات، صوفي ولد قبل سنة،(700هـ/ 1300-1301م)، من مؤلفاته الأساسية روض الرياحين في حكايات الصالحين (و سمي أيضًا نزهة العيون)، و نشر المحاسن الغالية في فضل المشائخ الصوفية و مرهم العلل المحصلة في الرد على أئمة المعتزلة بالبراهين القاطعة المفضلة و غيرها، راجع: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس و آخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، مجلد 32، ص.ص، 10195- 11097.

[13]– المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.56.

[14]- الراغب: الأصفهاني: هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفصل فقيه عربي، توفي في بداية القرن 6هـ/12م، و على الأرجح في عام:(502هـ/ 1108م)، يرى البعض أنه من المعتزلة تدور مصنفاته حول التفسير و التهذيب، صنف مجمعًا قيمًا للقرآن، رتبه على حروف الهجاء، راجع: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 16، ص.5074.

[15]– المقراض الحاد، المصدر السابق، ص.48.

سعة فكره و إطلاعه على المصادر الأوربية كاعتماده على جالينيوس[1] و أبقراط[2] وأرسطو طاليس[3] .

ليقترب منهم أكثر و ليوجه لهم فكره بأكبر قدر ممكن من الاستشهاد بما يعرفونه هم لدرجة أنه استشهد بما جاء في الإنجيل (إنجيل يوحنا) و على بعض ما جاء على لسان المسيح عليه السلام[4] بالإضافة إلى ما جاء في التوراة كذلك[5].

و لم ينس في ذلك أيضًا عرض رأي أهل التجارب و الحكماء و أهل التشريح والفلاسفة و الفرق الصوفية كالأشاعرة و المعتزلة [6].

كما أنه أخذ من رسالته (ذكرى العاقل) مقتطفات في تعريفه للعقل[7]، و سنختار منها أقوى المحطات التي اهتم بها الأمير، و لعل أولها العقل، حيث أراد الأمير دائمًا إنزاله منزلة العظمة، معرفًا به و بكونه أعظم ملكة منحها الله للإنسان، مستشهدًا بالأدلة القرآنية و من بينها هذه الآية الكريمة:(قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أو لو الألباب) [8] .

ثم يقسم مراتب العلم إلى أربعة، و منها تباينت حسب رأيه منازل الناس و تفاضلوا في الأعمال تبعًا لحاجة كل واحد منهم إلى الأخر[9]، ففي رأي الأمير لا يمكن للفرد وحده أن يبرع دون مساعدة الآخرين له، مقرًا بضرورة التكامل و تبادل المنفعة والأدوار.

---

[1]– جالينوس: (972هـ/ 1564- 1024هـ/ 1624)، عالم فيزيائي إيطالي ولد بمدينة بيزا الإيطالية 15 فيبراير 1564، رحلت أسرته في فلورنسا أين درس دراسته النظامية في الطب و الفلسفة في جامعة بيزا (989هـ/ 1581م)، عام: (998هـ/ 1589م)، عين كأستاذ للرياضيات يدعي مؤسس العلوم التجريبية المعاصرة استخدم لأول مرة التلسكوب الإنكساري بشكل فعال لكشف حقائق جديدة عن مهمة علم الفلك، حكمت عليه المحكمة بالسجن و في عام:(1400هـ/ 1979م)، برأة البابا جون بول الثاني. أنظر: الموسوعة العالمية العربية، مجلد 08، ص.135.

[2]– المصدر نفسه، ص.135.

[3]– نفسه، الأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحاد، المصدر السابق، ص.24، ص.49، ص.135، ص.136،.ص.140، ص.144 ص.145ص.146، ص.147، ص.181.

[4]– الأمير عبد القادر. الجزائري، المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.167، ص.180، ص.188.

[5]– نفسه، ص.177.

[6]– نفسه، ص.25، ص.53، ص.85، ص.98، ص.99.

[7]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.ص، 61-62.

[8]- سورة الزمرة، آية رقم: 39.

[9]– الأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحاد، مصدر سابق، ص.ص، 19-20.

أما فيما يخص قضية إثبات الألوهية، و بيان الطريق إلى معرفة الله تعالى، فقد وصف لها كل البراهين و الدلائل التي توصل الإنسان العاقل إلى اليقين و معرفة خالقه، منتقلاً للحديث عن الروح و خير ما استشهد به عنها الآية القائلة:(و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً) [1].

و المميز في هذا الكتاب الترابط الشديد بين أفكاره حيث نجده من جديد يربط بين مفهوم آخر بخصوص العقل، أي مسألة إدراك بعـض الحقـائق من خـلال النبـوة والرسالات، فيقول في المقراض:« إعلم أن العقل و إن خصه الله تعالى بخصوصية العلم وأحواله، و لكنه قاصر عن معرفة الطاعة و المعصية و الحسن و السيئ إما أن يرجع إلى الملائمة و المنافرة للطبع كاستحسان الجميل و النفور من القبيح و إما أن يرجع إلى صفات الكمال والنقص كحسن العلم و قبح الجهل» [2].

فهو يرى أن مضمون إثبات النبوة عن طريق العقل ضروري في سبيل الإيمان حول محور العقل لأن النبوة هي التي تأتي بالرسالة التي يقبلها العقل و يحافظ عليها و على إيمانه و يقوى الأمير نفسه في هذا المضمون: « فالعقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة إلا بواسطة الأطباء فحاجة الخلق إلى رسل كحاجتهم إلى الأطباء» [3].

ثم ينتقل للحديث عن رسالة الإسلام و حقيقة النبوءات التي جاءت مبشرة بقدوم محمد ε في الديانات التي سبقته ليخلص إلى تشابه هذه الأديان و كونها نابعة من مصدر واحد، و تصب في هدف واحد هو التوحيد. فعن هذه النبوءات يقول و هو كله ثقة بما قرأه في الإنجيل فيقول: « قال المسيح لكنني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم البارقليط فما أن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء فهو يوبخ العالم » ويشرح عبد القادر هذا القول شرحًا مسهبا فيقول في معنى ذلك أن المسيح قد بشر

---

[1]- سورة الإسراء، الآية رقم:84.

[2]– نقلا عن: الأميرة بديعة الحسني، فكر الأمير، المرجع السابق، ص107.

[3]– الأمير عبد القادر، المقراض، مصدر سابق، ص.105.

بقدوم محمد و ... بأنه سيوبخ العالم أي أنه سيقاتل الشرّ فيه، على عكس المسيح الذي لم يؤمر بذلك [1].

ثم نجده في مكان آخر يقر بأن الإنجيل هو حقيقة كلام الله المنزل و أن المسيح قد عبر عنه بالسريانية و معناه نور العين مستعرضًا، نبؤة المسيح كإحيائه للموتى وإبرائه للأكمه و الأبرص... و كلامه في المهد [2].

و هو بذلك يريد أن يلج لهؤلاء القراء بمسحة تمهيدية، تدل على درايته بالمسيحية وبحياة المسيح الرب المخلص –عندهم- قبل أن يتكلم عن أمور أخرى.

أما بخصوص درايته باليهودية فيقول أن: « التوراة هو أول كلام نزل من السماء أعني أن ما نزل على إبراهيم عليه السلام و غيره ما كان يسمى كتابًا بل صحفًا، و لفظ التوراة آرامي معناه الشريعة و الكلام الحق... فكتبها موسى بسبابته و جاء في أول سطر منها». « الحمد لله الذي خلق الأرض و جعل الظلمات و النور و هو الواحد لا شريك له وفي الثاني، و إني أنا الرحمن الرحيم و في الثالث لا تشركوا بي شيئًا و لا تقولوا قول الزور ولا تعقوا الوالدين، و في الرابع: لا تزنوا و لا تقطعوا السبل و لا تسرقوا شيئًا و لا تسرفوا ساعة أعماركم و في الخامس: لا تسرفوا من أموالكم صلب آدم فآمنوا برب واحد و كتبه ورسله و أنبيائه الذين أرسلوا و بعثوا من قبلي و من بعدي يرسلون و يبعثون... إلى آخر الكلام» [3] و ليحدث الأمير التآلف الذي آمن به و هدف إليه بين الديانات قال:« و قد شرع عيسى عليه السلام غير شرع موسى عليهما السلام و لا يحل ذلك بكونه مصدقًا للتوراة كما أن شرع محمد غير شرع موسى و عيسى عليهم السلام و لا يظل ذلك بكون محمد ε مصدقًا للتوراة و الإنجيل، لأن النسخ بيان و تخصيص في الأزمان كما قدمنا، و مازال النسخ تعاقب في الشرائع إلى أن تم بناء قصر لرسالة محمدε فانغلق باب النسخ بعده لأنه بعث لتتميم مكارم الأخلاق» [4].

---

[1]– الأمير عبد الفادر الجزائري، المقراض الحاد، ط1، الجزائر، دار الطاسلي للنشر والتوزيع، وحدة الرغاية، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (1998)، ص.180. (طبعة أخرى).

[2]– االأمير عبد الفادر الجزائري، المقراض الحاد، المصدر السابق، ص.167.

[3]– الأمير عبد الفادر الجزائري، نفسه، ص.165.

[4]– نفسه، ص.175.

جاء بالقصاص النفس بالنفس و الإنجيل جاء بالعفو، إذا لطمك أخوك على خدك الأيسر، ضع له خدك الأيمن[1] و القرآن جاء بالقصاص في القتلى و بالعفو في قوله: (فمن عفا و أصلح فأجره على الله) [2] ليعرفهم بهدي سعة الدين الإسلامي.

أما بخصوص الموضوع الخاص بضرورة الوفاء بالعهود عند المسلمين فنجد أن الأمير استوفى غرضه المحدد بتلك المقدمات الضرورية، بجهد ذكي و تتبع مرحلي في طرح الأفكار ليبدأ في الحديث عن مكانة العهد في الإسلام، و كونها عظيمة جدًا لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [3] و يشرح الأمير معنى هذه الآية وهو الأمر بالوفاء و القيام باحترام العهد و العقود كشرط من شروط الإيمان كما نجده يذم بشدة المخالفين مستشهدًا بالآيات التالية:(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة و هم لا يتقون) [4] و قوله أيضًا: (و أوفوا بعهد الله) [5] و قوله تعالى:(خذ العفو و آمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين) [6] و قوله:(و إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين) [7].

ثم يؤكد أن العهد مقدس عند المسلمين حتى مع الأعداء، حين يفسر معنى الآية السابقة بضرورة إخبار العدو وبنقض الصلح و لا يهاجمهم مباشرة [8] و هي صفة لا يلتزم بها إلاّ الشرفاء الملتزمين لروح العقل والدين.

بعدها يتحدث الأمير عن فضائل هذه الأخلاق و مردها إلى الأصول الأربعة و هي حسب رأيه « الحكمة و الشجاعة و العفة و العدل و الباقي فروعها فكل من جمع هذه

---

[1]- االأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحاد، المصدر السابق، ص.ص، 188- 189.

[2]- سورة الشورى، آية رقم: 40.

[3]- سورة المائدة، آية رقم: 05.

[4]- سورة الأنفال، الآيتين رقم:55-56.

[5]– سورة النحل الآية رقم:91.

[6]- سورة الأعراف، آية رقم: 07.

[7]– سورة الأنفال، آية رقم: 08.

[8]– المقراض الحاد، المصدر السابق، ص.202.

الأخلاق استحق أن يكون قدوة حسنة يرجع الخلق كلهم إليه و من انفك عن جملة هذه الأخلاق كلها و انصف بأضرارها استحق غضب الله، لأنه قد قرب من الشيطان اللعين» [1].

غير مغفل في ذلك التحدث عن أخلاقيات الحرب و حسن معاملة الأسرى[2] التي تعد جزءًا من التعامل الإنساني الإسلامي فيقول أن:» قانون الحرب في الإسلام يحرم قتل المرأة و الطفل و الرجل و العجوز و يحرم حرق الأشجار المثمرة و تعذيب الأسير و التمثيل بجثة القتيل لأن الأصل عدم إتلاف النفوس»... و « كذلك القسيسون و الرهبان كل هؤلاء المذكورون لا يقتلون، و يعطي لهم ما يكفيهم في عيشهم و لباسهم من أموال المحاربين، فإن لم تكن فيجب على المسلمين أن يعطوهم ما يكفيهم هذه من قوانين الحرب في الإسلام التي تقيد بها الفاتحون »[3].

و يلخص الأمير في الأخير بعد دعوته اللفظية مؤكدًا و مكذبًا تلك المزاعم، مثبتا أن أمته حتى في جاهليتها كانت تعرف، بالوفاء بالعهود و زادت عظمتها بالإسلام، فكيف يكون الغدر عاديًا في مجتمع كهذا [4].

نستنتج إذن أن هدف الأمير لم يكن استعراضا لمعلوماته و لكن هدفه هو الدعوة للإسلام و نزع ما ألصق به عمدًا، و التعريف بالتراث الإسلامي و تفتحه على مختلف العلوم. مبينًا أن الإسلام حضارة لدرجة أنه أكد أنه لا يصلح كتلميذ لعلماء بلاده فخرًا بروافد العلم عند الجزائريين و المسلمين فخلق جوًا علميًا بين العلماء هناك[5] بالإضافة إلى أن أسلوبه كان بسيطًا، أرادها الأمير كلمة طيبة، أرادها للتوحيد من خلال إيمان الجميع بإله واحد لا شريك له. و ليصل الأمير إلى عقولهم.

---

[1]– االأمير عبد القادر الجزائري، المقراض الحاد، المصدر السابق، ص.199

[2]– نفسه، ص.199.

[3]–نفسه، ص.ص،199- 200.

[4]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.211.

[5]– أنيسة.بركات، المرجع السابق، ص.105

3- مذكرات الأمير:

هي عمل أدبي يلتقي فيه التحرير الشخصي للأمير مع الإنشاء الجماعي حيث ترك الإشراف لإنجاز هذا العمل لصهره،و صديقه و خليفته[1] مصطفى بن التهامي[2] لأن المخطوط لا يحتوي على توقيع بل نجده فقط يتكلم في الصفحة الأولى على تكليفه لابن التهامي بكتابة المخطوط والإجابة باسمه على الرسالة التي طلبت منه تأليفًا يشبه السيرة الذاتية[3] فيظهر أن ما كتبه الأمير بيده ينحصر ما بين الصفحة 100 إلى الصفحة 117 ثم مرة أخرى من الصفحة 141 حتى إلى آخر الصفحة 171 [4].

حيث يذكر محقق النسخة أن ثمانية ناسخين تداولوا على كتابتها [5] مع إختفاء الأمير وراء ضمير الغائب لما يميزه من سجع في أسلوبه و مواصلته في غير مرة الحديث على لسانه [6] حيث يؤكد كذلك في قوله:«... إن هذه الرسالة قي معظمها إن لم تكن بأكملها من تأليف الأمير عبد القادر اللهم إلاّ ما ورد في الصفحات 85 و 09 وما بينهما بخط مصطفى بن التهامي و الذي يبدو أنه من أسلوبه» [7]. و قد حُققت هذه النسخة على

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد صغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، ط3، الجزائر، دار الأمة، (1998)، ص.10.

[2]- مصطفى إبن التهامي: هو ابن مفتي وهران و من الذين تلقوا تعليمًا دينيًا و أدبيًا جيدًا، صهر الأمير، تزوج أخته خديجة و كان خليفته على معسكر، فعهد له الأمير بالمهمات الصعبة، كمفاوضة التيجاني عام:(1254هـ/ 1838م)، يقول عنه هاشمي بكار أنه رئيس العلم و الدراية و الفقه و التفسير و الرواية، و أنه الوزير الأول للأمير عبد القادر. كُلف بحماية الأسرى بعد معركة سيدي إبراهيم و التي يرجع إليه مقتلهم عند بعض المؤرخين، رافقه في سجنه (بنو) و أمبواز قام بمهمة تدريس أبناء الأمير و كان منشط دراساته في المجلس الأدبي الديني الذي كان يجتمع كل يوم حول الأمير بعد الظهر بقراءة دينية للجميع. كما قام أيضا بتدريس أبناء الجزائريين المهاجرين حين رافق الأمير للمشرق فإنتصب للتدريس في الجامع الأموي. - راجع: مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.08.

Hénri. Tessier, « l'entourage de l'Emir ABD elkader et le dialogue islamo- chrétien » (esctrait d'un ouvrage inedit) in : islamo christiana, Roma, Instuto, Di Studi, Arabi,T1,1975, p.43.

و أيضًا: الكولونيل. سكوت، مصدر سابق، ص.112. و أيضا: بلهاشمي بن بكار، مصدر سابق، ص.139.

[3] –H.tessier, Op. Cit, p.43.

[4]– يحدد ه هنري نسبة الصفحات المكتوبة بخط الأمير من: 100 إلى 116 و من: الصفحة 141 إلى الصفحة 172.

- راجع: H.tessier, Op. Cit, p.43 وأيضا: مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.14.

[5]– نفسه،16.

[6]- نفسه، ص.24.

[7]– نفسه، ص.24.

يد محمد الصغير بناني و حُققت مجددا على يد يحيى بوعزيز والأصل المخطوط موجود بالمكتبة الوطنية [1].

و قد كتب الأمير هذه المذكرات تلبية لرغبة بعض المترددين عليه من المثقفين والمستشرقين، الذين كانوا يهدفون إلى معرفة نوازعه و مواقفه إزاء الحرية و الأديان و الإنسان و الفلسفة و نظم الحكم فيحدد لنا كاتب السيرة بأن " بعض أساقفة النصارى طلب كتابًا ضمنه تاريخ ما جرى بيننا و بينهم بالقطر الجزائري من مصالحة ومكافحة وبيان سبب كل واحد من الأمرين و نزيده مع ذلك التعريف بالمجاهد الإمام الأعظم الأعدل الأكرم " [2] إذن استجاب الأمير لطلب بعض الأساقفة أو حتى لطلب قبطان لا نجد اسمه. و باب الترشيحات هنا كثير لا مجال لذكرها[3] و في المقال الذي تناول فيه الأسقف هنري تسييه المخطوط تكلم عن مقال صدر عن دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى حيث يذكر لنا السيد: (قس فليكس مورنارد) (Flix Mornard). « أن الأمير خلال أسره كتب كتابان أحدهما مذكراته و الآخر كتاب يتحدث عن الوفاء عند المسلمين و معاملاتهم»[4].

ثم نجده أيضًا يستعين بما جاء في كتاب مورنارد المعنون بـ " الحياة العربية " في الفصل العشرين، حين يتحدث عن زيارته لأمبواز مع بواسوني واصفًا حال الأمير هناك فيقول عن الأمير بأنه « في كل وقت يقرأ و يكتب في التصوف، إنه يعمل دون توقف، فرأيت منه مخطوطات مكتوبان بخط يده ألفهما في أمبواز أحدهما سيرته الذاتية تحمل مذكراته التي تبرز سياسته الحربية و يخضع للأحداث لا للتواريخ المرتبة معالجًا قضايا عامة والكتاب الآخر في عدم فقده الأمل في نيل حريته و عن الوفاء عند العرب و الاختلاف مع الآخرين» [5].

---

[1]– مصطفى.إبن التهامي، حياة الأمير عبد القادر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2592، راجع: الملحق رقم: 03

[2]– مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.17.

[3]– لقد تعرف الأمير على بعض الأساقفة منهم دوبش (Dupeche) في مفوضاته معه بخصوص الأسرى، و ذهب إليه في مدينة بو و أمبواز و رافقه على اللوار كما تعرف على الأب دوني (Donnet) أسقف بوردو في طريق لأمبواز و الذي أهدى له شعره في أكتوبر إلى نوفمبر(1248م/ 1832) و في أمبواز أيضًا استقبل أسقف تور و بعدها السيد رابيون (M. Rabion).

- راجع: H. Tessier, Op. Cit, p.45 .

[4] - H. Tessier, Ibid, p.44.

[5] -Ibid, p.44.

و يضبط تسيه الكتاب بما نقله عن جريدة الأخبار في عام 1839م يطابق ما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية في عددها 16 أكتوبر 1849م الموافق لـ 29 ذو القعدة 1275هـ ما يلي:« علمنا أن بواسوني طلب من الأمير كتابة تاريخ مرتبط بالفترة التي حكم فيها في الجزائر بأسلوبه، يضمنها معارفه الواسعة و أن يعطي عمله هذا أهمية كبرى، و بأن أحد إخوة الأمير كذلك عمل على كتابة تاريخ مرتبط بتاريخ العرب، منذ الإحتلال الفرنسي، و أن لا نشك في أن هذه الأعمال، مهمة جدًا و تمدنا بوثائق هامة » [1].

أما عن الدافع الحقيقي لقبول الأمير، فهو يعود حتمًا لمضمون الطلب، في حد ذاته واللهجة التي جاء بها، و مخاطبته لذكاء الأمير و فطنته، حين يقول له الطالب: « وأعلم أنك إن قبلت كلامي و فعلت بمزيتي تنفع إن شاء الله و تبطل جميع كذب الكذابين الذين كذبوا عليك و على حوادثك في القوارط و تصفي القول و القال من تكثير كذب الكذابين عليك، و لك الأجر التام من الملك العلام و الله يوفقنا للخير بجاة أهل الخير»[2].

و يرى المهدي بوعبدلي في دراسته لجزء من هذا المخطوط أن الأمير كان يدرك جيدًا الوضع الذي كان فيه، من أجواء مضطربة بعد خيانة الوعد الذي قطع له وأسره و تحميل الرأي العام الفرنسي مسؤولية مقتل أسرى سيدي ابراهيم للأمير عبد القادر. بعد الحملة التي قام بها المارشال بيجو[3] فكان على الأمير إذن قُبول هذه الفرصة لما ستمنحه إياه من نفع ديني و دنيوي حسب نص المخطوط: " فأجبته بالموافقة واثقًا بإعانة المالك و سالك صحة المسالك و مرتجيًا نفعًا دنيويًا مآله الصلاح الديني بحول الله و قوته " [4].

إذن يتضح لنا الهدف الحقيقي من هذا التأليف فيظهر سلبيًا محضا من كلا الطرفين بحيث أن محتوى المخطوط لا يُطابق طلب الأساقفة، كما أن معظم الأحداث هي

---

(1) – H.essier, Opcit, p.44

(2)– مذكرات الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص.35.

(3)– مهدي.البوعبدلي، « أضواء على حياة الأمير عبد القادر »، في: مجلة التاريخ، عدد رقم 02، (1975)، ص.54.

(4)–المصدر السابق، ص.35.

عبارة عن أدلة سياسية حيث نفهم جيدًا من خلال هذا المحتوى أنه موجه في إطار ساعي أخرى كالتي قام بها دوبيش عام: (1266هـ/1849م)،لإطلاق سراح الأمير[1].
و قد اعتمد الأمير فيه صحبة ابن التهامي على روافد علمية مثلها في شكل شواهد كثيرة من القرآن الكريم و الحديث و السيرة النبوية و أشعار العرب، حرصًا منه على الحفاظ على التراث الإسلامي العربي[2] و على الاستفادة منه و تعريفه للغير كما اعتمد أيضا على شهود عيان عاشوا الأحداث، فهو مثلا من أهم شهودها. فأعطانا بذلك تفسيرًا من داخل الواقع، كما يلاحظ عدم اعتماده على تقاييد مدونة لغزارة ما كان عالقًا بذهنه و ذهن مساعده مصطفى بن التهامي من جهة و لأنه يعرف جيدًا كيف يستغل معارفه[3] و يوظفها توظيفًا جيدًا من خلال ما رأيناه في كتابه (المقراض الحاد)، و أيضا في كتابه: (ذكرى العاقل)، أما عن شكل الكتاب و عدد فصوله فقد جاء مميزًا بحيث رأى الأمير أن ما طرح عليه لن يكون بالدقة اللازمة إلاّ إذا قسمها إلى سبعة فصول فيعلل الكاتب ذلك بتفاؤله بالرقم سبعة فيقول: «و لم يرد في كتابنا اليد إلاّ التعبير بمثل هذا دون غيره من مراتب الألوف و المئين و العشرات فأصحاب الكهف سبعة و الأقاليم سبعة، و الدراري سبعة، و الأرضون سبعة و البحار الممثل بها في الكتب سبعة والمثاني سبع و البقرات في رؤيا ملك مصر، التي عبرها الصديق على نبينا وعليه السلام و من هذه آحاد السبعين و كثير ما ورد التحديد بالعدد قال الله مولانا:(و اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا) [4](و إن نستغفر لهم سبعين مرة) [5](ذرعها سبعون ذرعا »)[6].

---

(1) –Opcit, p.45.

و أيضا: مهدي.البوعبدلي، المقال السابق، ص.55.

(2)– عبد القادر.بن حراث، « جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الادبية »، في : مجلة أمال، العدد 8، جويلية، (1970)، ص.ص، 8-9.

(3)- مهدي.البوعبدلي، المقال السابق، ص.57.

(4)- سورة الأعراف، الآية رقم: 155.

(5)- سورة التوبة، الآية رقم: 80.

(6)- سورة الحافة، الآية رقم: 32.

ففي المقدمة عرف بخطة عمله و سبب تقسيمه لها إلى سبعة فصول [1].
فالفصل الأول. يتحدث عن نسب الأمير و زاوية أجداده و مولده و دراسته و أسماء شيخوخة و العلماء الذين درسوا في الجزائر أو في المشرق، و الذين ينحدرون من الإمام الرابع إلى الإمام مالك.

و يتحدث الفصل الثاني عن: نسب الرسول ε و امتداد نسب الأمير منه، حاكيا عن قدماء أجداده العرب أحفاد الرسول ε، و يتوضح لنا الهدف من هذا الفصل في عنايته بتحديد مكانة عائلة الأمير و سموها بين مصاف الشرفاء المنحدرين من الرسول ε.
في حين جاء الفصل الثالث، و المعنون بالنبوة و الرسالة حول التفاضل بين الأنبياء في كل ما جاء به كل واحد من كرامات و نبوءات.
أما الفصل الرابع، و هو أطول الفصول فيتناول الأمير منذ ولادته مع والده وانطلاقهما من الجزائر صوب المشرق و كل ما مر ِبه من أحداث حرب و سِلم حتى أسره و وصوله إلى (بو).
بينما خصص الفصل الخامس، لإظهار فِرق العرب و سجاياهم حين تناول مواضيع متفرقة، كتاريخ الأنبياء و بناء الكعبة، و التعريف بقدماء الملوك العرب من ذوي السيرة العالية. و أما الفصل السادس، فجاء تحت إسم نسب المسيحيين و فرقهم فتناول علاقات العرب مع المسيحيين و أصولهم الواحدة، و التعارف الأول بين المسلمين ومسيحي أثيوبيا. ثم يناقش حقيقة الإيمان في المسيحية كما يتحدث عن عودة المسيح يوم القيامة ليتكلم في النهاية عن الحملة على مصر و الإسكندرية مع عرضه لعلاقة المسلمين بالأقباط.
و أخيرًا حوصلة عن عدد الشهور و السنين و تسمياتها المختلفة عن العرب و الحج وكلام خاص حول يوم القيامة و نظرة الديانات.
أما فيما يخص أسلوب الكتابة عند الأمير في هذا المخطوط فنجده يوحي بجو القلق الذي كتب فيه المخطوط و يؤكد على سرعة التحرير فيه، بالإضافة إلى استعمال

---

[1]– مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.ص،43- 44.

العبارات الشعبية الدارجة و المصطلحات المحلية[1] و زيادة على ذلك استخدامه للمصطلحات الفرنسية المنطوقة بالعربية مثل " لقيرا " (الحرب) و "الكراريس" (السيارات) و " المير لانتي " (رئيس البلدية) و لعلها كانت مقصودة لتصل بأسلوب متقارب مع أسلوب هؤلاء الأجانب الذين يتعاملون مع العربية بصعوبة [2] بالإضافة إلى ابتعاد الأمير عن أسلوب المفاخرة فجاء المخطوط كشهادة أخرى مباشرة عن مستوى الثقافة القروية الجزائرية [3].

يبدو من خلال هذه المذكرات، إمكانية الاستفادة منها للتعرف على الحياة الثقافية ببلاد غريس[4] فهي سجل صادق عن الوضع الثقافي بغريس من خلال التعرف على الدور الذي لعبته الزاوية و حجم التدفق الطلابي عليها آنذاك.

لقد شرح الأمير من خلال هذه الفصول واقعه و حياته و عالج بصراحة تعداده للعراقيل التي واجهته و ظاهرة التباعد بين الضمير السياسي الوحدوي الذي تبناه وكافح لأجله و سلوك التشتت و العصبية و العداء و العمالة [5] مبررًا مدى تقيده في معاملته، لأمثال هؤلاء، بتعاليم الدين الإسلامي، سواء مُحاربته لصاحب عين ماضي أو في قتله لبعض خُافاء العهد التركي أو سجنهم، و من ذلك مقتل مدرسه قاضي أرزيو[6].

كما شرح فيه عددًا من المبادئ السياسية، بالإضافة إلى المبادئ الدينية، كنظرة الدين و العقيدة الإسلامية للإنسان و موقفها من المسيحية، مدمجا في ذلك مظاهر التقارب بينهما بأسلوب و ذهنية تنم على تفتح ثقافي و اجتهاد صادق لإحلال التفاهم بين الديانات من خلال تلمس مواطن التقارب بينها [7].

فقد قسم الأمير نقطة تركيزه على الحوار الديني إلى تقاليد خاصة بالمسيح و أخرى بالمسحيين و آخر تناول رد فعل المسلمين على المسيحية محاولاً إزاحة العراقيل

---

[1]– عبد القادر بن حراث، مقال سابق، ص.06.

[2]- المقال نفسه، ص.10.

[3]- المقال نفسه، ص.08.

[4]- مهدي.البوعبدلي، المقال السابق، ص.51.

[5]- عبد القادر بن حراث، مقال سابق، ص.06.

[6]- مهدي.البوعبدلي، المقال السابق، ص.56.

[7]– عبد القادر بن حراث، المقال السابق، ص.06.

الحائلة دون التفارق بين المسحيين و المسلمين. فيرى الأسقف تيسيه:« أن القارئ المسيحي للمخطوط تفاجئه أهمية المواد التاريخية التي لا نجدها في الأناجيل الأربعة» [1].

كما يؤكد الأسقف أن الكتاب يلخص سيرة المسيح و رسالته و ملامحة لدرجة أنهما تجتمعان حول تفاصيل الحوادث في مخطوط الأمير[2] فالمخطوط هو شهادة لتطور العقيدة المسيحية [3] و هو أكثر من اتفاقية حوار بين المسيحية و الإسلام، لأنه صادر عن رجل، عمل السنوات، متحملاً مسؤولية شعبية، في مقاومة أمة مسيحية و رؤية المسيحية.

كما أن ما يعكسه الفصل السادس من الأهمية بما كان حين تكلمنا عن نظرة محيط الأمير للمسيحية و هو عينة من محيط كبير في أوساط ريفية لكن مثقفة في جزائر ما قبل الاحتلال [4].

4- ذكرى العاقل و تنبيه الغافل:

جاء موضوع هذا الكتاب في الحكمة و الشريعة [5] ضمنها الأمير مسائل جمّة في مختلف العلوم كالتاريخ و الفلسفة و الدين و الإصلاح الاجتماعي و الأخلاقي[6] و لهذا تعتبر هذه الرسالة من أهم مؤلفات الأمير شهـرة. ألفـها الأمير في دمشق (14 رمضان 1271هـ/ 1855م) [7] طبع مرتين أولها سنة (1275هـ/ 1858) [8] والثانية عام (1249هـ/ 1877م) [9].

أعاد طبعها ابنه الأمير محمد في مطلع القرن العشرين و بداية العشرينيات في القرن الرابع عشر هجري [10].

---

(1) –H.Tessier, Op. Cit, p.47.

(2) – Ibid, p.47.

(3) -Ibid, p.48.

(4) Ibid, p.47.

(5)– عبد الرحمن.برج، «مع الأمير عبد القادر في المشرق العربي »، في: المجاهد الثقافي، العدد 17، (1971)، ص.12

(6)– يحيى.بوعزيز، مرجع سابق، ص.131.

(7)– الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، مصدر سابق، ص.164.

(8)- راجع: عبد الرحمن.الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط7، الجزائر، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، (1994)، ج4،ص.62.

(9)– عبد الحميد حاجيات، المقال السابق، ص.11.

(10)– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.54.

فيقول الأمير في هذا الصدد:« أما بعد فقد بلغني أن علماء باريز وفقهم العليم الحكيم كتبوا اسمي في دفتر العلماء، و نظموني في سلك العلماء فاهتززت لذلك فرحا، و اغتنمت ترحا فرحت من حيث ستر الله علي حتى نظر عباده بصد الظن، إلي، و اهتمت من كون العلماء إستسمنوا، ذو ورم و نفخوا في عير ضرم ثم أشار علي بعض المبين منهم بإرسال بغض أن أكتب إليهم من بعض الرسائل فكتبت هذه العجالة، و سمّيتها "ذكرى العاقل و تنبيه الغافل"» [1].

أما عن سبب إختيار الأمير عبد القادر لكتابة مؤلفه " ذكرى العاقل" الذي تكلم فيه عن بعض المسائل الدينية فيعود في الأساس إلى مجاراته لكتاب وفقهاء عصره، الذين كان اهتمامهم الأول والأخير بالبحوث الدينية والأدبية [2] و زاد من نوعية هذا الاختيار الميل الواضح لديه للمباحث الفلسفية التي درسها أضاف لها معرفة جديدة بعد احتكاكه بعلماء فرنسيين، مدة اعتقاله بأمبواز، و اطلاعه على أفكارهم، فهذا الاختيار إذن هو محاولة من الأمير عبد القادر أن يُنازل فكرا ناضجا بما رصده من أبحاث الغزالي وبن سينا و ابن عربي، مصيغا إياها بأسلوب مرتب متناسق، و لعل سبب تسمية الأمير لهذا الكتاب تعود إلى إطلاعه على عنوان مشابه لدى شيخه محي الدين بن عربي في كتابه: (محاضرة الأبرار و مسامرة الأخيار)، حيث سمى بابا من أبواب كتابه " تذكرة عاقل و تنبيه الغافل" [3] فلعل هذا العنوان ظل راسخا في ذاكرة الأمير ووظفهُ للتذكير بما سبق و أن أظهره في كتابه المقراض الحاد و كأنها موسوعة فكرية تتواصل حلقاتها من خلال قلم الأمير عبد القادر.

كما نجد لهذا الكتاب تسمية أخرى وردت في مجلة البصائر تحت اسم " تنبيه الغافل وعبرة اليقظان"[4] و لعل الترجمة هي المتسببة في عدم ضبط العنوان، إلاّ أن المؤكد أن هذا الكتاب ألفه الأمير بعد اختياره كعضو مُراسل لمجمع الخالدين في باريس[5]

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، مصدر سابق، ص.20.

[2]- رابح.بونار، « نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر »، في: مجلة الثقافة، الجزائر، السنة الثالثة، العدد 15، جوان، جويلية، سنة (1973)، ص.21.

[3]– محي الدين.بن عربي، محاضرة الأبرار و مسامرة الأخيار، المجلد الثاني ،بيروت، دار صادر، د.ت.ن، ص.149.

[4]–عبد الكريم.الصفاقسي، « محاضرة في تاريخ الأمير عبد القادر »، في: البصائر، عدد 15، ديسمبر (1949)، ص.06.

[5]– أحمد.رويش، مرجع سابق، ص.195.

حيث استن المجمع العلمي الفرنسي في القرن التاسع عشر انتقاء أعضاء مراسلين له بتأييد بهم و يُفيد من أرائهم و خبرتهم[1] بما يُضيفه إلى المعرفة الإنسانية، و يسجل في موسوعته العلمية و يقدمه إلى الأجيال الصاعدة في مساهمة منه في خدمة الحضارة و التقدم العقلي و الفني.

فكان اختيار عبد القادر عضوًا مراسلاً لمجمع الخالدين في باريس لينظم إليهم كعضو من أعضائه و عالم من علمائه له دلالة علمية و فكرية هامة [2].

و قدم هذا البحث في نسختين إحداهما باللغة العربية و الأخرى بالفرنسية بقلم ترجمان القنصلية في دمشق[3] وأراد الأمير بها عضوية قائمة على مساهمة فعلية في المجال الفكري [4] بتقديم نظرته عن ثقافة عصره من خلال مناقشته لمسائل جمة في مختلف العلوم من معتقد و فلسفة و أخلاق و تاريخ و إصلاح اجتماعي [5].

أما عن شكل الكتاب فهو متوسط الحجم متكون من 158 صفحة من الحجم المتوسط قسمه الأمير إلى مقدمة و ثلاثة أبواب و خاتمة قام بتحقيقه و تقديمه د.ممدوح حقي وطبع في دار اليقظة العربية.

في المقدمة يعرض الأمير محتوى عمله وخطته المفصلة، حيث يدور محتواه حول العقل و العلوم و ما يكشف بفضلهما من رسائل إدراك و بفضلهما نستنتج التمايز الحادث بين الناس و ما ينتج عنه من سر اختلاف المراتب.

حيث جاء الباب الأول العلوم و الجهل بين فضل العلماء و أقسام العلم محمود مذموم.

أما الباب الثاني فجاء حول إثبات العلم الشرعي فمُحاولته لإثبات النُبوة و حاجة الإنسان إلى العلوم الشرعية و العقلية لإدراك الرسالة في حين أن الباب الثالث مخصص للحديث عن فضل الكتابة و تاريخها. أما الخاتمة فهي حديث خاص عن أقسام الناس و اختلاف أجناسهم و الفروقات بينهم حسب العلوم و المعارف و من حضارة العرب.

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل، مصدر سابق، ص.07.

[2]- محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.54.

[3]-عبد الرزاق.بن سبع، المرجع السابق، ص.195.

[4]- عبد الحميد.حاجيات، المقال السابق، ص.88.

[5]– ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص.122.

أما عن أهم محطات محتوى هذا الشكل المتناسق فكانت موزعة على كل الأبواب فمثلاً نجد الباب الأول مناقشة الأمير لحكمة هامة يقول فيها:« يعرف الرجال بالحق و لا يعرف الحق بالرجال»[1] و معنى هذا القول المهم أن الأمير عبد القادر حاول تقديم النصح الإنساني، قاصدًا بأنه على العاقل أن ينظر في القول و لا ينظر في قائله فإن كان القول حقًا قِبلَهُ سواء كان قائله معروفًا بالحق أو بالباطل و ينبهنا السيد محمد بلغراد بأن هذا المبدأ استخدمه الغزالي في كتابه " المنقذ من الظلال" و في ميزان العمل و معيار العلم حيث قال: « يعرفون الحق بالرجال و لا يعرفون الرجال بالحق» و كذلك لاحظ السيد محمد بلغراد تأثر الأمير بالسلف الصالح حين نجد فعلا معنى لهذا القول في كلام الإمام علي (ت) حين قال:« لا تعرف الحق بالرجال بل أعرف الحق تعرف أهله».

ثم نجده يناقش أهمية العلم و أن نتائجه لا تقف عند حد و تصرفات العقول لا نهاية لها لأنها واسعة و بأن العلم لا ينتهي بقول القائل « ما ترك الأول للآخر شيئا»، فحسب رأي الأمير أن هذا التفكير خطير و مريض، لأن السلف الصالح من العلماء فازباستخراجه للأصول و بتمهيده للقواعد لكن على الخلف إذن الاستنباط من الأصول وزيادة بناء تلك القواعد [2].

ثم يحدثنا عن فضل الاعتناء بالعلوم و التفاضل بين المتعلم و غير المتعلم[3] ليقسم العلم إلى مذموم و محمود، فالمذموم ما يضر كالسحر و الطلسمات التي تهدم أكثر ما تنفي و تظل أكثر ما تهدي [4] و المحمود ما ينتفع به فهو يبتعد عن الأفكار المتحجرة حين يتكلم بثقة كما أوجدته العلوم الحديثة من منافع مادية لكنه في نفس الوقت ينبذ التقليد الأعمى.

---

(1) - l'Emir Abdelkader, le livre d'Abdelkader , traduit par Qustave Dugat, Appel à l'intéligent avis à l'indiffirent,Tunis,EditionBousalama,p.7-8

(2)- نقولا.زيادة، صفحات مغربية، بيروت، منشورات دار الطليعة، أوت (1966)، ص.141.

(3)– أنور.الجندي، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، ط1، القاهرة، منشورات المكتبة الإنجلو مصرية، (1970)، ص.256

(4)- عبد الحميد.ساحل، المرجع السابق، ص.65.

و بين ضرورة توفر العقل الرشيد للقيادة حيث يقول:« الأعمى لا يصلح أن يقود العميان »[1] و « و أن بهيمة تقاد أفضل من مقلد يقاد »[2] نبذًا للبدع و الخرافات والأعراف المتناقلة الضارة [3].

و أكثر ما يشد انتباهنا تركيز الأمير على العلماء و كونهم ورثة الأنبياء فقال: « إن العالم متصرف في قلوب الناس المتعلمين»[4] و «ميزة الإنسان تتحقق بالعمل و كمالها بالمعرفة» [5] و أن إدراك شرف العلم يدرك بشيئين شرف الثمرة و قوة الدليل [6].

و قد أثبت الأمير أن شرف الإنسان لا يتم إلاّ بالعقل الذي هو بحاجة لعناية وأن كل الصفات المحورية كالفضيلة تتوقف على الشجاعة و العقل و العدل و قوة العفة [7] حيث يقول في نص كلامه:« فأمهات الفضائل هي الأربعة: العلم و الشجاعة وقوة العفة و العدل، فمن جمع هذه الأربعة على الكمال استحق أن يكون بين الخلق [8]. عن هذه الأربعة كلها و اتصف أضداده، استحق أن يخرج من بين العباد و يطرد من البلاد » [9] و هذه الجملة لا توجد إلاّ في النسخة المخطوطة و حذفها المحقق، ناشر الكتاب [10] ثم نجده في الباب الثاني يتكلم عن التسامح الديني حيث يرى بأن الدين واحد باتفاق الأنبياء، و إنما اختلفوا في بعض القوانين [11].

رأى أنهم جميعهم يدعون إلى التوحيد حيث يقول:« أساس الديانة و أصولها لا خلاف فيها بين الأنبياء من آدم إلى محمد عليه الصلاة و السلام فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإله وتفضيله» [12].

---

[1]- الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، المصدر السابق، ص.32.

[2]- المصدر السابق، ص.33.

[3]– نفسه، ص.ص، 32- 33.

[4]– نفسه، ص.46.

[5]– رابح.بونار، المقال السابق، ص.24.

[6]– الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، المصدر السابق، ص.46.

[7]- رابح.بونار، المقال نفسه، ص.25.

[8]- الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، المصدر السابق، ص.32.

[9]- عبد الحميد.حاجيات، المقال السابق، ص.89.

[10]– نفس المقال، ص.89.

[11]– الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل، مصدر سابق، ص.103.

[12]- ذكرى العاقل، مصدر نفسه، ص.103.

أما الباب الثالث فيتكلم عن فضل الكتابة و تدريس العلوم، أثبت الأمير، أن رقى الإنسان راجع للكتابة، و التدوين، و بفضلها تقدم الإنسان. حيث أعطى الأمير نموذجا للكتابة العربية[1] وتنبيها خاصا بالحروف العربية[2] بالإضافة إلى خاتمة[3] وخاتمة أخرى للرسالة ككل ضمنها انقسام الناس حسب العلوم والمعارف واختلاف المذاهب[4].

- تقييم عام لكتاب ذكرى العاقل و تنبيه الغافل:

تباينت آراء الكتاب والباحثين، في كتاب ذكرى العاقل فقد قال عنه الباحث رابح بونار أنه جاء درة في الأدب النثري بالجزائر في القرن التاسع عشر ميلادي[5] بأسلوب واضح، لعله أول حلقة من الأسلوب المتجدد[6] في حين يرى هنري تشرشل أنه مليء بالنقل الحرفي من إحياء علوم الدين للغزالي.[7]

بينما يرى أ.عبد الحميد حاجيات أن هذا الكتاب يدل على سعة ثقافة الأمير ومواقفه من الحضارة الغربية المعاصرة له و مدى تأثره بما امتازت به هذه الأخيرة من اختراعات و ازدهار صناعي و علمي.

ويرى عبد الحميد حاجيات فيه، أن الأمير في نفس الوقت لم يحد عن أصالة الثقافة العربية الإسلامية و إنما حاول الخروج من التقوقع و التزمت و التفتح على ما طرأ من تقدم على الحضارة الإنسانية بغية الالتحاق بركب الدول المتقدمة [8].

كما يرى عبد الرزاق بن السبع بأن الأمير أراد بهذا الكتاب أن يثبت لعلماء أوربا مدى غزارة موروثة الثقافي، و مدى ترفعه عن التعصب في العلم أو الدين مبينًا إيمانه القوي بضرورة الحفاظ على العلم بوسيلته الهامة و هي الكتابة و بضرورة مواصلة عمل الأولين بالعقل و النقل فتحًا لأبواب الاجتهاد [9].

---

[1]– ذكرى العاقل، مصدر سابق، ص.119.

[2]– نفسه، ص.125.

[3]– نفسه، ص.129

[4]- نفسه، ص.ص، 137-158.

[5]– رابح.بونار، لمقال السابق، ص.23.

[6]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.54.

[7]– نقلا عن: هنري.تشرشل، حياة الأمير عبد القادر)، مصدر سابق، ص.27.

[8]– عبد الحميد.حاجيات، المقال السابق، ص.189.

[9]- عبد الرزاق.بن سبع، المرجع السابق، ص.203.

5- المواقف في التصوف والوعظ و الإرشاد:

يُجمع باحثو و دارسو حياة الأمير عبد القادر و آثاره على أن كتاب المواقف هو أهم مصنف ألفه الأمير سواء من ناحية الحجم أو الموضوعات التي يبحثها.

و يقول الدكتور عبد الرزاق بن السبع في هذا المجال: أن الأمير « أودع فيه زبدة تجاربة و بين فيه بوضوح مذهبه الروحي و الصوفي و الفاسفي في الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها » [1].

فجاء بذلك حصيلة ثرية لحواراته و تأملاته[2] و ثمرة لنشاط الأمير التعلمي [3].

كما يرى الدكتور محمد عبد الرحمن برج في مقاله:« مع الأمير عبد القادر في المشرق العربي » « أنه لا يوجد نظيره من المتأخرين» [4].

فحاول الأمير في هذا الكتاب بث أرائه الإصلاحية متفائلاً بتطبيق الإصلاح المنشود [5].

- أسباب التأليف و تاريخه:

جاء كتاب المواقف استجابة لطلب جلسائه من العلماء الذين التمسوا من الأمير أن يدون لهم ما يلقيه من دروسه في مجالسه[6] فوافق الأمير على ذلك حين اقترح عليه الشيخ عبد الرزاق البيطار أن يدون هذا العمل فجاء بعنوان " المواقف الروحية و الفُيوضات السبوحية "[7].

تحاور فيه مع ثلاثة من كبار علماء عصره و هم الشيخ عبد الرزاق البيطار و الشيخ محمد الخان و الشيخ محمد الطنطاوي [8].

---

[1]– عبد الرزاق.بن السبع، عبد القادر الجزائري و أدبه، مرجع سابق، ص.223.

[2]– أحمد.رويش، في صحبة الأميرين، مرجع السابق، ص.195.

[3]– عبد الحميد.حاجيات، « الأمير عبد القادر و إنتاجه الأدبي »، مقال سابق ، ص.92.

[4]– محمدعبد الرحمن.برج، « مع الأمير عبد القادر في المشرق العربي »، مقال سابق، ص.12.

[5]– عبد الرزاق.بن السبع، مرجع سابق، ص.223.

[6]- المرجع نفسه، ص.224.

[7]- نزار.أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص.29.

[8]- أحمد.رويش، مرجع سابق، ص.195.

فكان بذلك خلاصة لاعتكافه و تأمله في موسوعة ابن عربي الصوفية و هي الفتوحات المكية و كذلك فصوص الحكم...[1] فكان خلاصة اعتكاف و انكباب على مدى العقدين الأخيرين من حياته في القراءة و التأمل.

فيفتتح الأمير كتابه بتأكيد هام عن طبيعة كتابه الصوفية فيقول:« هذه نفثات روحية وإلقاءات سبوحية بعلوم و هبية و أسرار من وراء طور العقل و ظواهر النقول خارجه عن أنواع الاكتساب و النظر في كتاب قيدتها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا و إذ لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها تركوها في زوايا أماكنها» [2].

و قد شرع الأمير في تأليفه بعد الرجوع من حجته الأخيرة [3] فالكشف قد عرفه الأمير مدة انقطاعه قرب المسجد النبوي مدة شهرين كاملين " مما قوى معارفه وزكى عوارفه" و تُؤكد لنا المرحلة العلمية في حياة الأمير و التي قضاها في كل من بروسة و دمشق أن المواقف هي نتاج العشر سنوات الأخيرة من حياة الأمير عبد القادر [4] .أما عن طبع هذا الكتاب و حجمه فهو يقع في ثلاثة مجلدات يبلغ عدد صفحاتها مجتمعة 1416 صفحة، تضم 372 موقفا. و قد طبع لأول مرة سنة: (1329هـ/ 1911م) [5].

و يورد الدكتور أحمد رويش في كتابه " في صحبة الأميرين" أنه طبع أيضًا في القاهرة سنة:(1344هـ/ 1925م)، بعد أكثر من أربعين عامًا من وفاة الأمير.

و جاء على غلافه ما يلي:« طبع على نفقة السيدة نبيهة هانم حرم العالم النبيل محمود باشا الأرناؤدي تنفيذا لوصيته و إحياء لعاطر ذكراه و ذلك بإهدائه مجانا لحضرات العلماء بالمعاهد الدينية الإسلامية » [6] و هذا لأصدق دليل على الإحترام الذي إكتسبه الأمير في قلوب الناس حتى بعد وفاته. وقد أعيد طبعه عام:(1362هـ/ 1966م)، عن دار اليقظة

---

[1]– محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، بحث و تقديم أنطوان موصلي، الجزائر، عن سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، موفم للنشر 1990 ص.8.

[2]- الأمير عبد القادر، المواقف، ج1.ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، (1996)، ص.01.

[3]– محمد الطاهر.العزوي، تصوف الأمير عبد القادر « تصوف جهاد في الجزائر و في السجن بفرنسا و في المنفى بالمشرق »، في مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، العدد الأول، (1998)، ص.203.

[4]- فريد.جحا، « عبد القادر الجزائري متصوفا »، في:مجلة المعرفة، السورية، عدد 185، جويلية، (1977)، ص.133.

[5]– عبد الرزاق.بن السبع، مرجع سابق، ص.223.

[6]– أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.147.

العربية للتأليف و الترجمة و النشر، و بوبت استنادا إلى النسخة الأصلية المكتوبة بخط الأمير و قوبلت بنسخة الشيخ عبد الرزاق البيطار و وقف على تصحيحها علماء أفاضل في دمشق [1].

و نتساءل بخصوص هذا العنوان " المواقف " [2] فلماذا هذا العنوان بالذات؟ وما هي مصادر تأليفه يُجيب: أبوعبد الله غلام الله في مقال له درس فيه هذا الكتاب أن الأمير " ذكر من بين مصادره ما كان يلقى إليه في المنام أو اليقظة و هو قائم في الصّلاة و ما أخذه عن رسول الله ε مباشرة. أو ما تلقاه من الشيخ محيي الدين بن عربي يقظة أو مناما لكنه لم يذكر من أين أخذ العنوان الذي وضعه لكتابه الضخم في التصوف "[3].

و افترض أبو عبد الله غلام الله، أن الأمير أخذ العنوان من أحد الكتابين التاليين: الأول بعنوان المواقف و المخطبات لصاحبه محمد بن عبد الجبار النفرى من متصوفة القرن الرابع الهجري [4] و كان هذا الأخير يبدأ كل مواقفه بقوله:« قال لي...» وهو أسلوب الرمز و الإشارة تماما كما فعل الأمير عبد القادر في كتابه المواقف.

و الثاني هو كتاب المواقف الإلهية على نسق الفتوحات المكية لصاحبه بن عبد القادر بن محمد بن ألبان الحلبي [5] و أدرجه الدكتور عبد الرحمان بدوي ضمن كتابه الإنسان الكامل في الإسلام الكويت، نشر وكالة المطبوعات سنة 1979 [6]. و كذلك الشيخ عبد الله البوسنوي [7] صاحب مواقف الفقراء [8] و لعل مواقف النفري هي من

---

[1]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.223.

[2] - المواقف: لغة جمع موقف و هو إسم مكان من الفعل وقف يقف وقفه شرحها عبد أجبار النفري في مواقفه الثامن و سماها موقف الوقفة و يقصد بها ينبوع العلم و روح المعرفة و حضرة الله، و باب رؤيته و نوره. إذن المواقف عند النفري هي مكان روحي يفصل بين منزلتين، السالك طريق الصوفية لتعلم علم المنزلة التي يريد الإرتقاء إليها و ليتزود بالزاد اللازم لمن يُريد الحياة فيها.

- راجع: فريد.جحا، المقال السابق، ص.ص، 135- 136.

[3]- بوعبد الله غلام الله، « وقفة على كتاب المواقف »، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الروحية للأمير عبد القادر ، د.ط، الجزائر، أكاديمية الجامعة لمدينة الجزائر، 21 جوان- 01 جويلية (1998)، ص.134.

[4]- توفي عام:(304هـ/ 965م).

[5]- توفي سنة:(1040هـ/ 1263م).

[6]- بوعبد الله غلام الله، « وقفة على كتاب المواقف »، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الروحية للأمير عبد القادر، مقال سابق، ص.134. و كذلك أنظر: مجلة مسالك، العدد 03 ديسمبر(1998)،ص.107.

[7] - عبد الله البوسنوي: توفي سنة:(1054هـ/ 1635م).

[8]– فريد.جحا، مقال سابق، ص.132.

أوحت للأمير بالعنوان لأنها ذكرت خمس مرات في فتوحات إبن عربي و لا يجهل أحد مدى مواظبة الأمير على قراءتها و كما سبق و أن رأينا أن الأمير أخذ عنه أيضا الدلالات الرمزية في بداية مواقفه [1] و هي إشارة هامة.

أما إذا عدنا إلى وصف الكتاب فقد استهله الأمير بالتأكيد على طبيعة الكتاب بقوله أن المواقف ما هو إلا « نفثات روحية و إلقاءات سبوحية بعلوم وهبية و أسرار غيبية من وراء طور العقول و ظواهر النقول خارجة عن أنواع الاكتساب و النظر في الكتاب قيدتها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا إذ لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها تركوها في زوايا أماكنها إلى أن يبلغوا أشدهم و يستخرجوا كنزهم» [2].

و حرص الأمير في هذه الموسوعة الصوفية على أن يُفهم مراده من الكتاب حتى لا يمسها التأويل أو الخطأ و يوضح هذا في أول موقف له حيث يقول فيه: « أهل طريقتنا رضي الله عنهم ما أدعوا الإتيان بشيئى في الدين جديد و إنما أدعوا الفهم الجديد في الدين التليد و ساعدهم الخبر المروي أنه لا يكمل فقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » [3].

و لم يدع الأمير في كتابه هذا ابتكار أشياء جديدة بل أدرك أنه قام بعملية اجتهاد لفهم الدين استنادا للشريعة كما فعل المتصوفة التابعين للمذهب السُني من قبله [4].

و هذا بالفعل ما يشرحه في موقفه الأول حيث يشرح معنى الآية الكريمة: (و لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [5].

حيث يربط القدوة بدور الصوفية الحقيقي البعيد عن خلق دين جديد بل هدفهم في فهم جديد للدين التليد.

ليؤكد من جديد أنه مبدع و ليس مقلد منقاد ففي الموقف الثالث عشر يذكر مطالعاته الصوفية و اختلافه مع بعضها، و فهمه العميق لبعضها الآخر، حيث لا يفهمها إلاّ

---

[1]- فريد.جحا، مقال سابق، ص.132.

[2]- الأمير عبد القادر، المواقف، مصدر سابق، ج1، ص.1.

[3]- المواقف، المصدر السابق، ج1، ص.26، (موقف1)

[4]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.22.

[5] – سورةالأحزاب، آية رقم:21

الصوفية فقط [1]، من شطحات مميزة كقول الجيلاني:« معاشرة الأنبياء أو تيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه» [2].

أما عن شكل المواقف و حججه فيوضحه لنا الجدول أسفله و قد يكمن عيب نسخ المواقف في عدم وجود فهرس في كل جزء مما يضطر القارئ إلى العودة إلى فهرس الجزء الثالث [3] و الأخير من الكتاب المطلوب و هذا الجدول يلخص المعلومات اللازمة للصفحات و المواقف حسب الأجزاء في هذا الجدول: [4]

الأجزاء	ترقيم الصفحات	عدد المواقف	عدد الصفحات
الجزء الأول	ص1- ص480	215 موقفا	480 صفحة
الجزء الثاني	ص481- ص960	83 موقفا	482 صفحة
الجزء الثالث	ص963- ص1416	74 موقفا	456 صفحة
المجموع	-	372 موقفا	1416 صفحة

مع العلم أن أحجام المواقف تختلف من حيث الطول و القصر و من أمثلة ذلك:

الموقف 358 و الذي يضم قرابة ثمانين صفحة يفسر فيها المؤلف النص الشعبي من فصوص الحكم بينما الموقف 227 يتمثل في سطور وأطولها الموقف 248 في الجزء الثاني حيث كلف 175 صفحة.

و أشار فيه القارئ نيته في جعله رسالة أو كتابا مستقلا أراد تسميتها" بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب" [5].

أما عن محتوى هذا الكتاب أو الموسوعة الصوفية فهي تدل في مجملها على أن الأمير كان مطلعا على الثقافة الإسلامية بوجهيها الديني و الدنيوي إطلاعا جيدًا [6]

---

[1]–المواقف، مصدر سابق، ج1، ص.46، (موقف 13).

[2]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.64.

[3]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.ص، 223- 224.

[4]– نقلا عن: محمد. بلغراد، المقال السابق، ص.61.

[5]- محمد. بلغراد، المقال السابق، ص.60. و أنظر كذلك: عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.231.

[6]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.57.

وهو عبارة عن أحاديث دينية مثل: الموقف 9 صفحة 42، و موقف: 22 صفحة 65 [1] إذ تنحصر في شرح آية قرآنية، أو حديث نبوي في مختلف المسائل الدينية من إعتقادية وفقهية و أخلاقية و غير ذلك حيث يخصص لكل مسألة موقف من المواقف [2] فقسم كبير من المواقف هو عبارة عن تعليقات و شروح على أحاديث نبوية وتفسيرات لأبيات في التصوف، أو أجوبة عن أسئلة، و شروح لبعض من فصوص الحكم لصاحبه محي الدين بن عربي، [3] مثل الموقف 22[4].

كما تضمن أيضا توضيحا هاما لرسالة الغيب للعارف الشيخ صدر الدين القونوي ربيب الشيخ الأكبر بن عربي [5] أما بقية المواقف ثلاثة أرباعها شروح وتعليقات على الآيات [6].

كما أنه يورد كثيرًا ألفاظ الفلاسفة و المتكلمين و أرائهم و يناقش ذلك أيضا [7].

و كذلك مواقف صوفية يعرضها و يفسرها مثل: الموقف 76 صفحة 38 و الموقف 17 صفحة 56 و الموقف 30 صفحة 75...إلخ [8].

تختلف المواقف باختلاف المسائل المطروحة و يغلب عليها الطابع الصوفي [9].

فهي تقوم على عرض وجهة نظر أهل الظاهر ثم وجهة نظر المتصوفة ثم يختم بإبداء وجهة نظره في المسألة [10] و هذا ما يعطينا فكرة جيدة عن منهجية الأمير في طرح الآراء و ترتيبها بفضل الحوار الفكري الجاد كما يعطينا تمازجا جديدا بين المعنى الصوفي و المعنى الأدبي حيث يكمل كل منهما الآخر.

إذن فسر الأمير في المواقف الكثير من مذهب الشيخ محيي الدين بن عربي كما دافع عنه و نفى بالحجج و البراهين أقوالاً و كتبًا نسبت له مثل كتاب الشجرة النُعمانية

---

[1]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.227.

[2]– عبد الحميد. حاجيات، المقال السابق، ص.92.

[3]– محمد الطاهر.العزوي، المقال السابق، ص.203.

[4]– المواقف، مصدر سابق، ج1، ص67.

[5]– أنظر: الموقف ، مصدر سابق، ج3، ص.1354، (الموقف 368).

[6]- محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.61.

[7]- نفسه، ص.57.

[8]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.227.

[9]- عبد الحميد. حاجيات، المقال السابق، ص.92.

[10]- محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.61.

والفتاوي المئوية. [1] حيث يمثل له ابن عربي الأبوة الروحية و كان عليه أن يكمل دورا ما بدأه شيخه. فكانت طريقة الأمير في الكتابة تذكر بالفتوحات المكية موضوع إعجابه الشديد [2].

إذن صرنا نُدرك الآن أن كتاب المواقف جاء على منهاج أصحاب التجليات و أنه يأخذ بأسلوب بن عربي بعد أن دخل الأمير المناخ الصوفي الواسع الآفاق على يد شيخه الفاسي [3] و لهذا يتكلم الأمير كما لاحظنا في مقدمة كتابه عن وحي و علينا إدراك المفهوم الحقيقي لهذه الكلمة فحتما هذا الوحي يختلف عن وحي الرسل والأنبياء، حيث يستشهد الدكتور عبد المجيد مزيان بما ورد في القرآن الكريم في سورة النحل (إن أوحى ربك إلى النحل) [4] فيقول: « فإن كان وحي الله يصل إلى الحيوان، و إذا كانت مستويات الوحي و طبيعته تختلف بالنسبة للبشر كمثال ما جاء في الكتاب الكريم » (إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي و برسولي)[5]، (و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة)[6].

فإنه يمكن اقتناع بعض الصوفية بأن مدارك التوحيد تأتيهم بوحي [7] و هذا ليس من قبيل التعالي بل ثقة منهم أن ما ألهموا إليه هو من فضل الله.

و لكي لا نتهم الناس بالكفر و الإلحاد و إثارة الفتن فلا بد من التسلح بالتفهم و التفتح و محاولة دراسة أساليب الإلتفات إلى مستويات الإدراك في ميدان الروحيات [8].

فإلهام الأمير مثلا ليس محدودا في وجهته و لا في مصدر حروفه فهو يذكر مثلا تلقيه الوحي الصوفي من شيخه بن عربي، بروحانية مخفية غريبة بشرحه له، ما أراد قوله

---

[1]- الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.176.

[2]- أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.195.

[3]- عبد المجيد.مزيان، « تنبيهات بشأن قراءة المواقف »، مقال سابق، ص.150.

[4] - سورة النحل، آية رقم:16.

[5]- سورة المائدة، آية رقم:5

[6]- سورة الأنبياء، آية رقم:21.

[7]- عبد المجيد.مزيان، المقال السابق، ص.150.

[8]– المقال نفسه، ص.150.

و لم يفعل، أو ما فهم خطأ من طرف المتصوفة، أو من خلال الفهم الشخصي والذكي للأمير لمحتويات كتبه. فكثيرا ما يذكر الأمير شيخه هذا في المجال حيث يقول قيل لي، شاهدت في الرؤية، لكنه لا ينقل بل يشرح هذه المحطات من إلهام الخاص أو ما يعرف في المفاهيم الصوفية بالواردات و يبقى دائما المبدع المحافـظ على لمسـاته الفكرية حين يدلوا بدلوه و يضيف إضافاته في هذه الشروحات غير مكتف بآراء شيخه ابن عربي حين يرى أنه من واجبه الإضافة كتعليقه على الآية القرآنية (فإذا قرأت القرءان فإستعذ بالله من الشيطان الرجيم) [1].

أو يبتعد في شطحاته الصوفية حين يشرح في الموقف الأول كيفية تلقيه للآيات وكيف نال البشرى برؤيا الرسول ε فهو يقول بشأن الوحي الأول: « إن الله تعالى قد عودني أنه مهما أراد أن يأمرني أو يبشرني أو يحذرني أو يعلمني علما أو يفتني في أمر إستفتيته فيه إلاّ و يأخذني عني مع بقاء الرسم ثم يلقي إلي ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن ثم يردني إلي فأرجع بالآية قرير العين ملآن اليدين ثم يلهمنا ما أراد بالآية و أتلقى الآية من غير حرف و لا موت و لا وجهة و قد تلقيت و المّنة لله تعالى نحو نصف من القرآن بهذه الطريقة » [2].

و لعلها مراحل متطورة من غوصه الصوفي ما جعله يسترجع نصف القرءان الذي أتمه بأكمله في غريس صغيرًا كتلقيه لأمر تحدثه بالنعم في قوله تعالى: (و أما بنعمة ربك فحدث) [3].

كما يؤمن الأمير إيمانا شديدا بفكرة الفناء في الذات الإلهية حبا و عبادة حين يشرح معنى الآية الكريمة (وقضى ربك أ لا تعبدوا إلا إياه) [4]. فهو حب واحد و وحدانية واحدة.

---

[1]- سورة النحل، آية رقم:98.

[2]–المواقف، مصدر سابق، ج1، ، ص.01، (المواقف1).

[3]- سورة الضحى آية رقم:11

[4]- سورة الإسراء، آية رقم:23

و قد حوى المواقف مجموعة شعرية هامة تختزل كل أفكاره التي يحللها في مواقفه 372.

فالأرجح أن الشعر كتب عند إنتهائه من المواقف، لأن البناء الثاني سبق الأول فالقصيدة الواحدة عند الأمير، تضم في معناها ما بين 15 إلى 20 موقفا من شعر الفناء أو بالأحرى الشعر الصوفي كما أورد الأمير أشعارا لابن الفارض [1] و شعر كثير لمحي الدين بن عربي، بالإضافة إلى أشعاره الخاصة [2]. كما أورد الأمير قصيدة طويلة في نهاية المواقف في مدح شيخه الفاسي عدد أبياتها مأتان و سبعون بيتا[3] ومجموع هذه القصائد كلها 19 قصيدة.

- أسلوب الأمير في المواقف:

أراد الأمير استخدام أسلوب المقامات حيث هي و الموقف تهدفان إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، و ما يلاحظ في أسلوب هذا الكتاب هو عدم تخلي الأمير عن عادة المعلم، في طريقة انتقاله من موقف إلى آخر، و من جمع الشواهد و الأدلة للتوضيح.

و يتفاجأ القارئ بأسلوب علمي و بموضوعية في الكتابة، باستخدام الأمير لأدوات الفرض و الاحتمال، مثل: من –إذا- لو- و نحو، وعلى كل حال [4].

و قد حذا الأمير حذو شيخه ابن عربي ، حيث يذكرنا أسلوبه بطريقة شيخه في الفتوحات المكية [5]. مستخدما التأويل لا التفسير هو ما نفذ منه في تناول مواقفه وهذا لايقلل من أصالته فمن ذا الذي لا يتأثر بمن سبقه، فالمذاهب الفكرية على إختلاف مشاربها لم تكن ولن تكون يوما خلقا من العدم[6] والجدير بالذكر أن هذا الكتاب ترجم

---

[1]- إبن الفارض: هو عمر بن علي (1235)، شاعر مصري من مفكري الغسلام والمتصوفين عاش متمسكا له أشعار منها تائيته الكبرى التي عرفت بنظم (السلوك) عرض فيها مذهبه الصوفي ثم الميمية في الخمرة أي المعرفة الإلاهية. راجع: المنجد في اللغة والاعلام، ط34، بيروت، دار المشرق، (1994).

[2]– فريد.جحا، المقال السابق، ص.135.

[3]– محمد.بلغراد، المقال السابق، ص.60.

[4]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.348.

[5]– أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.195.

[6]- أحمد.محمود الجزار، الله والإنسان عند الأمير عبد القادر، ط1، الإسكندرية، منشأة المعارف، (1999)، ص.ص، 134-135.

إلى عدة مرات على يد العلامة ميشال شود كيفيكس[1] وكذلك ترجم عام 2000، على يد القس ميشال لقارد[2] لكنه يحتاج إلى تحقيق وفهرسة لتسهيل العمل به.

كما أن للأمير كتبا أخرى حين يقول الأستاذ طاهر عزوي أن للأمير كتاب يسمى " وحدانية الله " و لكننا لم نعثر عليه [3].

و يفيدنا الأستاذ صالح خرفي كذلك أن للأمير كتاب آخر يسمى خيول الصحراء (Les cheveaux du Sahra) ترجمة الكولونيل دوماس و نسخته العربية المفقودة [4] ولعله يقصد رسالة الأمير عبد القادر إلى دوماس بتاريخ: 8 نوفمبر (1268/1851)، وهي موجودة ضمن كتاب دوماس المعروف وتتضمن رأي الأمير في الخيول العربية آخذة ثلث الكتاب مع ملاحظات الأمير[5] في حين أننا نجد كتاب عقد الأجياد في الصافنات الجياد و القريب من مستوى الكتاب المقصود لابنه محمد باشا.

كما يذكر لنا الأستاذ أحمد رويش أن دار (هاشيت)، (Hachette) أصدرت للأمير "أشعار عبد القادر و نظمه العسكرية" المؤلف من ستين صفحة مع مقدمة باللغة الفرنسية، تتألف من ثماني صفحات [6].

---

[1]– ميشال شود كيفيكس: هو مستشرق فرنسي ترجم 38 موقفا بعنوان: « مكتوبات روحية »، راجع: عبد الباقي مفتاح، « الأمير عبد القادر مرجع المتصوفة ومفتاح الأسرار الغيبية »، في: مجلة مسالك، العدد 6، جوان (2003)، ص.16.

[2]- ميشال لقارد: قسيس فرنسي ترجم المواقف في ثلاثة مجلدات نشرت بهولندا وبيوسطن، راجع: عبد الباقي مفتاح، « الأمير عبد القادر مرجع المتصوفة ومفتاح الأسرار الغيبية »، ص.16.

[3]– طاهر.عزوي، المقال السابق، ص.197.

[4]– صالح.خرفي، المقال السابق، ص.45.

[5]– برونو إتين: عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، (2001)، ص.ص، 495-501.

[6]- أحمد.رويش، المرجع السابق، ص.160.

بالإضافة إلى هذا كان للأمير من التصانيف تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام[1] و هي عبارة عن ملاحظات و أراء و تعليقات في موضوع علم الكلام و التوحيد[2] كما أرسل سنة (1288هـ/ 1871م) نسخة من الفتوحات المكية مع عالمين جليلين إلى قونية لمقابلتها و تصحيحها طبقا للنسخة الأصلية المكتوبة بخط الشيخ محي الدين بن عربي [3] و طبعها على نفقته و تحت إشراف لجنة ترأسها وحرص على نتيجة عملها[4] بعد تصحيح متقن.

---

[1]- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين و أسماء المؤلفين و آثار المصنفين، د.ط، إستانبول، وكالة المعارف،(1951)،مج1،ص.605

[2]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرًا، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (1998)، ص.101.

[3]– المرجع نفسه، ص.70.

- راجع أيضا: جمال الغيطاني، « الأمير عبد القادر البطولة بعين فرنسية »، مقال سابق، ص.73.

- أنظر أيضا: ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.123.

[4]– عبد القادر.بن حراث، مرجع سابق، ص.32.

ب- حـكـم:

لقد اعتنى الأمير، بعدد من الحكم، التي انتقاها، من التراث العربي، و جعلها كهدايا مميزة لزواره و عددها ستة عشر حكمة موجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية بـ (الحامة)، في مصنف خاص برسائل الأمير عبد القادر[1] و قد سبق نشر جزء منها في صفحات تخللت مقالات مجلة الثقافة في عددها 75 عام 1983، و تتشابه هذه الحكم في شكلها من حيث البدء بالحمد لله حفاظا على شخصية الأمير الدينية ثم قوله: « و قال حكماء العرب » أو « قال حكيم من العرب »، بعضها مؤرخ برمضان (1268هـ/ 1851م) و الآخر بصفر (1269هـ/ 1852م) إلا أنها تتنوع في محتوياتها و تصب في هدف التعريف بالأخلاق العربية و بالحكمة العربية.

و قد نختار من هذه الحكم ما يعبر أكثر على تركيز الأمير على بعض المواضيع الهامة، و التي تدل على حسه العالي بعظمة وجودها، و ضرورة زرعها في روح زواره أو إحيائها.

إذن ندرك أن مفهوم الهدية عند الأمير، كان راقيا جدًا، فهو كذلك الكلمة الطيبة والنصيحة فالدين النصيحة، و يكمن إبداع الأمير فيها، في كون الانتقاء في حد ذاته إبداع، على حد تعبير الأستاذ محمد بلغراد حين قال: « أن الإبداع يمكنه أن يكون نفخا لروح في مادة ما» [2] .

و لا ندري على أي أساس تم ترتيب هذه الحكم من واحد إلى ستة عشر لكونها غير مرتبة حسب التواريخ و لا المضمون فكل واحدة مكتوبة وسط ورقة كبيرة الحجم وتليق كهدية أما إذا أردنا التعرف على محتوى الحكم فمعظمها يدور حول موضوع الخير و الشر باعتبارهما محوران تدور حولهما الحياة جدلاً بين شد و جذب و قد نختار أكثرها تعبيرًا عن المفهومين المتضادين و عن تطابق رأي الأمير مع رأي الحكيم العربي حين قال:« لكل عمل خيرًا و شرًا ثواب و لكل كلام جواب » و السلام

---

[1]– المكتبة الوطنية الجزائرية، ملف وثائق الأمير عبد القادر، وثيقة رقم: (072619)، مجموعة الحكم من: 1 – 16. راجع: الملحق رقم: 05.

[2]– محمد بلغراد، المقال السابق، ص.49.

عبد القادر بن محي الدين لأربع خلت من صفر عام 1269 و كذلك بخصوص جزاء العمل الخيّر و الشرير إختار الأمير [1] هذه الحكمة القائلة بأن :

« الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فبخير و إن شرًا فبشر » " و السلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلت من صفر عام 1269 " [2].

و كذلك « إن خيرًا من الخير فاعله و إن شرًا من الشر فاعله » " و السلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلت من صفر عام 1269 " [3].

و عن الإساءة و الإحسان نجده يضرب هذا المثل المهم « الإساءة و الإحسان يذكران بكل لسان و من زرعهما جنى عند كل إنسان» " و السلام على كل من قرأ هذا الكتاب عبد القادر بن محي الدين في شهر رمضان 1268هـ " [4].

و كذلك قوله: « جبلت القلوب على حب من أحسن إليهما و بغض من أسا (كذا) عليها وسلام على من ينظر هذا الكتاب، من عبد القادر بن محي الدين، شهر رمضان عام 1268» [5].

أما عن التباين بين الناس وتداول الأيام فيختار لنا الحكمة الحاثة بأنه « لن يزال الناس بخير ما تباينوا وإذا تساووا هلكوا و السلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلون من صفر عام 1269» [6].

أما عن الأقدار و تداول الأيام فيقول: « الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا و إن شرًا فبشر والسلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلو من صفر عام 1269 » [7].

---

[1]- المكتبة الوطنية الجزائرية، ملف رسائل الأمير عبد القادر، وثيقة رقم 072619، الحكمة رقم: 05

[2]- وثيقة رقم (072619)، الحكمة رقم: 14.

[3]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 16.

[4]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 11.

[5]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 08.

[6]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 6.

[7]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 13.

كما يؤكد على أهمية الصدق و نبذ الكذب و يقارنهما بالحياة و الموت فيقول: « الكاذب و الميت سواء لأن فضيلة الحي النطق فإن لم يوثق فقد بطلت حياته و سلام على من قرأ هاذا (كذا) الكتاب من عبد القادر بن محي الدين في شهر رمضان عام 1269 » [8].

ثم يجدد أهمية التعبير « يعيش المرء بأصغرية قلبه و لسانه و السلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلو من صفر عام 1269 » [1].

و كذلك في حديثه عن الحياتين الدنيا و الآخرة و كذلك عن قيمة العمل فيقول:« الدنيا حلم و الآخرة يقظة و الموت متوسط لمن حاسب نفسه، ربح و من غفل عنها خسر و من نظر في العواقب نجا و السلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلون من صفر عام1269»[2]، و أيضًا عن ضرورة إدراك قيمة العمل للحياة الأخرى و بفائدة القناعة في الحياة و بذكر الموت دائمًا.« إن أكثر من ذكر الموت قنع بالقليل من الدنيا ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه إلا في ما ينفعه و السلام من عبد القادر بن محي الدين لأربع خلون من صفر عام 1269 » [3].

أما أكثر هذه الحكم تعبيرًا عن معنى الحرية عند الأمير و مفهومه الكامل عنها، فهي حكمة في غاية الروعة يقول:« أمران يسلبان الحُر كمال الحرية، و هما قبول الإحسان و إفشا السر أن من أحسن إليك ملكك و من أفشيت سِرك إليه خفت أن يفشيه وسلام على من (كذا) على هاذا الكتاب من عبد القادر بن محي الدين شهر رمضان 1268» [4].

إذن نستنتج أن الأمير كان يعرف أهمية الحكمة رأس الفضائل و التي تتأتى بقوة العلم بفضلها يكون التمييز بين الحق و الباطل وبين الصدق وبين الحياة والكذب، وبين الحياة الأبدية والحياة الفانية.

كان عبد القادر كريمًا جدًا لُيهادي بهذه الهدايا الابدية و النصائح الأزلية في معناها وفي فائدتها.

---

[8]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 04.

[1]– وثيقة رقم:(072619)، الحكمة رقم: 03.

[2]- الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 07.

[3]– الوثيقة نفسها، الحكمة رقم: 10.

[4]- الوثيقة نفسها، حكمة رقم: 09.

المبحث الثاني:

ب- شعره:

تقترب الفروسية دائما من الشعر، ولهذا كان الأمير عبد القادر، رب سيف، وصاحب شعر رائق في نفس الوقت[1] تطرب له الأسماع ويستهوي الألباب[2].

حيث بدأ عبد القادر في قرض الشعر منذ الصغر، و برز في ذلك و هو ما يزال دون الخامسة و العشرين من عمره، دون أن يسبق له تلقى مبادئه على يد خبير في الفنون[3] معبرًا بما وهبه الله عن حبه لهذا الفن، مردِدًا في غير موقف قول الشاعر:

إذا جـهـلت مـكان الشـعـر من شـرف
فـأي مـفـخـرة أبـقيت للـعـرب[4]

إذن الشعر كان بالنسبة للأمير وسيلة لتخليد البطولة و إذكاء الحماس عند المجاهدين في ميدان القتال[5] و وسيلة للتعبير عن الأحاسيس و المشاعر نحو الجمال، ووسيلة لوصف حب الله والتقرب منه و سبيلا للتعبير عن الشوق للأماكن المقدسة، فالشعر قوة روحية قادرة على التحويل والتبديل في المشاعر و لا تعادلها في ذلك الخطابة[6].

فالشاعر أيًا كان فهو من يُشيد بناء القصيدة كما تبنى الدار. وهو كالنساج، ينسج ثوبه بذوق[7]. حسب ألوان عصره و أشكالها وهذا ما عبّر عنه الأستاذ ممدوح حقي حين يعطي رأيه في شعر الأمير فيقول عنه:

---

(1)- نقولا. زيادة، صفحات مغربية، مرجع سابق، ص.365.

(2)- أحمد. تيمور بك، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص.365

(3)- يحيى. بوعزيز، المرجع السابق، ص.146.

(4)- صالح. خرفي، « الفروسية العربية في شعر الأمير عبد القادر.» في: المعرفة، عدد1964/10/15، ص.48.

(5)- أنيسة. بركات، محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية حول الجزائر، د.ط، الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، د.س،ط ص.160.

(6)- جعفر شهيدي، « الشعر – دوره في أخلاق المجتمع- رأي الشريعة فيه »، في: ملتقى الفكر الإسلامي التاسع،(1- 10 رجب 1395هـ/ 10-19 جويلية 1975م)، تلمسان، مجلد.02، قسنطينة، دار البعث، 1329هـ/ 1979م، ص.762.

(7)- محمد. الصغير بناني، « معالم شخصية الأمير عبد القادر من خلال شعره و معالم فكره السياسي»، في: مجلة الثقافة، السنة 16، عدد 96/11- 1986/12، ص.139.

« أنه آخر حلقات الشعر المنحدر من القرون الوسطى. بكل ما فيه من مزايا و عيوب وهو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر. غير أنه سجل صادق لعصره... ونحن ممن لا ينكر تغيير الأساليب. وتلون الألحان بتغيير الأيام. وتقلب الأزمان» [1].

فصنف بذلك الأمير عبد القادر من أشهر شعراء عصره[2].

وما يهم موضوعنا من شعر الأمير هو التعرف على أبعاد شعره الروحية، وعليه بد لامن التعرف على هذا الديوان و قصائده لنتمكن بعدها من عملية الانتقاء والتصنيف حسب الأغراض التي تخدم موضوعنا،أكثر من غيرها من القصائد الأخرى.

- التعريف بديوان الأمير عبد القادر الجزائري:

لقد كانت فرنسا السباقة لجمع شعر الأمير في كتاب بعنوان: « عبد القادر وأنظمته العسكرية» يتكون من ستين صفحة به أشعار وقوانين عسكرية[3].

ثم نجد محاولة ابنه محمد باشا[4] بجمع أشعار والده، من خلال ما تخلله كتابه « تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر»[5].

إلا أنه بعد مدة أعاد طبع الأشعار لوحدها في كتاب سماه:« نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر »[6] و يدلو عبد القادر بن حراث بدلوه حول سبب إعادة الطبع فيقول: « إن المادة النثرية في الكتاب تغلبت على سواها من الشعر فلم يعبأ ولم ينتبه الناس إلى شاعرية الأمير»[7]. فحاول ابنه مجددًا نشر الشعر على حدا. ثم نجد مبادرة أخرى لمهتم بأصول وكتب الأمير، وهو الأستاذ ممدوح حقي [8] يجمع ما أمكنه من قصائد.ونشرها

---

[1]- الأمير عبد القادر. الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص.18. أنظر: (مقدمة المحقق): ص.ص، 1- 21، أنظر أيضا: - أحمد رويش، المرجع نفسه، ص.148.

[2]- عبد الكريم. غرايبية، سورية في القرن التاسع عشر (1840- 1876)، د.ط، دمشق، الجيل للطباعة، (1961)، ص.205.

[3]- صالح. فؤاد السيد، الأمير عبد القادر متصوفًا و شاعرًا، مرجع سابق، ص.88.

[4]- محمد باشا بن الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في (1256هـ/ 1840م) بالقيطنة، نال في دمشق لقب باشا و مرتبة فريق بالجيش العثماني، توفي باستنبول سنة (1331هـ/ 1913م). راجع: - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1999)، ص.ص، 603-607.

[5]- طبع هذا الكتاب لأول مرة سنة، (1930)، بالإسكندرية.

[6]– محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، د.ط، مصر، مطبعة المعارف، د.ت، ص.3

[7]- عبد القادر. بن حراث، أغراض ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص.05.

[8]- هو محقق الديوان و ناشِر كتبه، ذكرى العاقل و تنبيه الغافِل و المقراض الحاد لمنتقد لسان المنتقض في دين الإسلام بالباطل والإلحاد.

في مطلع الستينيات من دار اليقظة العربية، دون تحقيق بمناسبة مرور مائة عام على دوره الحير في فتنة الشام. ثم طبع مجددًا عام 1964 بمناسبة عيد الاستقلال، وطبع مرة أخرى عام 1965 [1]. وسماه: (ديوان الأمير عبد القادر الجزائري) [2].

« و قد حفل هذا الديوان بأهم ما يعرف نقدًيا بأغراض الشعر العربي من قصائد و مقطوعات» [3].

إلا أننا نجد نقصا في هذا الديوان. بتجاهل بعض القصائد لأنها من الشعر الرمزي الصوفي، والتي نجدها في صفحات كتابه المسمى " بالمواقف"، أو بعض القصائد التي أشار إليها بعض الأدباء الفرنسيين، و هذا ما يؤكده صاحب التحفة. لكونه لم يتعرض لكل شيء [4].

ويبلغ عدد هذه القصائد المثْبة في الديوان " ثمانية وسبعون قصيدة ".

ويمكننا أولاً: أن نقسم المحطات التي كتب فيها الأمير شعره لنتمكن بعدها من انتقاء ماله دلالة كبيرة على، ما نبحث عنه حيث أن محطات حياتية فاصلة، غيرت من لهجة القلم عند الأمير ومن خطابه، ونراها مقسمة حسب الشكل التالي:

القصائد التي كتبها في الجزائر:

جاء معظمها يدور حول، الحماس، والفخر بالأصل، و مدح النسب، والعلم والرفقة والمناصرين [5].

القصائد المكتوبة بفرنسا (في الأسر):

كانت في معظمها قصائد كئيبة، منفية، متوجعة فيها توسلات، وتأسف من فرقة الإخوان، و أمل و إيمان -في نفس الوقت- بقرب الفرج[6]. وكوسيلة للتسلية في وحدته [7].

---

[1]- صالح. فؤاد السيد، مرجع سابق، ص.89.

[2]- الديوان: كلمة فارسية. معربة تعني الكتاب ومجتمع الصحف والأوراق في مجلد واحد و ارتبطت دائمًا بالشعر.

[3]- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.ص 07- 27.

[4]- محمد. بن عبد القادر. الجزائري، تحفة الزائر، ج1، مصدر سابق، ص.ص 38- 39 .

[5]- عبد القادر. بن حراث، المرجع السابق، ص.09.

[6]- عبد القادر. بن حراث، المرجع السابق، ص.ص، 9-10.

[7]- أنيسة بركات، المرجع السابق، ص.161.

فلم يكتب حينها عن الجزائر، لأن عنصر المفاجأة بالنهاية التي آل إليها جعله لا يفكر في البكاء على أمجاده السالفة، لأنه الإنسان قبل كل بطولة، ونظرً للعهد الذي قطعه لنابليون الثالث[1] حكم إيمانه بحكمة الله، بعد أن اصطدم بكثرة الخيانات الداخلية فكتم حنين القلم و جعله في غير مناسبة.

القصائد المهاجرة (قصائده في دار الهجرة):

جاءت هذه القصائد أكثر هدوءًا و طمأنينة؛ فضمت حمد الله و شكر الخليفة العثماني، و غاب عليها التشرب من منبع التصوف[2] و الخلود إلى التأمل في حال العالم الإسلامي، فكرس شعره للدين، والوطن الأكبر، وللمراسلة مع العلماء وأصحابه، ووصف نشاطاته [3].

نستنتج من خلال ما سبق أن الشاعر الذي يقرض الشعر بعفوية هو الذي يتأثر حتى النهاية ببيئته و بمتغيرات حياته و هو الصادق أيضًا في أحاسيسه، يؤمن بنداء الروح للقلم و بتفهم القلم و احتوائه لأحاسيس صاحبه.

فهو الذي يستطيع أن يداري ألمه و في نفس الوقت أن يحترم كلمة الشرف و أن يلجأ إلى الله في حنين و دعاء أمل ليتشرب من التصوف، ويسعد بالخلوة، طلبًا للراحة والسكينة بربط الصلة بالواحد الأحد.

ولقد حاول محقق الديوان أن يصنف شعر الأمير إلى أغراض و قسمها إلى: فخر[4]. وغزل[5] و مساجلات [6] و من [7] و تصوف [8]. و الملاحظ على هذه الأغراض أنها تنتمي في معظمها إلى الشعر الديني، فالدين في شعر الأمير من الأسس المحورية [9]

---

[1]- صالح. خرفي، المقال السابق، ص.79.

[2]- عبد القادر. بن حراث، المرجع السابق، ص.10.

[3]- أنيسة. بركات، المقال السابق، ص.116.

[4]- الفخر: ضم سبع قصائد.- راجع: الديوان، ص.ص،31- 51.

[5]- الغزل: ضم اثنتى عشرة قصيدة. – راجع: الديوان، ص.ص،95- 90.

[6]- المساجلات: ضمت تسع و عشرون قصيدة. - راجع: الديوان، ص.ص،95- 132.

[7]- المناسبات: ضمت اثنتى وعشرون قصيدة. - راجع: الديوان، ص.ص،135- 194.

[8]- التصوف: ضم ثماني قصائد. - راجع: الديوان، ص.ص،195- 230. - راجع: الأمير عبد القادر، الديوان، المصدر السابق، أنظر: الفهرس ص.ص، 231- 235.

[9]- عبد القادر. بن حراث، مرجع سابق ، ص.02.

مما يعكس لنا عقيدة الشاعر، و تمسكه بتقاليده الدينية [1] و تأثره العميق بكتاب الله عز و جل [2].

ويمكننا انتقاء بعض الجوانب من الأغراض السالفة الذكر وعليه نقسم دراستنا لشعر الأمير الروحي إلى الأقسام التالية:

1- الإتجاه الديني.

2- الإتجاه العاطفي.

3- الإتجاه الصوفي.

أ- الإتجاه الـديـنـي:

لقد كان الدين، السبب الرئيسي لتكوين روح الجهاد في نفس الأمير، وهو الذي أهله لتبني المسؤولية و حثه على الإخلاص في أدائِها. و في الولاء لراعي الخلافة ردعًا منه للفرقة و هو الذي جعله، يرعى حق الأخوة وعلمه كيف يخلص لأخوة الدين ويسأل عن إخوانه ويقدم لهم يد العون.

ففي شعر الأمير الديني نجد هذه الفسيفساء المتقنة بين فخر، و مدح و دعاء نتعرف عليها من خلال المقطوعات الشعرية التالية:

من عادة القادة في الجهاد الافتخار بنسبهم لإثبات أحقيتهم بالقيادة و للأمير نسب يشرف لا يخجل به فنجده يقول لهم:

ورثـنـا سـؤددًا لـلـعـرب يـبـقـى
و مـا تـبـقى الـسـمـاء و لا
الـجـبـالُ
وكـان لـنـا دوام الـدهـر ذكـر
بذا نطق الكِتاب ولا يزالُ
ومنا لم يزل في كل عصر
رجال للرجال هم الرجال[3].

---

[1]- عبد القادر. بن حراث ، المرجع السابق، ص.ص، 02- 03.

[2]- الأميرة بديعة. الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.178.

[3]- محمد. بن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص.02.

فيعتقد الأمير أن بطولته هذه إرث هاشمي، تتمثل في الأصالة العربية و الإباء و الشجاعة، و الحسم ذودًا عن الدين بحد السيف[1] ويعتز بانتماءاته الدينية فيقول:

و نحن لنا دين و دنيا تجمعا
ولا فخرُ إلا مالنا برفع اللّوى
مناقب مختارية قادرية
تسامت وعباسية مجدها احتوى

و يرى أيضًا أن جده هو المرغوب بالشفاعة، و أن لله قد خص بنيه و ذريته بخصائص جعلت من المنتسب للدوحة النبوية مفخرة عظيمة[2] فيؤكد هذا بقوله:

أبونا رسول الله خير الورى طرا
فمن في الورى يبقى يطاولنا قدرا
ولنا غدًا دينًا وفرضًا محتمًا
من كل ذي لب به يأمن الغفرا
وحسبي بهذا الفخر، من كل منصبٍ
و عن رتبةٍ تسمو وبيضاء أوصفوا [3].

و يضم افتخاره بقدرته على حماية الجميع حتى من لم يستغث به فيقول:

سوانا ليس بالمقصود لما
ينادي المستغيث ألا تعالوا [4]

ولأنه الهاشمي المجاهد فهو الشجاع المؤمن القائد الذي لا يخاف عدوه فيقول:

شددت عليهم شدة هاشمية
وقد وردوا و رد المنايا على الغوى [5]

---

[1]- عمر. بن قينة، في الأدب الحديث تاريخا ، و أنواعا وقضايا و أعلاما، مرجع سابق، ص.23.

[2]- عبد القادر. بن حراث. المرجع السابق، ص.19.

[3]- محمد. بن الأمير عبد القادر، ، نزهة الخاطر، ص.ص، 32- 33. (قصيدة أبونا رسول الله).

[4]- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص.35. - أنظر: قصيدة (بنا إفتخر الزمان).

ركبنا للمكارم كل هول

و خضنا أبحرًا و لها زجال[1]

إذا عنها توانى الغير عجزًا

فنحن الراحلون لها العجال[2]

إذن نستنتج أن الأمير كان يفتخر بنسبه الشريف و بهاشميته التي جعلته القائد، المجاهد، الباحث عن الشهادة من خلال معاركه فيقول واصفًا قوتها وهي التي تهدف إلى إعادة الهدوء.

فيصف لنا القوة التي تبحث عن الهدوء قائلاً:

توسد بمهد الأمن قد مرت النوى[3]

و زال لغوب السير من مشهد الثوى[4]

و عزّ جيادًا جاد بالنفس كرهًا

وقد أشرقت مما عراها على التوى[5]

وكم قد جرت طلقًا بنا في غيهب [6]

و خاصت بحار الآل[7] من شدة الجوى[*] [8].

ومن مظاهر حماية الدين لدى الأمير زعامة الجهاد و قيادة المجاهدين المخلصين فيقول:

لهم همم سمتْ فوق الثريا

حماة الدين رأسهم النضال [9]

---

[5]- إ الأمير عبد القادر الجزائري، المصدرالسابق، ص.58.

[1]- زجال: ضجة.

[2]– الديوان، المصدر السابق، ص.34 – أنظر: قصيدة (بنا افتخر الزمان).

[3]- النوى: البعد.

[4]- الثوى: الإقامة.

[5]- التوى: الهلال.

[6]- غيهب: ظلمة.

[7]- الآل: السراب.

[*]- الجوى: الحزن و الظمأ.

[8]- الديوان، المصدر نفسه، ص.52 – أنظر أيضًا: نزهة الخاطر، مصدر سابق، ص.03.

حيث كان دائمًا التشجيع لجيوشه شاكرًا و مشجعًا [1] فيقول لهم:

الباذلون نفوسهم و نفيسهم

في حب مالكنا العظيم الأجلال[2]

الصادقون، الصابرون لدى الوغى

الحاملون لكل ما لم يحمل[3]

كم جاهدوا كم طاردوا و تجلدوا

للنائبات بصارم و مقول [*]؟ ![4]

يا ربّ! إنكِ في الجهاد أقمتهم

فبكل خير عمهم فتفضل[5].

ثم يصف لنا الأمير شجاعة مجاهديه و شجاعته عند الاصطدام في قلب المعركة فيقول واصفًا خنق النطاح، أشهر المعارك.

ألم تر في خنق النطاح[6] نطاحنا

غداة التقينا كم شجاع لهم لوى

وكم هامة ذاك النهار فذدتها

بحد حسامي و الغنا طعنة شوى[**] [7]

---

[9]- الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر نفسه، ص.37.

[1]- و هنا يقرض الأمير قصيدة في المجاهدين في جبال جرجرة.

[2]- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.141.

[3]– المصدر نفسه، ص.142.

[*]- مقول: اللسان و القول.

[4]- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص.143.

[5]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر نفسه، ص.144.

[6]- خنق النطاح: مكان قرب وهران جرت به معركة.

[**]- شوى: تلاحق حاد.

[7]- المصدر نفسه، ص.56.

و يؤكد على ثقته بفروسيته و بحصانه فيقول:

و إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحما

أقول لها:صبرًا كصبري و إجمالي[1]

و أيضا:

وأشقر تحتي، كلمته [2] رماحهم

ثمان و لم يشك الجوى، بل و ما التوى [3]

و من السمات البارزة لفخره، الاعتداد بالنفس و إبراز الشجاعة المعنوية و المادية في الثبات والصبر على المكاره وفي الصرامة وحب المنازلة، و إجادة الإصابة [4] ويفخر بهمته العالية و بقوته و جيشه فيقول: أنهم ممن يفعلون ما لا يقولون:

لنا الفخر العميم بكل عصرٍ

و مصر هل بهذا ما يقال

رفعنا ثوبنا عن كل لؤمٍ

و أقوالي تصدقها الفِعال [5].

كما يصف نشوة النصر ورفع الظلم فيقول عن نصره في إرجاع تلمسان إلى سابق عهدها:

و قد رفعت عنها الإزار فلج به

و برًا فؤادًا من زلال نِداها[6]

ونظرًا لإهتمامه البالغ بالجهاد و حماية الدين فنجده يفضل الحرب المقدسة على الحج فيقول مراسلاً:

---

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص.42.

[2]- كلمته: جرحته.

[3]- نفسه، ص.56.

[4]- عمر. بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص.28.

[5]- المصدر نفسه ، ص.35.

[6]- نفسه، ص.38.

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعبُ
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج [1] السنابك [2] والغُبار الأطيب[3]

و يتواصل شعر الأمير الديني من الحديث عن الجهاد والمعارك و المؤهلات التي تضمن له النصر دومًا و لعل الأمير عبد القادر قد عرف حديث للرسولε حين يقول: «إهج بالشعر، إن المؤمن يجاهد بنفسه و ماله و الذي نفس بيده كأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر».

يخاطبنا أيضًا بشعر آخر يوجهه إلى إخوانه في الدين، فشعره عن الخلافة العثمانية كان مدحًا، رغم تطور مواقفه نحوها فهو يبقى الفرد والإنسان الذي يعرف معنى رموز الخلافة فعبر بذلك عن ولائه لآخر ما بقي للمسلمين.
فدعا ربه أن يبعد كيد الأعداء والهزيمة عنها و راح يقرأ البخاري، ويتوسل لله[4] فيقول:

يا رب ! يا رب البرايا! زدهم
صبرًا ونصرًا دائمًا يتكمل
و افتح لهم مولاي! فتحًا بينًا
و أغفر و سامح يا إلهي عمل

---

[1]- رهج: الغبار.
[2]- السنابك: حوافر الخيل.
[3]- محمد.بن الأمير عبد القادر. نزهة الخاطر، ص.12. - أنظر أيضا: الديوان، ص.96.
[4]- حدث هذا في حرب الدولة العثمانية مع روسيا، في حرب القرم (1270هـ/ 1853)، حيث هدفت إلى تمزيق الدولة العثمانية.

و أنصر و أيد وثبت جيش نصرته
أنصار دينك –حقًا- آل عثمانًا
الباذلون بيوم الحرب أنفسهم
الله كم بذلوا نفسًا و أبدانًا[1]

و يمدحهم فيقول:

فقد خصهم ربهم في خير منقبة
ما خص صاحب بها، قبلاً و لا آلا[2]

و في فترة تدخله في أحداث فتنة الشام، فكافأته الدولة العثمانية، بوسام فقَبله منها تعبيرًا عن امتنانه فقال شاكرًا:

و لم أر أعظم من نعمة
منحت تك لي في حساب!![3]

و لا تَمتَـد هذه الأُخِوة إلى ذوي المناصب العليا فقط فهي أيضًا صادقة مع الأشقاء، و الأصدقاء فالأمير عرفَ بحق الحب الأخوي و لم يتردد في التعبير عنه لأصدقائِه واخوانه في الله.

فكما كتب عن أشقائِه، كتب عمن عاشُوا معه وإلى جانبه فيقول فيما يخص اخوته [4]:

يا سواد العين يا روح الجسد
يا ربيع القلب يا نعم السند
كنت لي قرة عين و بها راح قلبي لا يِمال وولد[5]
يا ذوي القربى! قريبًا من أبٍ!!
أنتم ذخْرى وكنزي و السند[6]

---

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.163.

[2]- عبد القادر. بن حراث، المقال السابق، ص.19.

[3]- الديوان، المصدر السابق، ص.168.

[4]- كتب الأمير، هذه الأبيات،عندما اشتدت الأزمات، وفر البعض إلى المغرب، كتب لاخوته سعيد و مصطفى عام (1258هـ/ 1842م).

[5]– الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص.135. – أنظر قصيدة: (طال ليلي- يا أحبابي).

[6]- المصدر نفسه، ص.137.

ب- الإتجاه العـاطـفـي:

تسحرنا الطبيعة، بما فيها من تناغم، في الخلق و تنَاسُق في الألوان مما يسلب الألباب ويخبرنا الأستاذ: ناصر الدين سعيدوني بأصدق تعبير عن ذلك فيقول عن نظرة الأمير للحياة بأنها:« تتميز بالعواطف النبيلة فَهو يقدر، عاطفة الحب، كما يعجب بالطبيعة ويحاول التعبير عنها في شعره» [1].

1- جمـال الـطـبيـعـة:

إن مشاعر الأمير وحنينه يتماوج بِتماوج رمال الصحراء و المدن التي يحبها، ويعترف بتأثير روحانياتِها عليه وقد كنته شاعريته من أن يكون مستمعًا مميزًا لهمسات الطبيعة [2]. فالشعر بطبيعته يتكون من عناصر تعتبر العاطفة و الخيال أساسيين و مهمين فيها، و بما أن الإنسان عاطفي بطبعه مال للشعر.

حيث يطلعنا شعره عن حبه الغريزي لحياة البادية، و تفضيلها على حياة الحضر. إذ كان لا بُد من المقارنة- وحبٌ لا يتوقف فقط عند الإعجاب بمنظر طبيعي كما يبدو لسائح يزورها، ولكنه يمتد إلى تقديم نمط حضاري، يرتبط بمجموعة من القيم النبيلة مثل الشجاعة و الكرم والفروسية، و حماية الجار [3].

حيث يقول عن ذلك في الديوان:

يا عاذرًا[4] لامرئ قد هام في الحضر
و عاذل[5] لمحب البدو والقفر! !
لا تذممن بيوتًا خف محملها
و تمدحن بيوت الطين و الحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني
لكن جهلت، وكم في الجهل من ضرر

---

[1]- ناصر الدين، سعيدوني، المرجع السابق، ص.120.

[2] -Rabia. Mimoune,Opcit, P50.

[3]- أحمد. رويش، المرجع السابق، ص.148.

[4] عاذرا: يعطي مبررات ويعذر.

[5]– عاذلا: لائما.

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقبًا

بساط رمل به الحصباء كالدرر[1]

فيصف بردٍ على من دفعه للمفاضلة، البادية بأنها لم تنتج العدوان و الظلم كما أنتجته الحضارة[2] التي يدعون.

فهو يعبر عن حبه لوطنه و حنينه إليه بحديثه المحمل بالشوق إلى الرياح فيقول لِهبة الريح:

يا أيها الريح الجنوبي تحملي

مِني تحية مغرمٍ و تجملي

و أقِر السلام أهيل ودي و انثري

من طيب ما حُملّت ريح قرنفل[3]

و تعود به مناظر إحدى السواقي فيشبهها بشلال من شلالات الجزائر:

تبخر بعود الطيب لازلت طيبًا

و رش بماء الزهر يا فل الورد

و ما بغيتي هذا و لكن تفاؤلاً

يعود إلى عود و ورد إلى ورد[4]

و يواصل وصفه لجمال ما رأت العين فيصف تلمسان فيقول:

تتمنع عن كل أجنبي يحاول

أن يقطف ورد خدها.[5]

---

[1]– االأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.44.

[2]- حمزة. صالح بلحاج،« الأمير عبد القادر الجزائري. و منظومة القيم» ، المقال السابق، ص.32.

[3]- محمد. بن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر، مصدر سابق، ص.08.

[4]- عبد القادر.بن حراث، المقال السابق، ص.55.

2- الـغـــزل:

لم يهمل الأمير عبد القادر، التعبير عن عاطفة المحبة والإخلاص التي يحملها للمرأة عامة، فقد ظهرت المرأة في ثورته حبيبة، و زوجة و أمًا و أختًا وقائدة. والنماذج كثيرة، إذ أردنا ذكرها، فهو يبحث عن رغبته في إشباع طُمُوح المرأة البدوية التي تتمحور، قِيمها في الرجُل، حِول الشدة، و الشجاعة والغلبة، و هو ما يتوفر عند الأمير، لكنه يغدو أمامها طفلاً متيمًا بها[1].

يكتب لها شعرًا في الغزل الروحي لا المادي[2] كما هو شائع عند أغلب الشعراء، ممن يطرقون هذا النوع في عصره. فيشكو لابنة عمه حبه لها:

أقاسي الحب من قاسي الفؤادِ
و أرعاه ولا يرعى ودادي
أريد حياتها و تريد قتلي
بهجر، أو بحدٍ، أو بعاد
وأبكيها فتضحك ملء فيها
و أسهر و هي في طيب الرقاد[3]
إذ ما الناس ترغب في كنوز
فبنت العم مكتنزي و زادي

و يتكلم عن مشاعره التي جعلت منه ضعيفًا و هو الفارس القوي حين لم تنصفه ابنة العم:

ألا من منصفي من ظبي [4] قفر
ولقد أضحت مراتعه فؤادي [5]
و من عجب تهاب الأسد بطشي

---

[5]- المقال نفسه، ص.105.

[1]- عمر. بن قينة، المرجع السابق، ص.27.

[2]- رابح. بونار، « الأمير عبد القادر حياته و أدبه»، المقال السابق، ص.17.

[3]- يحيى. بوعزيز، المرجع السابق، ص.156.

[4]- ظبي قفر: غزال بري.

[5]- محمد. بن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر، ص.31. – أيضًا: أنظر الديوان، ص.71.

و يمنعني غزال عن مرادي

و يقول أيضِا لها بعد أن أصبحت زوجته و فرقت بينهما ظروف الأسر و هو يرى طيفها:

جفاني من أم البنين خيال

فقلبي جريح و الدموعُ سِجالُ[1]

و نجده يعترف بسلطان الجمال فيقول:

وتملك مهجتي ملك السواد

و سلطان الجمال له اعتزاز

على ذي الخيل و الرجل الجواد [2]

فالجمال عند الأمير واحد، فالطبيعة أو المرأة كلتاهما روضتان، فطهارة المدينة و الطبيعة و الإنسان كطهارة الدين [3] تمامًا.

إذن نستنتج أن الأمير عبد القادر كان الشاعر الذي يعبر عن إنسانيتنا الكاملة و عن الجمال بأعمق معانيه.

كذلك عبر عن فرحِه للقائه بمحمد الشاذلي القسنطيني[4].

أهلا وسهلا بالحبيبي القديم[5]

هذا النهار لديا خير مواسم[6]

كما وساه وهوالغريب في غربته

ليس غريبا بين قوم أحبة

مكانك فيهم من بني الدهر أرفع

---

[1]- الأمير عبد القادر، لديوان، ص.74.

[2]- محمد بن عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر، ص.32، أيضًا: أنظر الديوان، ص.72.

[3]- عبد القادر. بن حراث، المقال السابق، ص.104.

[4]- محمد الشاذلي القسنطيني: هو محمد بن الحاج محمد بن إبراهيم بن أحمد الصولي: ولد في سنة (1222هـ/ 1807م) من أسرة ثرية. أصابت حظا من الراحة و العلم، اشتهر باختصار اسمه بمحمد الشاذلي القسنطيني. كان فقيهًا أديبًا، لا سياسيًا، و لا مرابطًا. عمل كقاض مالكي بقسنطينة، كما أدار مدرسة سيدي الكتاني منذ تأسيسها سنة (1267هـ/ 1850م)، و درس بها النحو، و عرف برحلاته لأوروبا وعلاقته بالأمير عبد القادر عام (1266هـ/ 1849 م)حيث بعثته فرنسا لملأ وحدة الأمير و تسليته. و ربطت بينهما علاقة صداقة وطيدة، توفي الشاذلي القسنطيني سنة (1294هـ/ 1877م) بطولقة. راجع: أبو قاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، دراسة ونصوص، د. ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (1985)، ص.ص، 31- 36.

[5]- أحمد.تيمور بك، مرجع سابق، ص.366.

[6]– الديوان، مصدر سابق، ص.109.

جـ- الحجازيات و شعر التصوف:

يُعد الأمير عبد القادر الجزائري أول شاعر جزائري كتب في التصوف و هو اللون الذي وظف فيه الأمير قضايا الفكر الصوفي، كالغزل الإلهي و الخمرة الإلهية. فإذا كان الأمير في بداياته شاعر العروبة و الإسلام فهو في آخرها شاعر التصوف[1] و قد نتساءل عن الدوافع التي جعلت الأمير يراهن على هذا البعد في شعره فهل هي نداءات الذات أو وضعه الثقافي و محيطه الديني أم هناك عوامل سيرته قسريًا نحو سراديب هذا اللون؟ و إلى أي مدى نستطيع فض الاشتباك بين ما يحسب على الشعر الصوفي؟ و بين ما يحسب على الأغراض الأخرى؟

الاّ أن الثابت هو عدم وجود قصائد صوفية للأمير في الجزائر لانشغاله المبكر بأمر الجهاد المقدس. و لم يخرج الأمير عن تقديسة لأوامر الجهاد. لكن هذه المرة بطرقه واهتمامه بمفهوم آخر للجهاد هو جهاد النفس حيث كان يرى أن التصوف هو جهاد للنفس في سبيل الله، أي لأجل معرفة الله و إدخال النفس تحت الأوامر الإلهية [2].

يُعد الشعر الصوفي جزءًا متميزًا من الشعر الرمزي الديني المكتوب لأنه يعبر عن رؤية داخلية تنبثق عن فهم ناظميه للآية الكريمة(و نحن أقرب إليه من حبل الوريد) [3] و لقد تأتي القصائد الصوفية محملة بالوجد و الحنين إلى المزيد من القرب من الذات الإلهية و شخص الرسول ρ. كما أن هذه النصوص الشعرية تستوقفنا عن الأحوال التي مرت بها رؤيتهم الصوفية.

فمن مُجرد حُب للذات الإلهية تغلب عليه العفوية و البساطة، إلى رغبة في الحلول والإتحاد بالذات الإلهية، و انتهاء بمفارقه الجمع بين الاتحاد و الانفصام (الفناء والبقاء و هي شطحات صُوفية) [4].

---

[1]– رابح.بونار، « الأمير عبد القادر حياته و أدبه »، المقال السابق، ص.15.

[2]– زكية. عبد الرحيم، « الفكر الصوفي عند الأمير عبد القادر »، مقال سابق، ص.2.

[3]– سورة ق، الآية رقم: 16.

[4]– الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 14، ص.152.

أما عن مستوى اللغة و بنية القصيدة فإن الشعر الصوفي يعكس تجاوز الكلمة بمعناها المعجمي و يكسبها مدلولات جديدة تحتمل التأويل، و يظهر تسامي الشعراء المتصوفة بعنصر التحول في القصيدة التقليدية إلى الغزل في الذات الإلهية [1].

كما نلمس في قصائد التصوف عند الأمير تشابهًا مع قصائد غيره من المتصوفة فهي تتحدث عن وصف حالاتهم، و انجذابهم، أو مشاهداتهم، و حالات سكرهم و صحوهم وشكوكهم.

كما نلتمس فيها التقليد و هو الدليل على تأثر الأمير بالقوم، من المتصوفة كمحي الدين بن عربي في فتوحاته و ابن الفارض [2] أيضًا [3].

كتب الأمير عبد القادر شعره الصوفي، بعين المتصوف فنجده يصف لنا ما يراه ويصور لنا ما يحس و يسجل الواردات التي ترد على خاطره، مستخدمًا الرمزية .

و لعل من أشهر قصائده (الرائية)، تلك التي جاءت في مائة و أحد عشر بيتًا جمع فيها الأمير فتوحاته الربانية [4]. يتخلى فيها الأمير عن ملوك الأرض وعن الدنيا كاملة راضيًا بغنيمته الكبرى قائلاً:

فقل لملوك الأرض أنتم و شأنكم
فقسمتكم خيزى و قسمتنا كثير
خذ الدنيا و الأخرى أباغيها معا
و هات لنا كاس فهذا لنا وفر [5]

محدثًا بنعمة ربه و يعجز غيره عن إدراك قيمته و لو كانوا ملوكًا [6] .

---

[1]– الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 14، ص.152.

[2]– ابن الفارض: عمر بن علي (1235)، شاعر مصري من مفكري الإسلام والمتصوفين عاش متنسكا له أشعار منها تائيته الكبرى التي عرفت بنظم (السلوك) عرض فيها مذهبه الصوفي ثم الميمية في الخمرة أي المعرفة الإلاهية. راجع: المنجد في اللغة والاعلام، ط34، بيروت، دار المشرق، (1994).

[3]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.156- 157.

[4]– عبد القادر.بن حرات، المقال السابق، ص.14.

[5]– الأمير عبد القادر، الديوان، ص.212.

كما نَجدُ في الرائية الكثير من المدح لشيخه الفاسي، بالإضافة إلى تصريحه بميله لأهل الطريقة التي يمثلها شيخه، و هي الطريقة الشاذلية [1].

و يعُود إنشاء الأمير هذه القصيدة إلى مدح خَاص للناسك محمد الفاسي، بعد أن دعاه إلى مكة مبشرًا بالفتح العظيم. و هو من يعتبره الأمير من الذين خصتهم الآية الكريمة [2] بقوله تعالى: :(الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [3] واصفًا عظمة هذه الدعوة:

إلى أن دعتني همة الشيخ عن مدى
بعيد: الا فادنُ فعندي لك الذخر
فشمرت عن ذيل الإزار و طاربي
جناح اشتياق ليس يخشى له كسر
و ما بعدت عن ذا المحب تهامة
و لم يثنه سهل هناك و لا وعر
إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا
و حطت بها خيلي و تم لها البشر [4]

ويقول عن تأخر الكشف الذي حدث له:

أيا نفس إن الأمر غيب فما تدرى
لماذا يكون الكشف في آخر العمر
فإما بشير باللقاء و بالرضى
على طول عتب بالزيارة للزّور
و إما بضد بل و لا كان حدوًا
تعالى إلهي عن عذابي و صبري
و ليس تلاق بل و لا ردُ فائت [5]

---

[6]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.167.

[1]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.157.

[2]- المرجع نفسه، ص.157.

[3]– سورة يونس، الآية رقم: 62.

[4]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.198.

[5]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.182.راجع كذلك: الديوان: مصدر سابق، ص.214.

و حين تأتيه البشارة يهنئ الأمير الصوفية و هو واحد منهم قائلاً:

هنيئا لنا يا معشر الصحب إننا

لنا حصن آمن ليس يطرقه ذعر[1]

كما يواصل الأمير تهنئتهم بعد الفوز العظيم و بالأمن بعد الخوف قائلاً:

فنحن بضوء الشمس و الغير في دجى

و أعينهم عمي و آذانهم وقر

و لا غرور في هذا و قد قال ربنا

تراهم عيون ينظرون و لا بصر [2].

1- المحبة الصوفية:

لا ينفصل موضوع المحبة الصوفية عن محتوى الرائيه التي أشرنا إليها فيما مضى فعلاماتها، فراق، حيرة، أشواق. و لأن الصوفي ليس فقيها يكتب الشعر فقط بل هو فنان يعبر عن نوع خاص من الحب بنوع خاص من الأشواق و الأحاسيس ويمكنه من ذلك امتلاكه " لزمام الحس الأدبي " [3].

و من هذه النماذج التي تدل على ذلك نختار ما عبر فيها عن حب الصوفي لمجبوبه و شيخه الفاسي حين يقول له:

يا من هم الروح لي و الروح و الراح

دبت حمياهم في كل جوهرة

عقل و نفس و أعضاء و أرواح

فما نظرت إلى شيئى يشبهه

فما يروق لقلبي بعد ملاح [4].

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر السابق، ص.213.

[2]– المصدر نفسه، ص.213.

[3]- عبد الرزاق.بن السبع، مرجع سابق، ص.168.

[4]– االأمير عبد القادر، لديوان، مصدر السابق، ص.216.

هذا النوع من الحب يريد الأمير فيه إستعمال الإسم الموصول المذكر فيه بدلاً من المؤنث ليظهر على أنه غزل صوفي [1].

و يتضاءف هذا الحب ليصير عشقًا فيقول:

عرفت في حبهم دهر ألم ترني
و في بحرهم سفن – حقًا- و ملاح؟
ماذا على من رأى يومًا جمالهم
إن ليس يبدو له شمس و إصحاح
حيال مكة لو شامت محاسنهم
حنوا من شوقهم ناحوا و قد طاحوا [2].

و يوظف الأمير في رمزية صوفية البحر، و السفينة و الملاح و هي كلها موجودات تمثل صفة الله في بديع خلقه .

و يواصل الأمير بوحه قائلاً:

لو كنت أعجب من شيئى لأعجبني صبر المحبين
ماناحوا و لا باحوا [3]

كما عبر عن عدم قدرته على كتمان ما هو فيه و قد خانه صبره فيقول أيضًا:

أريد كتم الهوى حينا فيمنعني
تهتكي كيف لا ؟ و الحب فضاح؟ [4]

هنا يصرح الأمير بأن علامات عشقه قد ظهرت كلها و كشف سره لأن الهوى فضاح بطبعه [5]. و لأن أمره افتضح بقوله للعذال ردًا عليهم و على سخريتهم من محبته الصوفية قائلاً لهم:

---

[1]- عبد الرزاق.بن السبع، مرجع سابق، ص.170.

[2]– الأمير عبد القادر، الديوان، مصدر سابق، ص.217.

[3]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.217.

[4]– نفسه، ص.219.

قال العوائل فيك السحر قلت لهم
نعم و لي صحة فيه و إصلاح
لا زال يربو مع الأنات بي أبدًا
فلي به بين أهل الحب أمداح
يا عاذلي كن عذيلي في محبتهم
فإن قلبي بما يهواه مشحاح
إن الملام لإغراءُ و تقوية
مهلا فإنك مكثار و ملحاح

يلوم الأمير العذول لكنه لا يتحامل عليه لأنه جاهل بمواطن الأمور فيرتفق به و يكفيه أن موقفه منه سيظل دومًا محل ذكر و مدح بين العشاق [1].

فالأمير مقدار حبه و امتداده بأن نار لوعته لا يسكنها كل ماء البحر بل أنه سيضاعف منها.

2- الخُلوة في المحبة الصوفية:

يقول الأمير:

أود طول الليالي إن خلوتُ بهم
و قد أديرت أباريق و أقداح [2].

يريد الشاعر أن ينعم بطول خلوته في الحضرة الربانية ليواصل:

يروعني الصبح إن لاحت طلائعه
يا ليته لم يكن ضوء و إصباح
ليلي بدا مشرقا من حسن طلعتهم
و كل ذا الدهر أنوار و أفراح [3].

---

[5]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.271.

[1]– عبد الرزاق بن السبع، مرجع السابق، ص.172.

[2]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.219.

[3]–االأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، لمصدر نفسه، ص.219.

و أشد ما يروع الصوفي العاشق، هو اقتراب فراقه لمن يهوى [1] . فلا عذال و لا انكشاف عشقه، يثنيه عن مواصلة مشوار حبه الصوفي فيقول:

لا شيئى يثني عنايتي عن محبتهم

و لا الصوارم في صدري و أرماح [2].

و في هذا البيت فكرة تقودنا إلى تقييم درجة هذا الحب و درجة الإخلاص فيه فيؤكدها عبد القادر حين يقول:

هوى المحب لدى المحبوب حيث ثوى

و كيفما راح هبت منه أرواح [3]

و ما رغبة الأمير في هذا البيت الاّ أن يقودنا إلى أن هذا الحب لا يشاركه فيه أحد حتى و لو أصبح تحت الثرى باليًا [4].

و عن مقدار هذا الحب و أزليته يقول الأمير:

عن الحب مالي كلما رمت سلوانا

أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا

لواعج لو أنّ البحار جميعها

صببن لكان الحر أضعاف ما كانا

فلو أن ماء الأرض طرا شربته

ما كان لي ري و لازلت ضمانا [5].

3- الخمرة الصوفية:

هي العلم و مركزه عند الأمير . يقول عنها الأمير:

هي العلم كل العلم و المركز الذي

---

[1]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.174.

[2]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.219.

[3]– الأمير عبد القادر الجزائري. المصدرالسابق.219.

[4]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.173.

[5]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.221.

به كل علم حين له دور [1]

فلا عالم الاّ خبير بشُربها

و لا غبن في الدنيا و لا من رزيئة

سوى رجل عن نيلها حظه نزر

و لا خسر في الدنيا و لا هو خاسر

سوى و الله و الكف من كأسها صفر [2]

و لا يحسب القارئ أن الوصول إلى هذه الخمرة في متناول الجميع سهل باستطاعة أي كان تحمل مشاق الوصول إليها فيقول الأمير عن هذه التضحية:

و في شمها- حقًا- بذلنا نفوسنا

فهان علينا كل شيء له قدر

و ملنا عن الأوطان و الأهل جملة

فلا قاصرات الطرف تثنى و لا القصر

هجرنا لها الأحباب و الصحب كلهم

فما عاقنا زيد و لا راقنا بكر

و لا ردنا عنها العوادي و لا العدا

و لا هالنا فقر و لا راعنا بحر [3].

ووصفها كذلك على أنها خير

عجبت لباغي اليسر للجانب الذي

تقدس مما لا يحد له السير

و يلقي إليه نفسه بِغنائه

بصدق تساوى عنده السر و الجهر

فيلقى مناخ الجود و الفضل واسعًا

و يلقى فراتا طاب نهلاً فما القطر

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدرالسابق، ص.208

[2]– ا نفسه، ص.208. راجع كذلك: عبد القادر بن حراث، المرجع السابق، ص.37.

[3]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان،المصدر نفسه ص.211.

و يلقى رياضًا أزهرت بمعارف
فيا حبذا المرآى و يا حبذا الزهر [1]

و قال عنها أيضًا:

و يشرب كأسا صرفة من مدامة
فياحبذا الكاس و يا حبذا الخمر
فلا غول فيها و لا عنها ترفة
و ليس لها برد و ليس لها حر [2].

أما مفعول هذه الخمرة في شاربها والفائدة من شربها والغاية الكبرى هي الوصول إلى الفناء و هي مرحلة يجتازها المتصوف ليدرك ما تمناه منذ البداية و هو المحبة الإلهية و ما تقتضيه لتكتمل. و هي نتيجة لمن تخلى عن كل إرادة ذاتية و مشيئة شخصية ليصبح مدركًا لحقائق الوجود [3].

أما عن وصفه لحالة سكر الصوفية فيقول:

ترى سائقيها كيف هامت عقولهم
و نازلهم بسط و خامرهم سكر
و تاهوا فلم يدروا أليته منهم
و شمس الضحى من تحت أقدامهم
غفرُ [4].

يصف الأمير الصوفية و قد انشرحت نفوسهم نشوة سكارى و ما هم بسكارى، و قد غمرتهم سعادة طاغية نفقدهم الإحساس المادي، ليس له ذكر و لا فكر. كل ما هناك أنهم أرواح شفافة هائمة في عالم غريب لا يدركه الاّ من جرب. و قالوا:

---

[1]– الأمير عبد القادر الجزائري.الديوان، المصدر السابق ص.207.

[2]– نفسه، ص.207.

[3]– عبد القادر.بن حرات، المرجع السابق، ص.39- 40.

[4]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.209.

فمن يُرجى من الكون غيرنا
فنحن ملوك الأرض لا البيض و لا الحمر
تميد بهم كاسُ بها قد تولهوا
فليس لهم عُرفُ و ليس لهم نكر
حيارى فلا يدرون أين توجهوا
فليس لهم ذكر و ليس لهم فكر [1].

و يواصل الأمير تحسره على من لم يذق الخمرة الصوفية:

فلو نظر الأملاك ختم إنائها
تخلوا عن الأملاك طوعًا و لا قهر
و لو شمت الأعلام في الدرس ريحها
لما طاش عن صواب لها فكر
فيما بعدهم عنها- و يا بئس ما رضوا
عقد صدهم قصدو سيرهم وزر [2].

و يشفق تارة على من حرم شربها

فهي العلم كل العلم [3].

4- مصطلحات شعر الأمير الصوفي:

إذا كان المصطلح هو الاتفاق فالرمز حتمًا هو الاختلاف عبر به الأمير عن تجربته الصوفية من جانبها الإبداعي.

و ما استخدام الرموز الاّ قصور للغة و عجز عن التعبير عن الأحاسيس و خوف من التعمق أكثر. فكل الرموز التي وظفها الأمير في قصائده [المرأة، الهجرة الرحلة الخمرة وحدة الوجود، موسيقى الصوفية، الحب، البوح،الفتوة، السفينة...إلخ]. تأخذ الرباط نفس الأبعاد و تخرج عن المألوف وصفًا و تعبيرًا و تتسم في ألوانها بصفات التهويل و التعظيم حتى و إن كان البوح العميق يخون الأمير.

---

[1]–الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، المصدر السابق، ص.210.

[2]– الأمير عبد القادر.الجزائري، نفسه، ص.208.

[3]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.163.

فالمرأة: مثلاً توظف لامتصاص القلق و التوتر

أما الحيرة: فلأنها تعبير عن حالة تفكير ممتزجة بالذوق و بتموجات النفس الإنسانية فهي منهج القوم [1].

أما الهجرة أو الرحلة و السفر: فهي تذلل لله و خُنوع.

و ما مصطلحات البحر و الملاح و الغرق: الاّ لتوظيف عشقه الصوفي لأنه يرى فيها كموجودات لصفة الله تقوم بها و يعتقدون أنها تحدث و تفعل.

أما الموسيقى: فهي جمال اللحن و خلاوته في أصوات الآيات الكونية كالطرب لوميض البرق و الرقص إذ قصف الرعد حين يختلط البكاء بالطرب [2].

أما لفظ المحبة: يرمز به عند الصوفية إلى الذات الإلهية في غالب الأحيان أو إلى الرسول ρ. لكن الثابت أن الأمير وظف هذا الرمز في الرائية و قصد به الشيخ محمد الفاسي، الذي كان يراه وليًا صالحًا و عالمًا صوفيًا. من أولئك الذين سلكوا سبيل المصطفى [3] و الذين قال فيهم عز و جل: :(الاّ إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون) [4].

5- شعر وحدة الوجود:

و الجدير بالملاحظة أن شعر وحدة الوجود هو شعر ينتمي إلى الرائية التي سبق و أن تحدثنا عنها في قوله:

أنا الحبُ و المحبوب
و الحب جملة
أنا العاشق المعشوق
سرًا و إعلانًا [5]
أنا حق أنا خلق

---

[1]– بومدين.بوزيد، « مواقف الحيرة في أحوال الأمير»، الخبر، عدد2719، السبت 1991/11/20، ص.14.

[2]– عبد الرزاق.بن سبع، مرجع سابق ، ص.165.

[3]– عبد القادر.بن حراث، مرجع سابق، ص.20

[4]– سورة يونس، آية رقم: 62.

[5]– الامير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.223.

أنا رب أنا عبد
أنا عرش أنا فرش
و جحيم أنا خلد
أنا ماء أنا نار
و هواء أنا صلد
أنا كم أنا كيف
أنا وجد أنا فقد
أنا ذات أنا وصف
أنا قرب أنا بعد
كل كون ذاك كوني
أنا وحدي أنا فرد [1].

6- رجاء:

و إن عرف الأمير بالرائيه، فنجد له أيضًا في شعر التدين. هذا ما يدخل ضمن رجاء الله حين يقول:

اتجهت لكم وجهي بأكرم شافع
فمحمد المبعوث للعبد و الحر
لترسل لي عند الوفاة مبشرًا
برضوانك الأوفى و فوزي في الحشر [2].

و يلح الأمير ليكسب أخراه متوسلاً، خاتمًا هذه الابتهالات بالصلاة على النبي ρ لا يبغي الاّ رضا الله فيقول:

إن أنت راض فيا فخري و يا شرفي
ماذا علي إذا و ليت من أحد [3].

---

[1]– الأمير عبد القادر.الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.25.
[2]– عبد القادر.بن حرات، المرجع السابق، ص.18.

7- حمد النعم:

لم يكن الأمير ممن لا يحمدون الله و لا يتحدثون بنعمة عليهم بقوله:

الحمد لله الذي قد خصني
بصفات كل الناس لا النسناس
الجود و العلم النفيس و إنني
لأنا الصبور لدى اشتداد الباس
و تحدثي شكرًا لنعمة خالقي
و إذا كان في ضمن جميع الناس [1].

---

[3]– المرجع نفسه، ص.60.

[1]– أحمد تيمور، المرجع السابق، ص.368. و أيضا: الديوان، المصدر السابق، ص.194.

8- الحجازيات:

ما كان الأمير المتصوف الزاهد أن يُخلي سبيل الشعر دون أن يسخره لصوفيته[1] و لتعبيره عن حبه لكل أنواع السفر و عن ديناميكيته و حبه للتنقل والإنفتاح على بني الإنسانية جمعاء [2] و كذلك على عالم الروحانيات.

و هذا ما يدل على أن الأمير عاش تجربة الرحلة بكل لذاتها و إنكساراتها مبدعا من خلالها، مشكلا سفرا صوفيا مميزا، و شاقا لمسالك جديدة من المجاهدات [3].

فليس هو السفر الطبيعي الذي يضني الجسد بل هو سفر يلخص المواجع و محنة الانفصال و الوصل أحيانا، و لا شك أن الأمير يقتل هذا الغبن بتوجه قلبه إلى الحق بالذكر.

و كما هو معروف عند الصوفية، فيخرج لنا رحلة سفر جديدة تزين بها مشواره الشاق. و لهذا نجده يوظف رموزا عدة تكاد تأخذ أبعادها الحقيقية، لكنها ذات معاني و دلالات عميقة مخالفة كإستخدامه لرمز الرحلة والخمرة(بن زرقة الصفحة19)

ففي هذا النوع من الشعر الديني يذكر الأمير البقاع الطاهرة المقدسة، معبرًا عن شوقه إليها و لأهل تلك الربوع بعيدا عن مناجاة الأسر، فهي تعبير منه على حبه للرسول ρ و لمكة مهبط و حبه و موقف البيت الحرام.

فكل هذه البقاع مرتبطة روحيا و ذهنيا بمنشأ الرسول ρ و لهذا يُعبر الأمير عبد القادر عن حبه لها، لكونها منبع الرسالة و لكونها تحتل في ذاكرته مساحات جميلة خلال رحلته الأولى مع والده، لأداء فريضة الحج فكان كثيرا ما يمني نفسه بالعودة إليها.

إذن عاش الأمير مكتشفا من القيطنة إلى وهران و منها إلى بغداد، و إلى مكة لكن العودة كانت تدخر له أمانة، تأبى الجبال حملها و هي الإمـارة التي شغلتـه عن

---

[1]- نقولا. زيادة، المرجع السابق، ص.142.

[2]– حمزة.بلحاج، المقال السابق، ص.41.

[3]– عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.186.

موعد رحلاته الصوفية و التي أُجّلت حتى كان الانكسار حين وقوعه في الأسر و حين دخوله لأسر الخلوة أو خلوة الأسر فهي حتما كانت المفروضة المرغوبة لديه فأول ما قاله الأمير حين طلب الاستئمان:

أن يسلب القوم العدا
ملكي و تسلمني الجموعُ
فما لقب بين ضلوعه
لم تسلم القلب الضلوع
ما سرت قط إلى القتال
و كان من أملي الرجوع
شيم الأولى أنامنهم
و الأصل تتبعه الفروع [1].

و حين دخل هذه الخلوة ناجى أهل مكة معبرا عن عجزه في الالتحاق بها، حيث كانت هي وجهته، و لم يكن الأسر في الحسبان، فمن الطبيعي أن تظهر هذه المناجاة لأن المطلوب عجز عن نيله حيث يقول:

يا أهل طيبة مالكم لم ترحموا
صبا غدا لنوالكم متكففا
لا تجمعوا بين الصدور و بعدكم
حسبي الصدود عقوبة فلقد كفى.

و يمثل لنا في معناه أن الأمير اكتفى من ألمه و يتمنى أن يذكروه رحمة به ويواصل:

ما قيل ذاك أسيرنا و قتيلنا
بين العوادي و الأعادي مثقفا

[1]– عبد القادر.بن حرات، المرجع السابق، ص.108.

مبينا ما اجتمع عليه من الآلام و المحن و بين حرقة الأسر و الغبن و شماتة الأعداء وطول البعاد [1] و نجده كذلك من الخصوبة بمكان يكشف لنا عن إحساس صادق الفكر عميق و شفافية نفس تتطلع إلى رحاب أبعد بكثير من الواقع الضيق الدميم [2].
هذا التطلع تملؤه الأمال حين يكاتب شعرا، قدور بن محمد بن رويلة حين ذهب للحجاز فيقول:

يا أهل ترى أمثلما فزتم أفوز
و هل تعلو سُودى على نحسى فتقلبه

و عن شوقه الشخصي إليها رغم رغبة العدو في تحريف نظره عنها:

قلبي الأسير لديكم و الجسم في
أسر العداة معذبا و مكتفا
حاشاكم الجميل ظني فيكم
أن تشمتوا في العدو المرجفا
و لطالما العذول بحبكم
و أطال عتبي ناصحا و معتفا [3].

و بعد أن فك أسر الأمير، عبر عن أشواق لا تتناهى، في زيارة الأماكن المقدسة معبرا عن عاطفته الصادقة لزيارتها فقال:

لم يبق يوم البين و الهجر الذي
خُلقا لتعذيب الأحبة –مسعفا-
إلا أصابته و حسما قد غدا
ملقى كسن بالفلا لن يخسفا يخصفا [4].

---

[1]- عبد الرزاق.بن سبع، المرجع السابق، ص.184.
[2]– نفسه، ص.191.
[3]– الأمير عبد القادر، الديوان، مصدر سابق، ص.150.
[4]– عبد القادر.بن حراث، المرجع السابق، ص.186.

و يشعر الأمير بنشوة بالغة و عظيمة نظرا لتحقق مراده و رغبته الشديدة لزيارته لمكة فهذا المكان المقدس الذي ارتبطت به الروح فيقول:

فمكة ذي خير البلاد فديتها
فما طاولتها الشمس يوما و لا النسر
بها كعبتان: كعبة طاف حولها
حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر
و كعبة حجاج الجناب الذي سما
و جل فلا ركن لديه و لا حجز [1]
وشتان ما بين الحجيجين عندما
فهذا له أجر ملك وهذا له اجران.

فحنينه مع المرحلة الثانية من تصوفه جعلته يرى أن بها كعبتان كعبة المادة و كعبة الجنان العالي [2]: فهو في هذه المرحلة يرى ما لا يراه غيره، فيرتاح لكن سرعان ما تعود معاناته و ألمه حين يقترب موعد الرحيل و المبارحة فيقول عن مكانة هذه الديار في قلبه:

تذكرت و شك البين قبل حلوله
فجاءت عيون بالدموع على الحد
و في القلب نيران تأجج حدها
سرت في عظامي ثم صارت إلى جلدي [3].

ثم يدعوا محتسبا إلى الله ليخفف عنه ألمه الشديد، و ليقويه و يمنحه القدرة على الصبر بعد أن تمنى الموت في هذه الديار الطاهرة فيقول:

يا ليت قبل البيت سارت إلى اللحد
إلى الله أشكو ما ألاقي من النوى
و حملي ثقيل لا تقوم به الأيدي.

9

---

[1]- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص.206.

[2]- نقولا.زيادة، المرجع السابق، ص.142.

[3]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.190.

9- المـدائـح الـنـبـويـة[1]:

كتب الأمير في المديح النبوي أيضا فكانت كتاباته في هذا النوع صادقة جريحة مسترجعة للذكريات التي كان فيها المسلمون أسيادًا بفضل الإسلام أيام الفتوحات الأولى[2].

فهذه المدائح تعبير صادق عن نفسيته المؤمنة، المحبة للرسول ρ و أهله وصحبه الكرام.

و تعلقه الروحي بمن أنزل عليه، حب الله عز و جل كان يرى كيف أن المشرق و المغرب منفصلين و أن العدو يغالي في تقييم أرض الإسلام و إبعادها عن دينها، فيطلب المدد من الرسول ρ شفيعا و رحيما فيقول مناديا:

يا سيدي! يا رسول الله! يا سيدي!
و يا رجائي! و يا حجتي و يا مددي
أبغي رضاك، و لا شيء أقدمه
سوى افتقارى و ذلي و إصغار يدي[3].

و يقول في رغبته في إرضاء الرسول ρ بالأفعال فيقول:

أبغي رضاك و لا شيء أقدمه
سوى إفتقاري و ذلي و إصغار يدي
إن أنت راضي فيا فخري و يا شرفي
ماذا علي إذا واليت من أحد[4]

---

[1]– المدائح النبوية: هي فن من فنون الشعر إحتواها التصوف و ازدهرت في عصر الحروب الصليبية و غزو التتار للشرق الإسلامي في نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس.

[2]- عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.182.

[3]– الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، قصيد.(يا سيدي يا رسول الله)، ص.152.

[4]– عبد الرزاق.بن سبع، المرجع السابق، ص.184.

كما يهنئ من سمحت لهم الفرصة بزيارة قبر الرسول ρ في شخص صديقه فيقول له:

أخي نلت ما قد كنت تطلبه
وفرت دوني بما ترجو و ترغبه
قد طاب في طيبة الغرا مقامكم
جوار محبوبنا من كنت ترقبه[1].

و لا طالما ذكر الرسول ρ في ختام قصائده فيقول:

بجاه ختام المرسلين محمد
أجل نبي كل مكرمة حوى
عليه صلاة الله ثم سلامه
و آل و صحب ما سرى الركب اللوى[2].

و أيضا قوله:

ثم الصلاة على المختار سيدنا
ما صارت الشيب يوم الحرب شبانا[3].

و لا نهمل الاستعانة في شكل رجاء بالله و الرسول ρ حين يقول:

يا سيدي! يا رسول الله! يا سيدي!
و يا رجائي! و يا حصني! و يا مددي
أبغي رضاك و لا شيء أقدمه
سوى افتقاري، و ذلي، و اصغار يدي[4].

---

[1]- عبد الرزاق.بن سبع، مصدر سابق، ص.184.

[2]– نفسه، ص.185.

[3]–الأمير عبد القادر الجزائري، الديون، مصدر سابق، ص.161.

- قراءة نقدية لشعر الأمير:

نفهم من خلال هذا العرض لبعض أشعار الأمير أن الشعر بحق تعبير صاف عن كل ما يختلج به الوجدان و هذا بالضبط ما أوحت به لنا كتابات عبد القادر فأسلوبه في التفكير و التعبير يرشد حتما القارئ إلى بيئته و إلى الأحداث التي مرّ بها كما يوضح لنا معالم ثقافته و موروثه الحضاري الذي يسمح له بتلبية النداء العميق للقيم و المبادئ بمعرفة رموز عدة منها رموز المطلق، و التعلم من خلال كل معاني الحلم الإنساني و إعجابه بغموض الجمال.

رغم كل النكسات التي مرّ بها الأمير كان ينهض يتحسس همسات الطبيعة وهمسات غيره. فلولا الحرب التي فرضها واجب الجهاد لكان الأمير فقط ذاك الإنسان الذي يُحافظ على روح شاعر ميتافزيقي أو فيلسوف مدقق في أعظم الأسئلة البشرية[1].

و لهذا جمع الأمير في شعره بين الأصالة و التجديد بفضل سعة آفقه الغني والتاريخي و الديني و الاجتماعى مما يتيح لنا التعرف على تجربة رائدة في الشعر[2].

في مزج متقن بين رصيد مطالعاته و روحه الإبداعية فعبر عبد القادر عن الحكمة و لهذا جاءت أشعاره المستمدة من قبس القرآن الكريم [3]. رغم روح الحكمة في أشعاره الاّ أنها جاءت بسيطة صادقة من قائد شديد التمسك بدينه، [4] ولبساطتها تؤكد لنا حين نعرف أن معظم أشعار الأمير كانت وليدة اللحظة و الشعور الخاطف[5].

وقد مكنته شاعريته التلقائية من ذلك التعبير الصادق عن روحه السامية المعبرة عن سلامه الداخلي.

---

[4]– نفسه، ص.152.

[1] –R. Mimoune, OPCIT, P.50.

[2]– بديعة.الحسني الجزائري، فكر الأمير، مرجع سابق، ص.178.

[3]– صالح.خرفي، المقال السابق، ص.45.

[4]– أنيسة.بركات، المرجع السابق، ص.164.

[5]– عبد الحميد.شفيرات، « شخصيات تاريخية »، في: مجلة الوحدة، السنة 12، العدد 276، 9 أكتوبر (1986)، ص.37.

ولطالما غدت هذه الشاعرية عقيدته و دينه و إيمانه بكل ما تحويه الكلمة [1] و لهذا لا تحلّق هذه الشاعرية بعيدًا عن الواقع و هذا ما يقل توفره في فارس شاعر حيث كان الأمير إذا قصر به التعبير الفني نهض به التعبير الواقعي [2].

و مما يلاحظ على شعر الأمير أيضًا نهجه الديني الواضح و الذي نكتشفه في أبسط قراءة نقدية لشعره يتضح لنا فكر الأمير الإصلاحي و اتجاهه الإسلامي الواضح فلم يكن الشعر بالنسبة له مجرد ترف ذهني بل رسالة موجهة. و لأن هذا النوع من الشعر له قدرة بالغة في المحافظة على الدين و الأخلاق حين يتضافر على الشاعر وسط مستقيم و نشأة قوية و مزاج سليم هنا تخلق الروائع الفنية التي تعطينا تراثًا نقيًا إنسانيًا مأجورًا حسنًا، ففي معنى حديث الرسول ρ عن الشعر:« أن أحسنه ما كان محافظا على مكارم الأخلاق داعيًا إليها ساعيًا في غرسها في نفوس البشر» بقوله ρ « فحسنه حسن و قبيحه قبيح» [3].

و لأن الأمير أظهر ثقافة الفقيه و الفيلسوف الحكيم من خلال شعره الصوفي [4] في عصر يعتبر فيه الشعر حرفة فمجمل الشعر العربي يقوم أساسه على العظمة في المدح وقد خطا الأمير نحو العالمية فلم يكن هذا الأمر ليّهم عبد القادر ولا لتهمه صور التعبير الجميلة بقدر ما كان يهمه الحسن خصوصا في أشعاره الصوفية و لهذا يرى كمال الشيبي أن الشعر الصوفي هو الشعر الوحيد الذي يصلح للعالمية « فمثلاً الخلاف الفقهي بين الفقهاء لا يطرح في التصوف فالصوفي المسلم والصوفي المسيحي يستطيعان أن يتفاهما و يزيلا الكثير من وجود الاختلاف، في حين أن المتفقهين منهم لا يستطيعون ذلك لأن التصوف هو أساسا في النفس الإنسانية يمثل جانب الخير و هو رمز للتدين في جوهره » [5].

---

[1] -Rabia Mimoune, Opcit, P.P,50-51.

[2]- صالح.خرفي، المقال السابق، ص.45.

[3]– عبد الرشيد.مصطفاوي، « القرآن و الشعر »، في: ملتقى الفكر الإسلامي الرابع، (10-19 أوت 1970)، بقسنطينة، دار البعث ص.260.

[4] - Rabia Mimoune, OPCIT, P.P,50-51.

[5]– كمال مصطفى الشيبي، « الشعر الصوفي هو الشعر العربي الوحيد الذي يصلح للعالمية »، ص.57. راجع كذلك: ملتقى الفكر الإسلامي الواحد و العشرون، معسكر، 26، 1987/9/1/9.

فالأمر الذي يجمع بينهما هو الاعتماد على الخالق و أنه من روح كبيرة لا مادة والتعبير منطلق من نفس المبدأ. و أكثر ما يشد انتباهنا في شعر الأمير الصوفي الرموز، فالرمزية و الإشارية و الاصطلاح الصوفي من خلال تجربة التعلم و السفر و الأسر والجهاد [1] أخذت بعدًا كبيرًا، ففي استخدام الأمير للرموز إيحاء باتساع رؤيته الصوفية على وجه الخصوص، و عجز وضيق أفق تعبيره فمعظم رموزه تأخذ صفة التهويل و التعظيم [2] حتى في استخدام الأمير لألفاظه في غير مجال التصوف لأنه يختار الألفاظ الرنانة لذكر انتصاراته كالسيف و الرمح و الجواد [3]. بلهجة تتماوج بين العنترية و بين معاناة المتنبي.

كما نلاحظ أن مصطلحات الشعر الصوفي تكاد تُغطي كل الأغراض الشعرية الأخرى و تتكرر في معاني مختلفة فهي في الشعر العادي تعني نفس المعنى أما في الشعر الصوفي فهي لغة إلهية بعيد ة عن اللغة الوصفية، و لهذا توقف الأمير في بعضها عن قشرة التعبير خوفًا من لب اللغة التي ترمى به إلى حقول ملغمة تثير حفيظة الفقهاء [4] و تتميز أبيات الشعر الصوفي عند الأمير، وبقصرها معظمها من البحر الطويل والوافر و الكامل، لما تعطيه هذه البحور من اتساع يعطي الشاعر كمه من السواكن والمتحركات و يعطي إمكانية وافية للتعبير عن الأغراض و الزج بأبيات مجهولة المواقف [5].

أما عن التقليد وحجمه و التأثر في شعر الأمير فهو مربوط بموروثه المسموع من الشعر العربي [6] كذكره لأبيات الشعراء العرب مثل أبو نواس [7] كما نجد التقليد واضحًا في بعض الموضوعات و التي تؤكد ما ذكرناه عن تأثره الواضح بآراء محي الدين بن عربي في فتوحاته وتقليده لابن الفارض في تعابيره [8].

---

[1]– حمزة.بلحاج، المقال السابق، ص.41.

[2]– سعيد.بن زرقة، « شعر الأمير عبد القادر إتساع الرؤية الصوفية »، في: الخبر، عدد 12569، جوان (1999)، ص.19.

[3]– التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، (-1830- 1945)، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1983)، ص.14.

[4]- سعيد.بن زرقة، المقال السابق، ص.19.

[5]- عبد القادر الجيلاني، ديوان عبد القادر الجيلاني، تحقيق يوسف زيدان، ط1، بيروت، دار الجيل، (1998)، ص.ص، 11- 12.

[6]– عمر.بن قينة، المرجع السابق، ص.8.

[7]– راجع: عبد الرزاق.بن السبع، المرجع السابق، ص.163.

[8]– المرجع نفسه، ص.157، راجع كذلك: المرجع نفسه، ص.169.

و لهذا جاءت اللغة سلسلة مصقُولة بلغة القرآن العربية [1]. و تبقى الكثير من السلبيات في شعر الأمير طبيعية إذا ما رأيناها بمنظور ذلك العصر. كسمات التفكك والاستطراد [2] و تداخل الأغراض في قصائد الأمير المجموعة في ديوان واحد كما سبق و أن ذكرنا [3].

ولا يمكن حتمًا للتاريخ العربي أن ينفي إسهام الأمير عبد القادر في مجال الشعر بعد أن أضاف الأمير إلى الثقافة العربية و التراث مزيدًا جديدًا بروح ذلك العصر. ولهذا عد الأمير من أشهر الأدباء في الوطن العربي بمقياس زمنه وبأسلوب زمانه وكان متميزًا بإبداعاته التي لا تزال خالدة حتى اليوم.

---

[1]– الأميرة بديعة، المرجع السابق، ص.28.

[2]– عمر.بن قينة، المرجع السابق، ص.28.

[3]– رغم طبعات الديوان المتعددة يحتاج إلى تمحيص أدق و فهرسة و ترتيب حسب الأغراض بدل الأبواب الشعرية التقليدية. راجع، عبد القادر.بن حراث، المرجع السابق، ص.10.

المبحث الثالث:

رسائله:

سبق و أن تعرفنا على ما تركه الأمير عبد القادر من أصول مختلفة كالنثر و الشعر، و نتعرف الآن على رصيد أدبي آخر؛ يتمثل في مراسلاته المختلفة.

هادفين من وراء ذلك إلى عرض بعض النماذج، بغرض إلقاء الضوء - من خلالها - على نفسيته و ما خفى من شخصيته[1].

فالرسالة هي تسمية واسعة لأي نص موجه إلى فرد أو جماعة قد تكون رسمية أو شخصية[2] لكنها دائما لها خصوصيتها، المعبرة، كالمرآة. عن ثقافة العصر وروحه، وقد تساعدنا كثيرا على إيجاد ما خفي سابقًا.

كما أن اختيار الأمير للرسالة؛ كتعبير عن بساطته في توجيه الخطاب يؤكد لنا، رغبته في تحقيق النتائج و الأهداف التي تسعى إليها كل رسالة في كل موضع و في كل خصوصية، كل واحدة منها على حدة. فتنوعت بذلك حدة اللهجات و تنوعت الوجهة أيضًا.

فمنها ما تبادلها مع إخوانه في الدين.. من أصدقاء و شركاء في المحنة أو وجهها كمركز الخلافة سعيا منه للتحسيس، بموقف ما، أو بذلاً لمجهودٍ لصالح تحسين، حال بعض الجزائريين في دار الهجرة.

ومنها أيضًا ما تبادلها مع خصومه في الدين و الحرب والصراع حيث كتب لعدد من الشخصيات الحربية والسياسية، و الملوك و الوزراء و رجال الدين؛ وأجابهم عن استفساراتهم بخصوص بعض المعاملات في الإسلام.

وعلى كثرة هذه الرسائل سنحاول اختيار بعض النماذج منها و التي تخدم موضوعنا.

أ- رسائله لإخوانه في الدين:

تفرعت هذه الرسائل حسب الوجهة و الموضوع والمناسبة و سنختار منها بعض النماذج للتدليل على ما يلي:

---

[1]- عبد الرزاق. بن السبع، المرجع السابق، ص.237.

[2]- أنظر: الموسوعة العالمية العربية، مجلد 11، ص.203

احترام الأمير لمسؤولياته، و لحق الأخوة، الدينية، وكذلك على كلامه باسم الدين، نلمس الجانب الروحي في هذه الرسائل، والتي صنفناها إلى النماذج التالية:

1- نـماذج من رسائـله إلى رؤسـاء القـبائـل وقـادة الجـيـش:

جاء مضمون هذه الرسائل موحدًا، يدور حول فكرة الدعوة للجهاد والحث عليه و لعل أقوى هذه، الرسائل تعبيرًا عن المضمون السابق الذكر، هي الرسالة، التي وجهها لإحدى القبائل داعيًا للخير والجهاد.

- رسـالـتـه لأهـل فـجيـج[1] في:(17 شوال 1251 هـ/ 5 فيفري 1836م).

لقد نشرت هذه الرسالة، من قبل المجلة الإفريقية[2]، في عددها (السابع و الخمسون)، سنة:(1332هـ/ 1913م) [3]، و علق عليها ضابط فرنسي يدعى: قوقنالنز(L.Gognalans) [4]،مؤرخة بتاريخ (17 شوال 1251هـ/5 فبراير1836م) [5].

و يحدد زمانها الضابط المقدم لنص الوثيقة، تاريخ كتابة هذه الرسالة، بأحداث هامة مرت بفجيج والمغرب، و يقصد بذلك الطاعون الذي حدث في: (جمادى الثانية، 1251هـ/ 1835- 1836م) [6] وبالمجاعات، واحتلال مدينة تلمسان[7] وعودتها لدار الإسلام مما يؤكد الإطار الزماني للرسالة.

---

[1]- - فجيج: كلمة مصغرة لفج أو ممر بين جبلين، و هي منطقة كانت تابعة للمغرب بها سبعة قصور مثل بني ونيف،فجيج توات، قصور تافيلالت...إلخ، أنظر: L.Gognalans, « une proclamation de l'Emir Abdelkader aux habitants du Figuig en 1836 », in : Revue Africaine, N° 57/1916, p.245.

[2]- المجلة الإفريقية: أول عدد منها صدر سنة، (1273هـ/ م1856- 1274هـ/ 1857م)، عن الجمعية التاريخية الجزائرية (journal des travaux de la société historique Algérienne) ،كانت حين صدورها تظهر كل شهرين، وتباع بـ 12 فرنك لإشتراكات الأفراد الغرباء عن الجمعية، و بـ 8 فرنكات للمراسلين، و توزع مجانًا على أعضاء الجمعية التي ترأسها السيد (باربروجي) (M.Berbrugger) و كانت تطبعها (دار باستيد). (Bastide de librairie éditeur).

- أنظر: la Revue Africaine N°1,1857, p.02.

[3] -L.Gognalans, «une proclamation de l'Emir Abdelkader aux habitants du figuig en 1836», Opcit, p.p, 245- 256.

[4]- قوقنالنز(Gognalans): عمل كضابط مترجم في الجيش الفرنسي.

[5]- فضيلة. تكور. فاطمة الزهراء جديد. بختة إبراهيم، « تعليق حول نداء الأمير عبد القادر لأهل فجيج مع وثيقة النداء»، في:مجلة التاريخ، (عدد خاص)، (1983)، ص.97.

[6]- L. Gognalans, OPCIT, p.248.

[7]- تلمسان: مدينة، تبعد بسبعين ميلاً جنوب وهران في سفح جبال منحدرة، تربض على السفوح الشمالية لمرتفعات تلمسان، محمية من الجنوب بهضبة صخرية، سميت بغرناطة إفريقيا، و جوهرة المغرب تم احتلالها من قبل الفرنسيين سنة (1836).

- راجع: هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.66. راجع أيضا: الموسوعة العربية العالمية، مجلد 07، ص.157.

أما فيما يخص، مضمونها العام، فتمثل في طلب الأمير العون من أهل فجيج. بتلبية نداء الجهاد، في سبيل الله والوطن، وبتحديد أهداف النداء علانية، لبعث الحمية الدينية، في روح هذه القبائل، فأراد الأمير بهذه الرسالة مخاطبة الضمائر الحية عند أشراف القوم، وعلمائهم، وأعيانهم، فيقول لهم بعد الحمد و السلام: « أصلحكم الله حالاً، و استقبالا، وسدد رايكم،(كذا)، ووفقكم لإمارات العصمة جلالاً، وجمالاً وسلاما على محافلكم السامية يعم مرابعكم الناهية، و يتحفها بتحفة الكرامة الباهية و رحمة الله، وبركاته، وما نزفت الطوالع بأضوائها زاهية.»[1] وقد رمى الأمير عبد القادر من هذه المقدمة إلقاء السلام على أهل فجيج، هادفًا إلى إلقاء الطمأنينة، في نفوسهم، ليواصل بعد هذه التحية التي تليق في رأي الأمير بأعيان قصور الفجيجية عارضًا الموضوع.

بدأ المير بالحديث، عن دافعه الأساسي، لكتابة هذه الرسالة، وهو غيرته، على الدين، أملاً أن يشاركه أهل فجيج الجهاد قبل غيرهم، لما يُعرف عنهم من شجاعة وتمسك بآداب الدين و بشعائره كاملة. قائلا لهم:« أما بعد فإن الغيرة الإسلامية، تحق لأمثالكم و الإعتياضات الأنفية، تجب على أقوالكم وأفعالكم، وكيف لا والعدو الكافر – أذله الله- جال في بلاد المسلمين، و صال، وسعى في خراب مدنم، وقصورهم بمساجدها المعدة بالغدو و الآصال وحدّت شوكته، على الغريب و العاصي، و تظافرت جيوشه على إجلاء المطيع منهم.و العاصي...و فاض على ضوء الإسلام، ظلام ليله، حتى كاد يخفى جدول فجره...»[2].

و انطلاق الأمير عند دعوته لأهل فجيج من ندائه للجهاد لكون العدو، قد داس المحرّمات والمقدّسات، و لا مجال للتأخير في محاربته، لأن الأمر يتعلق بواجب مقدس لا يمكن التراجع عنه، من بداية مشواره، على كل شريف مخاص[3]. ليهيئ الجو الرئيسي لطلبه، فهو يعلم كل العلم أن هذه القبائل لا تعترف بغير الرابطة الدينية كصلة وصل، بين الآخريين. فوظف الكثير، من الأحاديث النبوية، وأدق ما يخدم خطابه من القرآن الكريم، مركزًا على الجانب العقائدي. كقوله عن الأخوة: « إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص. يشد بعضه بعضا، والمسلمون كالجسد الواحد، يتألم

---

(1) - L.Gognalans, op. Cit, p.248.

(2) -Ibid, p.249 .

(3)- عبد الرزاق. بن السبع، المرجع السابق، ص.240.

الجميع بتألم البعض، و تعاونوا على البر والتقوى، و إنما المؤمنون إخوة، يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله، أثاقلتم إلى الأرض الآية و هذا واجب لكم في إعطاء كل ذي حق حقه والأمور الآدمية...» [1] .

و قد يكون أبرز شيئ في هذه الرسالة، هو وضوح أهداف الأمير. فبعد عرضه لهذه المعاني القوية يواصل في إبراز عنصر هام في الجهاد، وهو الشهادة، بأن الإيمان يدفع بالمجاهد إلى البسالة في القتال، حتى نيلها، فيقول لهم عن هذا الواجب العظيم والحق، نحو الله، والذي يمنحنا الفوز بالدنيا والآخرة: « و أما مدافعة الكفار. أخزاهم الله، في المصابرة في الرباط و نيل إحدى الحسنتين، الأجر والغنيمة، والنعيم المقيم الذي لا يخطر على قلب بشر. فلا يخفى على كريم علمكم ما ورد في ذلك من لآي القرآنية، والأقوال النبوية» [2] .

ثم يعود مجددًا للثناء على صفحات شهادة لبطولاتهم. و تأكده من سمو أخلاقهم و شجاعتهم، و يخبرهم بما يعرفه عنهم: « و نجدتكم و سياستكم في تدبير صنايعكم المحكمة مع غلظتكم على الكفار. و شدتكم في ثبات الصفوف الحربية معلومة عندنا ضرورة حسبما دونت خصالكم الحميدة، و أفعالكم الرشيدة في تاريخ وهران و وقائعها» [3].

ثم يخلص الأمير إلى توجيه طلبه مباشرة لزعماء القوم مجددًا، تاريخ الدعم إن أمكنهم فيقول في ذلك: « نرغب في حمد سراريكم أن تجمعوا جموعكم. و تكونوا في قصد إعانتنا رجالاً وركبانًا، لتتم لنا المزية والهيئة التي بها يحصل المراد منا ومنكم وفي موافقتكم »[4].

2- رسائله لمركز الخلافة العثمانية:

جاءت هذه الرسائل لتؤمن غرضا واحدا، بعد أن فقد الأمل في مواصلة حربه ضد فرنسا في ظل عدم التكافؤ الذي كان يعاني منه جيشه فأرسل بهذه الرسائل مستنجدًا بها.

---

[1]- عبد الرزاق بن سبع، مرجع سابق، ص.240.

[2] -L. Gognalons, op, cit, p.250.

[3]- Ibid,, p.250.

[4]-- Ibid,, p.250.

- رسـالـتـه للسـلطـان عبـد المـجيـد، ممثـل الخلافـة الإسـلامية:

في (شوال 1257هـ/ الموافق لـ ديسمبر 1841 م)، من رباط مستغانم[*] [1].

وجه الأمير الرسالة للسلطان عبد المجيد خان[2] ممثل الخلافة الإسلامية، ليصف له حال البلاد و العباد باعتباره ممثلاً للوحدة والرابطة الإسلامية، والمسؤول عن المدافعين عن دين الخلافة الإسلامية[3] فمضمون هذه الرسالة إذن، هو طلب العون، و الاعتراف **الصريح بالانتماء للرابطة الإسلامية.**

يبدأ الأمير خطابه، كعادته بالبسّملة و الصّلاة على رسول الله ρ ثم يُعرف بنفسه للسلطان فيقول: « من خادم حضرتكم وخادم الناهدين، عبد القادر بن محي الدين منحه الله رضاه، ثم رضى رسوله. ثم رضاكم في الدنيا. و يوم الدين أمين» [4]. ويثني بعدها على سلطان المسلمين معترفًا بالخلافة، متواضعًا له فيخاطبه بـ« سلطان سلاطين الإسلام و حامي بيضة أمة محمد عليه السلام، وضوء الملوك الشامخ. و ركنهم الثابت الراسخ شمسهم التي تستمد منها كواكبهم... خير من قاد الجيوش و رتب العساكر... وكان لعين الإسلام بمنزل الإنسان... سيدنا و ابن سيدنا إلى الجد عثمان السلطان عبد الحيد خان...و سلام على سيدنا و رحمة الله وبركاته» [5].

ولا يغفل الأمير عن ضرورة تعزية السلطان الجديد في موت والده، وتهنئته بالخلافة وتمنياته بدوامها بقوله: « وإنا ننئك بالخلافة التي لا يلحقها ِبحول الله وقوته

---

[*]- أحمد. توفيق المدني، « أبطال المقاومة الجزائرية: حمدان خوجة. أحمد باي، الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية»، في: مجلة التاريخ العدد 04- أبريل، (1977) ، ص.ص، 96- 125.

[1] مستغانم: غربي الشاف على مسافة 12 كلم من مصبه، مدينة قديمة. راجع: سكوت، مصدرسابق، ص.141.

[2]- السلطان عبد المجيد. خان: ولد عبد المجيد سنة: (1239هـ/ 1823م) تولى الحكم من: (1255هـ/1839م) حتى (1278هـ/ 1861) كان أول سلطان عثماني يتكلم بالفرنسية، تابع برنامج والده محمود الثاني، استقدم وزراء أمثال مصطفى رشيد باشا و محمد أمين علي باشا، هو من أصدر خطي شريف كولهانة سنة: (1255هـ/ 1839م) و خطي شريف همايوني (1273هـ/1856م)، و التنظيمات التي أعلنت المساواة بين كل من المسحيين و المسلمين، من إنجازاته ترميم كنيسة آيا صوفيا.

- راجع: عبد الوهاب. الكيالي، الموسوعة السياسية، ج3، ص.853.

[3]- عبد الرزاق. بن السبع، المرجع السابق، ص.247.

[4]- أحمد. توفيق المدني، المقال السابق، ص.99.

[5]–المقال نفسه، ص.99.

قدر، الميمومة البقية على جميع الحقايق من بشر وشجر ومدر. و نعزوك في الوالد أمير المؤمنين برد الله ضريحه... » [1].

بعد هذه المقدمة يحاول الأمير، أن يشرح وضع الجزائر منذ عهد الإنكشارية، و تمردهم على خلافة الإسلام، و كيف عاقبهم الله جزاء ذلك، موضحًا موقفه الصريح منهم، حيث كانوا السبب الرئيسي، في ضياع البلاد و طمع العدو الكافر بها و إفساده لأوطان الإسلام وأهلها فيشرح له ذلك قائلاً: « إن الينيشارية[*] كانوا بالجزائر، ولما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين، والدك المرحوم. عاقبهم الله بسوء فعلهم، فسلط عليهم، من لا يرحمهم، العدو الكافر الغشوم. فبدد شملهم و اجتث آمالهم... وسمت به همته أخزاه الله إلى ملك جميع الإيالة و استرقاق المسلمين تارة بالمكايد والحيل وتارة بالقهر و الاستيطان» [2].

ثم يبرر عدم الاستنجاد حينها بالسلطان العثماني و حاجتهم الملحة، التي دعتهم للاستنجاد بسلطان المغرب على حد قوله: « ... و حال الكافر والبحر، بين المسلمين وبين سلطانم، مع شدة حاجتهم إلى من يقوم بهم ويدافع عن حريتهم وأولادهم وأوطانم فعند ذلك استغاث الناس ِبالسلطان الشريف» [3]. و يكمل، فيخبره بأن هذا النداء لم يلق الاهتمام اللازم، لأن السلطان لم يباشر الأمر بنفسه، فوقعت الفوضى في البلاد وكان الأمر سلبيًا أكثر منه دفعًا، وانقلبوا من حيث جاؤوا و رجعوا من حيث فاؤوا فوقع إذ ذاك الهرج،بين المسلمين.وكثر الخلاف وتقطعت السبل و ظهر البغي والإعتساف» [4]

حينها تحركت الغيرة الإسلامية لدى رجال العلم والدين. و تحمسوا للجهاد ضد الكفار، و كيف ألحت الضرورة على اختيار أمير للجهاد. و كيف نودي بعبد القادر أميرًا، ومباشرته للمعارك و الجهاد بنوعية الأصغر والأكبر و دور محي الدين في هذه الانطلاقة الجديدة فيخبره: « فلما رأى والدي عموم المصيبة في الدين و اشتغال المسلمين فيما بينهم. عن قتل الكفار المعتدين، بذل جهده في إصلاح ذات البين.... وشن

---

[1]- أحمد. توفيق المدني المقال السابق، ص.100.

[*]– يقصد بها الإنكشارية.

[2]- المقال نفسه ، ص.100.

[3]- نفسه ، ص.100.

[4]- نفسه، ص.100.

الغارات على الكفار... فلما رأى الكافر ذاك زاد في قوته و شؤونه... واحتاج الناس إذ ذاك إلى من يضبط جهادهم... فاجتمعوا، أعيان الوطن. وطلبوا ذلك من الوالد. فنفر منهم نفور الفقير الشارد مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين و الإشفاق. لأنه كان أورع أهل الوقت، فطلبوا منه تعيين، بعض أولاده لذلك، فأشار إلي لما سبق لي من الشقاوة في أم الكتاب. هناك فامتثلت أمره، و إن كان أمرًا إذا لم أُعص له مدة عمري أمرًا، و شمرت عن ساعد الجد و الاجتهاد، وبذلت للمسلمين نصحي في جمع الكلمة، و ردع البغاة و إنه للدفع عن المسلمين و قمع الكفار العتاة. فدفع الله عن الإسلام بذلك من الشر بعضه وشيد من أركان الدين ما كان الكفار يحاول نقضه» [1] .

ثم يعلم السلطان بأسباب جنوحه للسلم. بعد أن ركع العدو طالبًا، تحت قوة سيوف المجاهدين وبنادقهم للصلح، مما خدم الأمير كثيرًا في مركز قوته، لكن لا أمان لغادر حيث نقض العدو عهده.« لما رأى الكافر منا تلك القوه والجدة. و احتال في حل عزايمنا بطلب الصلح مدة فأجبنا لذلك على شروط علو الإسلام فيها ظاهر مضبوط.
فتحملها لظنه أن الصلح، يحل من المسلمين العزايم... فبقى في الصلح نحوا من سنة، ثم غدر وخرج للحرب ... ولما رأى عدو الله ما بلغه من المشقة و ما لحقهم من الحصار و القتال مع بعد الشقة. طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه للمجاهدين» [2].

ثم يبرر الأمير قبوله للصلح للمرة الثانية مما هدف إليه. و ما تحقق من ملموس. وفائدة، فيقول: « فأجبناه رجاء أن نستريح لمثلها و نستعد بالسلاح و الكراع لنيلها. وقد جعل الله في ذلك للمسلمين صلاحًا و لأمور الدين نجاحًا، و اجتمعت كلمات المسلمين... تسير المرأة وحدها مسيرة شهر لا تخاف إلاّ الله، ولا تخشى من أحد نكرا» [3].

و بعدها كيف أنه لم يسمح بأخذ قسنطينة لتجاوز من العدو فأنتقض الصلح من جديد، نظرًا لعدم تكافُؤ القِوى المادية.

و بحنكة الحاكم الديبلوماسي، أراد الأمير إعلام إمام وخليفة المسلمين بما يجري ليستحمل كل فرد مسؤولياته أمام الله، و كيف أن الإخوان في الدين والجوار، يهون

---

[1]- أحمد توفيق. المدني، المقال السابق ، ص.102.

[2]- المقال نفسه ، ص.102.

[3]–، نفسه، ص.102.

عليهم مصير، دار الإسلام[1] و يخونون الدين، فيقول له في هذا الصدد: « ونحن نقول المسلمون جسد واحد فترك أمرهم إلينا و لأولئك فانتقض الصلح بيننا واشتعلت نار الحرب... و إن جيش الكفار المقابل يناهز المائة ألف سلاح تام وصواعق، ومدافع تصير الواحد ضعيفًا، و إنه إذا جمع قوته، وقصد بعض المواضع فلا نقدر أن نرده إذ ليس لنا قوة بارود أو سلاح . و لا مدافع... لكن يذيقه المسلمون شديد النكال... و لا استكانوا و لا حزنوا مع الضعف الذي لا يحتاج إلى شاهد من قلة المال والسلاح الذي يعلمه الغايب والشاهد... فقد نفذت في سبيل الله أموالهم وفنيت في الجهاد رجالهم... والكافر لقوته إذا أخذت له محلة جدد أخرى و إذا أهلك له جيش استخلف بالآخر. و إذا إحتاج لشيء أمده به سلطانه فهو لا شغل له إلاّ تدبير المكايد للمسلمين وما يأمره به شيطانه » [2].

مضيفًا أن ثقته سقطت في سلطات المغرب بعد أن صار يُساعد عدوه، ضده ويمنع المسلمين من دعمه.

« و نحن أسلمنا إخواننا المسلمون و تركونا أسارى في يد العدو فهم لنا ظالمون. و تبرأ منا من كان قريبًا لنا من الملوك وضعونا شراء ما نتقوا به على الكافر، خوفًا منه، و منعونا حتى السلوك. طلبناهم الإعانة بالرجال، فلم يقبلوا و إستعناهم بالأموال فلم يفعلوا. و طلبنا منهم السلف، فكان عين المحال ومنعوا رعاياهم من إعانتنا... كأن المسلمين ليسوا بجسد واحد »[3]

و ينهي الأمير خِطابه آملاً قرب الفرج ويطلب من السُلطان المدد السريع لتزكية الجهاد، و تجدد المواجهة القوية من جديد، متوجًا طلبه بالدعاء الخالص للخليفة بالتوفيق و أن يلتفت لأبناء الجزائر، ويشعرهم بالفعل بحكمه و رعايته « والمسلمون بهذا القطر لا ينظرون من غيرك إفراج. ولا لهم ملجأ يلجؤون إليه غير حصنك العالي الأدراج. فأبصارهم لإعانتك و إمدادِك طامعة و قلوبهم بمحبتك وذكرك طافحة. فإن قيل مال عندك المال وافر، وإن قيل جيش، عندك العسكر البحر. و إني و حياتك السعيدة. لو لا خوفي على المسلمين من العدو، ما لازمت سكونًا ولا هدوءًا حتى أقف بين يديك... وأقص من أخبار المسلمين بهذا القطر عليك لا بلاغ لهم إلاّ بالله ثم بك... ومحال أن يرجع

---

[1]- عبد الرازق بن السبع، المرجع السابق، ص.246.

[2]- أحمد توفيق. المدني مقال سابق، ص.ص، 102- 103.

[3]– المقال نفسه، ص.105.

كتابهم بعد الوقوف بين يديك صفر اليدين. فأنت الغيث، المدرار... و إنا من عيالك والله سايلك (كذا) عنا فأزال ما أثقل، الظهر منا و عنا» [1].

ويؤكد الأمير على رسائله السابقة التي ربما قد ضاعت، وضلت الطريق إلى هدفها في مركز الخلافة بإصرار قائلاً: « ترانا نكرر المكاتب إذ لم ندر من لم يصل منها من لم يحصل إليك. فكم من كتاب كتبناه. و لم يأتنا من حضرة سيدنا جواب نسل الله أن يجعل المانع خيرًا لا مانع سخط و عتاب» [2].

ويعتذر الأمير عن عدم إمكانية إرسال هدية تليق بمقام السُلطان و" أن هديته الحقيقية هي استعادة هذه القطعة من دار الإسلام"[3] « ومرادنا نبعث لحضرة سيدنا هدية مع من يقوم مقامنا في تقبيل يديك الكريمة، ومن كثرة الحروب لم يتيسر لنا ذلك، و الله المسؤول في تبليغ مرادنا فيما هنالك وصلى الله على سيدنا محمد و آله وسلم تسليما» [4].

- رسالـته للصـدر الأعظم في:(9 شوال 1257هـ - الأربعاء 24 نوفمبر 1841م):

راسل الأمير مجددا الدولة العثمانية طلبًا للعون والمساعدة و التي يعتبرها واجب. يفرضه عليه الشرع والدين الإسلامي.

فبعد الثناء على الوزير الفاضل[5]، يخبره الأمير بحال إخوانهم في الدين، وحال الشعب الذي تخلى عنه الجميع، ولم يعد يتفقده أحد من حماته، و غض الإخوان والجيران الطرف عليه، و هو يُغتصب و يؤسر من قبل العدو الغاصب الذي راح يستبيح حرماته و يستبعده فيخاطبهم الأمير فاتحًا كلامهم: « من خديم حضرتكم وخديم الماهدين بوطن الجزائر الذي صار لقربان الكفر وذيابه جزاير. ولم تتفقده ساداته و حماته. وتغافلت عنه أنصاره، وفرسانه و كماته فهم في أيدي العدو الكافر أسرى. يفعل فيهم مايشاء ويصلهم أغلالاً و أصرا» [6].

---

[1]– أحمد.توفيق المدني، المقال السابق، ص.105.

[2]– المقال نفسه ص.105.

[3]- عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق ، ص.105.

[4]- أحمد توفيق المدني، المقال السابق، ص.105.

[5]- الصدر الأعظم: هو عين الأعيان و هو لقب حمله الوزير الأول في الدولة العثمانية، منذ عهد سليمان القانوني. و من مهامه أيضًا ترأس الديوان وعقد الاجتماعات الشهرية و التفتيش. - راجع: محمد ثابت أفندي وأخرون، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، وزارة المعرف العمومية، (بدون تاريخ)، مجلد 14، ص.162.

[6]- أحمد توفيق المدني: المقال السابق ، ص.109.

و يذكر الصدر الأعظم بمكاتبه للسُلطان العثماني طالباً منه الدعم والتوصية عنده فيقول له:« و إنا قد كاتبنا سيدنا فخر الزمان، بأحوالنا وسردنا عليه بعض آهوالنا. فكن لنا لوجه الله و رسوله معيًنا. واسقنا من زلالك ماء معيًنا، وأزل لهفنا.وأرحم ضعفنا» [1]

كما يوضح أن لب المشكلة ليست في الجيش فإن الجزائر كلها مجاهدة لكن ينقصه السلاح المتوفر عند الدولة العثمانية، والتي من واجبها دعم المسلمين في دار الحرب. و أن النتائج التي سيحققونها ستكون إيجابية حتما، و أن هذا الصراع أزلي بين عقيدة وعقيدة. و هو يحتاج العون والمساعدة من راعي الخلافة [2] على حد قوله: « فإن العساكر وافرة، و الخزاين عامرة و نحن من عيالكم. وتعلقنا بأذيالكم فأدركونا قبل الفوات. و أنعشونا بمددكم قبل الوفاة و صلوا فينا بفضلكم رحم الإسلام، و راعوا فينا وجه النبي عليه الصلاة والسلام. فإنه ليس للمسلمين حصن غير حصنكم. يلجؤون إليه. و أنتم المكلفون بالإسلام. و ليس هنالك أحد تتكلون في هذا الأمر عليه والله سايلكم عن أمثالنا الضعفا. و أنتم ملجأ الهاربين سلفا وخلفا. و إن أكف خدامكم الداهدين لاستمطار فضلكم ممدودة. و حاشا وجودكم و كرمكم أن ترجع بالحرمان مردودة» [3].

و يختم الأمير رسالته بالإعتذار عن عدم قدرته على إرسال هديته لترادف الحروب متأسفًا لذلك:« مرادنا نبعث هدية لحضرتكم العلية بالله وبعث من يقوم مقامنا في تقبيل يدكم الكريمة الندية، ومن ترادف الحروب علينا لم يتيسر لنا ذلك و الله المرغوب في تبليغ مرادنا فيما هنالك» [4].

3- رسائله إلى الإيالة التونسية:

كان الأمير عبد القادر مهتمًا اهتماما بالغًا بعقد صلات ودٍ و صداقة مع كل جيرانه وخاصة أبناء تونس الأمر الذي جعله يتراسل معهم، وقد ساعدته هذه العلاقات في التوسط لبعض المهاجرين الجزائريين عند السلطة التونسية محققًا بذلك التواصل

---

[1]– أحمد توفيق المدني المقال السابق، ص.109.

[2]- عبد الرزاق. بن السبع، المرجع السابق، ص.249.

[3]- أحمد توفيق. المدني، المقال السابق، ص.110.

[4]–، نفسه، ص.110.

الروحي مع المهاجرين من خلال شخصيات تونسية، ومن الشخصيات التي راسلها وتواصل معها نذكر الوزير مصطفى خزندار وخير الدين باشا:

- رسـالـته للـوزير مصطـفى خـزندار في: (رجب 1272هـ/ 1855م) [1]:

أرسل الأمير للوزير مصطفى خزندار[2] بشأن قرابة له من أمه يسعى لهم من أجل تحسين وضعيتهم. فالأقربون أولى بالمعروف.

فبعد الحمد لله و الصّلاة على رسوله، والثناء عليه يدخل الأمير مباشرة في طلبه الخير. بخصوص أهل أمه الذين هاجروا إلى تونس آملاً أن تُحسن السُلطات التونسية حالهم، بمنحهم أرضًا زراعية حيث يقول: « فإن لي قرابة من جهة الأم. هاجروا إلى تونس وهم من الأشراف العلماء والفقراء فنطلب من سيادتكم أن تشملهم رحمتكم... كما هي عادتكم. و تنتظرون أرضًا. يعيشوا بزراعتها ويستقرون بها كسائر الرعايا. ولكم الأجر والشكر. من الداعي بالخير و لسائر أمراء الملة المحمدية» [3].

تترجم هذه الرسالة، تصور الأمير للوطن. حيث يراه واحدًا ممتدًا في أي مكان يكون المسلم فيه. فهو تحت راية الإسلام.

- رسـالته للـوزيـر خيـر الـدين التـونسي في:(1248هـ/ 186- 1868م) [4]:

كانت للأمير علاقات صداقة وود مع شخصيات تونسية، كانت تقدره. و تحب أن تأخذ رأيه في منتوجها العلمي.مثلاً :كتاب (أقوم المسالك)[5]. لصاحبه الوزير خير

---

[1]- أحمد توفيق. المدني، « الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر»، في: مجلة الثقافة، عدد خاص بذكرى وفاة الأمير عدد 1983/75، الجزائر، ص. 159.

[2]- مصطفى خزندار: مملوك أصله يوناني، إسمه الحقيقي جورج كلياس سترافلنكيس ولد بجزيرة شيو، سنة (1232هـ/ 1817م) قدم إلى تونس صغير السن فدخل دينا لإسلام و سمي مصطفى، و ترعرع في سراية حسن باي سماه الأمير أحمد عندما تولى العرش الحسيني سنة (1252هـ/1837م) خزنة دار مكان (شاكير) وزوجه أخته كلثوم فأصبح صهرًا لحاكم البلاد، و وزير للدولة، توفي في: 26 جويلية سنة(1296هـ/ 1878م). - راجع: محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي أشنوفي، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1978)، ج3، ص.111.

[3]- أحمد توفيق. المدني، المقال السابق، ص.159.

[4]- محمد. بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج2، مصدر سابق، ص. ص،783-784.

[5]- هو كتاب إستعرض فيه حالة تمدن الممالك الأوروبية ونظمها السياسية ومنشأ نهضتها وعمرانها مقارنا لحالتها بحال السيئة للممالك الإسلامية وأن الشريعة تقتضي ماعليه ممالك أوربا من نظام، أتم تأليفه عام 1284 وطبع في تونس وترجم القسم الأول منه إلى الفرنسية

الدين التونسي[1] الذي أرسل له نسخة منه، فأجابه شاكرًا مهنئًا[2] بهذا المولود الجديد مطمئنًا إياه بوصول الأمانة: « و رد علينا من حضرتكم كتاب سني. يشتمل على خطاب لذيذ شهي فاستدعى شكري و حمدي و استخلص من صفاء المودة ما عندي. عرفتمونا فيه من خير سلامتكم، وما نرجو له الدوام و ندعو له بالحفظ من حوادث الأيام» [3]

ثم يذهب مباشرة إلى وصف الكتاب وما يحتويه من معلومات عقلية و نقلية والأخبار النادرة التي تروي، سير الأقدمين، و وصفه بأنه من أغنى الكتب[4] فيقول: « و قد اطلعنا على أقوم المسالك.فرأينا فيه ما بهر العقول و أدى الأفكار إلى الذهول من قضايا المعقول و المنقول. فاتفقت القلوب عن تفضيله، و اختلفت الألسنة في تمثيله، أما نحن فقد دركنا التشبيه، و قلنا ماله في فنه مثيل ولا شبيه. فقد أرانا من الرجال بقايا، و في الزوايا كتاب تنفس الدهر به، تنفس الروض في الأسحار، وتبسم عن ثغور النور و الأزهار. كتاب يزرى بتاج الأعيان و كأنه مرآة انعكست فيه رسوم، أخبار الملوك، و أفاضل الزمان فاتخذته مرتع ناظري ومنتعش خاطري» [5] يعبرالأمير،عن إعجابه بهذا الكتاب الذي جمع في المجادلة بالبينةموضحًا لنا بدفاع هعن الدين و كل ما يسيء إليه، أن العيب في الناس و في جهلهم و ليس في العقيدة. لأنها ثابتة لا تزول صالحة لكل عصر في كل مكان وفي كل زمان حيث يقول له في ذلك:« و بالجملة فقد أبنتم في هذا التأليف من كلامكم العالي المنيف، ما يجب على كل عاقل أن يتخذه . و يجعله على كل كلام أميرًا. فلقد ابتدرت أيها

وطبع في باريس في العام الذي ولى التأليف. راجع: محمد الفاضل بن عاشور، تراجم الأعلام، تونس، دار التونسية للنشر،(1970)، ص.52.

[1]- الوزير خير الدين التونسي: (ولد في:1237هـ/ 1822م، توفي في: 1308هـ/ 1890م)، هو من مواليد قبيلة إباظة (بنهر الكوبان من بلاد الشركس بالقوقاز) اقتيد أسيرًا في إحدى الغارات إلى استانبول، قدم إلى تونس عام:(1255هـ/ 1839م). اشتراه كعبد السيد حسين (بك)، مبعوث المشير أحمد باي. فتربى بقصر الباي (بباردُو)، شغل عدة مهام عسكرية، تولى الوزارة في: (1287هـ/1870م)، قام بعدة زيارات لأوروبا بين: (1295هـ/ 1878م - 1297هـ/ 1879م)، رقاه السلطان عبد الحميد إلى الصدر الأعظم للخلافة، من أهم كتبه أقوم المسالك الذي أصدره سنة: (1204هـ/ 1867م) وطبعه بباريس: (1285هـ/ 1868م).

- راجع: - ناصر الدين. سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1999)، ص.ص، 550-558.

[2]- عبد الرزاق. بن السبع، المرجع السابق، ص.253.

[3]– محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج2، ص.783.

[4]- عبد الرزاق. بن السبع، مرجع سابق، ص.ص، 253- 254.

[5]- نفسه، ص.254

المحمدي وعضدته و قطعت عنه ضرر الملحدين وخضدته و لذلك بما قررتموه من أن الشريعة الطاهرة لائقة. لكل زمان، صالحة للحكم بها في كل أوان» [1].

4- رسـائـله لأصـدقـائه و شـركـاء المـحـنة:

كان الأمير عبد القادر لا يميز بين المسلمين و غيرهم. فلم يتصرف قط، زمن الحرب أو بعدها، كمتعطش للدماء أو الحكم و لم يُشعر الآخرين بأنه رجل مهزوم منفي، بل كرجل مثالي تستحق الإنسانية منه التقدير والحب لأن ثقافته و إيمانه هو الذي جعله يحمي 15000 مسيحي في فتنة الشام[2] لسنة: (1277هـ/ 1860م) فأعطى

---

[1]–محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2، ص.783.

[2]- فتنة الشام: بعد فتنة عام: (1277هـ/1860م) و التي تعود أسبابها إلى عوامل كثيرة على رأسها تدخل الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية وخاصة بعد صلح باريس أين وجدت الفرصة سانحة للتدخل و خاصة بعد إيجاد نظام الحكم الثنائي الذي أنشئ في لبنان و الذي ساهم بشكل كبيثر على النفخ في الخلاف الدائم بين الدروز و الموارنة. راجع: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله للعربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط13، بيروت، دار العلم للملايين، أفريل (1998)، ص.573.

بالإضافة إلى وجود أرضية مناسبة لذلك و المتمثلة في ضعف الدولة العثمانية و عدم تطبيقها للتنظيمات التي تصدر عنها، كمبدأ المساواة بين كافة الرعايا و الذي ظل يطبق جزئيا، لدرجة أن الخدمة العسكرية كانت مقصورة على المسلمين فقط لإرضاء التدخلات و التوسطات التي تأتي من طرف الدولة الأوروبية لصالح المسحيين، و في نفس الوقت ظلت الوظائف العامة مقصورة على المسلمين فقط، فمن المنطقي أن يكون لهذه السياسة الغير حكيمة أثرها على كل الولايات العربية، و على وجه الخصوص أين تكثر الأقليات المسيحية وبالأخص في الشام. راجع: محمد.عبد الرحمن برج، « الأمير عبد القادر في المشرق العربي »، في المجاهد الثقافي، العدد 17،(1971) ص.14.

فهذه الفتنة يصنفها البعض على أنها حركة إضطهاد محظ و الواقع أنها في الأصل معركة مشينة حركت أطرافها الدول الأوروبية بحسب مصالحها، راجع: الأميرة بديعة الحسني، الجذور الخضراء، دمشق، دار السلام للترجمة والنشر، 1994، ص.151.

و قد حاول الأمير ردعهم في قرية الأشرفية حيث وزع عليهم منشورا في عام: (1277هـ/ من ماي 1860م)، راجع: تشارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.282.

حذرهم فيه من نتائج مايصبون إليه بعد أن إتصل العلماء للتدخل لإيقاف هذه النكبة المهولة. راجع: تشارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.282. لكنهم خاطبوه بأنه كان سباقا لقتل المسحيين فأجابهم الأمير بأنه لم يفعل ذلك الاّ في ظل قانون الحرب قائلاً: « إذا كنت قد ذبحت المسحيين فإن ذلك كان طبقا لتعاليم شريعتنا و هم المسيحيون الذين أعلنوا الحرب و الذين كانوا مدججين بالسلاح ضد ديننا. »

راجع: المصدر السابق، ص.283.

فلقد حاول الأمير حماية الجميع دون إستثناء الدرزي أو الماروني أو المسلم النبي بل مناشدًا الحكمة في الإنسان. راجع: عادل الصلح، سطور من الرسالة تاريخ حركة إستقلالية قامت في المشرق العربي عام 1877، د.ط، بيروت، (1966)، ص.72

و على هذا النحو بدأت الفتنة في (1277هـ/ 10 جوان 1860م) حين هجم الدروز في جبل لبنان على المسحيين.

راجع: محمد.عبد الرحمن برج، المقال السابق، ص.15.

و إنتقلت حمى الفوضى إلى دمشق حيث كان للأتراك دور كبير فيها حسب تشارل هنري تشرشل الذي يورد أن الأتراك قسموا المسحيين إلى مجموعتين رجالاً و نساء إحداهما عينت للذبح و الأخرى أختيرت للإغتصاب. راجع: تشارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.282. فإندفعت الجموع نحو حي القصاح و كان عليه أن يتخذ موقفا إتجاه هؤولاء البشر المهددون. راجع: الأميرة بديعة الحسني الجذور الخضراء، المرجع السابق، ص.149.=

للبشرية التي عاصرته القدوة في كيفية الحياة، وعلمها كيف تواجه العقول المظلمة المتطرفة [1].

ولذلك تحركت صوبه المراسلات من المعجبين بما فعل، و اهتم بدوره بالرد عليها، ولعل أهم هذه الرسائل هي تلك التي أرسلها للإمام شامل الداغستاني[2] شريك المحنة و الظروف.

=فكان يرى أن مساعدته لمسيحي دمشق هي فرض عين كأحد أئمة المسلمين فدمشق هي جزء من الوطن المحترق بنار الفتنة و لذلك كان عليه أن يتحرك. راجع: محمد.عبد الرحمن برج، المقال السابق، ص.17.

ففي 1277 في 9 جويلية 1860 و لمدة سبعة أيام إنطلق الأمير و تحرك مرسلاً للمغاربة إلى المدينة. راجع: جورجي زيدان، مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، (تاريخ الماسونية)، بيروت، دار الجيل، (1982) ج17، ص.252.

و إلى الأمكنة التي لجأ إليها المسيحيون سواء في الكنائس أو غيرها و أتى بالرهبان و الراهبات إلى داره، حتى ضاق بهم المكان و أراد الغوغاء حينها إقتحامه فتصدى لهم الأمير حاميا لخمسين عشر ألف نفس. راجع: عادل الصلح، المرجع السابق، ص.72.

و قد تم هذا بمساعدة جيش صغير جدًا إختلف في عدده يرى البعض أنه بلغ 600 جزائري. راجع:

jean Bruno, « l'Emir Abdekader et la France un adversaire acharnie devenue son amie fidele » in : vert et rouge, N° IOI, 1955, P.P.23-24 و يقدره أجرون بـ 800 جندي.

راجع: Ch.R.Agéron, «Abdekader souverain d'un Royaume arabe d'orient», in : Revue de l'occident musulman. N° spécial, (1970), P.17.

و يجعلها تشرشل ألف رجل و هي المعلومة التي يؤكدها أجرون و هو أن قنصل فرنسا أكد للأمير قبل الفتنة على وعد تمثل في تسليح 1000 رجل تصالح الأمير. راجع: Ch.R.agéron, OP.Cit, P.17.

فكان رجاله يذهبون من منزل إلى منزل ينادون المختفين للإلتحاق بالأماكن الآمنة.راجع: شارل هنري تشرشل، مصدر سابق،ص. 283و عندما نفذت هذه الأخيرة طلب من جيرانه الأقربين أن يخلوا منازلهم لتوفير المأوى الآمن لهؤولاء المنكوبين. راجع: المصدر السابق، ص.284.

ثم إكتمل هذا العمل الخير و توزع بين الأمير و بين من عرف فيهم غيرتهم على دينهم و وطنهم. راجع: محمد عبد الرحمن.برج، المقال السابق، ص.16.

فكان الأمير بذلك دائمًا القدوة حتى في إرسال مبالغ مالية لهذه الأسر لتصرف منها على لوازمها حيث أنفق أربعة ألاف قرش.

راجع: المقال نفسه، ص.15. راجع: الملحق رقم: 06.

[1] -R. Mimoune, « l'homme dans la vie et l'ouvre de l'émir Abdelkader». In: Annales de l'université d'Alger, N°4, p.53.

[2] - الإمام شامل الداغستاني: ولد بين: (1210هـ/1214هـ/ الموافق لـ 1795- 1799م) في داغستان ببلاد الشيشان. تربى تربية دينية إسلامية في الزاوية النقشبندية، بوُيع بالإمارة سنة: (1250هـ/ 1834م)، و أخذ لقب الخليفة، ولقب أمير المؤمنين. كانت له تنظيمات أقوى من تنظيمات الأمير عبد القادر. اهتم بالعلم و الجهاد معًا نظرًا لكثرة الخيانات. اضطر للتفاوض مع الروس في 1837 لكن المفاوضات فشلت و أعادها سنة: (1255هـ/ 1839م)، يمنح أحد أبنائه كرهينة لكنهم خانوه باختطافه و إرساله إلى قصر القيصر نيكولا الأول في:(1275هـ/ 1858م)، لجأ إلى قلعة فدنو و لم يبق معه إلا 400 مريد فاضطر للإستسلام في: (1276هـ/6 سبتمبر 1859م) و نفي في كالوغا Kaloga جنوب غرب موسكو حتى: (1286هـ/1869م) حيث سمح له بالذهاب للحجاز أين استقبله السلطان العثماني و رافقه الخديوي إلى جدة و منح قصرا بالمدينة المنورة و اقترب من الأماكن المقدسة حين توفي في: (1288هـ/ 4 فيفري 1871م) ودفن بالمدينة المنورة. - راجع المراجع التالية: in: Annales de - M. Canard, « hamil et Abdelkader», l'institut d'Alger des orientales, Alger, T. XIV, 1956, p.p, 231- 256.

- أيضًا: بوعلام. بالسايح، «الأمير عبد القادر المغاربي و الإمام شاميل، الآسيوي رمزان بارزان للدفاع عن الاستقلال الوطني و الذود عن الإسلام»، في: محاضرات الموسم الثقافي، (1998- 1999)، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر،(1999)، ص.ص، 133- 142.

- رسـالتـه للإمام شامـل الداغـستـاني: (جمادى الأولى 1277- 1860م)

لقد ردّ الأمير على رسالة شامل الداغستاني[1] بجواب يدل على إحترمه للأخوة الإسلامية، وعلى تقديره لظروف هذا الرجل اكثر من غيره للتشابه العجيب بينهما في مسار الحياة، و الجهاد والأسر.

فيخاطبه بعد الحمد والصلاة على الرسول الكريم، بكلمات تعبق أخوةً في الله، وبالدعاء الصادق، لنفسه وله بأفضل ما ورد في الأثر بقوله:« إنه من الفقير إلى مولاه عبد القادر بن محي الدين الحسني الأخ في الله – تعالى- و المحب من أجله الإمام شامل كان الله لنا و لكم في المقام والرحيل» [2].

و بكل تواضع يشكر الأمير رسالة أخيه، مبيناً أن ما قام به لصالح مسيحي دمشق لا يعدو غير واجب يمتثل فيه المسلم لأوامر دينية.

وفي حديثه عن الذي بلغه عنه يقول:« والذي بلغكم عنا و رضيتم به منا، من حماية أهل الذمة والعهد و الذب، عن أنفسهم و أعراضهم بقدر الطاقة و الجهد، كما في كريم علمكم مقتضى الشريعة السنية، و المروءة الإنسانية، فإن شريعتنا متممة لمكارم الأخلاق فهي مشتملة على جميع المحامد المرجية للإتلاف وإستمال جميع الأطواق على الأعناق و البغي في كل الملل المذمومين و مرتعه و خيم، و مرتكبه حلوم لكن يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن» [3].

و يبدي الأمير رأيه بخصوص أسباب هذه الفتنة، و يرجعها إلى العصر الذي أصبح بشره بعيدا عن السبيل الحق. فإذا كان خطأ الأوربيين علمنه الأشياء

فالمسلمون خطؤهم الانحطاط ذو الأوجه الكثيرة و التي يدعون أن الدين هو سبب هذه المشاكل فلطخ هؤلاء الإسلام بذنوبهم، و نسبوها إليه بعملهم غير المسؤول [4]. معبرًا عن آسفه الشديد لمن ماتوا جراء هذا الجهل بقوله: « فإنا لله و إنا إليه راجعون، على

---

[1]- محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج2، ص.ص، 662- 663.

[2] - R. Mimoune, op, cit, p. 258.

[3]- محمد. بن الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ج2، ص.663.

[4]- نفسه، ص.663.

فقد أهل الدين وقلة الناصر للحق والمعين، حتى صار يظن من لا علم له أن أصل دين الإسلام الغلظة و القسوة والبلادة و الجفوة، فصبر جميل والله المستعان» [1].

كما أراد الأمير التخفيف عن شامل فأعرب له عن تمنياته بأن تأذن له السلطات الروسية بالهجرة للأماكن المقدسة. ليقوي فيه الثقة و الإيمان بالله و ليحثه على التوجه إليه وحده ليفك أسره قائلاً:« وسمعنا أنكم طلبتم تسريحكم إلى الحرمين الشريفين فنسأل الله أن يصيب مطلوبكم و ينيلكم مرغوبكم... وإمبراطور روسيا من أعظم ملوك الأرض شأنا. و أحرصهم على تخليد المفاخر في بطون الدفاتر فنرجو لكم من حضرته الفخمة حصول الأرب بلا نصب و لا تعب كما فعل معنا من سني الأفعال ما لم يخطر لأحد في بال. و المرجو في الحقيقة- هو الله المعبود ولا معبود سواه» [2].

و تظهر من خلال هذه الرسالة قيمة الروح الإنسانية عند الأمير، و أنه كان يشترك مع الآخرين في متاعبهم و كانت هذه الرسائل المتبادلة بحق، منطلق لصداقة بين شخصيتين لم تتعارفا بعد. وجمعت بينهما صفات كثيرة من علم و ثقافة و جهاد وبطولة و إيمان بالله. فقد أسس كل واحد منهما وطنه و دولته القوية و وحدا صفوف الشعب ونظما الجيش وكانا محل الاحترام والتقدير من الصديق والعدو [3].

و تتجلى جدية هذه الصداقة في مساعي الأمير الفعلية في محاولة لإطلاق سراح الإمام شامل، في صيف: (1283هـ/1865م) حيث سافر إلى باريس و أمبواز. وطلب من نابليون محاولة التأثير على قيصر روسيا و الإسراع في إطلاق سراح شامل [4]. فتواصلت بينهما الصداقة و الرسائل [5].

ب- مكاتبات الأمير لـلأوروبيين ملوكا وأصدقاء:

لقد تبادل الأمير عبد القادر رسائل متنوعة مع شخصيات أوربية مختلفة بعضها كان خاصًا بأمور الحرب و التفاوض مع فرنسا، و بعضها مع شخصيات سياسية

---

[1]– محمد.بن الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ج2، ص663.

[2]- نفسه، ص.664. - راجع أيضًا: هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.ص، 228- 290.

[3]- عبد الرزاق. بن السبع، المرجع السابق، ص.ص، 256- 257.

[4] M. Canard, op. Cit, p.254.

[5]- حيث كتب شامل مجددًا للأمير رسالة أخرى. و بشأن رسالة إبن شامل للأمير عبد القادر بعد وفاة والده.

- راجع لذلك: تُحفة الزائر، ج2، ص.ص، 664- 665. و بشأن رسالة ابن شامل للأمير بعد وفاة والده، أنظر: تحفة الزائر، ج2 ، ص.665.

أوروبية هامة توجه إليها طلبًا للعون و المساعدة كالملوك والوزراء. توضيحًا لما تفعله فرنسا في الجزائر، وبعضها رسائل مع العلماء يجيبهم فيها على أسئلة في الإسلام.

هذا التنوع سيسمح لنا في الأخير، التعرف على قرارات الأمير عبد القادر و قدرته على تقوية الخطاب حسب كل وضع، اعتمادا على سعة ثقافته الدينية التي تساعده في كل مرة و في كل موقف على تذليل الصعاب مهما كانت، بالإعتماد على الله وحده.

1- نـمـوذج من رسـائـلـه زمـن الـحـرب:

تبادل الأمير عدد، من الرسائل مع جنرالات فرنسا زمن الحرب ونظرا لكثرتها اخترنا نموذجا واحدا، كأقوى هذه النماذج تعبيرًا عن عبد القادر المجاهد الإنسان.

- رسـالـتـه للجـنـرال ديمـيشـال[1]:

جاءت هذه الرسالة كرد على رسائل "ديميشال" السابقة، والتي لم تجد ردًا لها عند الأمير بسبب الأعمال التي قام بها الجيش الفرنسي من ترغيب وترهيب للقبائل وسبب في ردَتها عن طريق الإسلام بالتعامل مع العدو الفرنسي و بذلك نلاحظ أن هدف هذه الرسالة التي كتبها الأمير ما كانت لتكون لولا قضية الأسرى الفرنسيين المتواجدين عند الأمير و كذلك قضية الفارين من الطرفين إذا فيؤكد في رسالته، على وصول رسائل خصمه. بكل ثقة ويطمئنه كذلك عن حال الأسرى مؤكدًا له حالتهم الجيدة التي ضمنها لهم الشرع الإسلامي. و أن قضيتهم، يباشرها الأمير شخصيًا. ولولا ظروف الحرب، ما طلب منه أبدًا فديتهم لأنه ممن يقدرون حرية الإنسان فيقول له و بكل حزم:« فقد وصلنا كتابكم، المتضمن أفضل النصائح فقدرناها وعلمنا أنكم تحثوننا في كتبكم الثلاثة على الإفساح عن الأسرى وتندبون حظهم، مع أننا نعتني بشأنهم عامة الاعتناء و الإفساح عنهم ليس له أهمية لدينا غير أن الحالة التي نحن بها لا يسمح لنا أن نردهم بدون فدية» [2].

---

[1]- ديميشال: هو لويس.. إكسيس دي ميشال ولد بـ: الرين بـ (فرنسا) في:(1193هـ/ 15 مارس 1779م)، إلتحق بالجيش و بلغ رتبة جنرال، عين قائدا وهران:(1249- 1251هـ)، (1833- 1835م) توفي بباريس في:(1261هـ/ 08 جوان 1845م). راجع: أديب حرب، مرجع سابق، ج1، ص.91

[2]- محمد. بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر، ص،ص، 175-176.

و يؤكد الأمير على أنه على استعداد للتفاهم بشأن سلام عادل يرضى كُل الأطراف فيقول « فإن رغبتهم في الاتفاق أقبل تسليم الأسرى إليكم عند المعاهدة بيننا» [1].

إذا عبر الأمير في هذه الرسالة عن قوته في التخاطب و استعداده لإطلاق سراح الأسرى ضمن شروط ممكنة و ليست بالمستحيلة تضمن الرضا لكل الأطراف.

لم يفكر الأمير في الجنوح للسلم إلاّ بعد إلحاح من الطرف الخصم. إذن تختلف هذه الرسائل عن غيرها في لهجتها المباشرة، الخالية من الثناء، الحاملة لروح الحرب و قوة الموقف[2].

2- رسـائـلـه لـمـلـوك أوروبـا:

لم يكتف الأمير برسائله للفرنسيين فقط، بل راسل حُكام و مُلوك العالم الآخرين، معرفًا بقضيته و جهاده المشروع، فاضحًا للعدو تجاوزاته، طالبًا المدد والدعم، هادفا إلى كسب الرأي العام، وقد اخترنا من هذه المراسلات النماذج الآتية:

- **رسالته لملكة إسبانيا، إيزابيلا الثانية**[3] في: (12 جمادى الأول 1253هـ/28 أفريل 1847م).

حرص الأمير على مصلحة الجميع، فتوجه بهذه الرسالة للملكة الإسبانية مخاطبًا إياها، بعد الحمد و الصلاة على الرسول ε وأتباعه، مستهلاً رسالته بعبارة (من أمير المسلمين) ليؤكد للملكة أنه المتحدث باسم شعبه، قائدًا للإمارة والجهاد، إلى الملكة العظيمة.« إنه من أمير المسلمين عبد القادر بن محيى الدين، أعانه الله أمين إلى عظيمة جنود إصبنيول. أمحاكمة (كذا) فيهم المدبرة أمورهم الزينة، السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى، و بركاته» [4].

---

[1]– امحمد.بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.182.

[2]– أنظر: الملحق رقم: 07

[3]- الملكة إيزابيلا الثانية: ملكة إسبانيا ولدت عام: (1249هـ/ 1833م)، والدها فرديناند فعارضت حكمها جماعة الكارلوسين التي أرادت أن يصبح عمها دون كارلوس ملكًا، فساندها الأحرار، لكن ما لبثت الفوضى أن حلت عام:(1285هـ/ 1868م)، بانقلاب عليها جر البلاد إلى حرب أهلية و إلى مغادرة العائلة المالكة لإسبانيا، حتى سنة:(1293هـ/ 1875م)، أين أعيد ابنها للحكم و هو ألفونسو الثالث حتى موته عام:(1303هـ/ 1885م). - راجع: الموسوعة العربية العالمية، ط2،الرياض،مؤسسة أعمال الوسوعة للنشر،(1999)، مجلد 01، ص.640.

[4]- يحيى. بوعزيز، ميكيل دوإيبالزا، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليلة، مرجع سابق، ص.51

بعد هذه المقدمة يثني الأميرعلى الإسبان و أعمالهم العظيمة وملكتهم التي لا يخفى عليها ما تفعله فرنسا في الجزائر. فيقول:« فإن جنس إصبنيون هو الجنس العظيم الذي كانت تظهر منه الأفعال العِظام في الزمان القديم وهم أهل المملكة العظيمة، و الرياسة الفخيمة و الآن أنه لا يخفاكم حالنا وأمرنا من الفرنصيص فلا نعرفكم به، فإنكم عارفون بكل شيء من أمورنا وأمور الفرنصيص» [1].

ثم بعدها يقترح عليها التدخل في التعجيل بالصلح الذي ستكون له حسب رأيه إيجابيات كثيرة مؤكدًا أن السعي فيه هو من شيمة الملوك العِظام فقط ليشجعها فعلاً لتدخل في حل مشكلته، و لنيل العظمة بين الدول في نفس الوقت، مؤكدًا على عرفانه المسبق لها، إن تم هذا الجميل قائلاً:« وأردنا من دولة إصبنيول أن نتدخل في كلام الخير بيننا وبين الفرنصيص فإن جعل الله الخير على أيديكم تكون المزية لكم عندنا وعند الفرنصيص و إن قدر الله برجوعنا إلى الوطن نكون معكم كما تحبو (كذا) إنشاء الله ومازال الملوك من قديم الزمان يمشون في الخير بين المتعادين حتى يوفقوا بينهم» [2]. ويؤكد الأمير صفاء نيته و بأن لا تفكر أبدًا في أن عبد القادر سيجعل منها مطية ليفتك صلحًا ينقضه متى يريد، مذكرًا إياها بمعاهداته السابقة التي جعلت العدو نفسه يشهد له شخصيًا بالحفاظ على العهود و المواثيق قائلاً لها: « و نحن أفعالنا وعهودنا و مواثقنا لا ينكر حسنها حتى العدو ونحب الجواب عن كتابنا» [3] ، و أن ترضى بإعطاء أمر لحاكم مليلية بتسهيل دخول أصحاب الأمير إليها.

« و نحب أن تقع الإذن للكرونيل الذي في مليلية يأذن، لبعض أصحابنا حين نبعثوه (كذا) إليه في الدخول لمليلية و الملاقاة معه ليتكلم معه مواجهة »[4].

إذن نستنتج أن الأمير، حاول تعريف الآخرين بِقضية الإنسان الجزائري، وحاول كسب هذا الأخر عن طريق سلاسة اللغة ودِرايته بِتَاريخ ملوك إسبانيا. كما يتضح لنا وضوح هدفه في هذه الرسالة من خلال ملكة الإسبانيين أولاً ثم

---

[1]- يحيى. بوعزيز، ميكيل دوإيبالزا، مرجع سابق، ص.51.

[2]- نفسه، ص.51.

[3]– نفسه، ص.51.

[4]- نفسه، ص.51.

مباشرته في طلبه للدّعم و المساندة منها لتحقيق سلام جديد أو للتحضير للجهاد مجددًا.

بعد أن كثرت الخيانات، و الإنكسارات، حرص الأمير على حقن دماء جنده حين لا تتكافأ الإمكانيات، خصوصًا و أنه المنصب من قبل شعبه و المخول الوحيد لتحدث باسمه مع ملوك الدنيا.

3- نماذج من رسائله لأصدقائه الفرنسيين:

- رسالة الأمير لبواسوني (Boissonnet) [1] ثمانية من جمادى الثانية (1279هـ/ 1862م):

ليس من الغريب أن يراسل الأمير بواسني تهنئته بالعام الجديد فقد ربط علاقته القوية به خلال أسره و قد نستطيع تسمية هذه الرسالة و إدراجها ضمن الرسائل الإخوانية، التي تعود الأمير على إرسالها لأصدقائه من الأوربيين ومن بينهم بواسوني رفيق أسره بأمواز.

فيبدأ الأمير رسالته بتحية قوية لصديقه محملة بالدعاء و الأماني و الكلمات الجميلة قائلاً:« أسعدك الله سعودا دايما و جعل الإنعام و الأفضال ملازما حضرة المحب الأوفى و الخل الأصفى السيد البارون الكرونيل أبى سنة » [2].

ليباشر الأمير كأي صديق يراسل صديقه، و يستفسر عن أحواله و أحوال أهله ومعارفه فيقول له: « أما بعد السوال عن ذاتكم الشريفة و عن الأهل و الأولاد والإخوان»[3]، كما يرسل إليه الأمير السلام و يهنئه بمناسبة حلول العام الجديد مع خالص التمنيات له و لأسرته فيقول له:« من الكاتب و الوالدة و الأولاد و أمهم و ساير أهلنا فإنا نبارك لكم و ننئكم بدخول العام و نسأل الله تعالى لكم فيه و فيما بعد غاية الإنعام و بلوغ المرام و التمتع بالأهل و البنين في أرغد عيش و أهناه » [4].

---

[1]- بواسوني: البارون من عائلة استقراطية ولد في باريس في:(19 جوان 1811م/ 1226هـ)، أصبح ضابطًا في المدفعية، و تولى في قسنطينة شؤون المكتب العربي و إدارة الشؤون الأهلية. بدأ حياته العملية سنة:(1302هـ/ 1884م)، لكتاب أشعار الأمير و تنظيماته العسكرية كان عارفًا باللغة العربية و لهذا رشح من طرف الدوق دومال لمرافقة الأمير إلى فرنسا و كذلك بعدها للمشرق.

- راجع: أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830- 1945)، ج6، ص.363.

[2]- المكتبة الوطنية الجزائرية، ملف رسائل الأمير عبد القادر، دون ترقيم، رسالة رقم:26. راجع: الملحق رقم: 08.

[3]– الوثيقة نفسها.

[4]- الوثيقة نفسها.

ثم يلومه الأمير عن سبب قطع الاتصال به زمنا و يؤكد له على أنه واضب على الكتابة إليه مرارًا لكنه لم يتلق الجواب عن رسائله لكنه يتمنى أن يكون المانع خيرًا ويعرب عن تمسكه بهذه الرابطة قائلاً:« و أنكم قطعتم عنا أخباركم و مكاتبكم منذ مدة مديدة و كاتبناكم مرارًا و ما رأينا جوابا نرجوا أن يكون المانع خيرًا و السلام من المحب عبد القادر بن محي الدين »[1].

و يختم بذلك الأمير رسالته لكنه يتذكر صديقه الشاذلي القسنطيني فيختتمها فرصة للاطمئنان عليه و على أحواله و يستفسر بواسوني عن سبب عدم مكاتبته للأمير ليصل هذا السلام و العتاب القلق للشاذلي القسنطيني فيجعله يكتب للأمير، و ما نفهمه من هذه الإلتفاتة احترام الأمير علاقاته و حرصه على إستمراريته و جعلها حيّة بالسؤال و التواد و هو ما يعكس أخلاقا إسلامية عالية و حقيقية مؤكدًا لبواسوني على ذلك بقوله:« و لا بد تخبرون عن محبنا الشاذلي كيف حاله فإنه ماكاتبنا أبدًا»[2].

و أخيرًا يكتب الأمير لأم إبنه محمد لعائلته بواسوني و تهانيه لهم بمناسبة العام الجديد ملبيًا حتمًا إلحاح والده غير مقضيًا سلام إبنه و لمعرفة بواسوني به و بأهل عبد القادر كلهم [3].

جـ- إجابات الأمير على سائليه:

1- بـعـض إجـابـات الأميـر على أسئـلة الجنـرال دوماس[4]:

يدور محور هذه الأسئلة حول الأسرة و المرأة المسلمة، و كل ما يتعلق بتقاليد الخطبة والمهر، والزواج والطلاق وغيرها وذلك أن هذه العادات والتقاليد بالذات (التقاليد الدينية) حيرت الأوروبيين و جعلتهم يحاولون فتحها ويبحثون عن مبرراتها.

---

[1]– الوثيقة نفسها، (رقم: 26).

[2]- الوثيقة نفسها، (رقم: 26).

[3]- الوثيقة نفسها ، (رقم: 26).

[4]- الجنرال دوماس: هو أوجين دوماس ولد في (1218هـ/ 1802م) و توفي في: (1287-1288هـ/ 1870- 1871م)، من الضباط الذين ارتقو الى رتبة جنرال بفضل محاكاتهم لعبقرية الأمير عبد القادر، شارك مع " كلوزيل" في الهجوم على مدينتي معسكر و تلمسان، عين كقنصل عام لدى الأمير عبد القادر بين سنتي:(1253- 1255هـ/ 1837- 1839م)، اهتم بمصلحة شؤون الأهالي لمنطقة وهران بين سنتي: (1260- 1264هـ/ 1844- 1847م)، له عدة منشورات حول وضعية المجتمع الجزائري حيث كان مطلعًا على اللغة العربية.- راجع: الموسوعة العربية العلمية، مجلد رقم 10، ص.528، و أيضًا: محمد. بن أحمد باغلي، « أسئلة الجنرال دوماس حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر.»، في: أعمال الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، عدد خاص، الجزائر، دار الحكمة، (2001)، ص.39، و أيضا: تحفة الزائر،ج2، ص.161.

فغالبًا ما كانت المرأة المسلمة و المعاملة التي تحظى بِها في المجتمع المسلم تشكل نقاط استفهام لدى الأوروبيين و كان على الأمير توضيح كل نقطة على حدة.
و دوماس واحد من هؤلاء الذين سألوا الأمير حيث بلغ عدد هذه الأسئلة عشرون سؤالاً ننتقي منها مضامين بعض الأسئلة من خلال إجابات الأمير عبد القادر [1].
السؤال السابع مثلاً بخصوص الغيرة و الحجاب فيقول دوماس: « إن غيرة المسلمين زائدة حتى أن نساءهن لا يخرجن إلا متلحفات، و لا يظهرن لأصدقاء أزواجهن، وأقاربهن كابن العم، و ابن الخال مثلاً و نحن عندنا النساء يخرجن باديات الوجوه وبحضورهن مع الأحباب و الأقارب يتم البسط و يحصل السرور و بذلك يعشن مع أزواجهن في دعةٍ و هناءً فكيف الأمر عندكم؟ عادتنا أم عادتكم؟! » [2].
وقد أجابه الأمير بقوله: « إن غِيرة المسلمين ليست بزائدة و إنما هي في ميزان الوسط والغيرة إذا كانت كذلك، فهي محمودة ممدوحة وهي أن لا يتغافل الرجل عن مبادئ الأمور التي يخاف عاقبتها، و لا يبالغ في إساءة الظن بزوجته، و يراقب حركاتها و سكناتها، أو يتجسس عليها فإن هذا ليس من مكارم الأخلاق» [3].
و عن قضية الحجاب مع غير المحارم يرى الأمير بأن الفترة التي سبقت الإسلام في حياة العرب، لم يكن الأمر يشكل حرجًا عند العرب، أو ينتقص من كرامة المرأة لكن بمجيئى الإسلام، تغير الأمر حيث نهى الدين على لسان الرسول ε عن النظَر، لِما للنظرة من مضار لاحقة. يقول الأمير أن:« العرب كانوا في الجاهلية يتحدث الرجال منهم مع النساء ويجتمعون معهن، حضر أزواجهن، أو غابوا!! و ليس عندهم في ذلك عيب و لا عار إلى أن جاء الإسلام فمنع ذلك، قال رسول الله ε: "لا تتبع النظرة فإن مبدأ الزنا معاودة النظر"» [4].
كما بين الأمير الجيرنال دوماس خطورة هذا الأمر في نظر الدين المسيحي أيضا ليثبت أن هذه النظرة لم يأت بها الإسلام فقط كما يعتقد المسحيون، بل حذّرت

---

[1]- محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج2، ص.ص، 730- 765.
[2]- المصدر نفسه، ج2، ص.746.
[3]– نفسه، ص.746.
[4]– نفسه، ص.747.

منها الديانات الأخرى فيقول: « و قال عيسى بن مريم: إياكم و النظر فإنه يزرع في القلب الشهوة وأول العشق النظر، و أول الحريق الشرر» [1].

ثم يبين رأي الشرع في حجاب المرأة، ودواعي ارتدائه ويبين أنّ الدين سمح لها بالخروج شريطة الاحتشام مخفية لجمالها و زينتها.

فيقول في هذا الموضوع: « أن المرأة يجوز لها في الشرع أن تخرج لقضاء حوائجها بادية الوجه و اليدين... و لما كثر الفساد و قلت المروءة و كثرت الفاحشة صار أشراف الناس وأهل الديانة يأمرون نساءهم بتغطية وجههن دائمًا...» [2].

أما بخصوص الاختلاط، يرى الأمير أنه من حق الرجل المسلم أن يجنب أهله أنواع الإيذاء و الشبهة مشهدًا بحوار الرسول ε مع ابنته فاطمة قائلاً:

« أي شيئ خير للمرأة؟ فقالت: هو أن لا يراها الرجال و لا تراهم» [3].

حاول الأمير بهذه الإجابات أن يوضح صادقا، مكانة المرأة في المجتمع المسلم و حرص أهلها على سلامتها و حفظ كرامتها، نظرا لأهميتها في بناء المجتمع و في الحفاظ على أخلاقياته، و سلوكاته التي أكدها الدين مرارًا، مباهيًا بهذه المكانة وبالمعاملة الخاصة، التي لا تعنى الجميع بل الأجواد منهم، و مؤكدا أيضًا أن الرجولة ليست في استعباد المرأة، بل في الإحسان إليها، و المحافظة عليها، ملمحًا إلى أن من أساؤوا للدين هم حتمًا جهلة فهموا الشذرات منه، و أوصلوها لغير المسلمين الذين أخذوا فكرة منتقصة عن الإسلام.

أما فيما يتعلق في موضوع الطلاق فقد استفسر الجنرال عنه ويسأله عن كثرته وعن سببه و نتائجه قائلاً: « إن الطلاق عند المسلمين، كثير، وعندنا لا يكون أبدًا ونحن نلومهم على ذلك لما فيه من الضرر على النساء و على الأولاد أيضًا لكونهم يقعون في يد من لا يرحمهم كوالدتهم» [4]

---

[1]– محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ، ج2، ص.747.

[2]- عبد الرزاق بن السبع، مرجع سابق، ص.282.

[3]– المصدر السابق، ص.752

[4]– نفسه، ص.747. (السؤال الحادي عشر).

بداية أكد الأمير على أن الطلاق ليس بظلم في حد ذاته، بل هو أحيانًا رحمة، إذا ما وافقت الأحكام التي أقرّها الله تعالى، و جعل ما عداها ظلمًا« ما دام الإنسان مجبولاً على إخفاء عيوبه، و مداراتها عن غيره، حتى أقرب الناس إليه، فإن هذا الأمر، سينكشف بالمعاشرة، و حينها تبدأ المشاكل في الظهور على مسرح الحياة الزوجية» [1] سواء من طرف الرجل أو المرأة، التي من حقِها أيضًا طلب الطلاق، و هذا بالفعل ما عبر عنه الأمير بصدق مستشهدًا أيضًا بما جاء في الأديان القديمة [2]. شارحًا أنه في:« الغالب خفاء بعض عيوب الزوجين من الرجل و المرأة إما في الخلقَة أو الطبيعة فإذا ازدوج الرجل والمرأة، وتعاشرا أو اطلعا على ما كان خفيًا مغيبًا ربما يظهر بعض العيوب، لأحد الزوجين فجعل الله الطلاق راحةً للذي يحب الفراق منهما وجعل الله الطلاق بيد الرجل لشرفه و أذن الله للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها، إذا حصل لها من جهته ضرر والطلاق مباح في الأديان القديمة، ففي التوراة، في الإصحاح الحادي و العشرين في سفر الخروج: " إن إستقبح سيدها زواجها فليطلقا و في سفر الأحبار في الإصحاح الثاني والعشرين: " إن طلقت بنت الكاهن ولم يكن لها أولاد و رجعت إلى بيت والدها تأكل من القدس" فعلم من هذا: أن الطلاق ليس خاصًا بالمسلمين» [3]. وفي النهاية يخلص الأمير إلى هذه النتيجة بقوله:« و في الطلاق منافع و أضرار أما المنافع فكما ذكرنا وأما الأضرار فكما ذكرتم وهو مباح، إذا لم يحصل منه إيذاء للمرأة بالباطل، و على كل حال فإنه لا يخلو من الأذى ولذلك قال رسول الله ρ :" تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش".

فالطلاق راحةُ للرجل إذا كانت امرأته خبيثة أو معيبةً، وراحة للمرأة إذ كان زوجها خبيثًا أو معيبًا و الرجل إذ طلق امرأته، وكان بينهما أولاد فإن الشرع أوجب على الزوج أن ينفق عليها و على أولادها منه » [4].

---

[1]- عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص.285.

[2]- المرجع نفسه، ص.226.

[3]- محمد. بن الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ج2، ص.753.

[4]- نفسه، ص.753.

2- إجابة الأمير على أسئلة لوج هنري الرابع في: (1281هـ/ 2 أكتوبر 1864)[1].

يعود سبب اختيار هذه الإجابة على وجه الخصوص إلى الرغبة في تسليط الضوء على علاقة الأمير عبد القادر بالماسونية [2].

و كان هذا العمل الإنساني سببا قويا لهؤلاء فأرادوه بعد ذلك أن ينظم إليهم، كممثل لهم في سوريا لأن الماسونية آنذاك كانت ضعيفة في الشرق، و انضمام الأمير بإمكانه أن يضمن المسلمين فيها، خاصة و أن المؤسسة يُنظر لها بنظرة غير جيدة في المشرق، و لهذا أرادت التوسع هناك [3] فيقول هنري الرابع أنه: « لا بد أن نسلم عبد القادر مشعل الحقيقة لفصل إلى الهدف النهائي لجمع الأجناس العربية ». و لا بد حتما من وجود من كان يعلم مشاريع مُمكنة كمشروع تنصيب الأمير كإمبراطورية و ملك[4] على جميع العرب.

إذن بعد أن راسل هؤلاء الأمير عام:(1277هـ/ 1860م) [5].

إذن في 16 نوفمبر 1860 راسل مجمع لوج هنري الرابع الأمير و شرحوا له فيها إنسانية الماسُونية و عرفانها [6] لعبد القادر بعد موقفه المشرق من فتنة الشام حيث سلمت له و سام شرقي و لهذا اتصلوا بالأمير و طرحوا عليه الأسئلة إلا أجاب عنها الأمير في الرسالة التي بين أيدينا و عندما حصلوا على جواب من الأمير في شهر فيفري 1861.

---

(1)- راجع: الملحق رقم: 09.

(2)- الماسونية: هي حركة و منظمة دولية تطرح نفسها على أنها مؤسسة إحسانية و جمعية فكرية تسعى لإستقطاب ذوي النفوس الحرة و الأخلاق الحسنة و تخطي العوامل الدينية بين الأقطار و الشعوب كما تعرف بإسم جماعة (البنائين الأحرار) و هي ذات شعارات و مبادئ بعضها منشور و متداول و بعضها يُحيط به الإبهام أو السرية الاّ بالنسبة لأعضائها و للخاصة منهم، فضلاً عن الرمزية التي تحيط بطقوسها إجتماعاتها. يرجع بعض المؤرخين تاريخ إنشاءها إلى العصور الوسطى (فالماسون) أو البناؤون يقصد بهم في رواية بناة هيكل سليمان من يهودالأسر البابلي و لهذا إرتبطت الماسونية بالصهيونية العالمية. إمتدت لبلاد كثيرة من العالم خاصة إنتشرت في فرنسا وبريطانيا.

راجع: سعيد الجزائري، الماسونية ماضيها وحاضرها لغاية عام 2000، ط3، بيروت، دار الجيل، (1996).ص. 12.

و أيضا: الأميرة بديعة الحسني، ناصر الدين، المرجع السابق، ص.182. الموسوعة السياسية، ج5، ص.657.

(3) - Mahfoud. Kaddache,« Abdelkader Franc maçon» par X.Yacono notes de lecture, in : Revue Histoire et de civilisation du Maghreb, N°3/ 1967/ p.87.

(4) -OP.Cit, P.89.

(5)– محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص.101.

(6) - OP.Cit, P.89.

نجد في إشارة للأميرة بديعة في كتابها ناصر الدين أن الأمير عبد القادر تلقى هيبة من أعضاء هذه المؤسسة لشرح مبادئ الماسونية وخدمتها للإنسانية فأعرب الأمير عن ثنائه على ما إدعته و تمنى لها التوفيق.- راجع: لأميرة بديعة،ناصر الدين،المرجع السابق،ص.180

قد يعود سبب إجابة الأمير على هذه الأسئلة لاعتبارات كثيرة منها أنه إنسان متسامح متفتح على أفكار الآخرين و عقائدهم،« متقدمًا على عصره مؤمنا بضرورة الأخوة والتعايش بين مختلف العناصر و الأديان و الثقافات و الأفكار» [1].

« فهو يبقى ابن الحضارة الإسلامية التي ظل إلهامها الفكري و نزعتها الصوفية تتميز بالرقي الروحي و الجسدي و العقلي» [2] « فكان يهتم أيضا بتجديد السلوك الديني وفق ظروف الأمة [3] فالأمر لم يعتبر يوما نفسه منعزلاً بل كان يتبنى مكافحة الأحكام المسبقة على الدين الإسلامي، و في نفس الوقت لم يكن يرفض الحوار و تبادل الأفكار مع المؤسسات العملية والأدبية و الرجالات البارزة » [4].

فقد نقل الشيخ محمد عبده عن الأمير رأيه في اختلاف الأديان فيقول: « أن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة أخوة من ثلاث أُمهات » [5] و هو رأي يدل على محبة للآخر فالأمر أراد أن ينتصر على الآخر محبة و معرفة، و هو الذي ناشد ضرورة السعي للتعاون بين الجميع مهما اختلفت الأديان حين يقول: « إن مبنى الاجتماع و أساس الأديان هو استعمال ما يوجب المحبة و الألفة فيحصل التناصر والتعاون ... »[6].

كانت إجابات الأمير عن رد الأسئلة المطروحة من قبل محفل هنري الرابع وقد عبر الأمير من خلال هذه الأسئلة على وفاء تام للفلسفة الإسلامية و الإيمانية [7] و المعروف على هذه الأسئلة إنما أسئلة تقليدية تُسأل لكل من يرغب في انضمامه للماسونية[8] و هي ترتكز على الأربعة أسس لعام 1854 للحركة و تنفرع إلى ثلاثة أسئلة أساسية و ثلاثة أخرى لمعرفة رأي المرشح حولها[9].

---

[1]– ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، ص.123.

[2]– المرجع نفسه، ص.123.

[3]– عبد الحميد.ساحل، المرجع السابق، ص.60

[4] - Xaxier.Yacono, « La franc. maçonnerie et les Algériens musulmans (1787- 1962)», in: Annales d'historia contemporane, Université de Murcie, (1987), p.60.

[5]- محمد.عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمد عمارة، ط1، بيروت، دار الشروق، (1993)، ج3، ص.368.

[6]- الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل، ص.97.

[7] – M.Kaddache, Op.Cit, P.90.

[8]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، ص.190.

[9] -X.Yacono. Op.Cit, P.116.

و قد ترجمها للعربية قوستاف دوقا (Gustave Dugat)[1] و في مجملها جاءت حول واجبات الإنسان نحو الله و نحو أقرانه و نحو نفسه، و حول خلود الروح والمساواة أمام الله، و كيفية فهم و تطبيق الأخوة و التسامح[2].

كعادته يبدأ الأمير كل رسائله بالحمد لله وحده و يقدم لرسالته المجيبة بالشكر والإمتناع لمراسلتهم له و سرور بتلقيه تلك الأسئلة التي يوضح بخصوصها أن الإجابة عنها تكون حسب ترجمة المترجم و بإختصار مايلفت انتباههم إلى ضرورة التأكد من الترجمة التي قد لا تكون وفق المراد، قائلا: « أيها السّادات الأجلة و الهدات (كذا) الأدلة جمعية الفرومسون خصوصا المفضل المقدم في خلوة هنري الرابع أنه وصلني كتابكم وشوقني خطابكم و لا أقدر أن أصف ما حصل عندي من سرور و برودة و أني أجيبكم باختصار حسب ترجمة المترجم لمكتوبكم و ما أدري هل الترجمة موافقة لمرادكم أم لا» [3].

ثم يبدأ الأمير في الإجابة على أسئلتهم مباشرة بأول سؤال و هو المتعلق بواجب الإنسان نحو الله. فيرى الأمير أن واجب الإنسان نحو ربه يبدأ بالتعظيم الذي لا يتأتىإلاّ بالتوحيد الذي يصل إليه الإنسان بعد حب شديد الله مع محاولة الحفاظ على هذه العلاقة الدائمة، بإرضائه عن طريق التحلي بالأخلاق التي يحبها الله في عباده كالرحمة و المغفرة و الستر و العطاء و العلم و العدل و اللاف و طاعته بتنفيذ ما أمرنا به و الصبر لأحكامه و شكر نعمته، فكل هذا هو صيغة شارحة لأركان الإسلام الخمسة التي تعظم الله و ترضيه، فيقول: « يجب على الإنسان أن يعظم الله تعالى و يحبه و يسعى فيما يرضيه و يقرب إليه و يتخلق بأخلاقه تعالى مثل الرحمة و المغـفرة و الستـر والعطاء و العلم و العدل و اللطف و أمثالها و أن يقتدي به في أفعاله و يجد في تنفيذ إرادته ويسلم لأمره و يرضى بأحكامه و يصبر لبلائه أنه لا يقدر على رفع ماوقع غيره تعالى و أن يتحقق أن كل نعمة هو فيها هي منه وحده لا شريك له في خلقها» [4].

---

[1]- قوستاف دوقا: مستشرق مشهور، عمل كأستاذ بمدرسة اللغات المشرقية كان يدرك أن العمل الذي تولاه صعب للغاية نظرًا للطبيعة الفلسفية لأراء الأمير لكنه تولاه . بعد هذه الترجمة ظهرت ترجمة جزئية في جريدة العالم الماسوني (Le monde maçonnique) في سنة (1282هـ/ أوت 1865م) في عشر صفحات كاملة. راجع: Yacono, Op.Cit, P.116

[2] - M.Kaddache, Op.Cit, P.90.

[3]- عبد الجليل.التميمي، « الأمير عبد القادر بدمشق »، (1860/1855م)، في: المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 15-16، (1979)، ص31.

[4]- عبد الجليل.التميمي، المقال السابق، ص.ص، 26- 32، (الوثيقة رقم 11).

ثم يجيب الأمير عن السؤال الثاني المتعلق بواجب الإنسان نحو أقرانه من البشر فيبدأه الأمير بالنصح نظرًا لأهمية النصيحة في الإسلام فالدين النصيحة نصيحة الدين و الدنيا بتعليم من يجهل وتنبيه من تأخذه الدنيا فيغفل كما يركز الأمير على حماية القوى لأخيه الضعيف وحب الخير لكل الناس بجلب الخير لهم لانقضاء حوائجهم و دفع الضرر عنهم، و الإبتعاد عن حسدهم و نشر الاحترام كميزة بين البشر من خلال توقير الكبير و رحمة الصغير، لأن كل الشرائح عظمت الله في المرتبة الأولى ثم مجدت ضرورة احترام و مساعدة خلقه و الرحمة بهم لأن الجميع متساوون لأن الروح واحدة و ليست متعددة فالأجساد هي المتعددة كالبيوت المظلمة والروح هي ضوء الواحد كقرص الشمس الواحد و هي حجة فلسفية يجيب بها الأمير كالآتي: « يجب عليه نصحهم بإرشادهم إلى مصالح دنياهم و أخراهم و عونهم على ذلك بتعليم الجاهل و تنبيه الغافل و الذب عنهم و عن أعراضهم و توقير كبيرهم و رحمة صغيرهم وقضاء حوائجهم و ترك حسدهم و جلب النفع إليهم و دفع الضرر عنهم فجميع الشرائح تدور على أصلين الأول تعظم أمر الله و الثاني الشفقة على خلق الله تعالى و يجب عليه مع هذا أن يرا (كذا) نفوسهم الاّ باختلاف الملابس و المظاهر ... ». [1]

أما عن واجب الإنسان نحو نفسه. فيرى الأمير أن مجمل هذا الواجب يتمثل في تزكية الذات بتطهير النفس من الرذائل و تتويجها بالفضائل التي تنبع من قوى أربع كقوة العلم و قوة الغضب و قوة الشهوة و قوة العدل فقوة العلم هي الحكمة أُمُ كل الفضائل. والتي يستطيع المرء بفضلها التمييز بين الخير و الشر، الصدق و الكذب والحق و الباطل و قوة الغضب تحث عن الحكمة. أما قوة الشهوة فهي في قدرة المرء على اكتسابها الاعتدال بوضعها تحت يد العقل و الدين أما قوة العدل فهي تكمن في إمكانية التحكم في الشهوة و الغضب بإتشارة من الدين و العقل فاعتدال الغضب هو دليل عند الأمير على الشجاعة و هي ميزة نادرة قوية، فزيادته تهور ونقصها جبن أما اعتدال القوة الشهوانية فهو تم بالعفة و زيادتها سترة و نقصها جمود و اعتدال قوة العلم حكمة و زيادتها تحمل على استخدامها و نقضها جهل و قوة العدل يسوس بها الغضب و الشهوة و تحمل على الحكمة مع كل هذه الروحانيات على الإنسان الاهتمام

---

[1]- عبد الجليل.التميمي، المقال السابق، ص.31، (الوثيقة رقم 11).

بجسده و السعي فيما يحافظ عليه أو يصلح منه بتوفير كل احتياجاته و إهماله ذنب من الذنوب. ففي ملخصا هذا يقول الأمير:« و أما قولكم ما الواجب على الإنسان نحو نفسه فالجواب أنه يجب عليه أن يزكيها و يطهرها من كل رذيلة و يزينها باكتساب كل فضيلة والفضائل و إن كانت كثيرة فهي ترجع إلى أربعة أصول فإذا حصلت هذه الأصول و اعتدلت حصلت جميع الفضائل و هي قوة العلم و قوة الغضب و قوة الشهوة و قوة العدل بين هذه الثلاثة... و يجب عليه مع هذا نحو نفسه أن يراعى حق الجسم الذي هو من عالم الكون والفساد فإنه يطالب بأنواع المحسوسات من المطعم و المشرب و الملبس و المنكح... فلا بد من السعي فيما يصلح الجسم و استعمال الأشياء التي جعلها الله سببا لبقاء هذا الجسم و حواسه فإن إهمال الجسم بالكلية و تعريضه للهلاك من أكبر الخطايا و فيه اعتراض لخالقه و مضادة لحكمته تعالى » [1].

أما بخصوص عدم موت النفس أو الروح فيرى الأمير أن الموت فساد وإضمحلال و هذا الاضمحلال هو فساد يمس الجسم فقط، أما الروح فليست بجسم ولهذا لا تفسد فهي جوهر رحاني غير مركب و الغير مركب لا يموت و لا يفنى فيقول الأمير في الروح:« أما عدم موت النفس فهو مما تطابقت عليه العقول و الشرع المنقول لأن الموت فساد و اضمحلال و الفساد و إنما هو من صفات الأجسام فإن تخلع صورة و تلبس أخرى مثل الماء إذا صار هواء و الهواء إذ صار ماء... و أما الشيء الذي ليس بجسم و لا هو محتاج في بقائه إلى جسم فلا يتصور فساده و النفس ما هي جسم و لا عرض و لا تتجزي (كذا) » [2].

أما عن التساوي بالنسبة لله في غضبه و رضاه على خلقه يرى الأمير أنه لا تساوي بين الخائن و الكاذب مع الصادق و لا تشابه بين المفضلة و الرذيلة و أن الفرق شاسع بين المتصدق وبين سارق مال اليتيم لأن النفوس أنواع، أربع حيث يقول الأمير:« أما كون جميع أجناس البشر متساوون (كذا) أمام الله بالنسبة إلى رضاه و غضبه فلا إذ العقول و الشرائح قاضية بأنه لا يتساوى الإمام الصادق و الخائن الكاذب و لا يكون صاحب الرذائل متساوًيا لصاحب الفضائل و لا يكون الذي يغضب أحوال الضعفاء و الفقراء و الأيتام

---

[1]- عبد الجليل.التميمي، المقال السابق، ص.ص، 24- 32.

[2]- نفسه، ص.32.

ويتلف نفوسهم مثل الذي يواسيهم بماله و سعي في حياتهم فلا تتساوى النفوس أمام الله في الـازات (كذا) لأن النفوس على أربع مراتب: **الأول**ى النفوس الفائزة بالمطالب العقلية من معارفة الصانع و الحقوق على حقائق الأشياء بحسب الطاقة البشرية، **ثانيها** النفوس التي ترتسم فيها المطالب و لا أضدادها و هم في سعة من رحمة الله و مرتبتهم أحط، **ثالثها** النفوس الجاهلة التي إرتسمت فيها أضداد المطالب الحقة المطالب لما في نفس الأمر لاكن (كذا) لا تكون راسخة فيها بل تزول سبب من الأسباب فيحصل لها ما حصل لمن قبلهم من الرحمة **رابعها** النفوس الشقية و هم الذين إنتقشت نفوسهم بالصور المضادة للأمور الحقة و تكون راسخة لا تزول بسبب من الأسباب و نفوس هذه المرتبة هالكة » [1].

أما فيما يخص فهم الأمير للأخوية أو تطبيق الأخوة و التسامح و بأن يترك كل واحد حرًا في دينه بعدم استعمال القوة أو غيرها فكل الشرائح التي نزلت من السماء لا تجبر أحد على نقض دينه غير أن بعض الجهل يعمي و يجعل من بعض المسلمين يتمادون في قتال النصارى لترك دينهم دون اعتداء مسبق فيعرف الأمير بأن الإسلام دين لا يجبر أحد على ترك دينه مؤكدًا على أهمية النصيحة و الهدوء في طرحها. « الجهال من المسلمين و غيرهم يظنون أن المسلمين إذا قاتلوا النصارى أو غيرهم إنما يقاتلونهم ليتكوا دينهم و يدخلوا في دين الإسلام فهو خطأ فإن الشريعة الإسلام لا تجبر أحدا على ترك دينه و لاكن (كذا) يجب على من عرف الحق في الاعتقاد و الجواب في الأعمال وراء (كذا) مخطأ ضال (كذا) عن الصواب أن يرده برفق و سياسة و يبين له الطريق بالبرهان...»[2].

و ما بقي غامضا عند الأمير الوصية التي لم يفهمها الأمير، « و أما الوصية فما فهمت المراد بها فنرجوكم الإعلام بذلك».

تبقى هذه الرسالة دليل آخر على بعد نظر الأمير الاّ أنها هدفا لا سوء استغلال تاريخي بالطعن في إيمان الأمير و في إخلاصه للدين و الوطن. فتاريخ الأحداث دلّ على أن الأمير لم يكُن مهتمًا بالدخول في الماسونية، الاّ إذا كانت هيئة عليا روحية ودينية لكن حين تأكد الأمير من غير ذلك اتخذ موقفا طبيعيا هادئا حضاريا منهما

---

[1]– عبد الجليل.التميمي، المقال السابق، ص.ص، 24- 32.

[2]- نفسه، ص.ص، 24- 32.

« لعمق إيمانه و قوة شخصيته و عزوفه عن كل حركة ليس أساسها الاقتناع بواجب الإنسان نحو خالقه و بني قومه » [1] و الدليل هو امتناعه عن حضور حفل برمج لتكريمه في:(1282هـ/ أوت 1865م)[2].

كما أنه، لم يمنح أعداءه فرصة النيل منه بأي قول ماسوني[3] فمحتوى هذه الرسالة كان واضحًا نستشف منه دفاعه عن الدين الإسلامي و مبادئه رغم هذا المضمون تلقى الأمير بعد رده على الرسالة موضوع الدراسة في فيفري (1278هـ/ 1861م) جبر قبوله الإنضمام إلى المحفل الماسوني بعد شهريين من ذلك من طرف المعلم لوسيان مورا (Lucien Murat) أي في أفريل و إتصل به مجددا الماريشال مانيون(Magnan) في: (1279هـ/ 1862م) ليساعدهم الأمير في نشر المبادئ الماسونية في أوساط العرب الذين يحترمونه كثيرا[4].

و في طريق عودته من الحج عام:(1280هـ/ 1863م) مرّ بالإسكندرية فاغتنم محفل الأهرام [5] فرصة مروره و أعلنوا إنظمامه للحركة الماسونية في 18 جوان 1864 [6] ثم عاد إلى دمشق و عكف على ما اعتاده من التنديد و الصلاة [7] و عندما تأكد الأمير من أن هذه الحركة قد وصلت إلى حدود الله بإنكارها لخلود الروح [8] كان حضور الاجتماع ماسوني خلال زيارته لباريس في:(1282هـ/30 أوت 1865م) حاسما، حيث أشعر الحاضرين، بأنه يقاطع كل نشاط ماسوني و لا ينوي تبني مبادئها و لا الدعوة لها باسمه [9] أيضا و نفى منه مستمعا فقط.

---

(1)- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، ص.190.

(2) - X.Yacono, Op.Cit, P119.

(3) -M.Kaddache, Op.Cit, P.90.

(4)- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، ص.190.

(5)- - محفل الأهرام: محفل مصري تأسس سنة:(1261هـ/ 1845م) عمل بتصريح من الحكومة المصرية حيث عرفت مصر مثل هذه المحافل منذ (1213هـ/ أوت 1798م) في عهد نابليون. راجع: سعيد الجزائري، المرجع السابق، ص.327.

(6)- جرجي. زيدان، « الأميرعبد القادر الجزائري »، في: مجلة الهلال، المصرية، ج6، السنة الأولى، فيفري، 1893م، ، ص.25.
و أيضا راجع: جرجي زيدان، ج1، ص.253.

(7)- المفال السابق، ص.253.

(8)- M.Kaddache, Op.Cit, P.93.

(9) X.Yacono, Op.Cit, P.119.

كما رفض المشاركة في محفل ماسوني بسوريا [1] و الذي، اعتبره دائما من أعضاءه الشرفيين[2].

فالواضح أن الأمير اتصل بالحركة الماسونية لكن المؤكد أنه انفصل عنها، لكنه أثبت من جهة نظر تاريخية حسب رأي سعيدوني ناصر الدين حول إمكانية تواصل الفكر الإسلامي مع أي حركة إنسانية لا تنكر العقيدة و لا تتعارض مع مبادئ الشرع و لا تبطن أهدافا سياسية و عقائدية، كما تؤكد لنا في نفس الوقت استحالة نشر أي فكر مناقض للدين و مُعاد للمبادئ الحضارية في العالم العربي الإسلامي[3].

و لعل تاريخ الماسونية بعد موقف الأمير أكد بُعد نظره لما إلتحق بها بعد من تطورات خطيرة و لهذا حكم عليها بابا الفاتيكان عام:(1282هـ/ 1865م) بأنها هيئة تصرفاتها منافية للدين و لهذا لم يكن بإمكان الأمير أن يكون جزء من مؤسسة تتهجم على المبادئ الأساسية للدين، فالأمير الذي قاوم استغلاله سابقا فهم خطورة استغلال سلطاته الروحية و الخلقية[4].

إذن جاءت رسائل الأمير لتقوم مقام الخطابة في الجهاد والعلم.

---

[1]- محفل الشرق: أنشئ أول محفل ماسوني في بيروت عام:(1279هـ/ 1862م)، تحت رعاية الأعظم الإسكتلندي و توقف عام: (1285هـ/ 1868م) حتى عام:(1306هـ/ 1888م). راجع: سعيد.الجزائري،مرجع سابق، ص.344.

[2] -M.Kaddache, Op.Cit, P.92

[3]- ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص.191.

[4] -M.Kaddache, Op.Cit, P.93.

الفصل الثالث

البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المنطلقات الشرعية

الفـصـل الثالث:

البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المنطلقات الشرعية:

مـدخـل.

المبـحـث الأول: **الـبـيـعـة.**

ب- مقدمات البيعة.
ب- البيعة الخاصة.
جـ- البيعة العامة.

المبـحـث الثاني: **الـشـورى.**

أ- مفهومها في الإسلام.
ب-مؤسساتها.
جـ- نماذجها.

المبـحـث الثالث: الـجـهـاد.

ت- ضرورة الجهاد و مقوماتها.
ب-معاملة الجنود و نوعية المعارك.
جـ- معاملة الأسرى.

مـ ـ دخـ ـ ل:

يمكننا أن نصف الدولة التي بناها الأمير عبد القادر بالدولة الدينية، لأنها ارتكزت على أسس و منطلقات دينية، قلما اجتمعت كركائز في دولة ما.

فهذه الأسس كانت مبنية على شعائر دينية هامة و قوية كالبيعة، و الشورى و العدل و تربية المجتمع و تعليمه و تهذيبه تأكيدًا على هويته و انتماءاته رابطًا بذلك المفاهيم النظرية بالتطبيق العملي لهذه الشعائر عن طريق أجهزة هامة تكمل ما أوصى به الإسلام من معاملات و أحكام.

و قد حوّل الأمير هذه الأسس إلى ركائز متينة بعد البيعة، التي كانت بحق تنقية لإمارته من شائبة اغتصاب الحكم، خاصة بعد أن أكد على أن مصدر تشريعه و تحركاته، لن يكون سوى الكتاب و السنة، حيث قال:« لن آخذ غير القرآن، لن يكون مرشدي غير تعليم القرآن وحده، فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات». [1]

و يفهم من هذا أن مصدر السلطة الفعلية لدى الأمير عبد القادر، هي الشريعة و بالفعل فقد حاول تطبيق تعاليمها بالالتزام برأي الجماعة، و الإعتناء بمؤسسات الشورى و دور القضاء غير منفرد برأيه و حيث أشرك العلماء من كل الأقطار، و لا يتخذ قرارًا إلا بعد إجماع من الأعيان و العلماء، حتى فيما يخص قضية الجهاد، كان الأمير حريصًا على أداء هذا الفرض، على أكمل وجه مع المجاهدين المتطوعين للجهاد و الشهادة.

أدرك الأمير عبد القادر، بعد أن تولى الحكم و القيادة، ضرورة الحرص في اختيار صيغة خاصة لمعاملة الرعية، و استرجاع ثقتهم في الحاكم، فلم يجد غير العدل و المساواة لبعث الهدوء و الطمأنينة في نفوس تعودت على الاستنفار الدائم مع الحكام

بسبب الظلم و الجور، كما أدرك أيضًا دور الأحكام التي تصدر عنه، في توجيه هذا المجتمع، و في تقوية ركائز الدولة.

---

[1] – هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.ص، 58-59.

فكان حريصًا على البدء بنفسه و بالمقربين، حيث تساوى الجميع في إعلان كلمة الجهاد، و واصل هذا النهج في كل محطات بناء الدولة كاختيار الكفاءات المشيدة لها ثم تبينت له أهمية العلم، في المجتمع الصالح، و نتائج ذلك في بناء الدولة، فراح يبذل قصارى جهده، ليُحبب العلم و الكتب لجنوده، و لشعبه، جاعلاً معركة الجهاد موازية لمعركة محو الجهل، و بناء المدارس و تشكيل المكتبات.

و حفاظًا على هذا التطور الجديد، أعاد بعث و إحياء روح الشريعة الإسلامية، لما لها من قدرة، على حفظ التعاملات، بين الأفراد و تقوية للروابط بداخل المجتمع وتقريب لهم من الله عز و جل ومن الحق و الاستقامة، بتوجيه من الدين الإسلامي بمحاربته للتقليد و التواكل، فتؤكد هذه القضايا كلها على البعد الروحي في شخصيته وعلى بعد رؤيته الفكرية [1].

كما كان مؤمنًا، بأن الإسلام هو وارث لخير ما يوجد في الحضارات السابقة، و لهذا حاول الأمير أن يقتدي بأبطال هذه الحضارة، في كل معاملاته مؤكدًا على انتماءاته العربية و الإسلامية محافظا على هويته، معبرًا عن نظرة الامتداد لديه في فكرة الوطن.

---

[1])، مرجع 1925 1903- – عبد الحميد.ساحل، أصول الفكرة الإصلاحية من خلال الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية(سابق،ص.64.

المـبـحـث الأول:

البـيـعـة:

قد يوحي لنا عنوان هذا المبحث بروح جديدة تحي ما كاد أن يموت من الشعائر المحمودة، و الأسس الخالصة الحقيقة لبناء دولة الإسلام، وإحياء الأمير لهذه الشعائر، ما كان ليكون، لو لا انطلاقه من أرضية متينة، خولت له بناء الأسس اللازمة و القوية لبناء الدولة، و توجيه مهامها، والبيعة الشرعية التي تلقاها الأمير من أهل البلاد جاءت صادقة، نابعة من خوف شديد، من حالة الضياع و الفوضى، التي أبتلى بها الأهالي بعد الاحتلال الفرنسي، مما جعلهم يرضون باختيار العلماء و أهل العقد، و الحل لما لمسوه في عبد القادر دون غيره، فبايعوه بيعة شرعية دينية من منطلق الضمير، و ضرورة التحرك مصداقًا لقوله تعالى:(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يدُ الله فوق أيديهم) [1]**. و هذا ما مكن عبد القادر بعدها من لعب دوره كاملاً، من خلال بنائه لأسس هامة، يكسب بها ثقة مبايعِيهِ، و بإنشاء مؤسسات جديدة و فعالة تسير شؤون الحرب و السلم معًا، بالشورى.**

ليحافظ أيضًا على واجب أساسي، هو الجهاد دون أن يعتدي، وكان يباشر الحرب في صورتها الجهادية التي يجيزها الإسلام[2] معلنا تفسير الجهاد بالنسبة له وهو المنطلق نحو الواجب، نشرًا لسلطان العقيدة و إكمالاً لأعمال العبادة الصالحة و نَيلاً لشرف الدخول في باب من أبواب الجنة.

و بذلك كانت الدولة التي شيدها الأمير عبد القادر، متشبعة بروح الدين الإسلامي، وفي المقدمة منها، شرعية القيادة، والدفاع عن الأرض، و العرض و الأرزاق و هذا ما سنراه من خلال العناصر التالية:

---

[1]- سورة الفتح، رقم الآية: 10.

[2]- أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، مجلد11، ص.3248.

أ- مقدمات الـبـيـعـة [1]:

لدراسة كيفية تنصيب الأمير يجدر بنا أولاً، المرور بالظروف المحيطة بهذه البيعة وتفاصيلها ليتسنى لنا تحليلها في إطار دراسة هذا العنصر.

1- احتلال و هران و لجوء الباي إلى عائلة محي الدين (أو فراغ السلطة في وهران):

بعد دخول الفرنسيين وهران، خاف واليها حسن[2]، على عائلته و ثروته فاستسلم للجنرال الفرنسي منتظِرًا نقله للإسكندرية لكنه في الأخير اقتنع بأن هذه الرغبة لن تتحقق، فلجأ إلى محي الدين والد الأمير[3]، الذي كان عليه أن يتخذ أول قرار سياسي له بعد احتلال الجزائر، والقاضي بقبول لجوء باي وهران إلى معسكر[4]

لكن محيي الدين طلب كعادته الإذن بالانصراف، لكي يعود إلى داره ويستشير بنو هاشم، الذين أجمعوا بالموافقة على لجوء الباي، و يورد هنري تشرشل ذلك بقوله:« فأجمعوا على أن رفض الملاذ لشخص منكوب سيكون لطخة في الشرف العربي »[5].

لكن عبد القادر رفض هذا اللجوء، من منطلقات عديدة أهمها تحليله للأمور والنتائج المترتبة عنها، بالإضافة إلى موقفه من الأتراك، و لتوضيح هذا الموقف سنستعرض مبررات هذا اللجوء:

2- مـبـررات رفـض الأمـير للـجوء البـاي حـسن:

1- عدم قدرة عائلة محيي الدين من حماية الباي كلّيًا من غضب الشعب في ظِل حالة عارمة من الفوضى.

---

(1) - البيعة :هي التولية و عقدها. بَايع: أي عاهد بويع: تولى

دار المشرق 2000، ص.137 - أنظر: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، ، بيروت،

(2) - حسن باي: هو الحسن بن موسى عرف باحتجازه لمحي الدين و عبد القادر عند رغبتهما في الحج، ثم لجأ إليهما عند احتلال وهران، استسلم للفرنسيين في 4 جانفي (1247هـ/ 1831م) و نقل للإسكندرية.

- راجع: شارل هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.52.

(3) - أديب. حرب، المرجع السابق، ص.49.

(4) - علي. تابليت، " رواد المقاومة الشعبية، الأمير عبد القادر. مسيرة نصف قرن من الكفاح المستميت"، في: أول نوفمبر، العددان، ، ص.25.)1417هـ/ 1997م(151- 152 السنة

(5) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.51.

2- تخوف الأمير من تعرض الباي للإهانة أو خَطر الهُجوم أو الاغتيال[1]، وبالتالي الإهانة التي قد تلحق بمن أعطوه عهد الأمان، وهم غير قادرين على جعله محترمًا من الجميع و خاصة الناقمين.

3- أن يبتعد الأهالي عن والده محيى الدين [2] للأسباب الآتية:

أ- اعتبارهم لهذا الاستقلال نوعا من النسيان والتغاضي على مواقف الباي السابقة خاصة الأذى الذي تعرض له محيي الدين نفسه لمدة سنة كاملة مع عبد القادر ومنعهما من أداء فريضة الحج [3] لولا وساطة القبائل [4].

و قد شكل هذا الاحتجاج جزءًا هامًا في تكوين الأمير السياسي إذْ لاحظ بنفْسه تصرفات الجنود الأتراك و عدم احترامهم للمبادئ الإسلامية [5].

ب-موقف الشعب الناقم على الباي، الذي استمر في فرض الضرائب على الأهالي في فترة المجاعة، رغم نصائح رجال الدين له بالتخفيف على المواطنين مما جعله يعدم عددا كبيرا منهم [6].

جـ- موقف الباي المتخاذل مع فرنسا عند دخولها وهران.

4- إدراك الأمير بأن فرنسا لن تؤذي ولاة الحكم التركي، و أنها هي التي ترغب في إبعادهم عن الجزائر.

وبالفعل في 04 جانفي (1831 م/1207هـ)، دخل الجنرال دامريمون[7] ميناء وهران و استسلم الباي، بعد رفض طلبه من طرف محيي الدين، و سمح له بالإبحار إلى الإسكندرية [8].

وهكذا أنقذ الأمير حياة الحاكم التركي رغم كل المساوئ التي نُفذت على يديه ضد الناس.

---

(1)- هنري. تشرشل، المصدر سابق، ص.51.

(2)- على. تابليت " رواد المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر الجزائري"، المقال السابق،ص.25.

(3)– هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.51.

(4)- على. تابليت المقال السابق، ص.25.

(5)– المقال نفسه، ص.29.

(6)- نفسه، ص،24.

(7)) بعد كلوزال. راجع: اديب حرب، مرجع سابق، 1837 ، عين حاكما عاما في الجزائر عام (1837 1733 - - دامريمون: 147ص. .

(8)- هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.52.

بهذه النهاية أصبحت السُلطة شاغرة في الغرب الجزائري فشعر الناس بضرورة إيجاد قيادة جديدة. 3 - الـحـاجـة إلـى زعـيـم كانت الناحية الغربية لا تزال تحت تأثير حكم القبائل المخزنية [1] التي عمتها الفوضى العارمة، بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر ثم وهران [2]، خاصة بعد انحصار سلطة الأتراك عن قلاع تلمسان و مستغانم و ضواحيها [3]. و قد قدم لنا صاحب كتاب (زهرة البساتين في بيان الإسم الأعظم بالأدلة والبراهين) [4] الحال الصعبة التي كانت تخيم على الجزائر آنذاك، حيث يقول: « في هذه السنة التي هي المحرم سنة 1248 هـ ، فقد إشتدت فيها المحن و كثرت الفتن من يوم خربت الجزائر، و ثغر وهران بسبب الروم الفرانصيص...فخلت الأرض من الحكام، و كثر القتل و الهرج والخصام و تعطلت الشرائع، و عمت الذرائع، وذلك من عمالة تونس إلى بلاد وجدة و المؤمن في حيرة، كالشاة في الليلة المطيرة، و إن كان للحكام ظلم و جور فهم أولى من أهل الفسوق و لفجور و بفقد الحاكم، يفسد الدين والدنيا و يموت الإنسان ميتة جاهلية» [5].

و نستنتج من هذه الفقرة حجم الوضع الكارثي الذي شهده بايلك الغرب، فركز صاحب النص على نتائج غياب الحكم بانتشار القتل و الخصومات، وظهور الأطماع و تعطل العبادات والقضاء، وحيرة الناس، و عدم استقرارهم، وتفضيلهم لحاكم جائر على الفوضى التي تظهر كل يوم زعيمًا لها فسقًا و فجورا، و كون غياب الحاكم يفسد

---

(1) - القبائل المخزنية: تتكون من جماعات مختلفة في أصولها و أنسابها و لكنها مشتركة في مهامها المرتبطة بالجهاز الإداري خارج المدن و خدمته مما أكسبها طابعًا ريفيًا و مهامًا إدارية و واجبات عسكرية محددة كحماية فرق الجباية، فتحولت كأداة لتأكيد سلطة الحكم المركزي و كان لها دور مميز في سهول (بلعباس، مستغانم، و معسكر)، و كان لهم أيضًا دور بارز في مساعدة البايلك ضد (الدرقاوية و التيجانية)، و قد تصدت هذه القبائل لمقاومة الأمير عبد القادر.

- راجع: ناصر الدين السعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص.ص، 111- 112و لمزيد من المعلومات

- راجع أيضًا : ناصر الدين السعيدوني، و رقات جزائرية، (دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني) ، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (2000)، ص.ص، 257- 286.

(2) - المهدي بوعبدلي، « وثائق أصيلة على حياة الأمير عبد القادر »، في: مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 75، ماي، جوان (1983)، المقال السابق، ص.133.

(3) - أديب حرب، المرجع السابق، ص.79.

(4) – كتاب زهرة البساتين، صاحبه هو محمد العربي بن أويس بن محمد بن عبد القادر بن أحمد المعروف بابن خدة الراشدي، يجتمع مع الأمير في جده الرابع سيدي عبد القادر قادة بن مختار نجده في كتابات الأميرة بديعة: محمد العربي بن طاوس بن محمد بن عبد القادر.

(5) – نقلا عن: المهدي. بوعبدلي، المقال السابق، ص.133.

الدين و الدُنيا، و إن مات الإنسان في زمن كهذا فيكاد أن يموت ميتة جاهلية بغياب روح الدين و حمايته، و هذا ما يبرر لنا الحاجة الملحة لحاكم يُنظمهم، و يذود عنهم من الفرنسيين، و من الفساق الذين انتفعوا من هذه الظروفْ.

ونجد مصادر عديدة تساند هذا الوصف حيث يذكر الشقراني[1] عن هذا الوضع:« و قد دخلها هؤلاء الفرنسيين صحوة يوم الاثنين في أول الصيف في أربعة عشر من المحرم سنة ست و أربعين و مائتين و ألف و في الشهر المذكور دخلوا وهران، و فر المسلمون منها و انتشروا مع الطرق و انتهبوا ما بأيديهم من الأموال و الأمتعة و ثار الثوار بعضهم على بعض بالقتل و شن الغارات و أخذ الأمتعة، و وقع الفرج و الفزع في الناس ووقعت حروب كثيرة، بين قبائل المسلمين، فلا حول و لا قوة إلا بالله واستمروا على نحو السنتين حتى منّ الله على المؤمنين باتفاق من وفقه الله للهداية، و ظهرت عليه العناية من رؤساء القبائل وكبرائهم و صناديدهم و زعمائهم و وزرائهم و أهل الفضل و النهي منهم، بنصب إمام عدل يبايعونه و يتابعونه، و يسمعون لأمره...» [2].

4- الاستنجاد بسلطان المغرب:

شعر الحضر، و هم زعماء المدينة، بتدهور أوضاعهم وصعوبة العيش[3] و شعر بنو هاشم بضرورة البحث عن السلطان، لأنهم يعملون بإجماع سلف الأمة و أهل السنة، و جمهور الطوائف الأخرى على أن نصب الإمام- أي توليته على الأمة- واجب على المسلمين شرعًا[4] فخاطبهم محيي الدين قائلاً:« إن الفرنسيين أمة محاربة... تشتعل حبًا في الاحتلال... والقبائل على خلاف مع بعضها ... إن الملك الفرنسي قوي لا يمكن أن يواجهه... إلا ملك مثله على رأس دولة محكمة النظام... يملك خزانة ضخمة... يقود جيشًا تام الانضباط و ليس هناك حاجة... للبحث بعيدًا عن هذا الملك...

---

(1) - راجع: ناصر 1883 هـ 1301– الشقراني: هو أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي من قبيلة بني شقران توفي بعد:(م). الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص.ص، 543-549.

(2) - أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، القول الأوسط و أخبار من حل بالمغرب الأوسط، مصدر سابق، ص.34.

(3) - أديب. حرب، مرجع سابق، ص.56.

(4) - رشيد رضا، الخلافة، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة رغاية، (1992)، ص.16.

إن سلطان المغرب قد عبر عن عاطفته نحونا... و إذا حاربنا تحت لواءه فسنستقدم نحو انتصار مؤكد،لأن لواءه هو لواء الله و رسوله» [1].

و بعد أيام قليلة توجهت بعثة نحو فاس مكونة من عشرة أعضاء و استقبلها مولاي عبد الرحمن، بمظاهر الود و الفرح، إلاّ أنه تأخر في الإجابة، عن طلبها ستة أشهر[2] « و رشح السلطان ابن عمه مولاي علّيًا للخلافة عليهم لما يعلم من عقله ودرايته وسياسته »، حسب رواية الناصري [3].

و بسرعة اعترفت البلاد كلها بسلطته، و كانت الخطبة تعلن بإسم السُلطان المغربي في كل المساجد، ففرح حضر تلمسان لدخول مندوب السُلطان، لكن الفوضى نشبت و لم يتمكن (علي) من إخمادها[4].

وتختلف الروايات حول تفاصيل خروج القوات المغربية من الجزائر، حيث يذكر تشرشل إرسال القوات الفرنسية إنذارات للسلطان المغربي، بالإنسحاب من الجزائر أو إعلان الحرب عليه، فأمر السلطان جيشه بالعودة[5] و يذكر السلاوي ما يلي:« ... ثم سرى ذلك الاختلاف في قواد جيش السلطان، فتنافسوا وتحاسدوا و كثر القيل و القال، منهم على السلطان، ثم ختموا عملهم بانتهاب أثاث الكراغلة ثم بإنتهاب مال الزمالة والدوائر و ماشيتهم، فحينئذٍ رأى السلطان رحمه الله استرجاع تلك الجيوش، التي لم يبق طمع في صلاحها» بعد أن أمر بالقبض على القائد إدريس [6] لكونه شارك في نهب الكراغلة و الزمالة و الدوائر، و انتهى بذلك التدخل في مارس 1831 و استمرت الفوضى التي عمت كل أنحاء البلاد، و لوضع حد حاسم لهذه الاضطرابات، عُقد في شهر أفريل 1832، اجتماع في ضواحي معسكر، ح**ضره زعماء قبائل بني هاشم و بني عامر و البرجية و تقرر إسناد القيادة لمحيي الدين في البايلك الغربي.**

---

[1] – هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص53.

[2] - المصدر نفسه، ص.53.

[3] - أبو العباس. أحمد بن خالد. الناصري،الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، القسم الثالث، الجزء التاسع تحقيق و تعليق جعفر الناصري. محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب،(1956)، ص.29.

[4] - عمر.بوزيان، حذور اتحاد المغرب والجزائر (1832- 1845)، مرجع سابق، ص.77.

[5] – هنري. تشرشل، مصدر السابق، ص.54.

[6] - ابن العلاء إدريس بن حمان الجواري: هو الذي فاوض الجزائريين لمبايعة السلطان و هو حاكم وجدة.

بعد انسحاب ملك المغرب حسب الروايات التي ذكرنا بعضا منها سابقًا، قرر المرابطون و الرؤساء، أن يعرضوا منصب السلطان على محيي الدين، إلا أنه رفض وحثهم على توجيه نداء جديد للمغرب، يمنح السُلطان فرصة أخرى يتوسلون فيها له بقبول طلبهم، إلاّ أن هذا العمل السري لم يعط ثماره و انتهى بالفشل أيضًا [1].

لم يجد محيي الدين حلاً سوى قبول توليه القيادة بعد اتفاق كامل، من الأعيان و العلماء و زعماء القبائِل الذين طلبوا منه ذلك " في مقر الشريف محيي الدين كما يسمونه" [2] وكان شعور محيي الدين حينها قويًا بضرورة بداية العمل، فأمر عبد القادر وأخوته، باصطحاب حامية والطواف بغرض تهدئة الأمور و حماية الفارين والمتشردين و إنقاذهم من أيدي اللصوص و إيصالهم إلى أماكن هادئة [3].

و كان هذا العمل أول مهمة يُكلف بها عبد القادر وهي حماية المتضررين من الفوضى من النِساء والأطفال والشيوخ.

وعمل محيي الدين جاهدا بعد توليه القيادة، لتوحيد القبائل المتناحرة، بغية توجيهها نحو جهاد العدو الحقيقي، إذ كان الكفاح بالنسبة له يعني وضع حد للروح القبلية التي كانت سائدة، و منها وضع حد للنزاعات التي كانت في قبيلة الغرابة[4] التي كان الحبيب بوعلام، يرأس قسما منها، و الأخرى يرأسها خليفة بن حمود، فعمل محيي الدين على إنهاء هذا النزاع، بين الطرفين وفاجأ الجميع عندما قاد كلا الفرقتين في 17 أفريل (1242هـ/ 1832م). لأول مرة بـ 400 فارس و 50 من المشاة و هاجم معهم وحدة من الجيش الفرنسي في وهران.

كان لهذه الخطوة ذات الدلالات العظيمة، وقع كبير في نفوس أبناء القبائل الأخرى مما شجعهم على الانضمام إلى صفوف الجهاد ضد الفرنسيين[5]، وحظى محيي الدين لذلك بتأييد القبائل الهاشمية ورجال الطرق الصوفية [6].

---

(1) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.54.

(2) « رواد المقامة الجزائرية، الأمير عبد القادر الجزائري »، المقال السابق، ص.25. - علي. تابليت،

(3) - هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.52.

(4) - قبيلة الغرابة: قبيلة مخزنية تقطن بمنطقة المقطع جنوب خليج أرزيو عند إلتقاء واد الحمام بوادي الهبرة. - راجع: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، مصدر سابق، ص.38

(5) - علي تابليت، " رواد المقاومة الجزائرية"، المقال السابق، ص.25.

(6) – أحمد. رويش، في صحبة الأميريين، مرجع سابق، ص.155.

وواصل محيي الدين قيادة العمل الجهادي باتخاذ إجراءات صارمة ضد المتعاونين مع الفرنسيين. و أصدر تعليماته بفرض ضرائب لتسيير الجهاد و ألزم كل قبيلة بتوفير عدد معين من الخرفان لإطعام المجاهدين، هادفا بذلك أن يشارك الكل في الجهاد، و هذا ما تعلمه عبد القادر من والده، الذي شارك بصحبته ببسالة في معارك ضد الفرنسيين أيام 1-19 سبتمبر و 23 أكتوبر و 10 نوفمبر(1242هـ/ 1832م)[1].

5- عـرض الإمـارة عـلى مـحـيي الـديـن:

لم يفاجأ محيي الدين بقدوم القوم إليه، إذ كثيرًا ما كانوا يأتونه للتشاور والتخطيط للمقاومة، أو لعقد ندوات فقهية، « إلا أن قدومهم كان لمبايعته سلطانًا عليهم وقائِدًا لكفاحهم» [2]. كما كان يعلم في نفس الوقت ثقل المسؤولية، و عظمتها عند الله فرفض، و رغم هذا ألحت القبائل على محيي الدين، بالقبول ثم ألزمته، به باعتبار الأمر واجبًا وطنيًا [3].

ويروي تشرشل أنهم هددوه بالقتل إن لم يقبل هذه الزعامة، حيث يقول:« ثم أحاطوا صدره بسيوفهم و ناداه رؤساؤهم » محيي الدين:« تعرفون جميعكم أنني رجل عبادة و تقوى، ويتطلب الحكم استخدام القوة والعنف، و حتى سفك الدماء، ولكن ما دمتم تصرون على أن أكون سلطانكم، فإنني أقبل و لكن أتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر» [4]. في حين يذكر لنا صاحب التحفة أنهم ألزموه، أن يقبل الإمارة لنفسه أو لولده عبد القادر[5] أي أن الإقتراح كان صادرًا منهم، و هذا ما يفسره رضاهم به و بيعته له فيما بعد.

لكن لماذا اختارت القبائل عائِلة محيي الدين؟

يعود سبب اختيار القبائل لعائِلة محي الدين دون أشراف القبائل الأخرى- إلى أسباب عديدة، منها:

---

(1) - علي. تابليت، المقال السابق، ص.25.

(2) – نفسه، ص.25.

(3) - نفسه، ص.25.

(4) - بسام. العسلي،الأمير عبد القادر الجزائري، ط2، دمشق، دار النفائس، (1986)، ص.30. - أنظر كذلك: تشرشل، المصدر السابق، ص.56.

(5) - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج2، ص.155.

1- ضرورة اختيار حاكم يلم الشمل.

2- لكون محيي الدين و ابنه مرابطين ورئيسين للزاوية القادرية خاصة و أن محي الدين آنذاك كان شيخ للزاوية ومقدم للطريقة القادرية [1].

3- تضرر عائلة محي الدين من تلك الحادثة التي أحتجز فيها والد الأمير بوهران في سنة (1236هـ/ 1821م)، و تعاطف الناس معهم، كونه متضرر تمامًا مثلهم، و ليس لديه إمتياز عنهم و لكونه يعرف جيدًا ظلم الأتراك لهم و يظهر دائمًا عدم رضاه عن ذلك « فهناك من اعتبره زعيمهم و مخلصهم من استبداد و فساد الأتراك» [2] و رجوه أن رفع راية الإسلام للدفاع عن حرية العرب[3] فاعتذر منهم مبررًا لهم رفضه بالأسباب التالية:

1- كبر سن محيي الدين، وعدم قدرته على قيادة القوات، ضد الفرنسيين في إيالة وهران [4]، فقد بلغ السبعين من العمر والمهام المفروضة عليه تفوق ما تسمح له به بنيته الجسمية « ولا يسمح له ذلك بالقيام بواجبه المقدس على أكمل وجه» [5].

2- لسماعه انتشار خبر قرب ظهور سلطان شاب من المقاطعة يفرض العدل بين الجميع [6] .

3- حلم محي الدين و هو في بغداد، أن ابنه عبد القادر سيصبحُ أميرًا على إيالة وهران، فأراد أن يرشحه و أن شيخًا من القبائل قال أن « عبد القادر الجيلاني، ظهر له في حلم أعلمه بوجوب انتخاب عبد القادر أميرًا عليهم » [7] .

6- أسباب ترشيح عبد القادر للإمارة:

كان محي الدين مقتنعًا بكفاءة ابنه، و هذا ما يؤكده (صاحب التحفة) حيث يقول: «... رأى أن ولده المنوه به قد بلغ أشده و ترشح للإمارة وتأهل لها، و استكملت فيه شروطها من الهدى و علو الهمة، و قُوة الحواس، وكمال الخلق وجمال الصورة و **شرف**

---

(1) - Marcel. Emerit, Opcit, p. 129.

(2) - عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.28.

(3) – الكولونيل. سكوت، مصدر سابق، ص.109.

(4) - أديب. حرب، مرجع سابق، ص.85.

(5) - سكوت، المصدر السابق، ص.109.

(6) - أديب. حرب، المصدر سابق، ص.85.

(7) - المرجع نفسه، ص.87.

النسب، و عزة القوم والقوة و الفتوة و العلم و الحكمة والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظ و الاتقاء و الارتفاع و مكارم الأخلاق و محاسنها » [1] .

و نجد هذه الصفات دليل لاكتمال الشروط التي وضعت لاعتبارها في الخليفة عند الماوردي وأهل الإمامة وهي: العدالة والعلم و سلامة الحواس و الأعضاء والرأي والشجاعة و النسب القرشي [2].

كما نجد مصدرًا آخر يثني على صفات الأمير، وهو ابن عودة المزاري حيث يذكر أن والد الأمير أشار بالإمارة لولده لكونه « ذا حزم وشجاعة و رأي و تدبير وطاعة فأذعنوا له، و أنفذوا أمره، وأتموا غرضه و أكملوا فخره» [3] .

وهكذا وافقت القبائل على الأمير عبد القادر لما « شاهدوا فيه من الصفات العلية و النعوت السنية» [4]. **أما الناصري صاحب الإستقصا فقال رأيه في ترشيح الأمير: « ... إنما كان فيه مضاءوإقدام فاسعفوه بشرط أن يكون نظره مسخًاعليه و ميسرًا لما تدعوه الضرورة إليه »** [5] بينما تذكر الأميرة بديعة،

أن من بين أسباب اختيار محي الدين لعبد القادر دون باقي أولاده، أنه سأله بعد أن اقترحه لزعماء غريس: « **كيف ستحكم بالعدل و الحق** بين **الناس عندما تصبح زعيمهم »؟ فأجاب عبد القادر: « سأحمل عصًا من حديد و كتاب الله و سنة رسوله ρ فأبتسم الوالد و اطمأن»** [6].

7- إجـتـمـاع الـ ـدردارة[7]:

في 24 نوفمبر (1242هـ/ 1832م)[8] اجتمعت الأشراف و العلماء و الزعماء في وادي فروحة من غريس[9] فنزلوا بزاوية السيد محمد الأعرج بن محمد السيلماني

---

(1)– محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ، المصدر السابق، ج2، ص.154.

(2)- رشيد. رضا، الخلافة، المصدر السابق، ص.29.

(3)- الأغا بن عودة المزاري طلوع سعد و السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا، تحقيق: دراسة يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1990)، ج2، ص.104.

(4)- محمد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.ص، 96. 97.

(5)- الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص.191.

(6)- الأميرة بديعة، ناصر الدين، المرجع السابق، ص.37.

(7)- راجع: الملحق رقم 10.

(8)- أديب حرب، المرجع السابق ، ص.87.

و قدم محي الدين من بيته مع أهله[1] وجلسوا في موضع « ببطيحة من مزارع غريس يقال لها الدردارة محل، وعدة رجال غريس من أحواز لمعسكر »[2]. و المتعارف أن الدردارة هي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون فيها للشورى بينهم[3] تيمنا لقوله تعالى: (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعوك تحت الشجرة) [4] .

فأخذ محي الدين ابنه من يده و قدمه للناس قائلاً:« هذا هو السلطان الذي أعلنته النبؤة !هذا هو ابن الزهراء أطيعوه كما كنتم تطيعوني، الله يحفظ السلطان » [5].

و هنا تبدأ أولى مراسيم البيعة، التي حضرتها قبائل سهل غريس، و الأهواز و بنو شقران و بنو غدوة و سنجرارة و القبائل الشرقية كالعطاف وسنجاس وبنو القصر و مرابطو بجاية و صبيح و بنو خويدم وبنو العباس و عكرمة وقبائل فليتة و المكاحلية و مجاهرة و البرجية والدوائر والزمالة و الغرابة و اليعقوبية وغيرهم[6].

ب- البيعة الخاصة (البيعة الأولى):

عند الدردارة استقر الرأي على مبايعة عبد القادر بن محيي الدين لذلك المنصب.

و تحت هذه الشجرة بايع محي الدين ابنه على السمع والطاعة[7] و لقبه بناصر الدين ثم تلاه عمه علي أبي طالب و إخوته و أقاربه ثم العلماء و الأعيان و رؤساء القبائل لناحية وهران وتلمسان و معسكر[8] يقول صاحب التحفة: « و قام عمه علي بن أبي طالب و بايعه وكذا الإخوة و سائر القرابة، ثم الأشراف والعلماء و الأعيان و الرؤساء حسب مراتبهم و طبقاتم، بايعوه على ما بايعه عليه الوالد. » [9]

---

(9)- غريس: غرب مدينة معسكر

(1)- عمر بوزيان، جذور إتحاد المغرب و الجزائر (1832هـ/ 1945)، مرجع سابق، ص.84.

(2)- المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص.104 .

(3)- محمد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.155.

(4)- سورة الفتح، آية رقم:18.

(5)- هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.58.

(6)- الأميرة بديعة،ناصر الدين، مرجع سابق، ص.27.

(7)- محمد. بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.156.

(8)- عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص30.

(9)- المصدر السابق، ص.156.

مع ثقل هذه الأمانة قبلها عبد القادر لكونه لا يستطيع التخلف عن نِداء الواجب مع كبر حجم المسؤولية التي قال فيها مولانا سبحانه وتعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملها وحملها الإنسان.) [1] لأنها واجب مقدس وفرض عين، و نظرًا لوجود اختلاف بين المصادر و المراجع نقلاً عنها، حول تاريخ انعقاد هذه البيعة سنقوم بعرضها كاملة، حيث تذكر مذكرات الأمير أن هذه البيعة وإنعقدت يوم الأربعاء، آخر شعبان سنة ثمان و أربعون و مائتين وألف(1248هـ الموافق لـ 1833/01/21). و يبقى هذا التاريخ محل نظر، لأن الأمير بويع في: (5 رجب 1248هـ/ 28 نوفمبر 1832) [2]، بينما نجد الشقراني في القول الأوسط يقول: « وقعت البيعة في الثاني عشر من رمضان سنة ثمان و أربعين و مائتين و ألف »[3] وقد كلف بتحرير هذه البيعة، السيد علي بن أبي طالب [4] و أهم ما جاء فيها أنه: « بعد انعقاد البيعة للإمام المعظّم والأمير الجليل المفخم،ابن أخينا السيد عبد القادر بن محي الدين أحيا الله بِها الدين و أعانما على القيام بأمور أهله... بايعناه على السمع و الطاعة و امتثال الأمر و لو في ولدِ الواحد منا أو نفسه و قدمنا نفسه على أنفسنا و حقه على حقوقنا » [5].

بعد البيعة خرج الأمير إلى المسجد فَصلى الظهر بالناس[6] و قرر في خطبته برنامجه القائم على القرآن والسنة [7]، و المتمثل فيما يلي:

1- السمع و الطاعة.
2- الثبات على الجهاد لإعلاء كلمة الله و دينه.

---

[1] - سورة الأحزاب، الآية رقم: 72.

[2] - مصطفى.ابن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر و جهاده، تحقيق يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1995)، ص.131.

[3] - أحمد. بن عبد الرحمن الراشدي، الشقراني، المصدر السابق، ص.35.

و يذكرها الأستاذ: سعيدوني في كتابه عصر الأمير أنها وقعت في: (3 رجب 1248هـ الموافق لـ 26 نوفمبر 1832) ناصر الدين. سعيدوني،عصر الأمير، ص.204.

و نجد البغدادي في رسالته المعنونة بـ دولة الأمير عبد القادر الجزائري(1832- 1842) يذكر أنها وقعت في: (1248هـ/ 27 نوفمبر 1832)، ص.43.

[4] - علي بن أبي طالب: هو عم الأمير، شقيق محي الدين والد الأمير.

[5] - مصطفى. نويصر، المرجع السابق، ص.17. راجع: الملحق رقم: 11.

[6] - محمد الطاهر العزوي،المقال السابق، ص.198.

[7] - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.45.

3- الكفاح ضد العدو دفاعًا عن الوطن [1].

بعد قبول الأمير عبد القادر لهذه المسؤولية بدأ في: « حث الناس على الطاعة و السير بمقتضى الشرع الشريف و الإقتداء بالخلفاء الراشدين والسلف الصالح» [2] و أنه لن يأخذ بغير القرآن وحده، في عبارات صارخة تحث على عقاب الله الذي سيحل بالشعب إذا تخلى عن دينه و وصفه للرعب الذي حل بالبلاد [3].

و دخل عبد القادر معسكر بعد والده، وحين وصل إلى واد قريب يدعى خصيبة)؟ [4]، وجد في انتظاره ما يقارب عشرة آلاف فارس كانوا مصطفين على شكل هِلال حسب قبائلهم حول خيمة كبيرة [5] كمظهر من مظاهر العرفان فأكل الأمير من طعامهم و دعا لهم وذكرهم بضرورة الالتزام و الطاعة.

واصل المبايعون قدومهم فرضي ِبه الجميع على حد تعبير ابن التهامي: « و رضى به الصغير و الكبير والجليل والحقير، فأمر بإنصافه و حسن سيرته و أدبه» [6] . و برغبة منه (الأمير) حرر العلماء منشورات إلى رؤساء القبائل يعلنون فيها [7] وقوع البيعة وكونها ملزمة للجميع وأن عبد القادر صَار أميرًا مكلفًا بإقامة الحدود الشرعية [8] و قد كُلف بتحريرها خال الأمير (محمد بن عبد القادر)، المعروف بابن آمنة [9] و جاء فيها:« فاعلموا معاشر العرب والبربر، أن الإمارة الإسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل أمرها الآن إلى ناصر الدين السيد عبد القادر بن محيي الدين، و صار أميرًا لنا ومتكفلاً بإقامة الحدود الشرعية... و لا يكلف الرعية شيئًا لم تأمر ِبه الشريعة المطهرة... نَشَرَ راية الجهاد وشمر على ساعد الجِد لنفع العباد... فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة

---

(1) - فوزي أوصديق،المرجع السابق، ص.28.

(2) - مصطفى نويصر، المرجع السابق، ص.16.

(3) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.56.

(4) - خصيبة: تقع على بعد مسافة، عشر دقائق و نصف ساعة من معسكر.

(5) - مصطفى. نويصر، المرجع السابق، ص.16.

(6) - مصطفى بن التهامي: سيرة الأمير، المصدر السابق، ص.131.

(7) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.43.

(8) - محمد. بوعياد، « عبد القادر الإنسان... »، في: الثقافة، عدد 75، سنة (1983)، ص.229.

(9) - أديب حرب، المرجع السابق، ص.88.

و أداء البيعة لإمام منكم... و لا تشقوا العصا ويذهب الخلاف بكم إلى مالا خير لكم فيه دنيا و أخرى » [1].

1- تعليق حول محتوى وثيقة البيعة الأولى:

يلاحظ المطلع على وثيقة البيعة الملاحظات التالية:

1- أنها تشبه البيان،حيث صيغت بنبرة خطابية تحمل علاوة على ذلك الأسس الدستورية للدولة الجديدة، حسب التصور الإسلامي[2] **الموجه للجميع دون استثناء للعرب و للبربر، حيث تحدد هذه الأسس علاقة الحاكم المنتخب بالشعب، أين يرسم الخطوط العريضة لسياسة البلاد و - كما يقال بلغة العصر-** [3] **.**

فالبيعة بهذا المفهوم تعني قيام الدولة [4]**.**

2- من خلال النص نستشف رغبة الأمير في تطبيق الشريعة الإسلامية، و الأخذ بالعدل و الحق، نحو القوي و الضعيف معًا، بإقامة الحدود الشرعية حيث العدل هو أساس الملك [5]**.**

3- اختلاف حكم الأمير عن حكم الأتراك، لكونه وعد في هذا الخطاب بأنه سيحكم بما تأمر به الشريعة، ولا يكلف الرعية بغير ذلك.

4- حرصه على أموال الدولة التي لا تصرف إلا بوجه حق وبعدم التبذير في المصاريف العامة.

5-التأكيد على أن تحرير الأراضي الجزائرية، يتطلب وجود قائد ينظم الجهاد ويتطلب أيضًا وقوف الشعب بجانبه.

---

[1] - محمد.بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر، ص.ص،154- 157، (و قد حررت هذه الوثيقة من طرف مجلس العلماء في الثالث من رجب سنة ثمان و أربعين ومائتين وألف) - أنظر: الملحق رقم: 11.

[2] - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.42.

[3] - عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.30.

[4] - المقال نفسه، ص.31.

[5] - فوزي. أوصديق، المرجع السابق، ص.59.

6- ضرورات بناء الدولة و تقويم النظام لاستتباب الأمن [1].

7- التحذير من شق عصا الطاعة [2] في مثل هذه الظروف التي تتطلب الالتفاف حول راية موحدة للجهاد المقدس.

2- شـرعـيـة الـبـيـعـة الـخـاصـة:

قال أحد أحفاد الأمير عبد القادر: « لم **يكن جدي أميرًا بل بايعته الجزائر، و دفعت له الإمارة دفعًا حين قام مجاهدًا** في **سبيل حريتها وعروبتها**» [3] **وإن هذا يترك** لدينا فكرة **أن** الأمير لم يكن ليرشح نفسه للإمارة لكونه ليس بوريث لزعامة سياسية أو إدارية أو عسكرية أو إقطاعية، بل هو رجل زاوية [4]، لبى نداء الجهاد وقاد **أولى** معاركه [5] بشجاعة مثبتًا كفاءته، فكانت هذه القيادة هي بداية الخلافة الشرعية لعبد القادر من والده محيي الدين [6] .كما أن الحضور التام للعلماء في مبايعته أعطى الشرعية لصيغة المبايعة « **فالإمامة عقد يحصل بالمبايعة من أهل الحل و العقد من اختاروه إمامًا للأمة، بعد التشاور بينهم، و الأصل** في **البيعة أن تكون على الكتاب و السنة، وإقامة الحق والعدل من قبله وعلى السمع و الطاعة،** في **المعروف من قبلهم** » [7].

جـ- الـبـيـعـة الـعـامـة (البيعة الثانية):

كان الأمير قد أمر بإيداع خبر البيعة، باستدعاء بقية القبائل لحضورها، و وزع لذلك الغرض منشورًا على سائر القبائل [8]، و في ظرف قصير نسبيًا حققت الرسائل نتائج إيجابية [9]، فحضرت إلى معسكر جموع كثيرة و انعقد مجلس عام، من الأشراف والعلماء والرؤساء من كل قبيلة و فَريق [10]، و جرى فيه عقد البيعة **العامة**

---

(1) - العربي. الزبيري، المرجع السابق، ص.26.

(2) - فوزي .أوصديق، المرجع السابق، ص.60.

(3) - فائزة .عبد المجيد « مع صانعي التاريخ، الأمير عبد القادر الجزائري »، في: مجلة العربي ، مج2 ، العدد 57، أوت (1963)، ص.53.

(4) -. عبد الحميد. شعابنة: « الأمير عبد القادر المجاهد »' المقال السابق، ص.31

(5) - علي. تابلات، المرجع السابق، ص.26.

(6) - علي. تابليت، المصدر نفسه، ص.26.

(7) - رشيد. رضا، الخلافة، مرجع سابق، ص.41.

(8) - عبد المجيد. شعابنة، المقال السابق، ص.30.

(9) - محمد. العربي الزبيري، المرجع السابق، ص.27.

(10) - محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر،ج1 ، ص.157.

فكانت بحق بيعة شعبية [1] و كان هذا يوم: (13 رمضان 1248هـ الموافق لـ 4 فيفري 1833).[2] و تَم ذلك بالساحة الرئيسية لقصر الإمارة، [3] بالمسجد الجامع بمعسكر[4]. ومما جاء في نص هذه البيعة العامة حول وضع البلاد بضرورة الجهاد :« **ولما انقرضت الحكومة الجزائرية، من سائر المغرب الأوسط و استولى العدو على مدينتي الجزائر و وهران أعادهما الله دار إيمان و إسلام** بجاه النبي ρ **... وصار الناس** في **هرج ومرج و حيص و بيص لا ناهٍ عن منكر، ولا من يغض و يزجر، قام من فوقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها و صناديدها وزعمائها فتفاوضوا** في **نصب إمام يبايعونه على الكتاب و السنة، يسمعون لأمره ونيه و يتابعونه** في **جميع أحواله، و جالوا** في **ميدان أفكارهم فيمن هو لذلك أهل، من ذوي الكمال والفضل فلم يجدوا، لذلك المنصب الجليل، إلاّ ذا النسب الطاهر والكمال الباهر، رأس الملة و الدين، قامع أعداء الله الكافرين، أبا المكارم، السيد عبد القادر بن مولانا السيد محيي الدين أيد الله به الإسلام والمسلمين وأحيا به ما أندرس من معالم الدين فبايعوه، على كتاب الله العظيم و سنة نبيه الكريم** » [5] **.**

1- تعاليق حول محتوى وثيقة البيعة الثانية:

ما نلاحظُه على هذه البيعة العامة، هي تلك المقدمة الدينية التذكيرية التي كانت بحق عن رضى،وعلى كتاب الله و سنة رسوله [6]. مصداقًا لقوله تعالى(إن الذين يُبَايعونك، إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) [7] ثم تم التذكير بالبيعة الخاصة، **و ما** جرى فيها و ضرورة تكملتها وعدم خُسران الدنيا قبل الآخرة بشق عصا الطاعة [8].

---

(1)- عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.30.

(2) – محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج1، ص.36. أنظر بخصوص الإختلاف حول البيعة الثانية إلى الراشدي في القول الأوسط الذي يرى أنها كانت يوم: (12 رمضان 1248هـ الموافق لـ 3 فيفري 1833)، ص.35.

(3)- أديب. حرب، مرجع سابق، ص.88.

(4)- ناصر الدين. سعيدوني، المرجع السابق، ص.204.

(5) – نقلا عن: عامر. البغدادي، دولة الأمير عبد القادر الجزائري(1832-1848)، دراسة في نظام الحكم في الإسلام، بحث تكميلي لنيل الماجستار، كلية الشريعة والعلوم الإجتماعية وقسم العلوم السياسية، السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، (1987)، ص.44.

(6)- ناصر الدين. سعيدوني،عصر الأمير، مرجع سابق، ص.206.

(7)- سورة الفتح، آية رقم: 10.

(8)- محمد. بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص. 103.

بيعة يعز بها الإسلام و لا يخذ لها الفخار و اللئام [1]، تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة، لتأمين العدالة و رجوع الأمر لمحاربة العدو الحقيقي [2] و لم الشمل[3] خصوصًا بعد أن زالت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط.
وهي بذلك تناشد الإسراع في لم الشمل، ومنع الفوضى الحادثة، بسبب أهداف العدو المتمثلة في التوسع إلى السهول.

ثم تذكر هذه الوثيقة سبب مبايعة الأمير و**ضرورة إيجاد حاكم**

2- شـرعـيـة الـبـيـعـة الـعـامـة:

كان حرص الأمير على بيعة الأغلبية بالغًا بهدف التوفيق بين بيعتين و يُعد هذا النموذج معروفًا حاليًا في بعض الأنظمة الدستورية[4] « وهو بمثابة نقلة نوعية في **ممارسة السلطة** في **تاريخ الجزائر**» .

1- قامت دولة الأمير على شرعية شعبية كان أساسها رضى الناس، و التفافهم حول الأمير و تأييده.

2- إن كل الدول التي عرفها المغرب الأوسط كانت وراثية، إلاّ أن دولة الأمير كانت مختارة تستند إلى مبادئ الدين، كالعدل والتكافل.

3- إن الشرعية التي قامت عليها دولة الأمير، التي منحها له الشعب [5]، وكانت بإجماع العلماء على عكس القرارات السابقة التي كان يوجهها البايلك، وشيوخ الزاويا أو المغامرون الثائرون [6]، وشهد على هذه البيعة كل من علي بن أبي طالب بن مصطفى بن المختار و ابن عبد الله المشرفي وأحمد بن التهامي و السيد محمد **بن** حواء [7] بعد أن رضي به الأهالي [8] واختاروه أميرًا [9] حيث يذكر لنا د.أديب حرب

---

(1) - محمد. بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص.164.

(2) - أديب. حرب، مرجع سابق، ص.88.

(3) - رابح. بونار، « نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر »، مقال سابق، ص.45.

(4) - يرشح البرلمان الرئيس ثم يطرح للاقتراع طرف الشعب في كل من مصر و و. م. أ. - أنظر كذلك: فوزي أوصديق، المرجع السابق، ص.30.

(5) - ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.204.

(6) - المرجع انفسه، ص.203.

(7) - نفسه، ص.206.

(8) - إبراهيم. مياسي، « بناء دولة الأمير عبد القادر »، في: جريدة المساء، 18 سبتمبر (1998)، ص.07.

(9) - لوثروب. ستودارت، حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص.168.

القبائل الممثلة برؤسائها والتي حضرت البيعة وهي في مجملها قبائل هامة و تمتلك سـلطـة القـرار فـي إيـالة الغـرب مثـل بنـو عامـر[1] و بنـو مـجاهر[2] و الغرابة [3].

و اكتملت شرعية هذه البيعة أيضًا بتوقيع هؤلاء الأعيان والعلماء عليها، حيث شهدوا البيعة و وقعوا على الصك الذي سجلت فيه، إثباتًا لشهادتهم التاريخية، وقبلوا كذلك المهمة التي كلفهم بها الأمير، وهي نشر خبر البيعة حرصًا منه على معرفة الجميع بها و لتكتمل شرعية حكمه بوجود هؤلاء الشهود من أولي الحق من أهل الفقه كالسيد: (الأعرج بن محمد بن فريحة) و (محمد بن السيد محمد بن عبد الله السقاط بن الشيخ المشرفي) و (أحمد بن التهامي)[4] و (الشيخ عبد الرحمن حسن البجاوي) و (محمد بن آمنة بن عبد القادر بن روخة العمرواي)[5] و(محمد بن الثعالبي الزلماطي) [6] و غيرهم.

ولقد أعطت أجواء هذه البيعة، شرعية روحية هامة، لكونها تمت على غرار بيعة الرسول ρ تحت، شجرة الدردارة، بتشبهها ببيعة الرضوان، في عهد الرسول ρ [7] ويمكن تشبيبها أيضا ببيعة العقبة الأولى وبيعة النساء التي كانت النواة الأولى لقيام الدولة الإسلامية [8].

---

(1) - بنو عامر: من أقوى القبائل في منطقة وهران تمتلك أراضي واسعة، يشتهر رجالها بزراعة الحبوب وتربية جميع أنواع الحيوانات. أخلصت للأمير و حاربت الفرنسيين ومن أبرز زعمائها محمد الولد طامي. راجع: التحفة، ج1، ص321.

(2) - قبيلة المجاهر: سكنت جوار مستغانم آزرت الأمير في كفاحه الطويل، من أهم فروعها الشوفة، هاشم، أولاد عبد الله. راجع: أديب حرب، مرجع سابق، ج1، ص.87

(3) - الغرابة: قبيلة مخزنية تقطن بمنطقة المقطع جنوب خليج أرزيو عند التقاء واد الحمام بواد الهبرة حاربت هذه القبيلة مع الأمير وتحملت معه المشاق، و من أهم عائلاتها بني يعقوب. راجع: الفول الأوسط، مصدر سابق، ص.38.

(4) - أحمد بن التهامي: هو والد مصطفى بن التهامي صهر و خليفة الأمير وزوج عمة الأمير كان عالما وفقيها وذا جاه عريض، لقب بشيخ الجماعة، عينه الأمير رئيسا للمجلس الأعلى الأميري، مما يدل على سعة علمه، توفي في مصر خلال ذهابه للحج أثناء ثورة الأمير. راجع: بلهاشمي بن بكار، مرجع سابق، ص.139. وأيضا: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، مرجع سابق، ص.247.

(5) - محمد بن آمنة: هو خال الأمير عبد القادر و متولي الكتابة لديه.

(6) - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص.105.

(7) - محمد الطاهر. العزوي،المقال السابق، ص، 189.

(8) - فوزي. أوصديق، النظام الدستوري الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (1995)، ص.29.

كما أنها تمت على غرار مبايعة الخلفاء الراشدين قبله « **فلقد حذا الأمير حذوهم، فلمواجهة الناس، قصد المسجد بعاصمة دولته، حاثًا إياهم بالطاعة والإقتداء، بالسلف الصالح مبررًا واجبات وحقوق كل من الراعي و الرعية، لأنا مسؤولية مشتركة**» [1]

3- لـقـب الإمـارة و السـلـطـان عـبـد الـرحـمـن:

كان والد الأمير أول من لقبه، بناصر الدين ثم بايعه الأقربون، على أنه سلطانهم لكن الأمير رفض هذا اللقب للأسباب التالية:

1- لكونه لقب غير إسلامي.

2- لإقتدائه بالخلفاء الراشدين (رض) جميعًا [2].

3- لتجنب إغضاب سلطان المغرب الأقصى، الذي يكن له احتراما كبيرًا [3]، وهذا ما يؤكده لنا كاتب مذكرات الأمير، حيث يقول: « فأمر بإنصافه وحسن سيرته وأدبه وتواضعه الخطباء أن يخطبوا بمولاي عبد الرحمن ثم يأتوا به من بعده استطرادا واستتبابًا » [4].

و لكي يؤكد الأمير هذه النية الحسنة نحو السلطان، راسله بقوله: « إن أهل ناحيتنا هذه اتفقوا أشرافا وعلماء وأهل العقد والحل، على ولايتنا وملازمة بيعتنا، و قد ارتضينا ذلك موافقة للوالد، إذ كان هو المطلوب بها ففر منها، و ألزمنا إياها، لكننا توقفنا على نظر إجازتكم بذلك أو ردكم إياه و الأمر عندنا سواء » [5] و أرسل هذا الطلب مع ابن عبد الله السقاط قاصدًا السلطان[6].

و قد زاد الملك على الأمير مبرر، بالموافقة على ما جاء في رسالة ال**أمير له بقوله: « إن أهل الوطن أصابوا وما غلطو وعلى الخير سقطو والله يعينكم ويحفظكم والسلام »** [7]

---

(1) - عبد الحميد. شعابنة، المرجع السابق، ص.30.

(2) - الأمير بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.38.

(3) - مصطفي. ذويصر، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق، ص.17.

(4) - مصطفى. ابن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص.131.

(5) - الأمير عبد القادر، المذكرات، مصدر سابق، ص.142.

(6) - مصطفى ذويصر، المرجع السابق، ص.77.

(7) - الأمير عبد القادر، المذكرات، ص.142.

ويعد إرضاء سلطان المغرب، من أكبر دلائل النبوغ والذكاء في عبد القادر، لتنبهه لضرورة خلق تضامن، بين الناس لكي تتمكن من الدفاع عن نفسها[1] وهذا ما أكده علال الفاسي.

وقد قرر الأمير ألاّ يتولى الحكم إلاّ على وفاق، مع الحكومة المراكشية [2] وجعلته بصيرته الفذة، يدرك أن احتلال الجزائر، ما هو إلا بداية للإيقاع بالمغرب الإسلامي في شركِ الاستعمار و الاستغلال والتنصير، و اكتفى عبد القادر بمبايعته كأمير للمؤمنين، وهو لقب ألصق بمفهومه للعلم، وأقرب إلى أصالته العربية الإسلامية [3].

مؤمنًا كل الإيمان بأن هذا المنصب و هذا لقب إنما هما من عند الله و هو ابتلاء لما فيه من مشقة وثقل كبير، في المسؤولية حيث يقول لنا في كتابه المواقف: « إن الإنسان ما أُعطي التحكم في العالم، بما هو إنسان، و إنما أعطي ذلك بقوة إلهية، إذ لا تحكم في العالم إلا صفة حق لا غير، وهي للإنسان ابتلاء لا تشريف» [4]. وبقي محافظا على علاقاته الطيبة مع سلطان المغرب قبل أن يتغير هذا الأخير عليه والدليل لجوء الأمير للمغرب حين ضاقت به السبل وكذلك في مراسلاته معه ومنها رسالة الأمير للسلطان عبد الرحمن عام (1260هـ/1844م)، والتي بدأها الأمير بقوله:«ملاذنا وعمدتنا وقاطبة أهل الإسلام»[5] تعبيرا على عدم تفكيره في منافسة سلطان المغرب وعل موقفه المسالم، لولا سياسة فرنسا الاستعمارية.

4- مـكمـلات الـبـيـعـة والـشـرعـيـة:

بعد البيعة كان الأمير عبد القادر، بحاجة إلى دعوة القبائل، التي تشارك في بيعته للالتحاق بصف الوحدة الوطنية، راميًا إلى إنجاح المقاومة والجهاد، لكن نداءه لم يلق صدى واسعا عند هذه القبائل، التي طالما أعطت الولاء للشيوخ ولزعمائها من خلال تحالفها مع سلطة الأتراك، " كالدوائر و الزمالة " أو الحياد و الاستقلالية كـ "

---

(1) - علال. الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط1، مطبعة الرسالة، (1948)، ص.4.

(2) - مصطفى. نويصر، الذكرى المئوية، مرجع سابق، ص.77.

(3) - مصطفى. نويصر، المرجع نفسه، ص.77.

(4) - عبد الحميد. ساحل ،أصول الفكرة الإصلاحية، مرجع سابق، ص.53.

(5) –Ismail Hamet, Gouvernement marocain, et la conquête d'Alger, présenté par Ali Tabilt, Alger, Thala éditions, les éditions Chiheb, P.62. 11 راجع: الملحق رقم:

فليتة "، وكانت أول مشكلة تعترض طريق الأمير هي العصبية، حيث ترى كل قبيلة لنفسها أحقية الزعامة [1] فكيف يستطيع الأمير إلغاء هذه العصبية؟ وكيف يعترف هؤلاء بسلطته ؟. لتحقيق هذا كان من الضروري توفر عاملين هامين أولهما:

4.أ- روحي نفسي: شرع الأمير في سياسة جديدة تحاول جاهدة تغيير نظرة القبائل المتمردة للسلطة المركزية، حيث كانت سابقًا تمارس النهب والسلب والمغارم...إلخ[2] وبذكاء نابع من الحكمة و التعقل و روح الدين، استمال أغلب القوى الروحية للمنطقة من المرابطين، حتى « تمكن حبه في قلوبهم وبذلوا نفوسهم في طاعته و امتثال لأمره »[3] فأعلن المرابطون الجهاد إلى جانبه وعلى سبيل المثال، يذكر تشرشل الحاج بن عيسى[4] وهو مرابط شهير في المنطقة و ما فعله من مساعي، خَلُصت إلى إحضار ممثلين، عن عشرين قبيلة صحراوية لإعلان الولاء للأمير[5]، إلا أن الاستثناء وجد بامتناع بعض القبائل عن ذلك، وقد تكلم السيد رشيد رضا حول هذا الامتناع في الإسلام و كيفية حِله حيث يقول : « متى تمت المبايعة و جب بها على المبايعين وسائِر الأمة بالتبع لهم والطاعة للإمام في غير معصية لله والنصرة له وقتال من بغى عليه أو استبد بالأمر دونه». [6] فكان لا بد من العمل بالحل الثاني وهو:

4.ب- الـحـل الـعـسـكـري: كان على الأمير إذن أن يُظهر لهم كفاءته الحربية وشجاعته القتالية، بشن الحملات ضد فرنسا وضد ديمشال، فوثقت فيه بعض القبائل والتحقت به [7]. والبعض الآخر بقي مصرا على الخروج عن صف الجهاد ونذكر منهم: كراغلة تلمسان، ومستغانم ووادي الزيتون، الذين تعاملوا مع الفرنسيين استعلاءا وحفاظا على الامتيازات التي تعودوا عليها، فما كان من الأمير إلا تجريد حملات عليهـم، آمن فيها من سالمـه، وحملهم معـه إلى تاكدامت، كما قبل أيضـا

---

(1) - عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.31.

(2) - المقال نفسه، ص.31.

(3) - محمد. بلغراد ، المقال السابق، 53.ص.

(4) - أنظر: هنري تشرشل، ص.64، كذلك: عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.31

(5) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.49.

(6) - رشيد.رضا، الخلافة، مصدر سابق، ص.42.

(7) - عبد الحميد. شعابنة، المقال السابق، ص.31.

بمصالحة اقترحها عليه بعض مرابطي وادي الزيتون، واستعمل القوة العسكرية مع البقية من: (1254هـ/1838م- 1259هـ/1843م)[1].
كما وقف الأمير ذات الموقف من أحمد باي[2].

لا ينكر أحد مقاومة الحاج أحمد باي، لكن خلافه مع الأمير لا يمكن تنافيه كخطأ تاريخي[3]، تعددت خلفياته من الجهتين، فالأمير كان يرى أن الحكم التركي انتهى خصوصا مع عدم ميله لهذا العنصر ولا ثقته بموظفي البايلك[4]، الذين حملهم محن ومآسي البلاد[5]، وبدخول الفرنسيين أثبت فشلهم[6].
ومن جهته أحمد باي اعتبر نفسه وارثا لحكومة الجزائر[7] ورفض التفاوض مع الأمير، حول عقد إتفاقية دفاعية معه لتوحيد القوات[8] وهذا ما يؤكده قالي:«إنني متأكد أن الباي أحمد قد بلغته رسائل من عبد القادر يدعوه فيها إلى الوحدة ضدنا ولكن الباي لم يكن في الظاهر مستعدا لذلك فكان يكره الأمير ويغار منه»[9].

---

(1) – ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.231.

(2) – أحمد باي: من أسرة كرغلية من بايلك قسنطينة، أبوه تركي وأمه جزائرية، من عائلة ابن فانة في منطقة بسكرة، كان جده أحمد القلي بايا على قسنطينة، ولد عام: (1201هـ/1786) حكم قسنطينة من: (1226هـ/1837). راجع: يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، (1980)، ص.35. وأيضا: ناصر الدين.سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، ط1، بيروت، دار الغرب الجزائري، (2000)، ص.ص، 46-68.

(3) – أحمد.توفيق المدني، « هل كانت هناك خلافات بين الأمير عبد القادر وأحمد باي في مقاومتهما للاحتلال الفرنسي؟ »، في: النصر، الجزائر، 1978/04/24، ص.10.

(4) – ناصر الدين.سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، (الفترة الحديثة المعاصرة)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،(1980) ج2، ص.206.

(5) – صالح.فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1850)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (1993)، ص.69.

(6) – ناصر الدين.سعيدوني، دراسات وأبحاث، مرجع سابق، ص.206. راجع أيضا: يحيى. بوعزيز، « شرعية السلطة والولاية لدى الحاج أحمد باي، الأمير عبد القادر » في: صوت الأحرار، عدد 673، 16 ماي (2000)، ص.16.

(7) – صالح.فركوس، مرجع سابق، ص.69.

(8) – عبد القادر.القادري، « الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسني » ، في: دعوة الحق، الرباط، عدد 10، (1958)، ص.ص، 34-36.

(9) – صالح.فركوس، مرجع سابق، ص.69.

وتفوقت إستراتيجية الاستعمار بتفاوض فالي مع أحمد باي ووعده بإعادة تنصيبه على بايلك قسنطينة، وبيجو مع الأمير في معاهدة تافنة، فكان سقوط قسنطينة (1253هـ/1837م)[1] بعد محاولات الأمير الفاشلة لدخول الشرق [2].

وكذلك أعلنت الدوائر الزمالة[3] العداء للأمير وهي قبائل تنتمي للمخزن زعيمها مصطفى بن إسماعيل[4].

ادعى قبول بيعة الأمير بينما كان يغار منه لصغر سنه[5] فخضع خوفا من لوم القبائل[6] لكنه لم يصمد أمام نزعاته ونمط تعاملات قبيلته في السابق، فلجأ للفرنسيين الذين لم يأمنوا له، كما حاول الخضوع لسلطان المغرب الذي رفض التدخل[7]، فكرر المحاولة مع فرنسا في عهد تريزال ووقع معه اتفاقية في: 3 ربيع الأول 1251هـ الموافق لـ 16 جوان 1835[8]، بنحو إحدى عشر مادة، تعلن أنهم أصبحوا رعايا فرنسيين.

وبسبب هذه الخيانة نقض الأمير معاهدة ديمشال حسب قوله: «إن الدوائر والزمالة هم رعيتي وبناء على قانونا فإن لي الحق في أن أفعل بهم ما أشاء »[9].

فأغار الأمير عليهم مرارا بين: (1250هـ/1834م- 1259هـ/1843م)[10]، دون جدوى فلعب هؤلاء دورا كبيرا في إضعاف الأمير، لتعودهم على التقاط فتات الموائد وخدمة الأجنبي[11]

---

(1) - صالح.فركوس، مرجع سابق، ص.69.

(2) – للمزيد من التفاصيل راجع: يحيى.بوعزيز، « جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية »، في: الأصالة، الجزائر، السنة الخامسة، العدد 48، أوت (1977)، ص.ص، 02-07. أنظر: الملحق رقم: 14.

(3) - الدوائر والزمالة: هي خليط من العرب والبربر على حد تعبير إسماعيل العربي: أقرب إلى حزب سياسي منهم إلى خلية القبيلة التي كانت تقوم على أساس عرفي، احتمتا بالباي محمد محرر وهران، فأنزلهم في دائرة خيامة فسموا (دوائر) وعين آخرين لحمل أثقاله فسميوا (زمالة)، أعفيوا من الضرائب وشغلوا وظائف سامية. راجع: إسماعيل.العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص.ص، 44-45.

(4) - مصطفى بن اسماعيل: زعيم الدوائر والزمالة، رفض بيعة الأمير، فنصب له كمين قرب فلينة 1843. راجع: التحفة، ج1،ص.432

(5) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.61.

(6) - إبن عودة.المزاري، مصدر سابق، ج2، ص.107.

(7) - نفسه، ص.113.

(8) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.94.

(9) - نفسه، ص.95

(10) - ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.235.

كما واجه الأمير قبائل أخرى، تشتهر بها طرق صوفية، سبق وأن تعرضنا إليها كالطيبية التي كانت مهادنة لكنها لم تذهب لحد دعمه[1].

إلا أن نموذج قبيلة فليتة التي تنتمي للعيساوية يستدعي التوقف لمعرفة، موقف الأمير منها.رغم النداءات التي وجهها الأمير لزعمائها [2] رفض سيدي العربي المبايعة وأصر على موقفه[3]، فباغته الأمير على رأس 5000 رجل، مانعا الحرق أو إهلاك الزرع وقتل النساء والشيوخ[4] وعفى عن القبيلة بعد أن تعهد زعيمها خطيا بالطاعة وقدم ابنه كرهينة[5] فإكتفى بسجنه[6]. وكذلك تعامل الأمير مع التيجاني، حيث يشاء القدر أن يعثر الأمير على رسائل التجاني لأهل الأغواط يحرضهم فيها على الثورة [7] وبعد خلاف وقع مع الأمير بخصوص مساعي التيجاني لإرجاع أموال بعض القبائل[8] تفجر النزاع خصوصا إذا علمنا أن للأمر خلفيات أخرى، منها طلب الأمير من شيخ التيجانيين الرجوع إلى جماعة المسلمين بنبذ وترك الطقوس التي اتخاذها[9]، والتي كانت في نظر بعض الفقهاء الذين يمثلون المرجعية الشرعية لدولة الأمير، تتنافى مع المذهب المالكي[10].يعود الأمر إلى ذكر البسملة في الصلاة، والتي أصر محمد الصغير التجاني على عدم تركها، باعتبارها مسألة اجتهادية للمذهبين المالكي والشافعي،فالأوليبطلها والثاني يكرهها، فاختار هو الكراهية على البطلان[11] بالإضافة إلى طقوس أخرى

---

(11) - إسماعيل.العربي، مرجع سابق، ص.45.

(1) – Ahmed.Nadir, Opcit, P.846.

(2) - الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق ص.48.

(3) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.61.

(4) - نفسه، ص.65.

(5) - نفسه، ص.65.

(6) - نفسه، ص.84.

(7) - يوسف.مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1882-1847)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (1990)، ص.29.

(8) - Kamel.Filali, « Le différend quadiriyya-Tidjanyya en Algérie avec une lettre d'Abdelkader à Al-Tidjânî », in : Revue d'histoire maghrébine, Zaghouan, Tunise, N° 87/88, (1997), P.307.

(9) – بن يوسف.تلمساني، الطريقة التجانية وعلاقاتها بباياك الغرب و الأمير عبد القادر، (1782-1839)، مذكرة السنة الأولى ماجستير، جامعة، الجزائر، معهد التاريخ، السنة الجامعية (1987/1986)، ص.40.

(10) - ناصرالدين.سعيدوني، عصر الأمير، ص.239.

(11) - بن يوسف.تلمساني، مرجع سابق، ص.40.

رفضها الأمير[1] وبناءا على ذلك هددهم بالحرب، إن لم يكفوا عن نشر طريقتهم[2] والواقع أن أسباب الخلاف ليست عقائدية[3] وهذا هو المهم، بل ترجع إلى رفض التيجاني سيطرة زاوية أخرى عليه وهي القادرية[4] بسبب خلافات قديمة[5] زاد عليها تدخل الوشاة [6]، وانعدام الصبر والحكمة.

فجرد الأمير إليه حملة وصلت عام: (1254هـ/1838م)، بعد مسير عشرة أيام وحصره ستة أشهر[7].

بعد أن رفض التجاني مقابلته قائلا:«ليعلم سيدكم أنني لست ثائرا ولا عدوا ولكن صاحب طريقة لاتهتم إلا بالأمور الأخروية وأريد تفادي كل علاقة مع أمراء الأرض...وإذا ما أراد السلطان مقابلتي عليه أن يخترق مدينتي ويشق صدور خدمي» [6]. رغم ذلك انتهى الحصار بدخول الأمير عين الماضي بطلب التيجاني للصلح، وعلى شروط فرضها الأمير أهمها: رفع الحصار، وأخذ كل أمواله المنقولة معه على أن **يدفع مصاريف** الحصار، مع منحه فرصة أربعين يوما لمغادرة المدينة[8] وانتهت القبائل بدفع الزكاة

---

(1) - طقوس التيجانية: من بين هذه الطقوس أن كفرت بعض فرق التجانية بخصوص صلاة الفاتح (ورد)، بأنها حسب ادعاءاتهم تعادل ستة آلاف ختمة للقرآن وأنها تعادل كل تسبيح في الكون، وكذلك أن من رأى الشيخ التيجاني مطلقا أو يوم الإثنين أو الجمعة مضمون له الجنة، مع احتقارهم لخصومهم، لفضل التيجاني على كل الأولياء من عهد آدم حتى قيام الساعة، وهو ما ورد في كتاب جواهر المعاني في فيض التجاني. راجع: محمد هاشم.الخطيب، « النصيحة الإسلامية إلى المخدوعين بالتيجانية »، في: الفتح، سنة 09، عدد 480، 6 جمادى االأولى (1353)، ص.ص، 196-199. وأيضا: محب الدين.الخطيب، « الطريقة التيجانية على المشرحة »، في: الفتح، سنة 09، عدد 481، 10 رجب (1353هـ)، ص.ص، 222-224.

(2) – ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.239.

(3) – هناك فرق بين الخلاف الفقهي والخلاف العقائدي، فالخلاف الفقهي نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف التضاد وفي الحالة التي بين أيدينا الاختلاف هو اختلاف تنوع وتبقى البدعة جزء فقهي، أما اختلاف العام فهو عقائدي.

(4) - يوسف.تلمساني، مرجع سابق، ص.39.

(5) - ويعود الأمر إلى معركة عواجة (1827)، والتي لم تساعد فيها القادرية التيجانية من هجمات الباي حسن بن موسى. راجع: ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.239. وأيضا: مصطفى بن تهامي، سيرة الأمير، مصدر سابق، ص.103.

(6) - ونقصد هنا ليون روش الذي حرض التيجاني، والحاج العربي بن عيسى الأغواطي شيخ الشرافة والذي وفد من المدية تحريضا للأمير على التجاني. راجع: يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص.29. وأيضا: ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.240.

(7) - محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج1، ص.301. وأيضا: « موقف التجانيين من جيش الأمير عبد القادر »، في: الفتح، عدد 415، السنة 09، 25 جمادى الأخرى (1353هـ)، ص.ص، 356-357.

(6)-Philipe.Estailleur, Emir magnanime Abdelkader le coyant, Paris, libraire Arthéme Fayard, (1959), P.86.

(8) - للتعرف على هذه الشروط، راجع: محمد.بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص.302.

رغم أن الأمير كان يشعر بأن خضوع التجانيين هو مؤقت بقوله:«وطلب **السكان...العفو والإخلاص ورغم أنهم خدعونا أكثر من مرة فقد أجبنا طلبهم»[1].**

موضحا هدفه من الحملة « **وهذا الهدف هو جمع العرب جميعا على كلمة واحدة وتعليم الجاهل شريعة سيدنا محمد ومنع انتشار الشرور بينهم وحفظهم من انتشار الفساد"[2]. فبادر الفرنسيون إلى استغلال الوضع لصالحهم»[3].**

إذن، وضع الأمير بالبيعة، حجر الأساس لبناء دولته على أسس مرساة على قواعد سليمة... وأسس إسلامية [4] أولها بيعة خاصة، و ثانيها بيعة أشمل باسم الشعب و له [5].

4.ج- حكومة الأمير:

جمع الأمير بين السلطتين الدينية والحربية كما جمع الرسول ρ بينهما[6] بالتصرف في الجهاد والدفاع عن الدين بمقتضى التكاليف الشرعية.

بهذه الفلسفة اقتدى الأمير في صياغة نظام حكمه بالسلف الصالح مستمدا ذلك من البيعة، التي آلت إليه بموافقة الأغلبية،ولتتحرك هذه السلطة كان عبد القادر بحاجة إلى حكومة أكثر قوة على عكسي الماضي[7] سماها (النظارة) أي الوزارة [8]، وأوكلت مهمة تعينها له شخصيا، فاختار أعضائها من القبائل ذات العصبية ومن العلماء [9] بذكاء، وكلفها لمحمد بن العربي وبمفهومنا الحالي هي:(وزارة **الداخلية)[10]، وجعل له كاتبان: أحمد بن علي بن أبي طالب[11] ومحمد الخروبي أما الحاج مصطفى بن**

---

(1) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.ص، 132-133.

(2) - نفسه، ص.132.

(3) جانبية بعد أن إقترح على فالي تأييد سكان البادية d- في صيف: (1255هـ/1839م)، ربطوا علاقات مميزة مع شيخ الطريقة الت مقابل إمدادها بالرجال وبالذخيرة. راجع: ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.241.

(4) - إبراهيم. مياسي، « بناء دولة الأمير عبد القادر »، مقال سابق، ص.07.

(5) - أديب. حرب، مرجع سابق، ص.188.

(6) – فوزي.أوصديق، النظام الدستوري الجزائري، الجزائر، مرجع سابق، ص.53.

(7) – عبد الباقي.الهرماسي، مقال سابق، ص.30.

(8) –عامر.البغدادي، مرجع سابق، ص.53.

(9) – رابح.بونار، مقال سابق، ص.45.

(10) – عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.87.

(11) – محمد بن عبد القادر.الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص.166.

التهامي فكانت مهمته إنابة الأمير في مهام مدينة وعسكرية بغرض عدم تعطيل سير الأمور[1]، وجعل له حاجبا[2] مكلفا بالوساطة بين الرعية والموظفين والأجانب[3].

من أجل تخفيف العبء عنه ومن أجل قرارات سليمة، نظرا لأهمية المال في إزكاء الجهاد، كما عين ناظرا لخزينة المملكة[4] وناظر لخزينته الخاصة[5] كما اهتم الأمير بالوقف وافرد له وزارة بحد ذاتها[6] وولى ناظرا على الأعشار والزكاة[7] ووزيرا للتعامل مع الأجانب[8].

كان هدف الأمير من إنشاء الحكومة هو خلق جو من الشورى وخلق التوازن بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، ولهذا الغرض أنشأ الأمير مجلس الشورى الأعلى الأميري المتكون من سلطة تنفيذية هي حكومة الأمير.

نستنتج من ذلك أن الخطاب الوحدوي المبني على ضرورة إرساء دولة القانون ممكن جدًا في إطار المبادئ الإسلامية [9] و بتوفر شروط الحكم و الإمارة في مقياس

عصره، فهو العالم السليم الحواس والأعضاء و السديد الرأي والشجاع والشريف النسب وينتمي لآل البيت و الورع حتى التصوف [10].

و كما عرفنا في تاريخنا الإسلامي بيعات عدت صحيحة، إذْ يَكفي بيعة أكثر الممثلين للأمة الإسلامية وليس بَيعة كل المسلمين [11] حتى تنعقد الخلافة.ويدعم رأي الدين في السلطة، وكيفية توليها أحقية الأمير عبد القادر لهذا المنصب.فبالنسبة إليه « أثّر الإنسان على الكون لا يجب أن ينطلق من كبر تافه، على البشريـة ولا

---

(1) – رابح.بونار، مقال سابق، ص.46.

(2) – وهو محمد بن علي الرحاوي. راجع: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج1، ص.106.

(3) - رابح.بونار، مقال سابق، ص.46.

(4) – ويخص الأمر الحاج الجيلاني بن فريضة

(5) – وهو محمد بن فلاحة. راجع: التحفة، ج1، ص.166.

(6) - الحاج الطاهر أبوزيد، تولى العناية بالأوقاف وماله صلة بالمساجد والتعلم. راجع: رابح.بونار، مقال سابق، ص.46.

(7) – ولاها للحاج الجيلاني العلوي، راجع: التحفة، ج1، ص.166.

(8) - عين عليها الحاج الميلود بن عراش. راجع: المصدر نفسه، ج1، ص.166.

(9) - فوزي. أوصديق، المرجع السابق، ص.30.

(10) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.46.

(11) – نفسه، ص.46.

تمييز عضوي و ظلامية لأنا تعكس الهمجية،فقيم الإنسان ومثله هي المنطق من الخير دون حسابات أخرى » [1] .

بفضل هذا المنطلق الصحيح الناجم عن إيمان قوي بأهمية وبضرورة اعتراف الآخرين بدور الأمير كمنسق، و كقائد لنجاح مهمة الجهاد ولتحقيق آماله و آمال شعبه في تحقيق النصر و المجاهدة.

و واصل الأمير باحثًا عن هذا الدعم، طيلة مراحل بنائه لدولته الشعبية[2] فعظم شأنه و امتد سلطانه وصار الأمير الشرعي، لجميع أهالي الجهات الغربية من المغرب الأوسط [3].

و يعطي ناصر الدين سعيدوني رأيه في طريقة تولى الأمير للسلطة حيث يقول:« يعتبر توليه للسلطة نموذجًا مأمولاً لتولي المسؤولية وممارسة السلطة في البلاد العربية ومرجعية تاريخية كان من الضروري اللجوء إليها لتأسيس حكم وطني متطور في الجزائر المستقلة». [4]

---

[1] - R.Mimoune, op.cit, p.54.

[2] - رابح. بونار، « نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر »، المقال السابق، ص.45.

[3] - محمد. عبد الوهاب. فايد، « الأمير عبد القادر وتحرير الجزائر » في: مجلة الرسالة، العدد 70، السنة 14، 9 ديسمبر (1946)، ص.1365.

[4] – ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.206.

المبحث الثالث: الشورى

أ- مفهوم الـشـ ـورى في الإسلام:

كان الأمير عبد القاد، ملتزما برأي الجماعة، في تسيير شؤون دولته و هو ما يسمى بالشورى [1] حيث تمكن بفضلها من كسب أغلبية المناصرين [2]، و قد أراد الأمير بتركيزه على هذه الدعامة الأساسية -أي الشورى- إرضاء الله عز و جل كما جاء في القرآن الكريم:(و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)[3]**، و كذلك اقتداء بالرسول ε الذي كان يشاور أصحابه في قضايا هامة، و لأن هذه الركيزة المهمة قد تواصلت في عهد الخلفاء الراشدين أيضًا، إذ تميز عهده بالنزاهة والبساطة و العدل و الاستعانة بذوي العلم و الخبرة[4] رغم أن الإسلام لم يفصل القول في الدولة و لا في مؤسساتها بدقة.**

إلا أنه عبر عن السلطة التي يدير بها الناس أمورهم بمصطلح الأمر[5] مصداقًا لقوله تعالى:(و شاورهم في الأمر) [6] **حيث تتوضح أهمية هذا المبدأ بمجيئه بصيغة الأمر.**

و لهذا أوجبه الله تعالى بالقبول لدى عامة المسلمين[7] لقوله تعالى:(و أمرهم شورى بينهم) [8]**.**

فحاول أن يكون خير خلف لخير سلف، بالإقتداء بالرسول ε و خلفائه و الصحابة من بعده، بهذا التاريخ الحافل بإيجابيات هذه الركيزة في دولة الإسلام و الحاث المحذِر

---

(1) - الشورى: « إسم بمعنى التشاور من أشار عليه، و قولهم: ترك عمر الخلافة شورى، أي متشاورًا فيها ».

(2) - عبد الله .شريط، « مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير عبد القادر و نظرية الشيخ ابن باديس. » في: مجلة الثقافة، عدد 75، ماي، جوان، (1983)، ص.237.

(3) - سورة المائدة آية رقم: 45.

(4) – عبد الحميد.حاجيات، « مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط، » في:مجلة التاريخ، الجزائر،(1984).

(5) - عون. الشريف قاسم، « المجتمع المسلم و السلطة »، في: مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، عدد 4، (2000)، ص.56.

(6) - سورة آل عمران آية رقم: 159.

(7) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص12.

(8) - سورة الشورى آية رقم: 38.

على سلبية تركها، يقول رشيد رضا في ذلك: « من رأى من أميره شرًا فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة شِبرًا فمات ميتةً جاهلية» [1].

و كان لتربية الأمير الدينية، دور بارز في إدراكه لأهمية الشورى بإعتبارها الوسيلة الوحيدة القادرة على إلغاء أشكال الاستبداد، بالرجوع إلى حكم الجماعة و بالاجتهاد فيما أجازته الشريعة مقتنعًا بأن القائد مهما كان، سيبقى مقيدًا بهذه القوانين الشرعية لكون طاعته، من قِبل الأمة، مرهونة بمدى التزامه بها [2].

و لهذا اختلف النظام السياسي في عهد الأمير عبد القادر عنه في عهد الدايات بفضل نظامه الشوري.

و يمكننا استجلاء ذلك، من خلال القرائن التاريخية العديدة التي جاءت في المصادر، و التي تتحدث عن الأمير، سواء بعرض المؤسسات التي أقامها لتطبيق الشورى، أو بأمثلة عن أوجه المشاورة، التي تعامل بِها الأمير عبد القادر[3].

فكان عبد القادر يعرف أنه الإنسان، و هو بذلك معرض للخطأ، و حِكمةً منه ارتأى أن يقيم مجالس للشورى، لتبتعد دولته عن دولة السلطة و القهر، محاولة منه لالتزام برأي الجماعة و الأغلبية، التي كانت تحبه[4] فقلّ من هلك إلا برأيه. على حد قول بعض الحكماء: « نصف عقلك مع أخيك فاستشره، فإن الاعتصام بالمشورة، لأنا تقيم اعوجاج الرأي و قل من هلك إلا برأيه » [5].

ب- مؤسسات الشورى في دولة الأمير عبد القادر:

رغم الصلاحيات الكثيرة التي كان يتمتع بها الأمير عبد القادر [6] إلا أنه فضل إقامة مؤسسات في شكل مجالس تقوم مناقشة القضايا و التشاور فيها.

و لهذا الغرض شكل بأمرٍ منه مجلس إستشاري عام و مجالس فرعية نستعرضها فيما يلي:

---

(1) - رشيد رضا، الخلافة، المصدر السابق، ص.22.

(2) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.10.

(3) – فوزي.أوصديق، المرجع السابق ، ص.27.

(4) - إسماعيل. زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، ، دراسة فكرية فلسفية، ط1، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، (1999)، ص.186.

(5) - محي الدين بن عربي، محاضرة الأبرار و مسامرة الأخيار، مصدر سابق، ص.35.

(6) - فوزي. أوصديق، المرجع السابق، ص.61.

1- الـمجـلـس الـشـوري الأعـلى الأمـيـري:

هو أعلى هيئة قضائية، وظيفية تجمع بين وظيفة المحكمة الاستئنائية و النقض بالنسبة للأحكام [1]، و يعتبر هذا المجلس السلطة الموازية لسلطة الأمير و يضم أحد عشر عضوًا [2] من كبار العلماء و المشايخ [3]، يمثلون المناطق المختلفة، [4] لتجنب الإقصاء و لتمكينه من لعب الدور الحاسم، في القضايا المتعلقة بمصير الأمة بالإضافة إلى أنه كان يهتم بآراء الفقهاء و مشاورتهم، و هذا ما يؤكده لنا صاحب التحفة فيقول بخصوص هذا المجلس أن الأمير:«رتب مجلسًا للشورى، يشمل على أحد عشر عضوًا من أجلة العلماء، و جعل رئاسته للعلامة و قاضي القضاة السيد أحمد الهاشمي المراحي» [5].

هؤلاء العلماء هم: « أحمد المحفوظي. بن أحمد طاهر بن الشيخ المشرفي. و محمد بن مختار الورغي و مختار بن مكي الحاج عبد القادر بن روكس. إبراهيم بن القاضي و أحمد بن الهاشمي » [6]، و يوجد مقر هذا المجلس بجوار مقر الأمير، و غالبًا ما كانت تسند له رئاسته [7] و لهذا المجلس سجل خاص تُسجل فيه القضايا ثم تعرض على الأمير[8] وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالقضايا الكبرى السياسية و العسكرية.
يحتكم المجلس للكتاب والسنة رغم هذا لم يكن تشريعه مطلقا في كل الأمور حين يخص الأمر بعض القوانين الإدارية فتتم الاستعانة بالمدونة الفقهية وهي مدونة الإمام مالك ومختصري خليل وغيره[9].

---

(1) - أحمد. مطاطلة، « نظام الإدارة و القضاء في عهد الأمير عبد القادر » في: مجلة الذاكرة، (المتحف الوطني للمجاهد)، العدد الرابع، الجزائر،(1996)، ص.185.

(2) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.46.

(3) - عبد الحميد. الشعابنة، المقال السابق، ص.31.

(4) - أحمد. رويش، المرجع السابق، ص.156.

(5) - محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، المصدر السابق، ج1، ص.158.

(6) - الأميرة بديعة، ناصر الدين، ص.45.

(7) - أحمد. مطاطلة « نظام الإدارة و القضاء في عهد الأمير عبد القادر »، المقال السابق، ص.185.

(8) - نفسه، ص.172.

(9) - رابح.بونار، «نظام الحكم في إمارة الأمير »، مقال سابق، ص.46.

2- اختصاصات المجلس الشوري الأعلى الأميري:

كان هذا المجلس ينظر في معظم قضايا الدولة و مصالحها مثل:

1- فرض الضرائب، و المعونات الإضافية، في حالة الضرورة الحربية [1].

2- النظر في كل المسائل الخاصة بإقرار الحرب و السلام، و الانتهاء إلى رأي الجماعة فيه [2].

3- مراجعة أحكام القضاة في كل مقاطعات الدولة، ونقض كل ما يخالف الكتاب و السنة و العرف المعهود، من أحكام أو فتاوى مجالس أخرى [3]، حيث تعتبر قراراته نافذة الأحكام، باتفاق الأعضاء و الإجماع عليها [4]، والتعقيب على القضايا والنوازل الصادرة عن المحاكم الأولية[5].

3- النظر في القضايا الجنائية، كحكمه بالإعدام على قاضي أرزيو، آنذاك بتهمة الخيانة العظمى، كما حاكم قضايا مماثلة [6] أيضًا.

4- صياغة المناشير التي ترسل للقبائل.

5- التكليف بنشر المدونة العسكرية الخاصة بتنظيم الجند والمقصود هنا كتاب وشاح الكتائب[7].

3- دور الشورى الفرعية و دورها:

هي مجالس أو ديار شورى تجاور مقر القاضي [8] في كل مقاطعة للمفاوضة في الدعاوى [9] واختلافهم عن القضاة في طريقة التعيين، حيث لا يتم من قبل الأمير مباشرة، بل ينتخبون تحت إشراف الخلفاء [10]، بالتصويت و أحيانًا بالتعيين، على

---

(1)- أحمد. مطاطلة « نظام الإدارة و القضاء في عهد الأمير عبد القادر »، المقال السابق، ص.172.

(2)- ساحل. عبد الحميد، المرجع السابق، ص.54.

(3)- و نقصد هنا المجالس الأدنى منه درجة كالمجالس الفرعية.

(4)- لا تعتمد هذه الأحكام و لا تتخذ الصبغة القانونية إلا بالإجماع.

(5) محمد.بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص.162.

(6)- أحمد. مطاطلة، المقال السابق، ص.172.

(7) – راجع الفصل الثاني من المذكرة.

(8)- المقال نفسه، ص.183.

(9)- عبد الله. العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، (د.ت.ن)، ج3، ص123.

(10)- أحمد. مطاطلة، المقال السابق، ص.183. - و أنظر كذلك: الأميرة بديعة، ناصر الدين، ص.45.

أساس الأغلبية[1]، و يرأس القاضي جلسات هذه المجالس في غياب الخلفاء وبحضورهم يتولون الأمر[2].

و كانت هذه المجالس الثابتة، مفتوحة دائمًا أمام علماء الأمة، بغرض إيصال الرأي السديد للأمير، من أي مكان تواجدوا به [3] و كان الأمير يرحب بذلك، حرصًا منه على تعزيز ثقته، بقراراته و عدم تجاوز أحكام الشرع [4].

4- اختصاصات دور الـشـورى الـفـرعـية:

تتبع هذه المجالس في دورها، المجلس الشوري الأعلى الأميري، في السلم خاصة، و تخضع له مباشرةً فيما تصدره مثل:

1- الفتاوى و الآراء الفقهية المستمدة من الكِتاب و السنة و ما استقر عليه إجماع الأئمة و الفقهاء.

2- المداولة في الدعاوى الهامة بين الأفراد،المتعلقة بمصالح الدولة.

3- المهمة الاستشارية [5] عمومًا.

و كان نشاط هذه الدور يراقب من المجلس الأعلى الأمير[6]، و كل موارده تنفق من بيت المال [7].

جـ- نـمـاذج من الـشـورى في عـهـد الأمـيـر:

كما سبق و أن ذكرنا، أنه من المزايا الجديدة و المختلفة في دولة الأمير عبد القادر، أنه كان يتخذ جميع القرارات الهامة في حياة الأمة، على أساس شوري دون استبداد أو تعسف، لكون الإسلام دينا واسع الأبعاد و التصورات.

وقد انتقينا بعض الأمثلة الهامة، و التي تشكل محطات، تمثلت في مناقشات استمع فيها الأمير لأراء غيره، بصدر رحب أو استشارات طلبها بنفسه، إراحة

---

(1)- فوزي. أوصديق، المرجع السابق، ص.61.

(2)- أحمد. مطاطلة، المقال السابق، ص.183.

(3)- فوزي. أوصديق، المرجع السابق، ص.61.

(4)- الأميرة بديعة، المرجع السابق، ص.45.

(5)- أحمد. مطاطلة، المقال السابق، ص.ص، 183- 184.

(6)- بخصوص مراقبة القضاة - أنظر: أحمد. مطاطلة، المقال نفسه، ص.183.

(7)- فوزي. أوصديق، المرجع السابق، ص.77.

لضميره الديني الحي، و هو أول من التزام برأي الجماعة في قبول مسؤولية، تأبى الجبال حملها تلبيةً للإجماع و تلبية لرغبة والده، برًا به و رأفة بالأرض المغتصبة.

و نجده يعبر عن هذا في رسالة بعثها لسلطان المغرب حيث يقول: « إن أهل ناحيتنا هذه اتفقوا أشرافها و علماؤها و أهل العقد و الحل على ولايتنا و ملازمة بيعتنا، و قد ارتضينا ذلك موافقة للوالد» [1].

1- الـشـورى في الحـرب و الـسـلـم:

كان الأمير يؤمن بمبدأ التشاور، فكان لا يكتفي باستشارة علماء القطر الجزائري، بل يستفتي علماء خارجه في مسائل تهدد الجهاد، أو تهدد فترات البناء فسن الأمير هذه السنة طيلة مقاومته و حافظ عليها حتى بعد ذلك.

ولقد عانى الأمير في كل مرة من الأصوات المتعالية التي ترفض السلم، لكنه كان في كل موقف يجمع المرابطين، للانتهاء إلى طريقة حكيمةٍ، « تعتمد على التفريق بين سلام مقبول و سلام مطلوب» [2] بإقناع المعارضين بسماحة الدين الإسلامي و برحمته بجنوح المسلمين إلى والسلم بمنع هدر الدماء، خاصة إذا طلب العدو الصلح بنفسه و اغتنامه، للاستعداد لتجديد الجبهات للمواجهة. وعلى هذا الأساس وافق الأمير على مبادرة ديمشال تنفيذا لأمر الدين [وإن جنحوا للسلم فاجنح وتوكل على الله إنه هو السميع العليم][3] أين كان الأمير في منزله قوة وتفوق، وما كان قبوله للتفاوض إلاّ بهدف تقوية الصف الإسلامي، معتبرا هذه الهدنة مناورة عسكرية يتفرغ فيها لبناء الدولة الإسلامية[4]، ولم يتنازل عن مبادئه لأنه يعلم أن ذلك سيكلفه الكثير لكنه وفقط طبق أمره تعالى بقوله:[وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن

---

(1) - إسماعيل. زروخي: « الدولة الوطنية و أصالتها عند الأمير » في: مجلة سيرتا، عدد 12 جوان، قسنطينة، (1999)، ص.141.

(2) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.116.

(3) - سورة الأنفال، الآية رقم: 61.

(4) - الأميرة بديعة.الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.58. أنظر: الملحق رقم: 17.

الله لا يحب المعتدين] [1] في حين أن السلام هو مفيد للطرفين، إلاّ أن الفرق يكمن في أن الأمير يريده كتجربة مؤقتة، بينما ديمشال كان يصر عليه كمبدأ حيوي [2].

فتمت المعاهدة في:(17 شوال 1249هـ/ 26 فيفري 1834م)[3] وضمنت للأمير وضعية الحاكم القوي، لأنه أرغم عدوه على طلب السلم [فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم] [4]. كما أنه وضع شروطه الخاصة، ولم يدفع جزية مغرضة، وافتك الاعتراف به من خلال تبادل القناصل. كما سيطر على البيع والشراء والأسعار، وأخضع الفرنسيين لضريبة جمركية، ولم يعترف رغم ذلك صراحة بالسيادة الفرنسية، مطالبا بإعادة الفارين (الخونة) وفاتحا المجال لإطلاق سراح الأسرى[5] رحمة بهم، بالإضافة إلى أخذه ثلثي الأراضي[6].

كما كان الأمير يجمع رجاله عند ضرورة استئناف الحرب [7]، ولم يتردد الأمير بعدها في نقض المعاهدة بعد أن اعتدت فرنسا على المادة الرابعة منها فأعلن الجهاد مجددا[8] بعد عقد مؤتمرات عامة بذلك الخصوص.

كما كان يرضي باختلاف الآراء، و يتنازل عن رأيه في كثير من الأحيان لرأي الجماعة مخالفة لرأيه، فمثلاً بموجب أحكام (معاهدة التافنة)، تنازل للفرنسيين على مدينتي القليعة و البليدة، لكن خليفته في المنطقة ابن علال رفض تسليمها للفرنسيين فعاد الأمير و دعم موقف خليفته [9].

ولعل من الأمثلة النموذجية، موقف الأمير من السلم في حد ذاته، في اتفاقية التافنة والتي قدمها البعض و كأنها انشقاق مع الكافر أخضعت هي الأخرى لمناقشة المجلس

---

(1) – سورة البقرة، الآية رقم 190.

(2) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.179.

(3) - ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.208.

(4) -سورة محمد، الآية رقم: 35.

(5) - المصدر السابق، ص.77.

(6) - نفسه، ص.20. راجع أيضا: يحيى.بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، قسنطينة، دار البعث للطباعة والنشر، (1980)، ص.ص، 15-21.

(7) – الكولونيل.سكوت، مصدر سابق، ص.115. - و يذكر كذلك: أن إبن علال قد تخلف عن هذا المؤتمر.

(8) - عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.95.

(9) - عامر. بغدادي،المرجع السابق، ص.48.

الإستشاري للعلماء، و دافع في هذا الإطار عن موقف الأمير عمه علي أبي طالب هذا الأخير الذي شرح لزملائه الوضعية، التي تمت فيها المعاهدة، وضعية تميزت بالتفوق العددي و المادي، و قلة الإمكانيات، كما ذكرهم بأنه وجه نداء لملوك المسلمين، إلاّ أن هذا النداء لم يسمع بسبب أن " الموتى لا آذان لهم"، و أن إكمال الحرب في هذه الظروف هو الذهاب نحو انتحار جماعي، و فـي هذه الحالـة ركـز على أحـاديث النبي ρ حول حقن دماء المسلمين فأخذ بذلك الموافقة من المجلس و سجل سياسته في إطار الشريعة الإسلامية.[1] ووقع اتفاقية التافنة عام: (1252هـ/30ماي 1837)[2]، متجاوزا بها انتكاسة جيشه، بعد أن دمرت المدن الرئيسية، وكانت عموما معظم بنودها لصالحه، وما يهمنا في هذا المجال خصوصية بعض البنود التي فتحت مجالا للنقاش، ومنها المادة التي نصت على استيلاء الفرنسيين على الجزائر والبليدة ولم يكن باستطاعته تغيير الوضع[3].

فرغم موافقة المجلس على الفوائد التي ستجنيها المعاهدة[4] ثارت مجددا قبائل ومن بينها أولاد مختار(*) [5]. كما ادعى البعض أن الأمير يدفع جزية سرية للفرنسيين، وأنه رخص للكفار أن يستوطنوا أرض مسلمة[6]، لكن الأمير أثبت العكس برفضه التنازل على بعض المناطق التي بقيت متنازعا عليها ونعت التخلي عنها « بالمستحيل معنويا وسياسيا»[7]

كما ينبغي ذكر موقف الأمير من معاهدة التافنة و شعوره العالي والمسؤولية الذي جعله يعقد اجتماعا طارئًا في معسكر[8]، سنة 1838 و قد كان هذا الاجتماع بمثابة

---

(1) -Ahmed. Nadir, OP.CIT, p841.

(2) -Georges.Yver, « Les préliminaires des la négociation de la Tafna », in : Revue africaine, N° 64, (1923), P.P, 529-542.

(3) - ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.210.

(4) - للمزيد من التفاصيل راجع: هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.116.

(*) - أولاد مختار: زعيمها هو محمد بن عودة.

(5) - يحي.بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ص.ص، 23-24.

(6) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.171.

(7) - نفسه، ص.170.

(8) - ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.159.

المؤتمر الأول من نوعه، في دولة الأمير من حيث الحجم و الأهمية [1]، ترأسه الأمير في بوخرشفة [2] حيث حضرته وفود عدّة [3]، للتداول في الوضع[4]، وفي هذا المؤتمر حاول المؤتمر الاستماع لآراء الجميع كي لا ينفرد برأي أو قرار.

وخرج هذا المؤتمر بضرورة، مواصلة الجهاد، ضد الفرنسيين و توحيد جميع القوى و الدفاع عن الحريات الإنسانية و على ضرورة الحفاظ على الأنفس و تدعيم الروح الشعبية[5]، هذا لم يمنع الأمير من مراسلة ملك فرنسا، ليخبره بأنه غير قادر على الخروج عن الدين بقوله: « لكنكم تطلبون مني تضحية تتناقض تماما مع ديني مما يجعلني لا أستطيع قبولها، إنكم تدعونني أن أتخلى عن قبائل أعلنت خضوعها لي وجاءت إلي بنفسها لتدفع التزاماتها التي فرضها القرآن»[6] منفضلا الحرب على التنازل. و تدعيم الأخوة بين أبناء الشعب الواحد [7].

واستجاب الأمير لرغبة شعبه وأصحابه بعد أن حلفهم على القرآن الكريم بأن لا يتخلوا عنه أبدا مادام يحمل راية الجهاد.

وأرسل الماريشال فالي يخبره بتجدد الحرب [8] مما يدل على أخلاقه القتالية الرفيعة، وقد أكدت اتفاقية لاهاي عام: (1907)، أن الأمير طبق قانون الحرب المعروف حاليا قبل ميلاده بعدة سنوات[9].

---

(1) - أبو القاسم. سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، مرجع سابق، ص.53. - أنظر كذلك: ناصر الدين. سعيدوني، المرجع السابق، حيث يذكر أن انعقاده كان سنة (1839).

(2) - بوخرشفة: هي مدينة قريبة من مليانة.

(3) - عامر.بغدادي، مرجع سابق، ص.46.

(4) - ناصر الدين. سعيدوني، المرجع السابق، ص.159.

(5) - أبو قاسم. سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق ج1، ص.53.

(6) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.172.

(7) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.46.

(8) - مصدر سابق، ص.171.

(9) – عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.95.

للمزيد من المعلومات حول اتفاقية تافنة، راجع: يحيى.بوعزيز، ثورات الجزائر ، المرجع السابق، ص.ص، 21-26.

وأيضا: أبو العيد.دودو، « الوجه الآخر لمقابلة تافنة »، في: المجاهد الثقافي، العدد 08، جوان (1969)، ص.ص، 21-30.

وأيضا: إسماعيل.العربي، « معاهدة تافنا انتصار الديبلوماسية الجزائرية »، في: مجلة تاريخ وحضارة المغرب، تونس، عدد 14-19، (1974)، ص.ص، 26-55. وأيضا:

George.Yever, Opcit, P.P, 529-542.

2- **الشورى في إنشاء الزمالة[1]:**

بعد خرق معاهدة تافنة وإستئناف الحرب بين الطرفين في ديسمبر (1255هـ/1839)[2]، إشتد الصراع أكثر بين عامي:(1257هـ-1258/1841-1842م) وغيرت فرنسا سيادتها واكتسبت بذلك شهرة بائسة في معاملة السكان العزل بوحشية، فكان على الأمير حماية أهله وعشيرته وعائلات المقاومين المجندين في صفوف جيشه وعائلات خلفائه[3]. ولهذا الغرض عقد الأمير مجلس الشورى وعرض على أعضائه إنشاء مركز متنقل على شكل مدينة متكونة من الخيام، سهلة المضارب والتركيب لتفعيل الحركة والتنقل[4]، تكون مركزا لإنطلاق الجيش النظامي، ودائرة للتخطيط وتوزيع المهام[5].

ولعل فكرة إنشاء هذه المدينة أوحت بها للأمير تلك المدينة المؤقتة التي تقام أيام الحج في موقع عرفة [6] ليحقق بها أهداف منها:

- مفاجأة العدو.
- حماية المدن الأهلة بالسكان وضمان أمن الجميع.
- إفقاد القوات المعادية لقدرتها القتالية[7]

---

(1) – الزمالة: مدينة الأمير المتنقلة أقامها سنة 1841 بعد سقوط تلمسان ، أصبحت هذه العاصمة بعد تدمير معسكر و تكدامت تحوي على دوائر موزعة في شكل خيام انقسمت إلى أقسام:

- الزمالة: لعائلته وذويه،- الدائرة: لأركان الحرب وعائلاتهم،- المحلة: للجند،- المضارب: لمجلس الشورى وللقضاء،- وخزينة بيت المال والولايات،- ومضارب للعلم بها مكتبة ضخمة، - ومساجد،- وأسواق بها دكاكين وخياطين وحدادين ومصانع للأسلحة وورش لتصليح السروج، المدابغ. كان عدد سكانها يفوق 60 أو 70 ألف، في حين نجدها 200.000 في بعض المصادر، وبالفعل أثبت هذا النظام الذكي على فعاليته ففي الحالات التي كانت تتعرض فيها الزمالة للخطر تحمل الفدور ساخنة على ظهور الإبل قبل نضج الطعام لدرجة أن نسائها فوق الهوادج إستولى، عليها الدوق دومال بناءً على وشاية خائن في 16 ماي (1259هـ/ 1843م)، وبلغ عدد القتلى 300 قتيل و 300 أسير بالإضافة إلى ضياع مخطوطات الأمير.

- أنظر: سكوت الكولونيل، مصدر سابق، ص.155، أيضا: الأميرة البديعة، فكر الأمير، ص.135، أيضا: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، ص.217. لمزيد من المعلومات راجع: مولاي بالحميسي، « زمالة الأمير عبد القادر و ملحمتها »، في: أخبار معسكر ، عدد خاص (2001)، ذكرى 118 لوفاة الأمير عبد القادر (23 ماي 1883- 23 ماي 2001). و أيضا: هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.212..أنظر: الملحق رقم: 16.

(2) – فتحي.دردار، مرجع سابق، ص.74.

(3) – نفسه، ص.ص، 76-77.

(4) – الأميرة بديعة الحسني، الجزائري، ناصرالدين، مرجع سابق، ص.99.

(5) – الأميرة بديعة الحسني، فكر الأمير، مرجع سابق، ص.112.

(6) – « الأمير بين فوسين »، أصداء الملتقى الوطني الخامس حول الزمالة في:الخبر، عدد 2993، 1 أكتوبر (2000).

(7) – الأميرة بديعة الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.99.

أمام هذا المشروع الهام المناسب للظرف الصعب .

وافق أعضاء مجلس الأمير على هذا الشكل الذكي من أشكال الصراع، تحقيقا للمصلحة العامة.

هذه المدينة الضائعة لا طالما أتعبت الفرنسيين وجعلت بيجو يقول أمام مجلس النواب الفرنسي:«هل تعلمون أين تكمن قوته؟ إنا تكمن في استحالة العثور عليه إنا في المكان الرحب الواسع في حرارة شمس إفريقيا المحرقة... في حياة الترحال التي خطها كأسلوب لمحاربتنا » [1].

هذه النتيجة أثبتت بأن الشورى أتت أكلها لو لا الخيانة التي قضت على هذه المدينة التاريخية.

3- استشارة العلماء:

عمل الأمير بالمبدأ القائل «و ما خاب من استشار» للرسول ε فوسع، دائرة مشاوراته، إلى علماء فاس و الأزهر و القرويين حرصًا منه على عدم مخالفة الكتاب و السنة و حتى اجتهاد الفقهاء [2] و « تأكيدًا لحجته و توطيدا لمحبته» [3] و قد أفاده ذلك كثيرًا في تثبيت أركان إمارته و حماه من الصيحات الرافضة، لما قام به بحجة عدم الالتزام بالدين، حيث كان يعتمد النوازل المشهورة، و الفروع المأثورة من الكتاب والسنة [4]، فكان بذلك حريصا على تقريب العلماء منه و من حكومته، لما لهؤلاء من دور فعال، في الحفاظ على الدولة و توازناتها، و لقدرتهم على التمييز بين الصواب والخطأ[5]، فكانت هذه الفتاوى حصانة له، و إزالة لحجج المعارضين ولالتفاف الناس من حوله مجددًا [6] راميًا من ورائها إيقاظ ضمير الشعوب الإسلامية و حثها على إعلان الحرب على المستعمر [7].

---

[1] – نقلا عن:الأميرة بديعة. الحسني، المرجع السابق، ص.101.

[2] - فوزي. أوصديق، مرجع سابق، ص.77.

[3] - محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1، ص.316.

[4] - عبد القادر الجزائري، المذكرات، ص.37.

[5] - إسماعيل. زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، مرجع سابق، ص.188.

[6] - أحمد. رويش، المرجع السابق، ص.157.

[7] - الأميرة بديعة الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.110.

4- قـضـايـا الاستشارة:

كان الأمير عبد القادر دائم الانشغال بقضايا عدة، جعلته يستفتي فيها العلماء من المغرب الأقصى و مصر، ليريح ضميره.

و من أهم هذه القضايا ما يخص: (المتخلف عن الجهاد، الخونة، الامتناع عن دفع الزكاة، الصلح مع العدو، الهجرة، موقف سلطان المغرب من الأمير).

و لعل من أهم هذه الرسائل المستفتية، تلك التي أرسلها، بواسطة عبد الله السقاط إلى عبد الرحمن بن هاشم [1]، رفقة هدية ذات قدر و أهمية لاسترضاء السُلطان و كي يسلم أسئلته إلى العلماء المعنيين بالإفتاء[2]، وقد وجهت الرسالة إلى العالم الشيخ الحسن علي بن عبد السلام التسولي الفاسِي[3]. و إتجاه الأمير في مثل تلك الظروف الحاسمة لعلماء فاس، له رمزيته الدالة على التكافل بين أبناء المغرب على المستوى الروحي و الفكري، مؤكدا على ثقة كبيرة فيهم تجعله يشركهم في قضاياه التي لم يعتبرها يوما داخلية بل تعني الجميع[4]، و كما بالفعل كما توقع الأمير أجـاب التسـولي بإسهاب حول كل القضايا التي طرحها الأمير، في خمسة مسائل[5] و سنحاول عرض بعض استفسارات الأمير و إيجابيات العالم التسولي عليها.

---

(1) - الأميرة بديعة. الحسني،المرجع السابق، ص.110.

(2) - محمد. بن عبد القادر، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1، ص.316.

(3) - هو علي من عبد السلام بن علي: أبو الحسن التسولي و هو من قبيلة (تسول) المغربية، فقيه من علماء المالكية تسولي الأصل والمولد يلقب (مديدش) نشأ بفاس ولي القضاء بها ثم بتطوان و غيرها، و توفي بفاس سنة (1258هـ/ 1842م)، له من المصنفات: البهجة، في شرح التحفة، و وثائق الزياتي، و النوازال، جواب على سؤال للأمير عبد القادر الجزائري في 33 ورقة موجودة في خزانة الرباط، و (فتاوى و تقاييد هامة). - راجع: أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، تصحيح، محمد بن عبد القادر شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1418هـ/ 1998م)، ص.03. - راجع أيضا: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، مرجع سابق، مجلد 04ص.299

(4) – محمد.زنيبر، « دور الثقافة في بناء المغرب العربي الكبير »، في: المستقبل العربي، عدد 79، سبتمبر (1995)، ص.53.

(5) – حيث فلصل التسولي في المسألة الأولى: سبعة فصول و المسألة الثانية: فصلان، و المسألة الثالثة: مستقلة، و المسألة الرابعة: أربع فصول، و المسألة الخامسة: القائمة بنفسها.

لمزيد من التفاصيل راجع: نص الإيجابة كاملة في عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ط1، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، (1996)، ص.ص، 105-330.

أ- قـضـيـة الـجـهـاد:

استفسر الأمير حول جواز معاقبة المتخلفين عن الجهاد، إذا استنفر الإمام أو نائبه كل الناس، دفاعًا عن الدين و الأرض، و تخلف هؤلاء و عن كيفية معاقبتهم [1].

و قد حرص الأمير في طرحه هذا السؤال، التحسيس بخطورة التخلف عن الجهاد في الجزائر أو في غيرها من أقطار البلاد الإسلامية، سعيًا منه لإشراك العلماء في قرارات مصيرية تتعلق بردع المتخلفين عن الجهاد، و قد جاءت إجابة التسولي واضحة و مختصرة كالآتى: « الممتنع العقوبة في الدنيا و الآخرة »[2] لقوله عز وجل: (الا تنفروا يُعذبكم عذابًا أليمًا)[3] مؤكدًا له من خلال إجابته، أنه متى استنفر قوم وجب عليهم النفير حرم عليهم التخلف، لأنه أمر إلهي لا نقاش فيه.

ب- قـضـية الـخـيـانـة و الـتـعامل مع الـعـدو:

لقد تضرر الأمير كثيرًا من ضِعاف الإيمان، و من الذين نجحت فِرنسا في جلبهم إلى صفها سواء بالترغيب أو بالترهيب، فأصبحوا يتعاملون معها دون تقدير الضرر، الذي قد يلحقونه بوطنهم و أمتهم بذلك، في هذا سأل الأمير العالم التسولي بقوله:« حول حكم الله في الفريقين و أنفسهم و أموالهم» [4]. فجاءت إجابة التسولي واضحة بهذا الصدد: « و قد اتفقت الأمة على أن فاعل المعصية يقَاتل عليها و يحارب إلاّ إذا أقلع عنها، لكون من رضي بفعل قوم فهو منهم و تابع لهم في الذنب و المعصية» [5].

جـ- الامـتـنـاع عن دفـع الـزكـاة:

شَكل امتناع القبائل عن دفع الضرائب كلاً أو بعضًا، مشاكل جمة أهمها، ضياع مصدر أساسي، كان يمول الجيش المجاهد المدافع عن الإسلام و هو ريع الزكاة ويعود سبب هذا الامتناع إلى زعم المطالبين بالدفع، لعدم توفر النصاب عندهم، رغم توفره عند البعض.

---

(1) - محمد. بن عبد القادر، المصدر السابق، ج1، ص.310. أنظر أيضا: عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، مرجع سابق، ص.87.

(2) - عبد اللطيف. أحمد الشيخ محمد صالح، نفسه، ص.102

(3) - سورة التوبة، الآية رقم09 .

(4) - عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، مرجع سابق، ص. 104، أنظر أيضا: محمد. بن عبد القادر، المصدر السابق، ج2،ص.310.

(5) –نفسه، ج2، ص.320.

فهل هو جائز شرعًا إحداث ضريبة معونة، تضامنًا مع أفراد الرعية [1]، خاصةبعدضعفالخزينة، بفعل تزايد الضغط العسكري الفرنسي سنة:(1255هـ/1839م) و تراجع القبائل في الدفع [2].

فما حكم الدين في مانع المعونة؟ و ما حكم الدين في أمواله؟ [3] .

وافق التسولي الأمير في أهمية هذا الأمر، و وضح له ضرورة مقاتلة مانع الزكاة أما عن المعونة فوضع لها شروطًا أهمها: أن يوزع دخلها على الناس بعد أن يعجز بيت المال و أن يصرف بالعدل كذلك، و أن يكون الغارم قادرًا عليها، من غير أن يسبب ذلك ضررًا، شريطة أن يتفقد الأمير أمر المعونة في كل وقت، و أن لا يهمل أمر مراقبة جبايتها و الأوجه التي تصرف فيها [4] .

بفضل هذه الفتاوى تجاوبت العامة مع الأمير و ارتفعت قيمة المعونة [5] و هذا ما يؤكد لنا دور العوامل الروحية في تسيير المجتمع و تفطن الأمير لها و ليونته في التعامل معها.

د- قضية الصلح مع العدو:

أما فيما يخص وجوب الصلح مع العدو فتقول الفتوى بأنّه: « يجوز فيما إذا كان العدو مطلوبًا، لأن الجهاد فرض كفاية، و لا يجوز إذا كان العدو طالبًا، إلا إذا دعت الضرورة إليه، للإبقاء على المسلمين و بلادهم و الضرورة لها أحكام» [6].

هـ- الهجرة:

أراد الأمير بهذا السؤال، معرفة حكم الدين في الإقامة ببلاد احتلها الكافر.

و كان رد التسولي بأن: « الهجرة من أرض الفساد واجبة، ولا فساد أعظم من ذلك. » و دعم إجابته بما قاله محي الدين بن عربي، في هذه المسألة حيث قال: « إن الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام و قد تقررت فريضتها في أيام النبي ε، و لم تزل

---

(1)- عبد اللطيف.أحمد، مرجع سابق، ص.104.

(2)- ناصر الدين. السعيدوني، عصر الأمير، ص.218.

(3)- مرجع سابق، ص.104

(4)- محمد. بن عبد القادر، المصدر السابق، ج2، ص.ص، 323- 325.

(5)- ناصر الدين. السعيدوني، المرجع السابق، ص.218

(6)- التسولي، المرجع السابق، ص.264

باقية إلى يوم القيامة» [1]. كما استفتى في الهجرة كذلك محمد بن عبد الله بن حسن الطصفاوي التجاني.

و ربما هذا دليل على تفكير الأمير في الهجرة منذ تلك الفترة في حالة ما إذا لم ينجح

وفرغ التسولي من هذه الفتاوى يوم:(الأربعاء العاشر من ربيع الأول سنة ثلاث و خمسين و مائتين و ألف 1253هـ/ 1837م) [2].

و لم يكتف الأمير بعلماء المغرب رغبة منه في بلوغ الحياد في الإجابة أو لتجنيبهم خطر الإفتاء ضد سلطانهم، فراسل مجددًا علماء مصر.

و- عن موقف سلطان المغرب:

توجه الأمير إلى علماء مصر، و على رأسهم الشيخ محمد عليش[3] شيخ الأزهر طالبا رأيه في مسألة طرده، من قبل سلطان المغرب[4].

---

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج2، ص.326.

[2] - جاءت هذه الفتوى طويلة جدًا في حوالي 30 صفحة كل صفحة بها 28 سطرًا و هي موجودة بمكتبة الرباط. نشرت في تحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح لأجوبة الناسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، مرجع سابق، ص.ص، 105-330.

[3] - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عليش المالكي المغربي: ولد سنة(1217هـ/ 1802م) بالقاهرة و توفي بها سنة (1299هـ/ 1881م)، درس بالأزهر و تقلد مشيخة المالكية بمصر و الإفتاء، له مؤلفات في الصرف و النحو و الفقه منها: (فتح العلي المالك في فتوى على مذهب الإمام مالك و قد أثبت فيه أحكام الفصول التي شرح فيها بجواب ففهي سؤال الأمير). - راجع: محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، ج3، ص.114. و ص.195.

[4]- لما سقطت الزمالة، عمد الأمير إلى إنشاء ماتبقى منها وأمر بنقلها للحدود المغرب في أطراف الريف، نظرا للحرج الذي وقع فيه الأمير وعدم قدرته على مطالبة القبائل الجزائرية بالمزيد، طمح الأمير إلى إقامة جبهة موحدة مع القبائل المغربية وتكوين جيش نظامي جديد، يتحرك بفاعلية ويراقب الفرنسيين، هنا بلغت أزمة السلطة المغربية ذروتها من هزائم وتمرد القبائل بالإضافة إلى الأمير الذي كان يوحي للسلطان بالتهديد، ويضاف إلى ذلك الضغط الديبلوماسي الذي سيمارس عليها بعد ذلك.

ويعود سبب تخوف عبد الرحمن من الأمير إلى دعاية بريطانية ترى أن الأمير سينصب بدل عبد الرحمن، فحاول هذا الأخير استدراجه إلى فاس للقضاء عليه، لكن الأمير لم يستجب للدعوة، واقترح مجلس الشورى إرسال مبعوث لمفاوضته، وتم بالفعل إرسال البوحميدي الولهاصي والذي سمه السلطان في فاس.

فلم يبق هناك مجال للتفاهم، بعد أن عسكر لامورسيار بللا مغنية، وكانت معركة إيسلي في 12 أوت: (1260هـ/1844م)، وبعدها عقد الصلح في:(1260هـ/ 10سبتمبر 1844م)، بين فرنسا والمغرب، الذي صار يلاحق بدوره الأمير عن طريق تحريض القبائل ضده، لكن السحر انقلب على الساحر، وفيما جاء في مذكرات الأمير حول هذا الأمر قوله: " فشنع الناس عليه في ذلك تشنيعا كبيرا ولم يوافقه إلاّ من غرضه نبذ الدين"، بل منهم من تبرع بالمال للأمير ودعوه أن يكون سلطانهم، لكنه رفض وحاول إعادتهم عن ثورتهم وعاد مغتنما فرصة انشغالهم في عقد الاتفاقية، ولم يأبه بتصريف الأقدار والدليل انتصاره في: معركة سيدي إبراهيم (1262هـ/1845م).

للتفصيل في الموضوع راجع: عادل.الصلح، مرجع سابق، ص.ص، 51-54

Ahmed.Nadir, Opcit, PP. 348-349, P.858

و رفضه له إثر اللجوء إليه وقد أضر به من خلال عدة أوجه قام بتعديدها، ليخلص في النهاية إلى مخارج بشأن طبيعة تصرفه معه حيث يقول: « فكان من سلطان المغرب ما أضر بالمسلمين من خمسة أوجه:

الأول: أمكن لهم محاصرة العدو و وضع الواردات ثلاثة أعوام، و عندما كان يحل به التلاشي أمدّه سلطان المغرب بألوف البقر و قوي بذلك شأنه.

الثاني: أنه غصب من أحد عمال المسلمين ألف و خمسمائة مكحلة إنجليزية.

الثالث: أنه غصب من أحد وكلاء المسلمين أربعمائة كسوة من الملف.

الرابع: أنه أخذ بعض الإعانات، أعدت للمسلمين و قال، أنا أولى بها، و منع من أرادوا الإعانة.

الخامس: أنه وقع خلاف بينه و بين الدولة الفرنساوية، ووقع له معهم قتال و التزم في شروط صلحه، بحلّ هاته العصابة المحمدية و الضبط على رئيسهم، على أن يحبسه، طول عمره، أو يقتله و يمكنه من يد عدوه، أو يجليه عن الأرض و أرسل يأمرهم بترك الجهاد، و منع عنهم الكيل، و أخذ يسعى في القبض على رئيسهم، و أمر بعض القبائل من رعيته، أن يقاتلوهم ويأخذوا أموالهم» [1].

و قد أجابه الشيخ محمد عليش موضحا أحكام الفصول [2]. فأجاز له مقاتلته لسلطان المغرب، لأنه يعد مارقا عن الدين [3].

سهيل.الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، ط1، الجزائر، دار الأمة، (1997)، ص.48.

ناصر الدين.سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.224.

F.Patroni, « Une improvisation de l'émir El-Hadj Abdelkader », in : Revue africaine, N° 40 année (1896), P.P, 278-280.

سكوت، مصدر سابق، ص.28. وأيضا: ابن تهامي.مصطفى، مصدر سابق، ص.162.

- محمد. بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية مصدر سابق ج3 ص.195.[1]

- أثبتت هذه الفصول في كتاب للشيخ محمد عليش في الفقه المالكي أسماه « فتح االعلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام [2] مالك ».

- راجع: محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، ج3، ص.195.

و لم يتوقف عن هذا الحد في مشاوراته، بل راسل علماء الزيتونة [1]القرويين [2]، و كبارالمدرسين بالعواصم الإسلامية[3]أمثال:الشيخ عبدالهادي عبد الله الحسيني[4] سنة:(1256هـ 1 محرم/ 1840م) [5].لكنه راسلهم بدرجة أقل لأن الزيتونة أبعد من فاس[6].

ي- قضية الاستئمان:

منذ بداية جهاد الأمير، لم يكن جاهلا أبدا بميزان القوى العسكرية و السياسية العلمية و الاقتصادية، لهذا لم يكن واهما بالنصر، بل كان يقوم بواجبه الديني والوطني[7]، و أمام تخلي أنصاره عنه و أمام موقف سلطان المغرب منه، عقد الأمير اجتماعا لأعوانه و من بقي معه من قادة، متداولا مع أعضاء حكومته في الأمر فلم يجدوا بدا من استمرار المقاومة، لأن ذلك لا يعد إلا مجرد عملية انتحار استقر الرأي على إيقاف القتال حقنا لدماء المسلمين[8] حسب قول الأمير:« لقد بذلتم جهدكم في المعاضدة أما الحالة الراهنة فتقضي علينا بالتسليم للعدو وعندي أن التسليم للفرنسوية خيرا من التسليم للمراكشيين ارأيكم؟»[9].يبدوأنالأميراستفتىكذلك بخصوص الهجرةبعد الاستئمان،رجال الدين الجزائريين وفيمقدمتهم،الشيخ محمد المهدي السكلاوي، شيخ الطريقة الرحمانية

---

[3] - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.48

[1] - الزيتونة: جامع تاريخي شهير و مركز علمي في تونس تدرس فيه الدراسات الإسلامية، بدأ التعليم فيه منذ القرن الثالث الهجري يقال أنه تأسس بفتح المدينة على يد حسان بن نعمان سنة(80هـ/ 699م)، و تمت عمارته سنة(758م). راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج11، ص.ص، 693-694

[2] - القرويين: من أقدم الجامعات الإسلامية مقرها مدينة فاس يعود سبب قيامها إلى فشل ثورة الفقهاء على الحكم بن هشام الأموي الأندلسي (180-206هـ/796-821م)، هاجرت وفود كبيرة متنوعة إلى فاس المغربية هربا من بطش الخليفة الأموي، و كان أذاك إدريس الأول قد تسرع في تأسيسها، فاستقبلهم و رحب بهم، (ربيع الأول عام 192هـ/ يناير 808م)، فعرف بعروة الأندلس. و جزء من المدينة للأندلسيين و جزء للقرويين أهل المدينة أهم الكتب القديمة تسميهم القروين و عندما ضاقت المساجد لكثرة الوارد تطوعت فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني لبناء مسجد جامع بحي القيروانيين عرف بجامع القرويين نسبة لهذا الحي، الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق ص.ص، 154-155.

[3] - عبد المجيد. مزيان، « عبقرية متكاملة »، المقال السابق، ص.06.

[4] - عبد الهادي عبد الله الحسيني: هو عالم تونسي.

[5] - المقال السابق، ص.197.

[6] –Abdellatif.Ben Achenhou, L'Etat Algérien en 1830 ces institutions sous L' Emir Abdelkader, Alger, Imp EPA, P.87.

[7] - سهيل.الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، ط1، الجزائر، دار الأمة، (1997)، ص.14.

[8] – الجيش الذكرى 48 لوفاة الأمير عدد 38 السنة الرابعة (1967)، ص.15.

[9] – نقلا عن: جورجي زيدان « الأمير عبد القادر الجزائري »، في: مجلة الهلال، السنة الأولى فيفري، (1893)، ج6، ص.253.

والذي هاجر إلى دمشق فعلا[1]. ونجد في كتاب محمد بن عبد الكريم حكم، الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية بهذا الخصوص[2].

يرى بلهاشمي بن بكار كذلك أن هجرة الأمير مقرونة بالجهاد، كما استشار الأمير من خلال أحمد بن سالم محمد علي حين كتب له يستنصحه حول الصلح فكتب إليه محمد علي بالصلح، و بعث الرسالة إلى الحكومة الفرنسية، التي كانت على علم بشروط الأمير قبل عشرة اشهر من استئمانه فأسباب وقف القتال مع فرنسا هي نفسها أسباب الهجرة[3] فطابق استئمانه حكم الدين الإسلامي و وافقه عليه أهل الحل و العقد و حافظ بها حقوق الشعب الجزائري الأساسية و رجال دولته، على أن لا يكون استسلاما مهينا مختارا للوقت المناسب لذلك.

كان في توقيع الأمير هذه الاتفاقية انتصارا لأنه وقعها بصفة شخصية دون أن يقدم تنازلات سياسية فلم يعترف باحتلال فرنسا و لا بتنازله عن إمارته و هذا ما جعل الباب مفتوحا للمقاومة حين تتغير موازين القوى.[4]

من خلال عرضنا لاهتمام الأمير، بالشورى من حيث مؤسساتها، و من حيث عمله بها نستنتج جهد الأمير الكبير، في تقريب هذه المجالس، من كل الجزائريين دون استثناء بسنه للامركزية في الإدلاء بالرأي و تعميم الخير، و كذلك في حرصه على تكامل هذه المجالس في عملية الغربلة من الأعلى إلى الأسفل، و هكذا يظهر لنا الاهتمام البالغ بالشورى، في عهد الأمير من حيث مؤسساتها، و من حيث صلاحياتها المتكاملة و المقيدة بصرامة المراقبة بجهاز القضاء، لما لهذا الأخير من أهمية في إحلال العدل بين الناس.

و لما للمسؤولية من ثقل، بالأخص على كاهل رجل تربى في جو ديني، و تميز بقناعاته القوية في تنفيذ المشاريع، حيث تجمع المصادر على عمل هذه المؤسسات و ابتعادها عن المجالس الشكلية الفارغة، لأنها جاءت من وراء قصـد نبيل، و نيـة

---

[1] – سهيل.الخالدي، الإشعاع المغربي، مرجع السابق، ص.22.

[2] – محمد.بن عبد الكريم، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، ط. ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1981)، ص.ص، 33-65.

[3] – سهيل.الخالدي، مرجع سابق، ص.21.

[4] – المرجع نفسه، ص.24.

سليمة محورها الالتجاء للدين الذي مجد الجماعة، و جعل الخارج عنها كمن يموت ميتة جاهلية، لتحفظ هذه الشورى مبدأ الالتزام بحكم القانون الإلهي.

و يكمل الأمير هذا الدور، بعدم إقصاء العلماء و الفقهاء و ذوي الرأي السديد في طرح القضايا الهامة التي تحتاج إلى إجماع و فصل، أو إلى الإدلاء بالرأي و وصف العلاج ببعض المشاكل العالقة المهددة للدولة الفتية المحاربة، على جبهات عدّة مفتوحة دائمة المستجدات و الأحداث، فاتجاهه إلى علماء المغرب مثل،ا له دلالته الرمزية المؤكدة على دور الثقافة و مظاهر الالتقاء و التكافل على المستوى الروحي و الفكري فقد سعى الأمير من وراء الأمر إلى وضع ثقتهم فيه و إشراكهم معه في مسؤولية الرأي.

فهو لم يكن بحاجة إلى فتاوى فقهية صرفة، بقدر ما كان يريد بث دعوة ضمنية لعلماء فاس، و تحسسهم، بضرورة إعلان الجهاد، حيث حاول " توسيع الفضاء الحربي باسم الدين ليتمكن من العدو آجلا أم عاجلا.

المبحث الثالث:

الجهاد:

كثيرًا ما يختلط عند الناس مفهوم الجهاد بالقتال و المرابطة فقط، بينما الجهاد هو بذل الوسع و تحمل المشقة سعادة لما يحمله من معاني قدسية روحية قد تتحقق في السلم أو الحرب على حدٍ سواء[1] كما تبين في القرآن الكريم:(و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله) [2] (فلا تطع الكافرين و جاهدهم به جهادًا كبيرًا) [3].

فالجهاد إذن جزء لا يتجزأ من الإيمان، حيث يأتي في المرتبة الأولى، بعد أركان الإسلام الخمسة، حيث يرى بعض الفقهاء، أن الجهاد له درجة الوجوب كالأركان الخمسة [4]، لأنه فرض عين في دين عبادة، و تقوى و لكونه ممارسة ضرورية و لازمة لاسترداد كرامة المسلمين، و الواجب الإخلاص فيه فرديا وجماعيًا[5] مصداقًا لقوله تعالى: (و الذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين) [6]. فمعنى الجهاد لا يتوقف عند الدفاع المسلح، عن قضية عادلة بل له فلسفته و أبعاده كباقي العبادات الأخرى و هو بذلك يحتل مكانة هامة في الإسلام[7].

أ- ضرورة الجهاد و مقوماته:

لقد فرضت الضرورة على الأمير عبد القادر إعلان الجهاد، خاصة في ذاك الإطار الفكري الذي تحكمه النخوة الدينية، الممثلة للقوة الأساسية وراء العمل

---

(1) - -محمد لحبيب. بن خوجة، « دور الإسلام في الكفاح التحريري. »، في: ملتقى الفكر الإسلامي السادس، (13 جمادى الثانية- 1 رجب 1392هـ/ 24 جويلية- 10 أوت 1972م) ،بالجزائر، مج.1، قسنطينة، دار البعث،(1393هـ/ 1973)، ص.188.

(2) - سورة التوبة، الآية رقم: 41.

(3) - سورة الفرقان، الآية رقم 52.

(4) - حامد. الجار، « الجهاد و أبعاده الروحية و السياسية و الإجتماعية في حياة الفرد و المجتمع »، في: ملتقى الفكر الإسلامي العاشر، (2 رجب- 10 رجب 1396هـ/ 10- 19 جويلية 1976م) ، بعنابة، مج.3، قسنطينة، دار البعث، (1400هـ/1980م)، ص.286.

(5) - حامد. الجار، المقال نفسه، ص.286.

(6) - سورة العنكبوت، الآية رقم: 69.

(7) – حامد.الجار، المقال نفسه، ص.278.

السياسي و العسكري[1] فعندما وقع الاحتلال الفرنسي، أثيرت من جديد الحماسة الدينية وظهرت « الحرب المقدسة» [2] و كانت مبايعة الأمير، مؤشرًا هامًا على انطلاق الجهاد، بعد أن عهد محي الدين لولده بحمل الراية[3]، و بهذا التكليف حصل عبد القادر على مبايعة الجميع فكان الإمتثال لأمره[4]، و لأوامر الدين، بعد لجوئه للشعب ليوكن دولة فعلية على أنقاض العثمانيين و هو عامل حاسم في شرعيته و في جهاده[5].

و كان الأمير عبد القادر مؤمنًا بأن الدين هو العنصر الوحيد القادر على إعطاء الفعل و التصرف الإنساني (كالمقاومة) أبعادها الحقيقية، و اتجاهاتها الصحيحة و المقبولة[6] لهذا استمد الأمير شرعية القيادة من جميع المؤمنين الذين اعتبروه المدافع الأول عن الإسلام[7].

و قد حدد القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة أهداف الجهاد بوضوح.

فأولها استرداد الأرض السليبة و إرجاع أهلها إليها، لتعود دارا للإسلام تمارس فيها شعائر الإسلام بكل حرية، كما بين الله تعالى ذلك:(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا وينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) [8].

---

(1) - عبد العاطي.محمد أحمد « الإسلام و العروبة في المغرب العربي »، في: مجلة، قضايا عربية، السنة السادسة، االعدد الثاني، جويلية (1979)، ص.261.

(2) - عبد العاطي. محمد أحمد، المقال نفسه، ص.267.

(3) - الذكرى 48 لوفاة الأمير عبد القادر، في: مجلة الجيش، السنة الرابعة، العدد 03، (ماي 1967).ص.13.

(4) - محمد. بلغراد، المقال السابق، ص.49.

(5) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.76.

(6) - R. Mimoune, op. Cit, p.53.

(7) - سكوت. الكولونيل، المصدر السابق، ص.145.

(8) - سورة الحج، الآيتان رقم: 39-40

كما أن الجهاد يقام أيضًا لمساعدة المستضعفين أو لمنع الاضطهاد[1]، مصداقًا لقوله تعالى:(و مالكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و والدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها و أجعل لنا من لدنك وليًا و من لدنك نصيرًا) [2].

و ما فعله الفرنسيون في الجزائر، منذ وطأت أقدامهم الأراضي الجزائرية كان كافيا لإعلان الجهاد في سبيل الله. وتقديمه على كل الشعائر الأخرى.

شعر عبد القادر بأن الجهاد هو سبيله المقدس، نحو بلاده و نحو الله[3] وإنطلاق من عقيدته، معلنا الجهاد المقدس[4].

رغم العزلة التي كان يعيشها رجل الدين عن واقع عصره، ظل الجهاد بالنسبة له جزءًا لا يتجزأ من الإيمان القوي[5]، و لا يمكن أن يتخلف عنه مؤمن واحد، لأنه فرض حيث قال تعالى في الجهاد:(و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) [6].

و إذا عدنا إلى خطبة البيعة نجد الأمير يرتكز بكثرة على الجهاد[7]، ثم رضي بأخذ لقب (أمير المؤمنين) عن قناعة، حيث يخول له هذا اللقب، القيادة الدينية و الدنيوية للمسلمين[8]، « فكان الجهاد واجبًا يؤكده عليه وعيه بدينه» [9]. فموروثنا الديني فصـل

---

(1) - حامد.الجار، المقال السابق، ص.274.

(2) - سورة النساء، الآية رقم:76.

(3) - R. Mimoune, op. Cit, p. 53.

(4) - هنري. تشرشل، ، المصدر السابق، ص.89.

(5) - جمال الغيطاني، « الأمير عبد القادر، بعين فرنسية »، مقال سابق، ص.73.

(6) - سورة الحج، آية رقم: 78.

(7) - المصدر نفسه، ص.57.

(8) - كارل بروكلمان،المرجع السابق، ص.222.

(9) - حمزة بلحاج. صالح، « الأمير عبد القادر و منهج التغيير و منظومة القيم »، مقال سابق، ص.38.

في هذه المسألة و لم ينل فيها الخلاف الفقهي، حظه على غرار قضية تغيير المنكر و جهاد الحاكم [1].

ويرى الأمير عبد القادر أن المسلم ليس بذاك المتعطش للدماء و القتال، بل هو الذي يفرق بينهما، حتى و لو كان القِتال لهدف عادل و مشروع، لأن الجهاد يتطلب شروطا مُعينة:

أولها: أنه يتطلب إخلاص النية، شرط كل العبادات في الإسلام، ليبتعد المقاتل عن كل الأغراض الشخصية، و يسمو إلى منزلة المجاهد، من أجل إعلاء دين الله وكلمته تعالى[2]، فدينه هو الإسلام، و كلمته هي القرآن، وهو من خير زوجته -كما سبق وأن رأينا- بين البقاء معه مع إنشغاله بأمور الجهاد أو الإنفصال عنه[3] فالإسلام والقرآن قد أمرا بالخضوع لأوامر و نواهي الله جلّ جلاله، وبأن يجاهد هذا المسلم لإقامة نظام إسلامي متكامل، مصداقًا لقوله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى وودين الحق ليظاهره على الدين كله و لو كره المشركون) [4].

ثانيا: أن الجهاد مشروع بعد الظلم فهو لا يعرف الإعتداء و الظلم على غير المقاتلين في المواجهة كما قال تعالى:(و قاتلوا في سبيل الله و لا تعتدوا إن الله لا يحبُ المعتدين) [5].

ثالثا: أن الجهاد هو باب من أبواب الجنة، فالمقتول في ساحة الجهاد، يسمى شرقًا بالشهيد، لما سيلقاه من أجر و ثواب، لا يناله غيره في ساحات أُخَر [6]، حيث قال الله تعالى:(فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة) [7] .

---

[1] – حمزة بلحاج. صالح، « الأمير عبد القادر و منهج التغيير و منظومة القيم »، المقال السابق، ص.39.

[2] - حامد. الجار، المقال السابق، ص.28.

[3] - أنظر: الملحق رقم: 15.

[4] - سورة الصف، آية رقم: 09

[5] - سورة البقرة، آية: رقم 190.

[6] – حامد.الجار، المقال السابق، ص.281.

[7] - سورة النساء، آية رقم: 74.

رابعًا: ارتباط الجهاد بباقي العبادات، و أهمها الصلاة مما يعطي المجاهد خلاصًا متواصلاً لله، و حالة عالية من الاستعداد [1].

1- استعانة الأمير بالقبائل في الجهاد:

اعتبر الأمير نفسه المدافع عن الدين، واعتبر الشعب كذلك.

حيث يذكر لنا سكوت ذلك بقوله: « أن القبائل قامت بحمل السلاح للدفاع عن العقيدة الإسلامية و الاستقلال، ضد الغزاة لبلدهم و أعداء دينهم تحت راية مرابطها الممتاز» [2].

المستجيب لروح العقيدة الإسلامية [3]، و لهذا لم تبخله القبائل، حين طلب منها أن تمده بالفرسان حيث منحوه ما يفوق 400 فارس [4]، تجمعهم الوحدة الدينية.

و واصل عبد القادر في إعداد العدة، باستقدام المتطوعين، و تأليف السرايا، و جمع القبائل على راية الجهاد، نصرًا للعقيدة و تحريرًا للوطن.

و قد سمحت له انتصاراته بأن يذكر المسلمين، بما آلت إليه أوضاعهم، تحت حكم النصارى بقوله: « إنكم قد أصبحتم الآن تحت رحمة رومي يقاضيكم رومي و يدير شؤونكم رومي... إن الرومي قد انتهك مساجدكم و أخذ أحسن أراضيكم... أيها المسلمون إن الله قد وضع بسيفه الملتهب في يدي و أننا جميعًا سنمضي إلى الأمام، و نروي حقول وطننا بدماء الكفار. » [5] فجعلهم يؤمنون بإخلاصه في تغيير الوضع، و في عدالة الحرب، التي يقودها فلم يتخذ منها نهاية في حد ذاتها، بل حرص أن لا تفقد الجانب الإنساني، و لا الكرم العربي[6] فحرص كل الحرص على أرواح جنوده فكان أسبقهم إلى ساحات الجهاد طلبًا للشهادة.

2- اهتمامه بالجهاد و أهدافه:

كان هدف عبد القادر الأسمى، هو أن يجعل الجزائريين شعبًا واحدًا « باستمالتهم إلى المبادئ الإسلامية، و استدعائهم إلى فضائل أهل القرون الأولى للهجرة.

---

(1) - حامد.الجار، المقال السابق، ص.181.

(2) – الكولونيل.سكوت، المصدر السابق، ص.108.

(3) - عبد الحميد. شعابنة، المصدر السابق، ص.29.

(4) - سكوت، المصدر السابق، ص.109.

(5) R.Mimoune, Op. cit, p.130.

(6) - Ibid, p.50.

و إيقاظهم من الغفلة » [1] فقد كانت هذه المعركة الجهادية بالنسبة له صراعًا بين الخير و الشر، والعدل والظلم، والمقصود منها تحدي الدين الإسلامي و هذه العقيدة التي فرضها الله تعالى، فمقصود الأمير الفعلي هو المحافظة على هذا التراث الروحي و الفكري الذي أرادوا قتله و محاربته » [2].

وإن استجابة الأمير لروح العقيدة الإسلامية جاء لرفع راية الجهاد دفاعًا عن النفس مصداقًا لقوله تعالى:(قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [3].

وإن إيمانه وإخلاصه في الجهاد جعله يقدم كامل التضحيات، و لا يتردد في ذلك أبدًا مهما كان الثمن، لدرجة أنه كان لا ينام و لا يغمد سيفه لأسابيع طويلة [4].

و كان يعتقد أن ساعة واحدة في قِتال الكافر، أحسن من المكوث في مكة سبعين سنة[5]، و بذلك كان هدفه الأسمى، إعادة الأمة المجاهدة المحاربة للوجود والمعتمدة على الجيش النظامي، لا الجيش المرتزق الذي كان سائدًا في عصره[6] فجعل الجهاد يحتل مرتبة عظمى، و فضله على العبادة حيث يقول في إحدى قصائده:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تَلعب
ريح العبير لكم و نحن عبيرنا
وهج السنابك و الغبار الأطيب[7]

---

(1) - محمد. بن الأمير، المصدر السابق، ج1، ص.59.

(2) - الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.102.

(3) - سورة البقرة، الآية رقم: الآية 190.

(4) - جمال. الفيطاني، المقال السابق، ص.74.

(5) - عمر. بوزيان، المرجع السابق، ص.90.

(6) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.65.

(7) - محمد. بن عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر، المصدر السابق، ص.12.

و هو القائل: «أعرف ديني جيدا و أعرف أن ساعة واحدة في قتال الكفار أحسن للجندي من المكوث في مكة 70 سنة »[1].

وجعل من الصلاة فرضًا، في معسكرات الجيش، حتى لا يفقد المجاهد صلته برب و ليعلمهم أيضًا كيف تتكاثف الجهود و كيف تتحقق الوحدة زمن الحرب، بفضل الله و تأليفه لقلوب المجاهدين المخلصين، في نية الجهاد و الشهادة، فيمنحهم النصر.

3- الجيش:

أولى الأمير جيشه عناية كبرى، لأن الواجب الأول لقائد المجاهدين كان توفير قوة الجيش القتالية وتنظيمية، ولهذا ركز الأمير على دعامتين مادية ومعنوية.

المادية: وهي وفرة الجند وكثرة السلاح وحسن التدريب على عتاد عسكري حديث.

المعنوية: وهي الطاعة والانضباط والرحمة والثقة المتبادلة[2].

ولضمان ثبات هذه الدعائم سنى الأمير قانونا عسكريا خاص بالجند [3] لأن " وجود القانون يوحي بالدرجة الأولى إلى ضرورة الدفاع المنظم كما كان للقوة قانونا ينظمها كان لها هدفا تشكلت لأجله " [4] وهو محاربة العدو.

- شكل الجيش وهيكلته:

ولأن الدين يمجد إعداد القوة لمحاربة العدو:[وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخيل] [5]، شرع عبد القادر في إعداد جيشه وسماه باللواء المحمدي[6].

رغم بساطة هذه القوة المسلحة في بداية الأمر[7] بدء عبد القادر الجهاد وفتح المجال للتطوع بالنسبة للأفراد القادرين على حمل السلاح ما بين 15 و 20 سنة مقابل مرتبات وإمتيازات[8]. وهو ما أورده محمد بن الأمير عبد القادر بصيغة نداء:« ليبلغ

- عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.90[1]

- أديب.حرب، « رجال وتاريخ، عبقرية الأمير عبد القادر العسكرية »، في: مجلة أول نوفمبر، الجزائر، عدد 161، (1999)، [2] ص.ص، 27-29.

- راجع الفصل الثاني من العمل، عنصر الأصول. [3]

أحمد.ملاح، مرجع سابق، ص.90. [4]

سورة الأنفال الآية رقم: 08. [5]

– محمد.بن عبد القادر، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1، ص.191. [6]

– عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.89. [7]

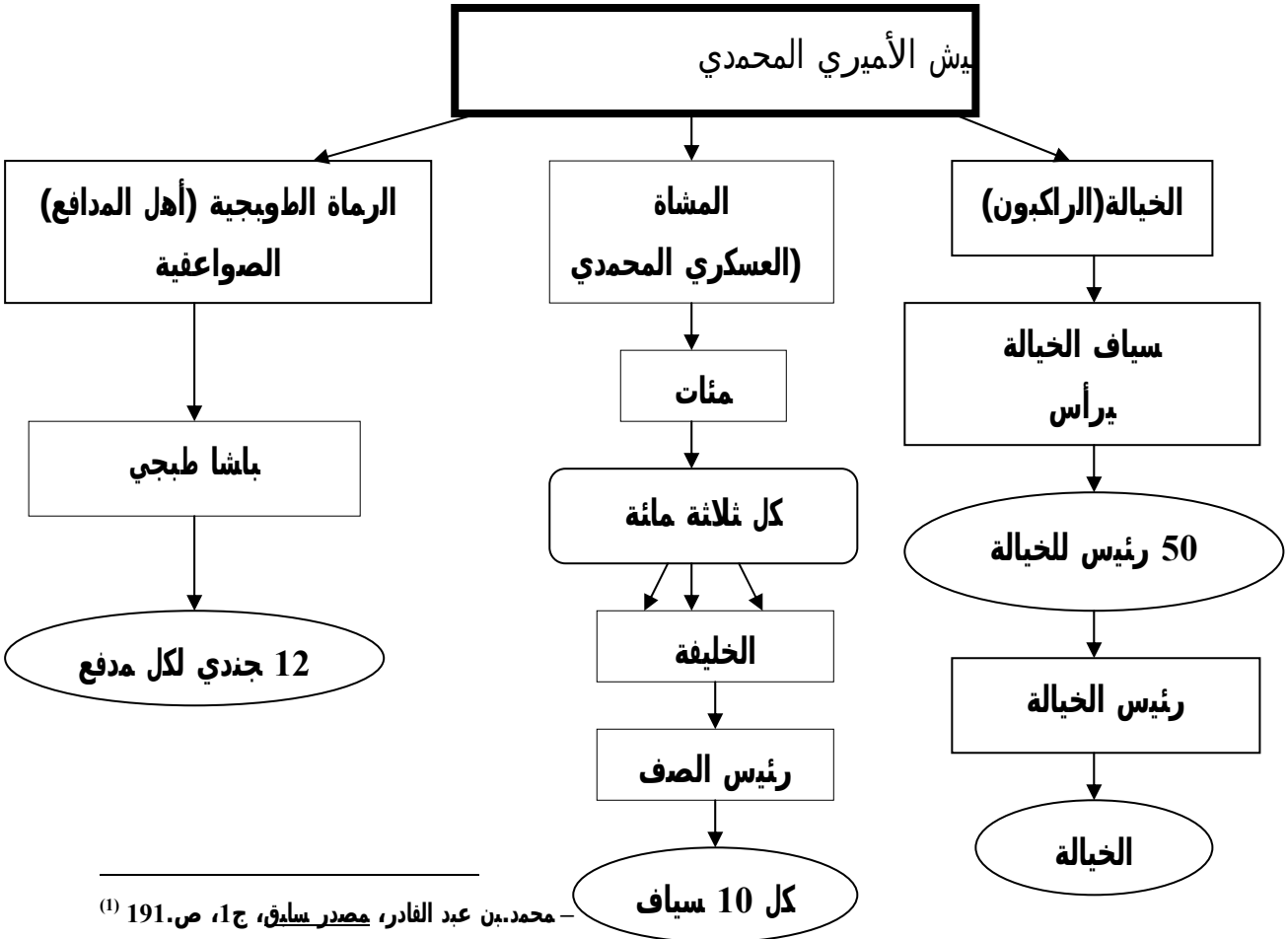
– ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.141. [8]

الشاهد الغائب أنه أصدر مولانا، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر في البلاد كافة، فمن أراد أن يدخل تحت اللواء المحمدي ويشمله هذا النظام فليسارع إلى دار الإمارة في مدينة معسكر لتسجيل إسمه في الدفاتر الأميرية »[1]

كما يورد راسلوف [2] مفهوم آخر للتشجيع على التطوع: أنه من يجند يصبح من أبناء السلطان[3].

وهو ما أورده شرشل بقوله:« إن كل من يرغب في أن يلبس لباسا أنيقا وأن يصبح إبنا للسلطان، عليه أن يأتي ويلتزم بذلك فإنه يحصل على راتب محترم وسيعفى من كل شيء» [4]

أما عن شكل الجيش فقد قسمه الأمير على النحو التالي[5]:



(1) – محمد.بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص.191

(2) – راسلوف: ضابط دانمركي في قوات الفرسان الملكية، أقام في الجزائر حوالي سنة ونصف وذلك عامي: (1840-1841م)، وهو صاحب كتاب: نظرة على الأوضاع العسكرية والسياسية في الجزائر في سنتي (1840-1841م). راجع: أبوالعيد.دودو، « جيش الأمير في نظر راسلوف »، في: مجلة الدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، عدد 11-12، سنة (2000)، ص.167.

(3) – أبو العيد.دودو، المقال نفسه، ص.172.

(4) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.140.

(5) - فدور.بنرويلة، مصدر سابق، ص.40.

- عدد الجيش وعدته:

بقي العدد المحدد لجيش الأمير، من الأمور الغير متفق عليها من قبل الذين تناولوا الموضوع بالدراسة والعرض ويعود هذا الاختلاف حسب راسلوف نفسه إلى:« أنه من الصعب معرفة التنظيم الذي يقوم عليه جيش الأمير عبد القادر، وخاصة فيما يتعلق من ذلك بالناحية الإحصائية، فالمسلمون لا يحبون فيما يرى أن يعرف أحد إحصائياتهم الدقيقة بأي شكل من الأشكال». ومع هذا لا بأس أن نورد بعض الإحصاءات[1]

التي تشير إلى أن عدد قوات الأمير بلغت 10.000 جندي منهم 8000 فارس [2] وبعضها تحددها بـ 22.000 [3]. وقد تمكن الأمير في البداية من تسليح جيشه بأسلحة جلها كان من صنع إنجليزي، وفرنسي، حصل عليها إما كغنائم بعد المعارك أو من الجنود الفارين أو بشرائها من المغرب الأقصى [4] فراسل الأمير على لسان مدير مصنع تلمسان المكلف بأعمال الأمير في فاس الحاج طالب بن جلون حول شراء الأمير لكمية من الأسلحة عن طريق هذا الوسيط، منها رسالتان، الأولى مؤرخة بـ: (16 جمادى الأولى عام 1254هـ الموافق لـ 8 أوت 1838م) ، يقول له فيها: " ما بعثته لنا من البارود و الأخبية وصلنا بارك الله فيك، وإن تجد في فضاء السلاح الجيد مثل الذي بيد السيد الطاهر، ولتكن المكاحل بتوافلها " ويقص هنا الطاهر أخ قائد معسكر الحاج بخاري وأيضا رسالة ثانية مؤرخة بـ (10جمادى الثانية 1254هـ الموافق لـ سبتمبر 1838م)، منها: " إن الله فتح علينا بهذه الجهة بوجود الخفيف، فإن لم تشتروا لنا منه ما في الجريدة فلا عليكم من ذلك، فإنا وجدنا منه عددا كثيرا وإن إشتريتم فزيادة ولا نصر فيها " وهذا دليل على جلب الرصاص من المغرب[5]. كما أنه كل عربي ضبط وبحوزته بندقية فرنسية عليه أن يبيعها ويحصل في المقابل على بندقية محلية من الأسواق المحلية[6].

---

[1] – أبو العيد.دودو، المقال السابق، ص.169.

[2] – عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.89.

[3] – سهيل.الخالدي، مرجع سابق، ص.24.

[4] – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.141.

[5] - Georges. Yver, « Abdekader et le Maroc en 1838 », In : Revue africain, N°60, année (1919), P.P, 93-99.

[6] – نفسه، ص.141.

رغم تنوع مصادر أسلحة الأمير إلاّ أنها لم تكن كافية لطول مدة الجهاد، ولهذا قرر الأمير صنع السلاح فأقام " مصاهر للمدافع ومطاحن للبارود ومصانع للأسلحة الحقيقية"[1].

بالإضافة إلى بناء المخازن ومستودعات الذخيرة [2] ويعود الفضل في صنع هذه الأسلحة، إلى تفتح الأمير واستخلاصه للدرس، بأن حاول تجديد حضارة ذبلت وشارفت على الأفول من خلال الاستفادة من حضارة الخصم، " وقد برهنت تجربته بأنه لا يعارض الأخذ بالحضارة الأوروبية مادامت لا تتعارض مع مبادئه فقد ألزم جيشه بالنظام الأوروبي "[3]. وقبل بالفارين أمثال الماريشال ديلوجي [4]، واستعان بخبرته العسكرية [5] علاوة على تعاقده مع بعض الفرنسيين، وبأمر من الحاكم العام للقيام ببعض الأعمال، مقابل رواتب مغرية[6] والجدير بالذكر أن الأمير لم يكتف بالتعاقد بأن جلب الخبرة التي تنقص جيشه الفتي، بل أحسن معاملة هؤلاء الفنيين بالسماح لهم بالعودة حين نقض السلام وكما وصى بحمايتهم مع تسليمهم كل أموالهم المتفاهم عليها، رغم عدم إنهائهم لنصف العمل المطلوب [7].

ومن أشهر الأوروبيين الذين إستعان بهم الأمير في صنع السلاح، الإسباني: (دون خوسي)، الذي أدار مصنع المدافع بتلمسان [8] والخبير الفرنسي: دوكاس (Decasse)، الذي أنشأ مصنعا بمليانة مخصص للبنادق والبارود[9].

---

(1) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.86. أنظر: الملحق رقم: 18.

(2) – نفسه، ص.66.

(3) – نفسه، ص.23.

(4) – ديلوجي: ملازم سابق عمل بمركز سيدي خليفة بعد أن تركه مكانه، سجن سنتين ثم فر للأمير. راجع: أدريان. بيروجير، مقال سابق، ص.194.

(5) - المقال نفسه، ص.194.

(6) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.204.

(7) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.204.

(8) – سكوت.مصدر سابق، ص.66.

(9) – المصدر السابق، ص.139.

كذلك كان الاهتمام ذاته بالتدريب على أيدي ضباط فرنسيين مسرحيين سمح لهم بذلك [1] وآخرين استقدمهم من باريس بعقود تقضي بأن يقوم الخبير بتعلم العربية وتدريبهم على السلاح وصنعه واستعماله[2].

لم يسلم الأمير من التعرض للخيانة باستعمال الفرنسيين في مواجتهم مع الأمير القيم الأخلاقية التي لا يحيد عنها، وتسامحه ومعاملته الحسنة لزائريه وضيوفه الذين كادوا له [3] ومنهم ليون روش[4]، الذي إلتحق بالأمير بعد تافنة (1837م/1243هـ) والتي سمحت كما هو معروف للمسلمين بالعيش والتنقل حيثما أرادوا[5] ، بعدما أظهر إسلامه مع حاكم مدينة البليدة، احتك بقدور بن رويلة الذي قدمه للأمير،[6] باسم عمر.

استعمل روش تعاليم الإسلام العادلة واشتكى للأمير، ظلم البوحميدي، وأنه لا يعامله كمسلم، فعوضه الأمير بأن طلب من قاضي معسكر أن يعلمه، وأن يصرف على تعليمه تعاليم الإسلام [7] من بيت مال المسلمين [8] وزوجه من إبنة (ابن نونة) حاكم تلمسان [9] سابقا ومعارض الأمير، كما رعاه في مرضه رعاية خاصة[10].

---

(1) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.26.

(2) - سكوت.مصدر سابق، ص.88.

(3) – ناصر الدين.سعيدوني، المرجع السابق، ص.ص، 221-222.

(4) – ليون روش: ولد في: (27 سبتمبر 1224هـ/1809م) بغرونوبل (فرنسا وتوفي في نفس المدينة في: 2 جوان(1319هـ/1901م)، كان محبا للمغامرة، كلف بمهام تجارية، وكان والده (الفونسو روش)، ملحق بخدمات العتاد العسكري في الجزائر إستدعى والده للجزائر (1248هـ/1832م)، تعلم بها العربية بمساعدة أرملة وكيل الخرج (نفيسة) على يد معلم يدعى عبد الرزاق بن سبيط، عمل روش كمترجم محاف بحضور اللجنة الإفريقية، دخل المدينة كضاط في فرقة الحرس الوطني إلتحق بالأمير عام 1837 وعمل كاتبا لسره، أثناء فترة المعاهدة مع فرنسا، فخدعه وتجسس عليه ثم عاد إلى صفوف جيشه. راجع:
Léon.Roches, Trente-deux ans à travers l'islam, (1834-1844), Paris, Librairie académique Didier perrin et C^ie^, libraires, D'éditeurs, (1904), P.P, 01-05.
وأيضا: يوسف.مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر، والمغرب (1832-1847)، مرجع سابق، ص.ص، 13-20. وأيضا: يوسف.مناصرية، « مهمة ليون روش في المغرب ومحاولة الإيقاع بين السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر (1845-1847) »، في: مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير، (1983)، ص.25.

(5) – يوسف.مناصرية، مرجع سابق، ص.23.

(6) – نفسه، ص.ص، 23-25.

(7) - نفسه، ص.28.

(8) - نفسه، ص.29.

(9) – سكوت، مصدر سابق، ص.170.

(10) – المرجع السابق، ص.31.

وما كان من روش إلاّ أن نصح الأمير بشراء الجرائد الفرنسية للتقرب منه أكثر كما كان يترجمها له[1]، وليتمكن كذلك من أداء مهمته التي آذت ثقة الأمير الإسلامية فيه " فإطلع على مصدر قوة المسلمين ومنبع جيوشهم المتمثلة في تمسكهم بدينهم" [2] فهو من أوحى لبيجو بفكرة نيل فتوى من علماء تونس بتحريم قتال أهل الكتاب [3]، وهو من قام بمهمة الاتصال بأمير مكة للتأكد من علاقة الأمير به[4].

وهو كذلك من لعب دورا هاما في إذكاء نار الفتنة في حملة الأمير على عين ماض[5] وكذلك مع مولاي عبد الرحمن ضد الأمير[6]. بنقل كل رسائل الأمير وعبد الرحمن سلطان المغرب لفرنسا عن طريق قنصل فرنسا في معسكر[7].

ويتكرر الأمر مع غارسان[8] الذي استغل وجوده قرب الأمير ليطلع فرنسا على مراسلاته، بخصوص عرض خدمات الالتحاق به من شخصيات هامة بالعاصمة[9] وكذلك أسرار أخرى.

ولتكتمل خطة الأمير من هجوم بإعداد السلاح عمد إلى خطة دفاع عن طريق بناء الحصون.

- الحصون والقلاع الحربية:

إن طموحات الأمير إلى الانتصار لم تجعله يغفل السهر على سلامة رعيته وأرواح المدنيين في المدن، فلجأ إلى بناء الحصون، خاصة بعد سنة (1254هـ/1838م)[10] حيث يقول الأمير عن الحصون التي شيدها:«لقد أقمت على

---

[1] – أدريان.بيربروجير، مقال سابق، ص.210.

[2] – يوسف.مناصرية، مرجع سابق، ص.33.

[3] – نفسه، ص.40

[4] - الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.ص، 60-61.

[5] – ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.222.

[6] – يوسف.مناصرية، « مهمة ليون روش في المغرب »، مقال سابق، ص.ص، 25-26.

[7] – سكوت، مصدر سابق، ص.170.

[8] – غارسان: عمل كممثل لأحد البيونات التجارية بالمغرب، تعلم العربية، وعمل كتقني في مصنع الأسلحة بالمدية ثم كمترجم أو وكيل تجاري من مرسيليا لمصانع الأمير، هرب على إثر هروب ليون روش ناقلا معلومات هامة عن الأمير.

[9] –Marcel.Emérit, d'Algérie à l'époque d'Abdelkader, collection de documents inédits sur l'histoire de l'Algérie 2 e série documents divers IIV, Paris, Larose, (1951), P.298.

[10] – بعد إحتلال تلمسان في: 13 جانفي 1836 ومعسكر في: 2 جويلية 1835. راجع: بسام.العسلي، مرجع سابق، ص.47.

حدود التل عدد من الحصون كلفتن أموالا طائلة... تقع من جهة الغرب في سبدو[1] وفي سعيدة[2] بالنسبة لجنوب تلمسان وفي تاقدامت [3] بالنسبة لجنوب معسكر وفي تازة [4] بالنسبة لجنوب شرق نفس المدينة وفي بوغار[5] بالنسبة لجنوب مليانة وفي بلخورط[6] جنوب شرق مدينة الجزائر بالنسبة للمدية وأخيرا في بسكرة [7] بالنسبة لجنوب قسنطينة» [8].

ب- معاملة الجند ونوعية المعارك:

كان الأمير عبد القادر يراهن على الجانب المعنوي كركيزة لقوة جيشه -كما سبق وأن ذكرنا- ولهذا اعتمد على سياسة مجاهدة النفس مع جنده وعلى البساطة والتواضع[9] مع ترويضهم على السهر كي لا يطغى عليهم الكسل [10] شحذا للهمم من خلال الشعارات الدينية المشجعة والمكافآت المتمثلة في الرتب العسكرية والمادية [11].

1- اهتمام الأمير بسلامة وصحة جنوده:

كان الأمير يمجد الروح البشرية ولهذا كان حريصا على سلامتها بقوله:

---

(1) – سبدو: تقع جنوب غرب تلمسان تبعد عنها بنحو 38 كلم، أسس هذا الحصن محمد البوحميدي الولهاصي، حطام في:(1257هـ/ 9-02-1842)، 26 ذي الحجة. راجع: عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص.249.

(2) – سعيدة: تقع جنوب تلمسان إبتناها مصطفى بن التهامي والحاج بوقاري في 18 جانفي 1839، دمرت على يد بيجو في: 6 رمضان 1257هـ الموافق لـ 22 أكتوبر 1841. راجع:
Rachid.Bourouiba, « Places fortes et établissements militaires fondés par l'émir Abdekader » in : Madjallat et tarikh , (centenaire de mort de l'émir Abd-el-Kader (1883-1983) : numéro spécial centre matériel d'études historiques, Alger, (1983), P.35.
وأيضا:عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص.249.

(3) – تاقدامت: جنوب معسكر وقد سبق الإشارة إليها.

(4) – تازة: أو طازة تقع بجبال الونشريس على بعد 12 كلم شرق مدينة ثنية الحد شيدها الأمير ما بين سنتين (1838-1839)، كانت مكان الإبداع الأسرى الفرنسيين، تحطم هذا الحصن في 26 ماي 1841. راجع: Rachid Bourouiba, Opcit, P.P, 37-41.

(5) – بوغار: تبعد عن قصر البوخاري بحولي 8 أميال شيدت في: جمادى الأولى 1255هـ الموافق لـ جويلية 1839 ودمر في: 1ربيع الثاني 1257 الموافق لـ 23 ماي 1841. راجع: عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص.249.

(6) – بلخورط: أو الخروب جنوب شرق مدينة الجزائر، مقابلة للمدية وجعل بها خليفته بن سالم. راجع: إسماعيل.العربي، الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص.52.

(7) – بسكرة: قاعدة الأمير جنوب قسنطينة.

(8) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.135.

(9) – فدور.بن رويلة، مصدر سابق، ص.44.

(10) – أحمد.ملاح، مرجع سابق، ص.ص، 92-95.

(11) – راجع: الفصل الثاني ما يخص كتاب: وشاح الكتائب

ما نبالي إذا أرواحنا سلمت
بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والجاه مرتجع
وإذا النفوس سلمت من العطب[1]

ولهذا كان يخاطر بحياته لإنقاذ الجرحى من أرض المعارك[2].

في نفس السياق اهتم الأمير بإحداث المشافي العامة والخاصة والمستوصفات في المقاطعات، ومشافي خاصة للجنود تتنقل معهم في مواقع المعارك.

بالإضافة إلى اهتمامه بالبناء، عين الأمير لكل مشفى أربعة أطباء ذوي كفاءة يرأسهم طبيب متمرس في الميدان [3] ومن مشاهير الأطباء في عهد الأمير، الحكيم (بن زرقة)[4] والذي كان ممتازا بشاهدة ضباط العدو، مما جعل الأمير يواصل له العطاء في جميع الظروف وحتى في حالات انعدام المال والغذاء [5] إيمانا من الأمير بضرورة توفير الجو الكامل للعمل الطبي الذي يسعف المجاهدين ويخفف الآلام المصابين.

كما يذكر لنا صاحب التحفة، طبيب آخر هو أبوعبد الله الزروالي والذي توصل إلى تركيبة أعشاب تخرج الرصاص من المصاب دون جراحة ولا ألم [6] مما يؤكد على إهتمام الأمير بالصيدلة التي ترافق النشاط الطبي كنشاط علمي يخص تركيبة الأعشاب الفيزيائية والكيميائية[7].

كما استدعى الأمير أطباء من فاس والرباط وتونس لنقل العلوم الطبية في المعاهد للطلبة المتفوقين دافعا، أموالا كبيرة لشراء الكتب العلمية والطبية.[8]

---

(1) – نقلا عن: الأميرة بديعة الحسني، فكر الأمير، مرجع سابق، ص.122.

(2) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.64.

(3) – الأميرة بديعة.الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.120.

(4) – الحكيم بن زرقة: ولد في بداية القرن 19 بأحد الأحياء العتيقة بتلمسان قرب مسجد سيدي إبراهيم. راجع: جيلالي.صاري، « الحكيم بن زرقة طبيب وجراح جيوش الأمير عبد القادر »، في: مجلة الرؤية، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، السنة الثانية، العدد 03، (1997)، ص.82.

(5) – جيلالي.صاري، المقال نفسه، ص.ص، 86-88.

(6) – الأمير محمد.بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص.203.

(7) – الأميرة بديعة.الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.120.

(8) - الأميرة بديعة.الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.120.

وتتواصل رحمة الأمير الإنسانية بجنوده من خلال ما سبق وأن وضحناها في قانونه العسكري والذي كان واضحا بخصوص الجرحى والمرضى وعائلات الشهداء.

فمثلا يقول: في إحدى بنوده:«إذا جرح في القتال جرحا يمنعه من المشي ولا يقدر على القتال راكبا فيجعله السلطان –نصره الله- خيالا، وإن تعطل بالكلية فإنه يجرى عليه راتبه إلى أن يموت»[1].

وكذلك هي الرحمة بمن وهبوا حياتهم للجهاد والشهادة وسبقهم المرض إلى ذلك، بأن يأخذ المعني نصف راتبه إلى أن يموت وهو نظام للتعويض سبق به الأمير الكثيرين.

وفي حالة الاستشهاد يبقى الراتب جاريا لأولاده إلى أن يقدر أحدهم حمل السلاح [2]

فكر الأمير في كل الأمور، وأولها الحياة التي كان يريدها أفضل للجميع وبكرامة.

2- غذاء الجند:

اهتم الأمير بغذاء جنده قدوة بالنبي داود عليه السلام [3].

ويورد لنا تشرشل مثالا حيا على إيثار أصحابه على نفسه في الأكل فيقول:« ذات يوم قدم على عبد القادر جنوده فرحين بإيجادهم لقطيع من الغنم، وألحوا عليه ليتناول وجبة طعام دسمة لكنه قال خذوها إلى جنودي الذين يكادون يموتون جوعا وعاد هو إلى ثمار البلوط»[4].

---

(1) – قدور.بن رويلة، مصدر سابق، ص.43.

(2) – نفسه، ص.43.

(3) – جين ورد سيدنا داود بيت لحم وكان ضمآن فإمتنع عن شرب الماء وأصحابه اشد ضمأ. راجع: بديعة الحسني، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.54.

(4) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.211.

3- **نوعية المعارك الجهادية:**

اعتمد الأمير على مبادئ قتالية منها الكر والفر والتجسس[1] بخوضه للحرب السيكولوجية السرية إلى جانب الحرب الكلاسيكية[2].

في إطار الدفاعات الأمنية أقام شبكة استخبارات، تطلعه على ما يجري في الدوائر الفرنسية بالعاصمة وفي وهران، وتمده بالمعلومات عن مراكز القيادة الفرنسية حتى في باريس، باتصاله بفرنسي متقاعد مقابل خدمات[3] مطورا بذلك الجوسسة التقليدية، بأن جعل منها منظومة حديثة تزوده بالمعلومات، وكل ما يجري في باريس، من خلال أقوال الصحف الفرنسية فيها وفي غيرها من كبريات المدن[4].

بالإضافة إلى أسلوب ترهيب العدو بالتكبير والتهليل، تشجيعا لجنوده المنزعجين والمنهارين[5] أحيانا " وكأنه خلق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع... وأن القوى الشديدة تعمل كالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها، فالأمير قد عدى جنده بقوة شجاعته"[6].

كما اعتمد الأمير على مبدأ الحوار مع خلفائه وجنده ومنها رده على رسالة (ابن سالم)[7] التي تدل على الإخلاص المتبادل والحب الموجه للهدف الواحد وهو الجهاد والنصيحة حيث يقول: «كن شجاعا واجمع قواتك بين وقت وآخر وشد من عضدهم وصارحهم برأيك السديد وخذ بآرائهم ولا تهملها، وتحمل هفواتهم ولا تتهاون مع المتخاذلين منهم»[8].

ولعل هذه الرسالة تلخص سياسة الأمير مع جنده بين الليونة والشدة بين الرحمة والصلابة.

---

(1) - الأمير محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج1، ص.152.

(2) – مولاي.بلحميسي، « الإستخبارات العسكرية ودورها في إستراتيجية الأمير عبد القادر »، في: أخبار معسكر، نشرية ولائية تصدر عن ولاية معسكر، العدد 03، (2001)، ص.26.

(3) - M.Emerit, l'Algérie à l'époque d'Abdekader, Opcit, P.290.

(4) - محمد.الميلي، « أخلاق الفروسية والإعتبارات الإنسانية ظهور الأمير عبد القادر وبناء دولة حديثة »، في: مجلة الحدث العربي الدولي، عدد 34، ديسمبر (2003)، ص.14.

(5) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.101.

(6) - محمد.عبد الوهاب فايدة، « الأمير عبد القادر وتحرير الجزائر »، مقال السابق، ص.1365

(7) – راجع: هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.227.

(8) – نقلا عن: الأميرة بديعة، فكر الأمير، مصدر سابق، ص.120.

4- الاستشهاد (الـشـهـادة):

إن المؤمن الحق هو الذي تدفعه الرغبة في الاستشهاد كون هذه الشهادة لها فائدتها في الدارين الدنيا و الآخرة.

إن قوة هذه الفكرة هي التي سمحت للأمير بأن يكون، جيشًا كبيرًا في زمن محدود[1] حيث كان الجنود يلتحقون بالمعارك، لغرض واحد هو أن يلتحقوا بالجنة الموعودة لهم[2]، و لعل مقولة الإمام علي أبي طالب تعبر بصدق عما كان يشعر به هؤلاء المجاهدون:« إن الماهدين قد باعوا أرواحهم و اشتروا الجنة» [3]، توضح ذلك ليقاتلون بشجاعة واستماتة كي يصلوا للجنة دون المرور بالصراط[4] و هذا ما مكنه صحبة جيشه من سحق طلائع القوات الفرنسية[5] اتباعا لقوله تعالى:(فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة) [6] ورغم اتهامات بعض الأوربيين لجنوده، بأنهم يتوقون، للموت لا للقتال، يبقى نصف هذا القول صحيح، لكن الموت من أجل تحقيق غاية وهي التحرر و رضي الله عزّ و جلّ ونيل الجنة.

فما كانت الشهادة بالنسبة للأمير إلاّ حافزًا لتغذية روح التضحية بالنفس، إيمانًا بتحقيقتها، و تبقى نظرة الأوربيون ذاتها للجهاد و الاستشهاد عند المسلمين، حيث يذكر لنا كذلك إيميريت (Emerit)، في مقال له:« أن هذه الحرب مطبوعة بتعصب أعطى أقصى درجات التضحية » [7].

فالجهاد و الاستشهاد هو الطريق المفتوحة إلى الجنة [8]، و يقول الأمير لجنوده في هذا الصدد: « أن راية الجنة في ظل السيوف » [9].

---

(1) - الكولونيل.سكوت، المصدر السابق ص.110.

(2) – نفسه، ص.45.

(3) – نقلا عن: روجي. البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة و الأقوال الخالدة، ط.2، بيروت، دار العلم للملايين، أفريل (1999)،ص.371.

(4) – الكولونيل.سكوت، المصدر السابق ، ص.110.

(5) - ناصر الدين. سعيدوني، المرجع السابق، ص.158.

(6) - سورة النساء، الآية رقم: 74.

(7) - M. Emerit, «un problème de Distance moral», op. cit, p.130.

(8) – سكوت، المصدر السابق، ص.91.

(9) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.58.

كما لا ننسى أن الأمير هو ذاك الصوفي المقتنع بفكرة الفناء، عن طريق الشهادة في ميادين الجهاد [1]، قبل أن يكون فناء التأمل، فكان بذلك نموذجًا حيًا للمسلم العامل على يقظة مجتمعه، بإحياء الجهاد الحق و بالانتصار على العدو وعلى النفس قبل كل شيء.

حضر الجهاد عند الأمير بنوعيه الظاهري و الباطني، يُكمل كل واحد منهما الآخر.

فالعدو الباطن هي النفس الأمارة بالسوء، و التي قد تبعد المرء عن الجهاد و عن الشهادة، لكن حين يتمكن المؤمن منها و يجاهد نفسه أولاً، يصل حتمًا إلى جهاد العدو و طلب الشهادة حيث أن أسلحة الجهاد النفسي كثيرة، استوحاها الأمير عبد القادر من القرآن و السنة كالوضوء و الصلاة و ذكر الله.

فالجهاد الظاهري لا يتأتى إلا بجهاد النفس، فالأول يهدف إلى الجنة لكن من خلال الثاني، الذي يهدف في الجنة إلى مشاهدة الحق و الجمال المطلق [2].

إذن نستنتج أن معنى الجهاد عند الأمير لم يتوقف قط عند الدفاع عن قضيته المشروعة، بل حمل أبعادًا و معاني. منها أن الهدف من الجهاد ليس المقصود به إهلاك المخلوقات والتخريب لأنه ضد الحكمة الإلهية بل المقصود دفع المعتدي وأذاه للإبقاء على الفاضل.

جـ- معاملة الأسرى:

لعل من أهم ما زاد في القيمة التاريخية لشخصية الأمير، تلك المواقف الشهيرة لمعاملته الراقية للأسرى، والتي أعطت صورة مثالية لما ينبغي أن يكون عليه الرجل المصلح المعبر عن الشخصية المسلمة [3].

إن تشبع الأمير بقيم الحضارة الإسلامية منذ صغره، هو الذي جعله يفهم حقيقة معاملة الأسير « و هو بذلك التكوين الحضاري العميق ذي الأبعاد الإنسانية **المشبعة بكل معاني الرفي، كان يعرف جيدًا و يُطبق قوانين الحرب كما عاشها الرسولε** » [4].

---

(1) - حامد. الجار، المقال السابق، ص.285.

(2) - نفسه، ص.ص، 283- 284.

(3) - عبد الحميد.ساحل، المرجع السابق، ص.66.

(4) - علي.عزوزي، « الأمير عبد القادر و الأسرى »، في: ملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، عدد خاص، عن دار الأمة، (2001)، ص.192.

فعن أنس بن مالك (رضي) أن رسول الله ε كان إذا بعث جيشا فإنه يقول:
«انطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخًا فانيا و لا طفلاً صغيرًا و لا امرأة ولا تغلو و لا تغدروا ولا تمثّلوا و لا تقتلوا وليدًا و ضموا غنائمكم و أصلحوا و أحسنوا».
كما كان يوصيهم بأن لا يقطعوا الأشجار أو يحرقوا الزرع، و لا يتعرضوا حتى للناسك في حال العبادة... و أن لا يجهزوا على الجرحى، وفي هذه التعاليم دون أدنى شك قيم إسلامية هامة، جعلت الأمير يأمر بها لرجاله من خلال عدم قتل الأسرى الذين عرفهم الإسلام من خلال الآية الكريمة:(و أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم و قذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون و تأسرون فريقا) [1] و لهذا أجاز الأمير من يأتيه بالأسرى أحياء [2].
و ليكون هذا الأمر قاطعًا جعله عبد القادر في مرسوم وطني، عن معاملة الأسرى دعا إليه خلفاءه من الآغوات و القادة و رؤساء القبائل، حتى وصل عددهم إلى ثلاثمائة شخص و ألقى عليهم خطبة، في موضوع آيات تدل على حسن معاملة الأسرى [3].« فلقد تقرر أن كل عربي يحضر جنديا فرنسيا أو مسيحيا قيمتها ثمانية دولارات على الذكر و عشرة على الأنثى» [4].

فكل عربي في حوزته فرنسي يعتبر مسؤولا عنه حسب معاملته، هو فإن وفق في الحفاظ على هذه الأمانة يأخذ مكافئته و إن فشل بشكوى من السجين بعد إساءة معاملته فإنه يُحرم من الجائزة [5].

وكان غاية الأمير أن يعامل الأسرى، وفق قانون الأسرى إلى أن تحين مبادلتهم فتكون الاستفادة هامة، و كل من يأتي برأس أسير يعاقب بالجلد على **رؤوس** الأشهاد[6] و كدليل على هذا الأمر، اختبر الأمير أحـد جنوده الذي أتاه برأس أسيـر

---

(1) – الأحزاب الآية رقم: 26.

(2) - جرجي.زيدان، المقال السابق، في: مجلة الهلال، ج5، ص.198.

(3) – هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.207.

(4) – نفسه، ص.207.

(5) – نفسه، ص.207.

(6) – علي.عزوزي، « الأمير عبد القادر و الأسرى »، المقال السابق، ص.194.

ليخلق من الحادثة العبرة. وليثبت خطأ الجندي و يبرر عقوبة ومن أهم هذه الأسئلة. أين كانت بندقيتك عندما كنت تقطع رأس الأسير؟ و كيف تستطيع حمل الرأس وتكون في وضع تتمكن فيه من استعمال بندقيتك عند اللزوم [1].

1- رحمة الأمير بالمرأة الأسيرة:

كان منظر النساء السجينات يزعج الأمير عبد القادر، حتى أن مجرد التفكير في أن تصبح المرأة ضحية للحرب كان في حد ذاته مصدر قلق دائم له [2].

و لهذا كان يوصي فرسانه، و يقودهم في الهجوم «لا تتعرضوا للحريم، أما أولئك الكلاب فعاملهم بما يستحقون» [3].

و صادف الأمير أن أحضر له أحد فرسانه أربع فتيات كغنيمة حرب هامة، فأدار وجهه اشمئزازا، وقال في سخرية، أن الأسود تهاجم الحيوانات القوية، أما أبناء آوى فتسقط على الضعيفة منها [4].

عقلها الراجح، و من روحها الطمأنينة و العزاء لروحه المضطرم [5].

و لهذا كان يحضر الأسيرات، من السيدات الفرنسيات جميعا إلى الزمالة، ولأن معضمهن تعرضن كغيرهن من الجزائريات، إلى حمى البر داء (الملاريا)، ما عدا طفلة إسمها ماريا، حسب سكوت أرسلت إلى مليانة، لتسلم إلى الفرنسيين مع غيرها من الأسرى في إطار تبادل الأسرى[6] .

و ما تبقى منهن، كانت ترعاه أم الأمير، عناية فائقة، حين جمعهن في خيمة قريبة من خيمتها المحروسة من طرف زنجيات، وفي كل صباح تهديهم الزيت والزبدة واللحم.

---

(1) – علي.عزوزي، « الأمير عبد القادر و الأسرى »، المقال السابق، ص.194. نقلا:عن: هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.95.

(2) – هنري.تشرشل، نفسه، ص.203.

(3) – نفسه، ص.134.

(4) – نفسه، 203.

(5) – فائزة.عبد المجيد، المقال السابق، ص.56.

(6) – سكوت، مصدر سابق، ص.91.

كما كانت عنايتها بالمريضات منهن تتمثل في منحهن الشاي و السكر و القهوة و كل شيئى قد يخفف عنهن الألم و يُوفر لهن الراحة [1]. من مواد غذائية ضرورية وحتى كمالية [2].

وكان الأمير يستقبل الأسرى استقبالا مسؤولا ليقتادوا بعد ذلك إلى مقر أقرب خليفة بغرض الفحص. و يجري لهم بعد ذلك إستجوابا بخصوص الكتيبة التي كانوا فيها وعن تاريخ أسرهم، و عن المعاملة التي قوبلوا بها، ليُرسلوا إلى مراكز خاصة باستقبال الأسرى الرجال إلى تازة[3] و تاقدامت[4] و النساء إلى الزمالة[5] حيث يتوفر الأمان والمعاملة الخاصة من الأمير.

و قد وصف أحد الأسرى، معاملة الأمير، مبينا تواضعه مع الأسرى قائلا: «عندما مررت بالسلطان حياني بجلال فريد، و ابتسامة مدهشة و أشار إلي بيده للجلوس... ثم سألني رأيي في بناء تحصينات، فأجبته بأنا تظهر لي جيدة... و يبدو أنه قد سر كثيرًا من جوابي». [6]

كما تدل هذه الشهادة على حرية تنقل الأسرى في معسكر الأمير، و هذا ما أكده بالفعل سكوت حين قال:« و الحكومة هنا تسمح للأسرى جميعهم بالخروج و التجول في المدينة، حيث أنه لا يوجد أي خطر، بإمكان هروبهم فلو هرب لكان ذلك معناه الموت المحقق» [7].

نفهم أيضا من قول سكوت أن أأمن مكان الأمير هو معسكر حيث يتمتع بحماية تامة إلى أن يحين موعد تبادل الأسرى و أن خارج المعسكر لا يضمن التطبيق الكامل لأوامره وتحريمه لقطع رؤوس الأسرى و تجاوز ذلك مرده إلى الوحشية إلى تأتي **بها** الحملات الفرنسية فتنتشر بذلك روح الإنتقام من أي فرنسي حتى و إن كان أسيرًا

---

(1) – هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.204.

(2) – علي.عزوزي، المقال السابق، ص.196.

(3) – تازة: برج من أبراج الأمير.

(4) – تاقدامت: المدينة التي عمرها الأمير بعد أن ضرب الفرنسيون معسكر عام 1835 فأراد الأمير بتاقدامت إنشاء عاصمة داخلية بعيدة عن متناولهم، راجع: أبو القاسم سعد اله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 5، ص.2000.

(5) – الزمالة: هي مدينة الأمير المتنقلة.

(6) – هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.138.

(7) – سكوت، المصدر السابق، ص.67.

تائها[1] «أخفى الفرنسيون رحمة الأمير بالأسرى، لدرجة أن أحد القادة قال:« ينبغي لنا أن نخفي هذا الأمر و نكتمه عن العسكر لأنم إن عملوا به لا يأتى لنا أن نحارب عبد القادر بالترتيب المناسب» [2]، و يؤكد لنا سكوت أن كل التقارير التي كان يكتبها الفرنسيون عن الأسرى هي تقارير مُزيفة تزعم أن الأسرى، لا يلقون أية عناية «و إن هذه الأقوال مخالفة للحقيقة تماما»[3].

كما نجد موقفا كريما و شجاعا نادرا في تاريخ الحروب سجله الأمير، بدافع من حكمته و وزن للأمور، حين حاول ضابط شاب فرنسي أن ينتحر، خوفا من الأسر منع أولاً ثم سأله الأمير عن دافع ذلك فأجابه:« أن العرب يذبحون الأسرى و هو يفضل أن يذبح نفسه بيده» ورد عليه الأمير قائلا:« لقد كذب عليك من قال لك هذا، فأنت من الآن حر طليق... عد إلى قومك و قل لهم أني معجب بشجاعة جنودهم، و أني لست كما يظنون من شاربي الدماء»[4].

2- موقف الصارم ضد التمثيل بالقتلى:

يُعد قتل الأسرى في الإسلام أقرب إلى التحريم منه إلى الإباحة، لأن الرسول ε أوصى بذلك في فتح مكة «ألا يجهرن على جريح و لا يتبعن مدبر و لا يقتلن أسير و من أغلق عليه بابه فهو آمن» .

رغم أن عادة قطع الرؤوس كانت جارية في المعارك أو خارجها أيام الحروب لكن الأمير رفضها، و أمر بعد معركة المقطع 1835 إلى 1251هـ التي امتعض فيها من منظر القتلى المقطوعة رؤوسهم، بعدم تكرار هذه الأساليب بكل صرامة مصدرا أوامر واضحة، ناهية مطبقة لردع هذه الأشانيع، و لمعاملة الأسرى بكل عدل ورجولة حسب ما تنص عليه الرحمة في الإسلام[5]، و كان يسانده في هذا أشهر

---

(1) – الكولونيل.سكوت، المصدر السابق، ص.67.

(2) – محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص.467. أنظر: هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.204.

(3) – سكوت، المصدر السابق، ص.67.

(4) – جبيب جاماتي، «من أبطال العرب عبد القادر الجزائري »، في مجلة: الهلال، المصرية، القاهرة، 1 فيفري 1951، مجلد 59، ج2، ص.74.

(5) - علي.عزوزي، « الأمير عبد القادر و الأسرى »، مقال سابق، ص.193.

قادته [1]، و لعل أقوى نموذج لمعاقبة الأمير لرجاله العصاة المذنبين في حق الأسرى سواء كانوا أحياء أو موتى هذا الحوار مع جندي له:

الأمير: «هل كان صاحب هذا الرأس ميتا أو حيا قبل أن تقطع رأسه؟

الجندي: ميتا.

الأمير: إذن ستضرب مائتين و خمس جلدة لتمثيلك بالميت لأنه لم يعد عدوك.

الأمير: أين كان سلاحك عندما كنت تقطع رأسه؟

الجندي: أرضا

الأمير: أهملت سلاحك.

الأمير: كيف حملت البندقية و الرأس؟

الجندي: كل في يد

الأمير: إذن أعاقك ذلك عن حمل سلاحك.

فعوقب[2] هذا الجندي على فعلته.

ولعلى هذه الشدة تعكس حرص الأمير البالغ في هذه القضية بالذات.

3- العناية المادية و الروحية بالأسرى:

كان الأمير في حضوره خاصة، بعامل الأسرى معاملة الضيوف، حسب شهادة الأوربيين أنفسهم.

حيث كان يرسل لهم نقودا من جيبه الخاص، و يحرص أن يوصي بهم أن يكسوا ويطعموا جيدا[3] تطبيقا لأمره تعالى [و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا و لا شكورا] [4] كما أخذ العبرة من الرسول ε و كسوته لأسرى بدر[5]، و حين جرت و أن نقص الغذاء في معسكره

---

(1) – هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.204.

(2) – نفسه، ص.208.

(3) - نفسه، ص.202.

(4) – سورةالإنسان، الآية رقم:76

(5) – المصدر السابق، ص.202.

وشحت المواد الغذائية، أطلق سراح الأسرى منهم و أوصى بمن يُرافقهم إلى مكان وصولهم في أمان[1].

- حرية الأسرى في المراسلة:

لقد سمح مُمثلو الأمير للضباط الأسرى بالمراسلة، و من ذلك أن كتب (كوربي دوكنور) إلى الوالي العام للجزائر، في 5 أكتوبر إلى كافينياك و لامورسير و تلقى رسائل من الجنرال، مرفقة بمبلغ مالي و أدوية موجهة إلى دكتور أسير[2] سعيا إلى عدم حرمان الأسرى من أي حق .

كما نجد في تسليم الأمير للرسالة لنافخ البوق يخبره فيها ضابطه أنه قد منح وسام الشرف (ليجيون دونور) لشجاعته و إقدامه[3] و قد قلده الأمير الوسام على صدره الأيسر بنفسه[4] موافقا على إعطائه هذا الحق في جو إحتفالي عظم الأمير في قلب الأسير.

- حرية الدين:

لم يجبر الأمير أسيرا على ترك دينه، أو خيّر أحدهم بين الدخول في الإسلام أو الموت، و لهذا كان رؤوفا بالأسير الذي أصرّ على البقاء على دينه، شجاعة حتى و لو كلفه الأمر مقتله و الذي أجابه الأمير مُهونا: « إن حياتك محرمة علي أني أحب سماع هذه اللهجة بأنك رجل شجاع و مخلص و تستحق تقديري فأنا أحترم الشجاعة في الدين أكثر من الشجاعة في الحرب»[5].

و قد بلغ تسامحه الديني و الإنساني أن كتب إلى أسقف الجزائر قائلا:« أرسل قسيسا إلى معسكر فهو لا يحتاج إلى شيئى، و سوف أعمل على أن يكون محل احترام وتبجيل، لأنه سيكون له وظيفة مزدوجـة و هي أنه رجل دين و ممثل لك، و سوف يصلـي

---

(1) – علي.عزوزي، المرجع السابق، ص.196.

(2) – إسماعيل.العربي، معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، الجزائر، مؤسسة للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، (1986)، ص.99.

(3) – هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.206.

(4) – نفسه، ص.207.

(5) – نفسه، ص.203.

يوميا بالمساجين و يتراسل مع عائلاتهم و بذلك يكون واسطة في الحصول لهم على النقود والثياب و الكتب». [1]

و بالفعل استقبل الأمير كاهنا بعثه أُسقف الجزائر، ليقوم بمواساة الأسرى والتخفيف عنهم، و يكتب مراسلاتهم و يؤدي لهم الطقوس الدينية، بشرطين هما أن لا يتدخل في شؤونه العسكرية، و أن لا يقوم بنقل أي خبر عنه[2]. كما أنه كان يأمر بإعفائهم من الخدمة يوم عطلة المسيحيين[3].

أما عن قضية دخول بعض الأسرى في الإسلام، فلم يكن الأمير ممن يقبل بإسلام الخائف أو المُدعي، و هذا في حديثه مع سجينين فرنسيين:« قال أنما مستعدان لإعتناق دين عبد القادر» فأجابهما:« إن كنتما تفعلا ذلك من طيب خاطر فأهلا و سهلا بكما و لكن إذ كنتما تفعلان ذلك شعورا منكما بالخطر أثناء الحالة التي أنتما عليها فإنكما مخطئان فلو ظليتما مسيحيين كما أنتما الآن فلن يحدث لكما أي إزعاج و لن تمس شعرة من رأسيكما» [4].

ليذكرهما الأمير بفرصة تمنح للأسرى و هي التبادل بفضل وساطة الأساقفة. فكرا فيما سيحدث لكما لو عدتما إلى أهليكما بعد أن تخليتما عن دينكما لن يعاملوكما كما يعامل الكفار المجرمون؟ و كيف تأملان أن تستفيدوا من المناسبات و إذا ما حدث تبادل الأسرى؟ [5].

هذه النصيحة ذات المحتوى الحضاري الهام الحاث على التريث و التفكير والصدق مهما كانت الظروف.[6] و احترام الآخر. ويؤكد على احترامه للآية الكريمة: [لا إكراه في الدين] [7].

---

(1) – هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.202.

(2) - نفسه، ص.202.

(3) – علي.عزوزي، المقال السابق، ص.197.

(4) - هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.202.

(5) – نفسه، ص.202.

(6) – علي.عزوز، مقال سابق، ص.196.

(7) - سورة البقرة، الآية رقم: 256.

4- قضية تبادل الأسرى:

لقد أحل الإسلام تبادل الأسرى لقوله تعالى: [فإما منا بعد و إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها].[1]

و لهذا دفع الأمير عبد القادر المؤمن بمبدأ إحترام الإنسان خطوات كبيرة للأمام، و تجسيدا لرغبته في تنظيم تبادل منتظم للأسرى من الجانبين[2].

وحين وصول المندوبين الفرنسيين اللذّان أرسلهما أسقف الجزائر دوباش[3]، لم يكن الأمير مستعدا للتباحث في أمر الأسرى، لانشغاله بأمر الجهاد، إلاّ أنه إستجاب بعد الرسالة التي بعث بها الأسقف له للمرة الثانية، و التي كان مضمونها رجاء لإطلاق سراح أسير واحد [4]، موضحا له كذلك أنه لا يملك لا الذهب و لا الفضة وأن التعويض الوحيد الذي يملكه هو صلوات و اعتراف بالجميل.

أجاب الأمير على رسالة الأسقف فيما مضمونه، أن شعار الأخوة و خدمة الله و خدمة البشر الذي حمله القس يفرض عليه أن لا يطلب من الأمير حرية فرد بل المحاولة لطلب حرية كل الأسرى المسيحيين و أن تكون المهمة متبادلة بقوله:« و إذا أنت لم ترضى بالحصول على نعمة الحرية لمائتين أو ثلاث مائة مسيحي فقط و لكن تسعى للحصول عليها أيضا بطريقة متساوية لأولئك الذين مازالوا يعانون في سجونكم» [5].

---

(1) – سورة محمد الآية رقم: 4.

(2) - هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.210.

(3) – دوباش: هو أنتوني أدولف دوبش، أسقف الجزائر منذ 25 أوت (1838) إلى (1846) بنى حوالي 60 كنيسة و معبدا، و 16 مؤسسة دينية و ملجأ للأيتام و أقام حلقة درس، سكن قصر الأميرة عزيزة نتيجة إسرافه في المشاريع الدينية أفلس و إستقال و سجن ثم فرّ إلى إيطاليا و إسبانيا إلاّ أن قررت حكومة نابليون دفع ديونه عام 1852 بوساطة من أسقف بوردوا. راجع:
Henri.Tessier, « L'amitié de l'Emir Abdekader et de l'évêque d'Alger un épisode symbolique de l'attitude de l'Emir à l'égard, des chrétiens son amitié avec Mgr Antoine Dupuch, évêque d'Alger », in : L'emir Abdekader et les valeurs humaines, Colloque international, université d'Alger et la fondation Emir Abdelkader, 22-23 novembre 2001, P.P, 5-17.
و كذلك: أبو قاسم.سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص.ص،108- 114.

(4) ، الذي أسرا وائل عام 1840 و الذي طلبت زوجته من دوبش الإتصال بالأمير لإطلاق Massot– يتعلق الأمر بالملازم(ماسو) سراحه، راجع: أديب حرب، المرجع السابق، ص.552.

(5) - هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.201.

لم يكن الأمير يريد مالا بل يريد الأسرى، الذين أخذوا منه و كان سوشيه[1] أحد المندوبين الفرنسيين يعلم كل العلم رغبة الأمير في تسليم جميع الأسرى مقابل الإفراج عن بعض كبار مساعديه و المحتجزين في سجون العاصمة[2].

لم يفهم الأمير لماذا لا يرغب الفرنسيون في تبادل أسراهم[3] إلاّ حين أخبره سوشيه أنه لم يأت لتبادل كل الأسرى و أن الأسقف لا دخل له في السياسة، وتجسيدا لمشاعره الإنسانية و احترام الأمير هذه الرغبة و قال:« إن أسراكم سيطلق سراحهم على الفور البوم و سنحضرهم من وهران حيث احتجزناهم» [4] ،مما يؤكد على تمسك الأمير بأخلاقياته القتالية، و يهب لنا نموذجا هامًا للسلوك الحربي[5].

ويؤكد سوشيه أن البُعد الإنساني لم يكن عند الأمير فقط بل عند كل رجاله أين كان يلقى منهم الإحترام و الإستقبال الرسمي، من قبل المجاهدين تقديرًا لدور الأسقف الإنساني[6] مثل ابن سالم، و البوحميدي و بن علال الذي كان انعكاسا ساطعا لروح عبد القادر لدرجة أن أسراهم يتبركون بأسلحتهم عند إطلاق سراحهم تكريمًا له[7].

هذا التكوين هو الذي جعل الأمير يثق في قادته و يمنحهم شرف تحمل أمانة تبادل الأسرى.

و لعل أشهر عملية تبادل أسرى، و ربما الأولى في حد ذاتها هي تلك التي كلف بها خليفة الأمير على مليانة محمد بن علال[8]، و التي أمنها الأمير مُسبقا و أرسل لها خصيصا مرشدين لضمان إتمامها بسلام[9].

---

(1) – سوشيه: من أساقفة فرنسا في الجزائر كلفه دوبش بناحية قسنطينة في عهده تحول جامع سوق الغزال إلى كنيسة يقول سعد الله أنه أسل للتجسس على الأمير. راجع: ابو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6 ص.114.

(2) – علي.عيسى، « الأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر »، في: مجلة الثقافة، الجزائر، عدد 75، (1983)، ص. 288

(3) – إسماعيل.العربي، معركة سيدي إبراهيم، مرجع سابق، ص.108.

(4) – نفسه، ص.108.

(5) – علي.عيسى، المقال السابق، ص.ص،288- 289.

(6) – المرجع السابق، ص.287.

(7) - هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.204.

(8) – أديب.حرب، المرجع السابق، ص.552.

(9) – علي.عيسى، المقال السابق، ص.287.

و قد كان الهدف من هذه العملية تبادل 130 أسيرا جزائريا منهم 34 رجل و48 إمرأة و 39 طفلاً مقابل 80 أسرًا فرنسيا[1].

و كاد هذا العمل الإنساني أن يتعثر في مزرعة موزايا نهار الثلاثاء 17 ماي 1841 بسبب إقتراب الجنرال براغي ديليه من مكان اللقاء، فتم الانسحاب بـ15 كلم للوراء رغم مُحاولات الأسقف سوشيه وإستاليان إقناعه بعكس ذلك، وبالفعل وقع تبادل الأسرى في 21 ماي 1841 [2]، وتم اللقاء للمرة الوحيدة في تاريخ العلاقات [3] في المنطقة المسماة سيدي خليفة[4] قرب بوفاريك[5].

5- قضية أسرى سيدي ابراهيم:

تعود خلفيات هذه الحادثة، إلى وقوع مجموعة من الجنود الفرنسيين، في أسر الأمير، بعد معركة سيدي إبراهيم 23 و 25 أفريل 1846 بعد انضمام مجموعتي من الأسرى لهما و قد عرفوا بأسرى مجموعتي مونتانياك و ماران[6] و قد بلغ عددهم إجمالا 300 أسير و على رأسهم ثلاثة ضباط و 10 ضباط صف[7]، سلموا لابن عراش بتاريخ وصولهم، للدائرة في 26 سبتمبر و الذي أحال بدوره مسؤولية حراستهم لكتيبة الحاج سالم، كما كلف بأمر مُراسلاتهم و أمورهم المقدم داكونيور[8].

و قد تم معاملة هذه المجموعة بعناية تامة كفلت لهم حق المراسلة عامة و مع قادتهم خاصة، و كذلك حق تسلم المال لتحسين وضعهم.

و في هذا الإطار كان الضابط المقدم داكونيور كل من كافينياك و لامورسيار. و تلقى بدوره رسائل من العميد قائد المنطقة الحدودية في تلمسان و تلقى منه مالا لأن

---

(1) – أديب.حرب، المرجع السابق، ج2، ص.ص، 552- 553.

(2) - هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.201.

(3) – أديب.حرب، المرجع السابق، ص.553.

(4) – عبد الحميد.ساحل، المرجع السابق، ص.56.

(5) – أديب.حرب، المرجع السابق، ص.553.

(6) –نفسه، ص.244.

(7) – إسماعيل.العربي، معركة سيدي إبراهيم و مصير أسراها، ص.ص، 98-99. كذلك: يرى أديب حرب أن عدد الضباط كان خمسة، ص.244.

(8) - و هو أعلى الضباط رتبة. راجع: أديب.حرب، مرجع سابق، ص.244.

الدائرة كانت تعاني، من نقص المواد الغذائية، فنقصت الحصة اليومية للأسرى ولهذا أنفق داكونيور المال في شراء أقمشة لصنع ملابس للأسرى، و وزع الباقي على الجنود.

- فصل الضباط عن الأسرى:

في 24 أفريل، قدم الحاج الحبيب المسؤول عن شؤون التموين، إلى معسكر الأسرى، و طلب منهم تنفيذا أمر مصطفى بن التهامي بإحضار الأسرى إلى معسكر على عجل[1] فقسم حينها الأسرى إلى قسمين ضباط رتباء وجنود بـ189عنصرا[2] رغم محاولة الفرنسيين مقابلة ابن سالم و فهم أسباب و دوافع هذا القرار[3].

إلاّ أن إجابة الحبيب، إختصرت المخاوف إلى رغبة ابن التهامي في تقديم الضيافة لهم[4]، و عليه أعلن داكونيور لجنوده خبر سفره مطمئنا الجميع بحسن المعاملة التي سيلقونها في غياب ضباطهم[5].

في ليلة 24-25 أفريل حكم نقل الأسرى من الكتيبة النظامية الموكل لها مهمة حمايتهم[6]. كما قام بدور علاج الجرحى، الدكتور كباس على أكمل وجه[7].

في 19 نوفمبر تسلم البوحميدي الدائرة وزار معسكر الأسرى الفرنسيين متفقدا و تكلم مع داكونيور مؤكدا له سعيه لإطلاق سراحهم في تبادل و أعطاه مبلغ 130 فرنكا كما زارهم يوم 25 نوفمبر(سيدي السعيد) شقيق الأمير، و وعدهم بأنه سيطلق سراحهم بمجرد موافقة الجنرالات الفرنسيين على مبادلتهم[8].

في هذه الفترة تعرضت الدائرة لتغيير مكانها، بسبب معلومات وصلت البوحميدي بأن كافينياك يخطط لمهاجمة الدائرة و إطلاق سراح الأسرى، في

---

(1) – إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.102.

(2) – أديب.حرب، المرجع السابق، ص.558.

(3) – نفسه، ص.557.

(4) – المرجع السابق، ص.ص، 102-103.

(5) - انتقل الضباط إلى الحشم (بني سيلمان) ثم إلى معسكر زيون و لم يجدوا إبن تهامي، و برر لهم الأمر بأنه إستدعى من قبل الأمير للصحراء، و جردوا جيشها من أسلحتهم. راجع: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص.103. و أيضا: أديب حرب، مرجع السابق، ص.558.

(6) - نفسه، ص.561.

(7) – إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.ص، 99-100.

(8) – نفسه، ص.100

15 مارس أعيدت لمكانها. بالإضافة إلى تسجيل محاولات عديدة لفرار الأسرى وصلت إلى حد حكم البوحميدي على فارين منها بالإعدام، ثم عفا عنهما، بتدخل داكونيور[1] نظرا لتوصية الأمير بحسن معاملة الأسرى.

و بتغيير مكان الدائرة من جديد في 10 أفريل يتسلم مصطفى بن التهامي القادم، رفقة البركاني، الدائرة محل البوحميدي، الذي غادرها بعد عقده، لاجتماعات تقيمية مع القائد الجديد[2].

ووصلت الضباط إيماءات بأن جنودهم قتلوا يوم 18 ماي، عندما وصلوا إلى أعالي ملوية [3] وهذه الحادثة الخطيرة أسالت الكثير من الحبر، و لأنها تعلقت بمعاملة جديدة للأسرى، ما كان عبد القادر يتعامل بها، و بأسلوب يختلف عن أسلوب الأمير في حلّ مشاكله.

و لهذا يراجع أغلبية من كتبوا في هذا الموضوع مسؤولية مصير هؤلاء الأسرى لمصطفى بن التهامي الذي تأثر بعوامل عدة جعلته يقدم على اختيار هذا الحل:

و أولها مشكلة الغذاء: الذي بدأ ينقص، مع صعوبة الحصول عليه من الأماكن المجاورة مع عدد الأسرى الذي يبلغ 30 أسيرا[4].

وفي نفس الوقت كانت مغادرة بنو عامر إلى ضواحي فاس ضربة لموقفه الدفاعي، الذي خسر مشاة كانوا يؤمنوا له حراسة معسكر الأسرى[5] فظن أن قتل الأسرى يؤخر خروج العرب، منها بتخويفهم رغم توصيات الأمير بحسن المعاملة [6] مع ظروف الدائرة الملاحقة و القوات المغربية و خاصة بعد معاهدتي (وجدة) (ولالة) معنية[7] التي تمنع كل من يؤكد الأمير بالإضافة إلى التخوف من إقتداء بنو عامر كما سبق و أن ذكرنا.

---

(1) – أديب.حرب، مرجع سابق، ص.556.

(2) – نفسه، ص.557.

(3) – إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.104.

(4) – أديب.حرب، المرجع السابق، ص.104.

(5) – نفسه، ص.557.

(6) – إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.115.

(7) – أديب.حرب، المرجع السابق، ص.ص، 564-565.

بالإضافة إلى موقف بيجو المتعنت بعدم قبول فكرة تبادل الأسرى مع الامير لأنه لم يرق ليكون خصما له، بل خارجا عن القانون[1] و أنه لن يقوم بأية ترتيبات تجعله يظهر من جديد بين الجزائريين، فضحى بجنوده و ضباطه و قد وافقه كافينياك في ذلك[2]، بعد محاولتهم الفاشلة لإطلاق سراح أسراهم بالقوة[3]، و نجد إسماعيل العربي يورد رجاء للأسرى موجها إلى حكومتهم، تمثل في هذا المقتطف " إن الإنسانية تقضي بأن لا تتركونا مدة أطول في الحالة الفظيعة التي نحن فيها، إذا لم تكونوا قد قررتم التضحية بنا جميعا و هذا ما سيحدث إذا بقيت رسائلنا بدون جواب"[4].

ورغم كل هذه المعطيات إعترف عبد القادر بمسؤوليته عن مقتل الأسرى لأنه كان واعيا بمهامه، كقائد و لأنها عادته فكتب للكافنياك في 1846 و لسولت في 1846[5] بذلك مع حزنه الشديد لمقتلهم، لكنه لم يأمر بمقتلهم لعدم وجود مكتوب أو وثيقة بخطه تأمر بقتلهم، و لو وجدت لنفذ الأمر بسرعة، و لما تريث ابن التهامي أسبوعين لقتل الأسرى، فالأمير هو إنسان متدين يعرف مآله و ما عليه، و ما حكمت به الشريعة بخصوص الأسرى وبخصوص قتل النفس التي حرّم الله بالحق فما بالنا بمئات الأسرى.

ويذكر لنا صاحب التحفة كيف تفاجأ الأمير بمقتل الأسرى وكيف آسف وتكدر ووبخ خليفة دائرته الذي إعتذر آنذاك بأسباب واهية أشدها دسائس البوحميدي[6].

وما يبعد التهمة عن الأمير هو أنه كان بعيدا يوم وقوع الحادثة عن الدائرة التي غادرها، منذ أوائل سبتمبر و كان أثناء وقوعها بأولاد نايل[7].

وهو من أرسل مصطفى بن التهامي والبركاني يوم 20 مارس 1846 إلى دائرته ومعهم مرضى و جرحى و أمر البوحميدي أن يلتحق به[8].

---

(1) - أديب.حرب، المرجع السابق، ص.565.

(2) - إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.107.

(3) - أديب.حرب، المرجع السابق، ص.565.

(4) – نقلا عن: إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.106.

(5) - أديب.حرب، المرجع السابق، ص.566.

(6) – تحفة الزائر، المصدر السابق، ج2، ص.464.

(7) – على مسافة 680 كلم من الدائرة.

(8) – إسماعيل.العربي، المرجع السابق، ص.ص،113-114.

سعى الأمير لأن يعلم جنوده مبادئ الفروسية ليتخلصوا من عادتهم البعيدة كل البعد عن روح الإسلام ويكمل مسعاه لبناء دولة حديثة تقوم على مجاراة روح العصر وفي نفس الوقت كسب إحترام العدو، ولفت إنتباهه إلى سماحة الدين الإسلامي وسموه.

فالمعركة لم تكن معركته لوحده بقدر ما كانت معركة جماعية لها ما لها وعليها ما عليها ويكفينا فخرا أن الأمير عندما تخرق معاهدة مع الفرنسيين يبادر بإعلام قائدهم بإستئنافه للجهاد ليأخذ مسافريهم حذرهم[1].

[1] - محمد.الميلي، « أخلاق الفروسية والإعتبارات الإنسانية ». في: مجلة الحدث العربي والدولي، عدد 34، ديسمبر (2003).

الـــفـــصـــل الرابـع

البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المعاملة و السلوك

الفصل الرابع:

البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المعاملة و السلوك:

المبحث الأول: **العدل و المساواة.**

أ- المساواة.

ب- العدل

جـ- القضاء.

المبحث الثاني: **التعليم.**

أ- بناء المدارس.

ب- تشجيع الطلاب.

جـ- جمع الكتب و الحفاظ عليها.

المبحث الثالث: **إحياء الأخلاق الإسلامية.**

أ- منع المحرمات ومحاربة الأثام.

ب- العروبة.

جـ- الإقتداء بالسلف

المبحث الأول:

العدل و المساواة:

ظل العدل و لا يزال ضد الجور، محاكيًا للاستقامة، المتوسط دائمًا بين طرفي الإفراط و التفريط [1]، و المساواة هي عدم التفرقة و التمييز، و ما إن تجتمع هذه الصفات حتى يكسب بها صاحبها الثقة و الولاء، و هذا ما أدركه الأمير عبد القادر بعد أن أصبح الملاذ الأخير لقومه، خاصة بعد أن وضعوا فيه كل ثقتهم فأوجب على نفسه اتباع سياسة العدل و المصلحة العامة التي أمره الله بِها، لما يُوافق الناس، و يكون في صالحهم[2] وتمسك بالمساواة كركيزة لدولته، مجسدًا لها، لا بين مواطنيه فحسب، بل بينه و بينهم باعتباره ممثلاً للدولة و لسلطتها [3].

وجدت المساواة و العدالة في ظل هذا النظام الأرضية التي تبلورت عليها، كونها مبدأ مستوحى من الشريعة الإسلامية، و على هذا الأساس، لم يخشى الأمير أي قوة أخرى ما عدا الله في تنفيذ القوانين[4]، و قد لا نستطيع حصر كل الإنجازات التي مستها العدالة على كثرتها، و لكن سنحاول تسليط الضوء على بعض الميادين التي تجسدت فيها هذه المعاملة الراقية، و التي هي من أمهات الفضائل فيقول الأمير عبد القادر بهذا الخصوص:« ... فأمهات الفضائل هي هذه الأربع، العلم الشجاعة، العفة، العدل فمن جمع هذه الأربعة، على الكمال، استحق أن يكون ملكًا مطاعًا يرجع الخلق كلهم إليه و يقتدون به» [5].

---

(1) - بطرس.البستاني، محيط المحيط، ، بيروت، مطابع تيبوبرس، (1998)، ص.581.

(2) - الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.43.

(3) - إسماعيل. زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، ، مرجع سابق، ص.521.

(4) - أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.100.

(5) - الأمير عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل، مصدر سابق، ص.81.

أ- المساواة:

1- المساواة في المشاركة بالحرب و الجهاد:

لعل أول دلائل العدالة مشاركة الأمير في الحرب بسيفه و جواده، غير مستثن منها أهله و قبيلته و هو الذي يقول في ذلك:« ما فعلت ذلك خوفًا من تمييز نفسي أمام ضربات قنابل العدو و لكنني فعلته لأنني كنت أرغب أن لا أفْرض على العرب إلاّ ما افرضه على نفسي» [1].

2- إلغاء الإمتيازات و الضرائب غير الشرعية:

حاول الأمير إزالة مظاهر اللامساواة و التفاوت، بين أفراد شعبه من خلال التزامه بالعدل و المساواة في تحصيل ما يلزم و يتوجب على رعيته، فكسب ثقتهم وألهب حماسهم الديني لمناصرته[2]، كما عمل جاهدًا على تخفيف الأعباء، التي كانت موجودة في العهد العثماني، كضريبتي (اللّزمة) و (الغرامة)، المخالفتين للشريعة الإسلامية.

لكنه احتفظ بضريبتي (العشور) و (الزكاة)، الأولى في المزروعات، موسم الخريف والثانية من الأنعام بنسب معينة، أما المعونة التي استحدثها الأمير لتجديد، لحرب وخلق التكافل داخل المجتمع [3]. فجاءت لمساعدة المحتاجين و لخلق التوازن المادي داخل المجتمع.

كما أبطل الامتيازات التي كانت تحظى بها بعض القبائل: كالمخزن و الكراغلة والدوائر و الزمالة، و قد دفع ثمن هذا الإبطال غاليًا بثورتها، نظرًا لتعودها على المكانة العليا في المجتمع و بذلك دفعت ثمن انسلاخها عن الشعب، و بعد هذا القرار الشجاع لم تعد هناك إستثناءات من دفع المعونة الحربية [4]، و لم يقم الأمير بفرضها إلاّ بعد أن استشار العلماء و الفقهاء، كي لا يتجاوز في ذلك حدود الشرع، مُشددًا على جامعيها استخلاصها دون وقوع مخالفات [5]، حرصًا منه على تفادي أخطاء النظـام

---

(1)- هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.154.

(2)- إسماعيل. زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، المرجع السابق، ص.522.

(3)- أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.ص، 17- 18.

(4)- عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.49.

(5)- ناصر الدين. سعيدوني، «النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر» في:مجلة الثقافة، عدد 75، (1983)، ص.123.

السابق، و على إرساء دولة نظيفة هدفها الأكبر ردع الإستعمار و طرده بمعركة يشارك فيها الجميع، دون إستثناء. ولهذا كان الأمير مضطر لمحاربة مانعي الزكاة ولعل في معاملته النموذجية لبنوعامر ما يستحق ذكرها.

فحين توقف الجهاد في فترة السلم إمتنع بنو عامر عن دفع الضريبة رغم أنهم أول من دعاه للجهاد فخاطبهم الأمير في مسجد معسكر قائلا:«ألستم أنتم أول من رجاني أن أقيم حكومة منتظمة توحي إلى الخيرين بالثقة وإلى الأشرار بالخوف.. كيف تستطيع أي حكومة أن تواصل عملها بدون ضرائب»[1].

وليواصل الأمير شرحه من على منبر الخطبة فائدة هذه الضريبة لاستمرارية الجهاد وجهاد البناء:« هل تظنون أن أصغر قطعة نقدية في الضريبة ... تستخدم في مصاريفي الشخصية... إنكم تعلمون أن أملاك والذي تكفي لحاجاتي الشخصية»[2]

ووعدهم، تبرئة لذمته على مسؤولية المحافظة على الأموال بقوله:« أقسم بالله العظيم أن ما يدخل يدي سيحتفظ به كأمانة مقدسة من أجل إنصار الإسلام»[3] ولحسن الحض تفهم شيوخ بنوعامرالأميرووعدوه بدفع المعونة وبهذاأمربإيقافالحملة عليهم[4].

بهذا قضى الأمير على العشائرية بأن أقنع رؤساء القبائل بضرورة قيام دولة وطنية حديثة[5] ولتطبيق النظام المدني بدل القبلي[6] بتجاوزه فهم البنية القبلية إلى فكرة بناء دولة مؤسسات هدفها إدماج السكان، بالعمل لا بالقول من مبدأ إبطال أعمال السخرة وإجراءات المصادرة والتغريم[7]. لم يتوقف الأمير عند هذا الحد بل طالب بتقارير أسبوعية عن عدد الماشية والدواب التي تحمل الأثقال والخيول الصالحة للمعارك في كل مقاطعة[8] بغرض الحرص على السير الحسن للجهاد للحياة العامة، وبتفقد أمانة الأموال.

- هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.83[1]

- نفسه، ص.83.[2]

- نفسه، ص.83. [3]

- نفسه، ص.83. [4]

– مصطفى.نويصر، مرجع سابق، ص.41. [5]

– أحمد.رويش، مرجع سابق، ص.156. [6]

– ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.139. [7]

– هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.26. [8]

ب- العدل:

1- الـعـدالة في اختيار موظـفي الـدولـة:

عمل الأمير على بناء جسر شرعي، بينه و بين شعبه، و التزم لمد هذا الجسر بتطبيق العدل في أحكامه، و بث روحه في كل المؤسسات، و أولها الحكومة التي يستحاف كل موظفيها، على صحيح البخاري دون استثناء [1]، مؤمنًا بأنه لا فضل لعربي على أعجمي و لا لأبيض على أسود إلاّ بالتقوى، و أن المؤمنين، إخوة و سواسية كأسنان المشط لقوله تعالى:(إنما المؤمنون إخوة) وبقوله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوبًا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) [2].

و قد أعطى عبد القادر المثال الثابت و التاريخي، الذي لا يزول حيث أنه لم يعط الأفضلية في اختيار موظفيه لعرب الأرياف لكونهم مسلمين و هو منهم، بل منحها لأصحابها فلم يبعد (الكراغلة)، و (رجال المخزن) بل حاول كسبهم، ووضعهم في مناصب هامة لعمق نظره حسب ما يؤكده لنا تشرشل «تقدير منه للنتائج المثمرة التي تُعطيها النظرة الصحيحة للتكوين الطبيعي للمجتمع »[3].

وبذلك ولي كبير كل وفد على قبيلة ليرضي الجميع مثل تعيينه لسي السعدي في:(ق 12 هـ/1837م)، وزوده برسائل إلى زعماء القبائل (بن زعمون وأوقاسي) ولعل في اختياره لابن سالم أفضل دليل على ذلك[4].

أما القانون فلم يرتبط بأي اعتبار آخر لأنه استمد معانيه و روحه من الكتاب والسنة، و لم يتردد في فتح الباب للمواهب و الطاقات، غير مشترط في ذلك نسبا أو

---

(1) - محمد طاهر. العزوي، مقال سابق، ص.190

(2) - سورة الحجرات، الآية رقم: 13.

(3) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.156.

(4) – إسماعيل.العربي، « مقاومة أحمد بن سالم »، في: الأصالة، عدد 79-81، (1980)، ص.ص، 76-77.

أصلا أو سوابق أو مالا [1] بل اشترط الشخصية القوية والسُمعة النظيفة والكفاءة وحسن السيرة والعلم [2] والحزم حتى يستوثق منهم اليمين [3]، لعمله بمبدأ التولية وعملا بالأثر الوارد عند عمر بن الخطاب (τ) [4] وأداء اليمن على صحيح البخاري[5] كما سبق وأن ذكرنا لكل الموظفين، حتى حكام المدن كان يتم تعيينهم وفق مراسيم يحضرها محضر قضائي يؤدون أمامه اليمين [6].

محاولا بهذا تفويض الاعتقاد في، تقديس السلالات، فكان الحريص على اختيار الموظفين ليعيّنهم في مناصب المسؤولية، ككُتاب و وزراء أو كولاة أو كقضاة على أساس الكفاءة، و الإيمان القوي و ضرورة ردع الصدع، مستفيدًا من التجارب السابقة للذين عملوا في قبل، الاحتلال، و مبرزًا لعمليته في دفع الأمور نحو الأفضل[7] وهو القائل:

رفـعـنا ثـوبـنا عن كـل لـؤم
و أقـوالي تـصـدقـها الـفـعـال[8].

و لم يتوقف الأمير عند تعيين الرجال فحسب بل كان يراقبهم و يطلع على تصرفاتهم كي لا يختل العدل بين الناس. على غرار ما كان يقوم به الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب(τ) [9].

---

(1) - أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.ص، 100- 101.

(2) – أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.174.

(3) – الأمير.محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص.ص، 307-300.

(4) – مصطفى.بن التهامي، مصدر سابق، ص.131.

(5) – البخاري: أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، الجزائر، دار الهدى، (1992)، ج1، ص.1.

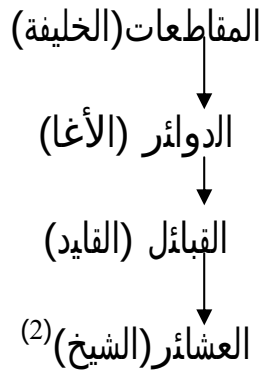
(6) – سكوت، مصدر سابق، ص.113.

(7) - عبد الحميد. ساحل، مرجع سابق، ص.53

(8) - الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابقص.36.

(9) - محمد. الطاهر العزوي، المقال السابق، ص.190.

ولكي لا تختلط الإختصاصات ولتحصل الإجادة والسرعة، كان من الضروري إيكال كل عمل لصاحبه، مع العودة في ذلك إلى التقسيم الإداري الذي أحدثه في دولته[1]:



لم يهمل الأمير توضيح أمر مرتبات موظفيه بأن جعلها ثابتة ليتجنب ابتزاز الأموال، حيث جعل للخليفة على سبيل المثال مرتبا كاملا وللآغا عشر ما يجمعه من الزكاة والضرائب وكذلك الأمر بالنسبة للقائد والشيخ[3] فيأخذ كل ذي حق حقه.

2- العدالة في النظام القضائي:

اهتم الأمير عبد القادر بالقضاء اهتماما بالغًا، حيث يعد القضاء المرآة الصادقة المعبرة عن العدل. و لكي يحقق الأمير هذه المعادلة المهمة في بناء الدولة جعل القاضي يستمد نصوصه من القرآن الكريم، و هذا ما أدى بالفعل إلى انتعاش العاطفة الدينية لدى السكان[4].

---

(1) – التقسيم الإداري في دولة الأمير: قسم الأمير الدولة إلى: مقاطعات وولي عليها خلفاء:

- تلمسان ولي عليها محمد البوحمدي الولهامي.
- معسكر ولي عليها محمد بن فريحة ثم مصطفى بن التهامي.
- مليانة ولي عليها محي الدين بن علال الفليعي.
- تيطري وولي عليها مصطفى بن محي الدين ثم محمد البركاني.
- مجانة (سطيف) وولي عليها محمد بن عبد السلام المعراني ثم محمد الخروبي ثم محمد بن عمر.
- الصحراء الغربية، قدور بن عبد الباقي.
- الزيبان، وقسم المقاطعات إلى دوائر، والدوائر إلى قبائل، والقبائل إلى عشائر. راجع: عمر.بوزيان، مرجع سابق، ص.ص، 87-88وأيضا: سكوت، مصدر سابق، ص.111.

(2) – أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.ص، 190-192. - للتفصيل فما يخص اختصاصات الموظفين في دولة الأمير راجع: رابح.بونار، مقال سابق، ص.48. وأ يضا: عامر.بغدادي، مرجع سابق، ص.ص، 56-57. وأيضا: أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.ص، 190-193

(3) – عامر.بغدادي، مرجع سابق، ص.ص، 56-57.

(4) - عبد الحميد. ساحل، المرجع السابق، ص.53.

فمنع الظلم، هو أساس لبناء الدولة، و أصول الإسلام تصلح، لتكون أساسا لنظام عادل[1]. فجعل للعدل بيوتًا عامرة يجد المشْتكي فيها من يستمع إليه و ينصفه إن كان على حق. شكل الأمير في (تاكدامت) قاعة للمحاكمة، و كان يفضل أن يجلس هو بنفسه للفصل في قضايا [2] لإعتباره القاضي الأول للبلاد و الإمام الروحي للعباد وجعل للمحاكم سلطة منفصلة، عن السلطات الأخرى[3].

و لم يكتف الأمير بذلك بل حفز المظلوم على طلب العدل لكونه حق مشروع، فعين لهذا الغرض منادين يجوبون الأسواق، يعلنون أنه من له شكوى ضد خليفة أو آغا أو قائد أو شيخ، أن يرفعها للأمير مباشرة، حيث لا يوجد الوسطاء الذين قد يضيعون نصف الحقيقة، و لأن الأمير يعرف معنى الخوف الذي قد يتملك النفس البشرية أحيانًا، فهو بذلك يعدل و يعلمهم الشجاعة في الوقت نفسه.

و قد أحيا الأمير بذلك ولاية المظالم [4] المشهورة في التاريخ الإسلامي، بحيث لا يضيع حق أحد بعد تنفيذ الأحكام و دون إضاعة للوقت، خصوصًا إذا كانت التهمة ثابتة على مرتكبها [5].

و من الأمثلة التي أظهر فيها الأمير، عدله قيامه بعزل قائد (تاقدامت) الذي تسلم رشوة من أحد المتخاصمين، في أول قضية عرضت عليه [6]، هادفًا من وراء هذا العزل، ردع بقية رجاله عن الاقتياد وراء سلطة و قوة المنصب بالإرشاء المحرم و بهضم حقوق الشعب، و قد لخص صاحب التحفة عدل الأمير عبد القادر بقوله: « كان الأمير محافظًا على إقامة الحق ناشرًا لواء العدل على عموم الرعايا يجري القصاص الشرعي و السياسي على أصحاب الجنايات بما يستحقونه» [7].

---

(1) - عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.14.

(2) - سكوت. الكولونيل، مذكرات، ص.88.

(3) - إسماعيل. زروخي، المرجع السابق، ص.521.

(4) - ولاية المظالم: هي نظام أسس في صدر الإسلام، و كان ساريًا لدى بني أمية و بني العباس، و يجمع بين خصائص القضاء و التنفيذ في وقت واحد.

(5) - سكوت، المصدر السابق، ص.69.

(6) - عامر. البغدادي، المرجع السابق ، ص.49.

(7) - محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج2، ص.220.

3- الـعـدل فـي اقتسام الأرزاق:

و انتقل الأمير من منع الظلم المعنوي إلى منع الظلم المادي في اقتسام الرزق زمن الحرب، منطلقًا من إيمانه بضرورة التقشف، و بذل الأموال في سبيل الله و الوطن مثبِتًا ذلك بالفعل لا بالقول، حين باع مصوغات أسرته، و وضعها في بيت المال ليشاركه فيها كل شعبه المسلم، ورفض الأمير عبد القادر - ذات يوم - بعد عودته من حربه مع التيجاني ودخول خيمته بعد أن وجد زوجته ترتدي أغلى الثياب وتغرس البيت بأغلى السجاد، حتى تزيل ذلك الترف [1]، فهو لا يرضى أن يعود بالألم من حربه على من فقدهم من جيشه من جنود تركوا عوائل فقيرة، و أن يتمتع هو بمظاهر الأبهة و الرفاهية دون شعبه، ليدفع بذلك الجميع، للإقتداء به فهو لا يهدف بهذا التصرف الاستفادة من المال و الرزق المقتسم ظاهريًا بمنحه للفقراء، بل ليجعل المنشغلين بالدنيا، يدركون أن الانشغال بالمال ليس مطلوبًا لذاته بل لتسخيره في الأعمال الخيرة [2].

فوعي الأمير بتدريب رجاله على الصبر، كان يلزمه بالشروع بنفسه [3] في إعطاء المثل في التواضع و الورع، بالعمل جنبا إلى جنب مع الرعية و السهر ليلاً والجوع و الصبر على الأذى، و تقديم حق الآخرين قبل حقه، و المخاطرة بنفسه مع رفاق الجهاد، جاعلا بذلك من المساواة روحًا عالية تفوق القانون[4] .

كما حرص أيضًا على تفقد شعبه ليعرف أخباره، فكان يختلط برعاياه ليطمئن على أحوالهم، و يحل ما يراه عالقًا حتى، أنه لم تكن هنالك محاولة واحدة لاغتياله، أيام انتصاراته من الحاسدين و أيام محنته من الناقمين قناصي الفرص [5].

و نستنتج من كل ما سبق أن نظام العدالة في دولة الأمير، كان بعيدًا عن الشكليات و الروتين الإداري للغة اليوم، بل كان مباشرًا و فعالاً حيث حقق به الأمير

---

(1)- عامر. البغدادي، المرجع السابق، ص.ص، 49- 50.

(2)- أحمد. ملاح، مرجع سابق، ص.118.

(3)- المرجع نفسه، ص.93.

(4)– نفسه، ص.102.

(5)- محمد. الطاهر عزوي، المقال نفسه، ص.190.

مقاصد سياسته الشرعية، فكان نورا لرعيته وسط ظلمات الحرب و الموت، فكسب الولاء و الطاعة.

و بفضل المساواة تجاوز الشعور بالانتماء للقبيلة، بنزعه للامتيازات والوصول إلى شعور راق، هو الشعور الوطني اتجاه الوطن المُهدد، فهذا الشعور بالوحدة، هو القوة الحقيقية التي مكنته من الصمود طويلاً، بل و أبدع في مسألة المساواة فأعطاها مفهوما سياسيا لم يكن موجودا من قبل، و إن وجد فقد كان مبتورًا من بعض العلماء المتزلفين للحكام، بقطع الآيات القرآنية عن سياقها العام [1].

وفعلاً صدق من قال أنه «لا عدالة بلا مساواة ولا مساواة بلا حرية» [2]. و قد حقق الأمير هذه المعادلة الصعبة إرضاءً لربه، واستجابة لواجبه و ضميره فصدقت الآية الكريمة القائلة بعدم استواء الحكام في طريقة حكمهم و لا في تطبيقهم لمبدأ المساواة و لا في تعويد الناس عليه.(أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون) [3].

---

[1] - إسماعيل. زروخي المرجع السابق، ص.522.

[2] - روجي. البعلبكي، موسوعة روائع الحكمة و الاقوال الخالدة، المرجع السابق، ص.565.

[3] - سورة السجدة، الآية رقم: 18.

جـ - القضاء:

اهتم الأمير عبد القادر بالقضاء فترأس السلطة القضائية بمساعدة رئيس مجلس الشورى الأعلى مع العلم أن هذا الأخير كانت مهمته التشريع.

ولعل الجمع بين وظيفة القاضي والمشرع مقصود هنا لمزايا ذلك، حكمة من الأمير في منح العدل أهمية عظمى اقتداء بالسلف الصالح[1] فمن أدرى بنصوص القانون الاّ الحريص على تطبيقها من منطلق فهمها.

كما أن إعادة تنظيم القضاء في عهد الأمير، أرجع له هيبته بتحكيم الشريعة الإسلامية وحدهما [2] فيه على مذهب الإمام مالك[3] مع الأخذ بعين الإعتبار المذاهب الأخرى عن التطبيق كالمذهب الحنفي[4] والإباضي[*] [5].

ولهذا حرص الأمير على الإهتمام بالقضاة على وجه الخصوص لأنهم المشرفون المباشرون على تطبيق العدل فاهتم باختيار القضاة بعناية تامة ثم توفير كل الإمكانيات المادية والمعنوية لأداء هذه الوظيفة الحساسة على أكمل وجه.

1- إختيار القضاة:

اشترط الأمير في القضاة مزايا هامة: كالعلم والدراية بالفصل في القضايا الشرعية ولهذا كان لا يختار لمنصب القضاء إلاّ العلماء والمتضلعين في شؤون الشريعة الإسلامية وأحكامها[6] .حيث يجتاز (المترشح لمنصب القاضي) امتحان خاص أمام أعلام القضاء، ولا يتم ذلك حتى يتم دراسة لأعماله السابقة[7].

---

(1) – عامر.بغدادي، مرجع سابق، ص.52.

(2) - أديب.حرب، مرجع سابق، ص.46.

(3) – رابح.بونار، مرجع سابق، ص.48.

(4) - المذهب الحنفي:أقدم المذاهب الأربعة المعمول بها عن المسلمين أنشأه الإمام أبو حنيفة النعمان الكوفي المولود سنة(80هـ/699م)، المتوفي في بغداد سنة(150هـ/767م)، كان منشأ هذا المذهب الكوفة، وعمل به العثمانيون وهو سائد حتى اليوم.

راجع: عبد الوهاب.الكيالي، الموسوعة السياسية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (1990)، ج6، ص.ص، 140-141

(*) – المذهب الإباضي:نسبة إلى عبد الله ابن إباض، هي أكثر فرق الخوارج اعتدالا وهم لا يرون تكفير المسلمين.

راجع: ألفرد .بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1981)، ص.145.

(5) – أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.181.

(6) – نفسه، ص.182

(7) –Benachenhou, l'Etat Algérienne en 1830 des institutions sous l'Emir Abdelkader, Opcit, P.85.

بالإضافة إلى تحري الحق فيه، والأصل المتواضع والنزاهة حتى لا تغره نفسه بالتعالي والتجبر على طالبي الاقتضاء[1].

بعد هذا الاختيار الدقيق يكون التعيين مباشرة من الأمير الذي يعود إليه القرار الأول والأخير حتى بعد استشارة رئيس مجلس الشورى الأعلى الأمير [2] قاضي القضاة والذي يخضع له القاضي فيما بعد[3].

2- ما وفره الأمير للقضاة:

تميز القضاء الشرعي في عهد الأمير بتنفيذ القاضي تماما مثل الأمير للأحكام الدينية من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة، وما على الأمير إلاّ مراقبتها والحرص على تطبيقها تطبيقا صحيحا[4].

هذه الحرية في أداء الواجب، تممها الأمير لتسهيل مهمة القضاة بأن جعل لكل قاض كاتبين أكبرهما المفتي فيما يخص النوازل الصغيرة في حين توجه النوازل الكبيرة للمجلس الشورى الأعلى الأميري.

يسمى هذان الكتابان (بالعدول)[5] ومن يشتهر منهم يلقب (بعدل الرضا)[6] مهمتهما التزام الصدق والأمانة وتثبيت الدعاوى في سجلات خاصة[7].

خصص الأمير للقضاة مُرتبات خاصة، عكس الطريقة التي اعتاد القضاة أن يتلقوا بها مرتباتهم، بوسائل مختلفة وغير محددة من المتقاضين[8] أنفسهم إذ يؤكد تشرشل، مسؤولية خزينة الدولة على ترتيب مرتبات شهرية للقضاة فيقول:«عين السلطان عبد القادر لكل قبيلة قاضيا يتقاضى أجره من الخزينة العامة لإدارة العدل»[9] الإضافة إلى علاوات نتيجة قيامهم ببعض الواجبات الأخرى[10] على اختلاف

---

(1) - أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.182

(2) – نفسه، ص.181.

(3) – عامر بغدادي، مرجع سابق، ص.61.

(4)- Benachenhou, Opcit, P.85.

(5)- رابح.بونار، مقال سابق، ص.187.

(6) - أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.187.

(7) - فتحي.دردار، مرجع سابق، ص.87.

(8) - عامر.بغدادي، مرجع سابق، ص.61.

(9) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.86.

(10) - نفسه، ص.153.

درجاتهم لتجنب اللجوء للرشوة[1] والتي حرمها الدين تحريما تاما مع إعطاء القضاة حرية التصرف من خلال معالجة القضايا المعقدة والبسيطة على حد سواء[2] تعزيزا لثقة الأمير في رجاله وحرصه على نهج العدل الذي قرر أن لا يحيد عنه.

ولهذا تتفرع اختصاصات القضاء حسب المكان ونوع القضية وتختلف التسميات كذلك.

3- أنواع القضاة:

إن الجديد في النظام القضائي عند الأمير عبد القادر هو إحداث نوعان من القضاة:

قاضي المحلة: وهو القاضي العسكري، و**قاضي الطرائق**: وهو القاضي المدني.

<u>قاضي المحلة:</u>

هو قاضي الجيش، يحل القضاء في المناطق العسكرية والثكنات[3]، مهمته تطبيق العدالة داخل وحدات الجيش[4] باتباع تنقلاته حيثما حل، وعلى حد قول الأمير: «لذلك أينما ذهب جيشي كان مرفوقا بقاض ومساعدين أحدهما رئيس الشرطة، وكان ينفذ الأحكام... وهو في الواقع ليس المنفذ للقتل بل القانون»[5]. كما يترأس الصلاة وترجع إليه الأوامر الدينية والقانونية، ويكلف بتحضير الدروس الدينية وكذلك دروس حول السيرة النبوية[6].

لم يحاكم أحد في عهد الأمير دون حكم شرعي، والشريعة صريحة بخصوص من أعان الفرنسيين ببضاعة فتحل، بضاعته، وكذلك الأمر بالنسبة لمن أعانه بسلاحهم فتحل حياته[7].

<u>قاضي الطرائق:</u> مهمته حماية أملاك الدولة والأموال التي ترجع إليها عن طريق الإرث وغيره[8]، كما يقضي هذا القاضي على المجرمين، ويحرص كل ما يدخل

---

(1) - أحمد.مطاطلة، <u>مقال سابق</u>، ص.179.

(2) - Benachenhou, <u>Opcit</u>, P.86.

(3) – <u>Ibid</u>, P.86.

(4) – أحمد.مطاطلة، <u>المقال السابق</u>، 179.

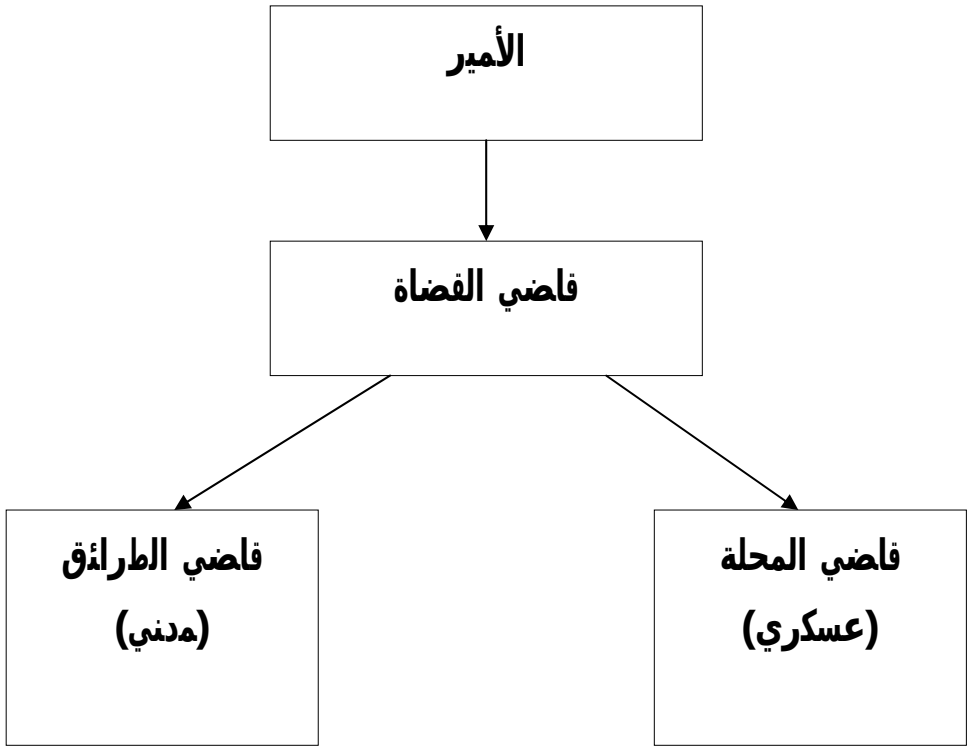
(5) – هنري.تشرشل، <u>مصدر سابق</u>، ص.193.

(6) – Benachenhou, <u>Opcit</u>, P.86.

(7) - هنري.تشرشل، <u>مصدر سابق</u>، ص.193.

(8) - أحمد.مطاطلة، <u>المقال السابق</u>، ص.179.

لبيت المال، لأن الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بالمال ومصادر الخزينة وريع الأراضي بفضل (التويزة)[1].



نوعية القضاء في عهد الأمير عبد القادر

(1) - Benachenhou, Opcit, P.86.

4- اختصاصات القضاء في عهد الأمير:

أ- القضاء المدني:

يشبه نظام القضاء في عصرنا، مهمته إجراء مرافعات حسب القضاء الإسلامي تلقى الدعوات ثم استجواب الخصوم ومواجهتهم، ببعضهم [1] ولا يحكم القاضي المدني الاّ في شؤون خاصة: (الأملاك، الميراث، والأحوال الشخصية). فليس من مهمته التغريم ولا الحبس ما عدا حالات استثنائية هي:

- وجود شخص ثالث لحقه الضرر وطالب بالتعويض.
- المروق عن الدين أو تطبيق الحدود والحكم بالتعزير[2].

كما يستعين القاضي بمجلس الشورى الأميري في القضايا التي تتعلق بمصالح الدول، أو قضايا تستدعي الإستشارة، وكذلك بالمجلس الشورى الأعلى الأميري الذي يجمع بين وظيفة المحكمة الإستئنافية ومحكمة النقض [3] المهمة في القضايا المدنية.

المحكمة:

تتشكل دائما من قاض واحد [4] وتسجل الشهادات في إطار العدل وتكتب وتوثق في شكل عقود ووثائق أو رسوم موقعه [5] من طرف الشاهدين على الأحكام التي يُصدرها القاضي تبعا لتعاليم الإسلام وأقوال الشهود.ثم تمضى من طرف القاضي الذي يصادق عليها[6].

وتتم هذه المحاكمات علانية الاّ في حالات نادرة تخص قضايا مخلة بالحياء يستمع فيها للخصوم دون واسطة وتصدر كذلك أحكامها علانية على أساس،

---

(1) – أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.187.

(2) – فتحي.دردار، مقال سابق، ص.85.

(3) – المرجع نفسه، ص.86.

(4) - أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.187.

(5) -Benachenhou, Opcit, P.85.

(6) - أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.187.

(الإقرار، اليمين، وشهادة الشهود) وكل مماطلة في تنفيذ قرارات القاضي تؤدي بصاحبها إلى العقاب.

ولا تغلق أبواب الاستئناف والطعن في القضاء المدني، فأبواب كثيرة تطرق أمام المجلس الشوري الأعلى وعرض دعوى جديدة بناء على بيانات جديدة [1] أو لتراجع أحد الخصوم، وإذا تعذر الأمر تُبعث القضية إلى فاس للاستشارة فيها حرصا على عدم ظلم أي كان.

ب- القضاء الجنائي:

لم يكن له محاكم خاصة وقضاة شرعيون[2] بل كان يقوم به موظفون إداريون تابعين للإدارة بحسب السلم الإداري[3].

وبالتالي كان الخليفة والآغا والشيخ والقايد ينوبون عن الأمير في شؤون العدالة بالاحتكام للكتاب والسنة والأعراف.

وتتمثل نوعية القضايا التي يحكمون فيها في كل جرائم القانون العام كالقتل والسرقة وقطع الطرائق والخيانة بالتعامل مع العدو أو الفرار إليه[4]. كذلك الأمر بالنسبة للجنح والمخالفات.

وتدعى قراراتهم في الجنائي عموما (بحكم المخزن) [5].

كان الأمير يعزل عماله على الأقاليم لأقل استياء، ليتعود الجميع على الانضباط.

وكما هو معروف أن الأحكام الجنائية لا استئناف فيها الاّ حسب الأحكام الابتدائية أو النهائية.

كان الأمير في غاية العبقرية ليسهل أحكام القضاء الجنائي ويجعلها سريعة في خدمة المتقاضين، وعادلة فأنشأ لهذا الغرض وظيفة صاحب المظالم.

---

(1) – فتحي.دردار، مرجع سابق، ص.87.

(2) - أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.180.

(3) - فتحي.دردار، مرجع سابق، ص.87.

(4) – المرجع نفسه، ص.89.

(5) – نفسه، ص.88.

- **صاحب المظالم:**

من اختصاص الأمير وحده، حيث كان يرسل مناديا في الأسواق أنه من لديه شكوى [1] يرفعها إلى الديوان الأميري من غير واسطة لينصفه الأمير ممن ظلمه سواء كان خليفة، أو آغا أو قائد أو شيخ [2] ومن لم يفعل ذلك فلا يدعي أنه ظلم.

ولم يكن هذا النداء مجرد كلام، بل طبقه الأمير بالاستماع الصبور لشكاوى الناس بالفعل، ولساعات متأخرة أحيانا حسب قول سكوت: « كل شكوى ضد حاكم المدينة تقدم إلى الأمير عن طريق الخليفة أو تعرض عليه مباشرة أثناء الجلسات التي يعقدها للفصل في القضايا وتستمر حتى الساعة الثالثة » [3].

ويكون الحكم بشأنها سريعا وجديا صارما حيث يورد سكوت كذلك فكرة الخوف الذي يوحي به الأمير في أحكامه القوية في نفوس المخطئين والمتلاعبين بوقت الأمير في شكاوي مفتعلة[4].

ليواصل تشرشل كيف أن الأمير يخصص إشارات خاصة، لكل واحدة دلالة حول حكمه في القضية عن طريق يده « فإذا مدها أفقيا يعدم السجين.

وإذا أخفضها نحو الأرض يجلد» [5].

مما يوحي لنا بأن الأمير كان يحترم أثر الحكم على نفس المحكوم عليه، فلعلها الرأفة حتى مع المدانين أنفسهم، ولعلها قوة الهيبة التي قد تكون رادعا لمن تسول له نفسه المخالفة أو ارتكاب جناية ما.

كما كان يحكم الأمير كذلك بالتعويض أو التعزير وتطبيق الحدود مهما كانت قاسية [6].

---

[1] – فوزي.أوصديق، مرجع سابق، ص.70.

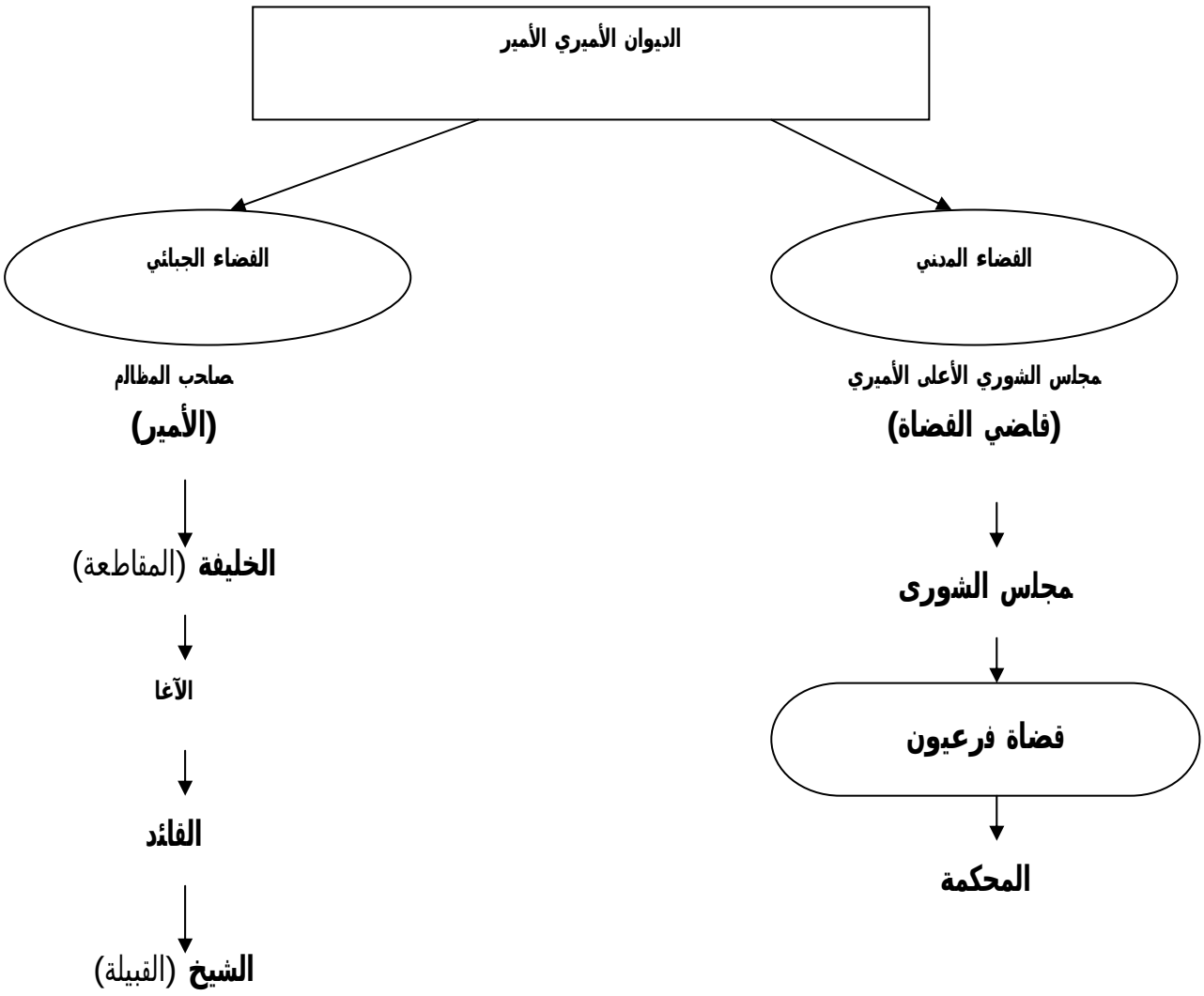
[2] – ناصر الدين.سعيدوني، مرجع سابق، ص.140.

[3] – سكوت، مصدر سابق، ص.113.

[4] – نفسه، ص.114.

[5] – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.155.

[6] – أحمد.مطاطلة، مقال سابق، ص.187. أنظر كذلك: Benchenhou, Opcit, P.86.



إختصاصات القضاء في عهد الأمير

5-أحكام قضائية:

جريمة الخيانة العظمى: أرسى الأمير المسؤولية الجنائية لوزرائه ومفوضي الدولة أثناء ممارسة مهامهم، وهو ما يراه فوزي أوصديق مفقودا، في دساتير الجزائر

الحالية [1] فكانت التجارة مع العدو خيانة عظمى، لأنها إفشال لسياسة الأمير الجهادية، ولهذا: « من أجل بضائعه تحل حياته »[2].

التغريم: أصدر الأمير أحكاما بالتغريم على قبائل مخالفة مثل : قبيلة (هوارة)، فحكم عليهم الأمير بغرامة.

حد السرقة: طبق الأمير أحكام السرقة لأن الدين كان واضحا في أمرها مصداقا للآية الكريمة التي تقول: [والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا][3] وهذا ما نقله لنا سكوت بقوله: « تقضي الشريعة بقطع اليد اليمنى والرجل اليمنى » [4] ولعله نقل خطأ قطع اليد اليمنى لأن الحد يتم بقطع اليد اليسرى أولا. وما يهمنا هوان الحد كان واقعا على المخالفين،وقد يصل إلى الإعدام إن لم ينته السارق، حين ينقل لنا سكوت أيضا حادثة إعدام محاول السطو على خيمة زوجة الأمير، والذي سولت له نفسه سرقة الأمير والاعتداء على حرمة خيمته، وكيف جرى تنفيذ الحكم علانية في ساحة تاكدامت[5].

اعتنى الأمير بالقضاء لأنه روح العدل فرتب له قضاة مختصون، وأشرك فيه موظفوه في الإدارة ليصل إلى السرعة والفاعلية في التطبيق، وليوجه المسؤولية لحاملها وليتقرب كذلك الناس من بعضهم، ويسهل قضاء حوائجهم ولهذا خلق ولاية المظالم والتي تعد إحياء لصفحة من صفحات العدل الراشدي، مغلقا بذلك الطريق على المستغلين أو المدعين لتكون فرصة أكيدة للعدل بعد أن كان الأتراك يحكمون بالموت تبعا للنزوة أو بغلطة على حد تعبير تشرشل[6] بذلك لم يسمح الأمير بتطبيق غير الشريعة الإسلامية بأحكامها العادلة.

---

(1) – فوزي.أوصديق، مرجع سابق، ص.92.

(2) – هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.153.

(3) – سورة المائدة، الآية رقم: 38.

(4) – سكوت، المصدر السابق، ص.125.

(5) – نفسه، ص.122.

(6) - هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.153.

المبحث الثاني:

التعليم:

رغم مهام الأمير الحربية، كما رأينا إلاّ أنه كان رجل، علم يفسر أعظم الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، و يراسل علماء العالم الإسلامي مجادلاً و مجيبًا و مستفسرًا [1]. لمعرفته أن الدولة الإسلامية هي دولة العلماء والمجتهدين، شعاراتها: العلم، العمل، الإيمان.

و أبدى الأمير من خلال بنائه لدولته اهتماما كبيرًا بالعلم، و أحاطه بالعناية و الرعاية، من خلال معاملته للطُلاب و إيصال العلم النافع لهم.

فالعلم و التعليم بالنسبة للأمير يعد نشاطًا أساسيًا للنهضة و لهذا اهتم بوسائل الارتقاء به من خلال ما يلي:

أ- بناء المدارس:

تنبه الأمير إلى أهمية التعليم، و خاصة بعد أن لاحظ الجهل المخيم، على المسلمين، و أدرك أن القوة المادية، وحدها عاجزة عن تبليغ رسالته الإصلاحية. فأخذ على عاتِقه بعث روح التحرر من الجهل في شعبه [2]، وأسس لذلك الغرض نظامًا تعليميًا بين جميع القبائل [3]، أساسه القرآن في كل مراحل التعليم سواء كان ابتدائيا أو ثانويًا أو عاليًا [4]، حيث يورد لنا (تشرشل) في هذا السياق قول للأمير في التعليم من منطلق الواجب فيقول:« واجبي كحاكم مسلم أن أؤيد و أبعث العلوم و الدين و لذلك فتحت المدارس في المدن و بين القبائِل و فيها يتعلم الأطفال الصلوات و يحفظون تعاليم القرءان و فروضه يعرفون جيدًا القراءة و الكتابة و الحساب » [5] .

---

(1) - فريد. جحا، مقال سابق، ص.129.

(2) - أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.112.

(3) - يحي. بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح، مرجع سابق، ص.140.

(4) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.152.

(5) - أبو قاسم. سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1982)، ص.160.

و قد بلغ عدد المدارس التي بناها الأمير، بتلمسان وحدها خمسون مدرسة ابتدائية، و معهدان كبيران للتعليم الثانوي و العالي هما:(مدرسة الجامع الأعظم ومدرسة أولاد الإمام)[1].

بالإضافة إلى تفكيره، في بناء مدرسة عليا للطب، غير أن حُلمه هذا لم يتحقق بسبب قصر فترة السلم بعد معاهدة تافنة [2]، كما لعب المسجد دوره في التدريس[3].

ب- تشجيع العلم و معاملة الطلاب:

و ليحقق النجاح لمشروعه التعليمي و يضمن التحاق الأغلبية به، جعل التعليم مجانًا لرغبة بعض الطلبة المجتهدين في مواصلة دراستهم، علاوة على هذا فقد كان يخصص رواتب للطلبة حسب معارفهم [4] و درجاتهم، و هي وسيلة ذكية لجلبهم وخلق التنافس الشريف بينهم، فكانوا يُشَجعون لتفوقهم بمنح خاصة، مما جعل الناس يقبلون على العلم بكثرة [5].

كما حرص على الجانب المعنوي لهؤلاء الطلاب، و أعطى أوامره باحترام المثقفين والعلماء، أينما وجدوا مع إعفائهم من الضرائب [6] لحاجتهم للمال من أجل ظروف دراسية مستقرة، كما كان أيضًا يجري امتحانات دورية لمعرفة المجتهدين.

و قد كان هذا التقديس للمعرفة و الدراسة و الثقافة، في زمن الحرب و السلم على حد سواء، بل كان يقوى أكثر أيام الحرب [7].و في هذا الإطار يقول دينيزين و هو شاهد عيان : «أن الأمير أرسل ثلاثين شابًا عربيًا إلى مرسيليا ليتعلموا هناك الفنون و المهن على حسابه الخاص» [8].

لقد كان الأمير مؤمنًا بضرورة التعلم وهو يقول : « في كل علم منفعة إما في المعاد أو في المعاش أو الكمال الإنساني إذ كل علم يفيد النظر عقلاً مزيدًا و جميـع العلـوم

---

(1)--هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.152.

(2)- مصطفى. نويصر، المرجع السابق، ص، 30.

(3)- رابح.تركي، مقال السابق، ص.111

(4)- هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.152.

(5)- يحي. بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح، ص.141.

(6)- مصطفى. نويصر، المرجع السابق، ص.ص، 30- 31.

(7)- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.67.

(8)- أ.ف، دينيزن، الأمير عبد القادر و العلاقات الفرنسية و العربية في الجزائر، الجزائر، دار هومة، (1999)، ص.59.

لصناعيـة والنظرية تفيد عقلاً » [1] و يقول أيضا أن: « نتائج الأفكار لا تقف عند حد و تصرفات العقول لا نهاية لها» [2].

وكان الأمير حريصا على طلبة العلم، و كان يعفو على المحكوم عليه إذا كانوا من طلبة العلم، و قد قال في هذا الصدد: « إن الساكن في كوخ قد يقطع نخلة لا تريحه ولكن كم سنة يجب عليه أن ينتظر قبل أن يكون في استطاعته أن يذوق ثمار نخلة أخرى يغرسها » [3].

إن هذا الحرص الشديد جعله يرتب المعلمين في سائر المدن و القرى لتدريس العلوم المتعددة، يضع لهم رواتب تختلف حسب درجاتهم العلمية، الأمر الذي شجع الناس على طلب العلم، و أعطى للمدرس مرتبة عالية، في المجتمع و حثهم على احترام أهله [4] و جعل من المدرسين «أعز المساعدين له في المهمة المقدسة التي رسمها» [5].

جـ- جـمـع الـكـتـب و الـحـفـاظ عـلـيـها:

كان الأمير يبذل قصارى جهده، في جمع الكتب و المحافظة على المخطوطات من الضياع، حيث أنه كان يقدر جيدًا الزمن الذي يلزم لكتابة نسخة واحدة فالحفاظ عليها، أفضل من بذل ذلك المجهود الذي يجدر توجيهه لمساعي جديدة وعلوم جديدة [6] حتى أنه أمر جنوده بأن يوافوه بكل كتاب يعثرون عليه [7]، و كان يعاقب من وُجِد بصدد إتلاف مخطوط، معاقبة شديدة و يشجع في نفس الوقت بجوائز كبيرة من يأتيه بمخطوط أو يحافظ عليه من الضيّاع، ليعطى بعدًا آخر لمشروعه الإصلاحي [8] و يقوم الأمير عندها بجمعها و إخفائها في أمكنة أميـنة [9] و قد بلـغ

---

(1) - عبد الحميد. ساحل، مرجع سابق، ص.69..

(2) - الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، مصدر سابق، ص.7.

(3) - هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.152.

(4) - أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.50.

(5) - Paul. AZAN, l'émir Abdelkader, de fanatisme musulman au patriotisme français, (1808- 1883), Paris, hachette,(1925), P.135.

(6) - هنري. تشرشل ،المصدر السابق، ص.152.

(7) - يحي. بوعزيز، المرجع السابق، ص.141.

(8) - هنري. تشرشل ،المصدر السابق ، ص.ص، 152- 153.

(9) - عبد الحميد. ساحل، المرجع السابق، ص.64.

عدد كتبه 5000 مخطوطة مجلدة تجليدًا فاخرًا، أضافها لما أحضره معه من كتب في رحلته المشرقية، بعد جهد كبير، بعضها أهدي إليه، فيذكرنا (بيروجير) أنه سلم كتاب دلائل الخيرات [1] (للأمير) و كيف كانت غبطته به بالغة.

و نظرًا للحجم الثري لهذه المخطوطات وقد شكلت بالفعل نواة هامة لمكتبته في تاكدامت [2]. حيث كان يهدف إلى إنشاء جامعة و مكتبة مركزية بها، تجمع بين العلوم الدينية و العلوم الحديثة العقلية [3] لأنه كان يرى فيها مشروعا لمركز سلطة هام، لكنه حرصًا على أرواح ساكنيها، نقلها تماشيًا مع أحوال الطوارئ إلى الزمالة.

و بلغ عدد ما فيها من مجلدات قرابة الخمسمائة ألف كتاب - كما سبق و أن ذكرنا - لكن معركة عين طاقين عام(1259هـ/ 1843م)[4]، و بالهجوم على الزمالة كانت المكتبة أول هدف، للمشاة من الجنود الذين تخفوا بألبسة جيش الأمير عبد القادر وهاجموها [5]، فخسر بذلك الأمير كتبه، وحزن عليها حزنًا شديدًا لكونه تتبع مسار الجيش الفرنسي من خلال أوراق كتبه المبعثرة و الممزقة و التي كلفته جهدًا بالغًا لجمعها منذ رحلته الأولى للحج [6] و تذكرنا بما فعله الإسبان عند دخولهم الأندلس و ما فعله المغُول عند احتلال بغداد [7]، و تذكر الأميرة بديعة حفيدة الأمير في كتابها

---

(1) - يتكلم بيربروجير صاحب الرحلة عن نسخة عربية خطية و جميلة من كتاب دلائل الخيرات، كانت موجودة في قسنطينة تتضمن صلوات و أدعية، و غيرها من مواضيع العبادة، أخذها من مكتبة أمين عيسى مساعد الباي.

- أنظر: أدريان بيربروجر، «رحلة إلى معسكر و الأمير في الونوغة و البويرة»، المقال السابق، ص.207.

(2) - تاكدامت: من المدن الأولى التي بنيت في إفريقيا كان يحكمها أجداد الأمير، تقع خرائب المدينة القديمة على مسافة 8 أقدام من مستوى المدينة، تبعد على مسافة 8 أيام من حدود المغرب الأقصى، وعلى بعد 60 ميل جنوب شرق وهران، أرادها الأمير مدينة عظيمة وضع بها أول حجر 30 ماي 1836، كانت مركز تجارة بين التل والصحراء لتكون شوكة في عين قبائل الصحراء، سكنتها عائلات عربية و أندلسية و كرغلية من معسكر و مستغانم.

- أنظر: مذكرات الكولونيل سكوت، ص.83، و أيضا: هنري تشرشل، المصدر السابق، ص.136.

(3) - فائزة. عبد المجيد، «مع صانعي التاريخ الأمير عبد القادر الجزائري »، المقال السابق، ص.54.

(4) - يحي. بوعزيز، رائد الكفاح، مرجع سابق، ص.141.

(5) - الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق ، ص.48.

(6) - هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.139.

(7) - يحي. بوعزيز ،المرجع السابق، ص.141.

عن الأمير عبد القادر، أن أحد الصحفيين ذكر أنه رأى الجنود الفرنسيس بعد تدمير مكتبة الأمير الشهيرة ينقلون جزءًا من محتوياتها من كتب علمية و مخطوطات نفيسة [1] .

كما قال الأمير حول فضيلة العلم: « لا شيء أقبح من الإنسان مع ما فضله الله به من القدرة، على تحصيل الكمال بالعلم أن يهمل نفسه، و يعريها من هذه الفضيلة، و كما كان العلم هو كمال الإنسان، كان كل إنسان محبًا للعلم بالطبع و يشتهيه و يفرح إذا نسب إلى العلم» [2].

فمرتبة العلم و تعليمه عند الأمير تبلغ درجة اللذة الروحية، لا يعيقها سوى العادات السيئة، و استيلاء الشهوات على عقول الناس [3]، و لإرجاع هؤلاء إلى جادة الصواب فلا بد من تسبيق العلوم الشرعية، و إعطائها حصة الأسد في تكوين الناس بغَسل كل الشوائب، و الرجوع إلى الدين، يقول الأمير عن هذا الأمر: « و إياكم أن تظنوا أن العلوم الشرعية مناقضة، و منافرة للعلوم العقلية، بل أي شيء جاء عن الأنبياء مما شرّعوه للناس، لا يخالف العقول السليمة» [4]، لكن الأمير لم يكن مقتنعا بتدريس العلوم الشرعية فقط فالعلم لا يتعارض في رأيه مع الشرع أبدًا، بل هما مكملان لبعضهما ويقول على لسانه: « لا غنى بالعقل عن العلوم الشرعية ولا غنى بها عن العقل والذي يدعو الناس إلى التقليد المحض مع عزل العقل، جاهل و المكتفي بمجرد العقل عن العلوم الشرعية مغرور، فإياكم أن تكونوا من أحد الفريقين و كونوا جامعين بينهما فإن العلوم العقلية كالأغذية، و العلوم الشرعية كالأدوية» [5].

إذن فالأمير كان يعرف قيمة العلم و لا يبخل به على أتباعه و لم يهمل حتى العلوم الدنيوية في ذلك.

---

(1) - الأميرة بديعة، ناصر الدين، ص.121.

(2) - الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، ص.39.

(3) - عبد الحميد. ساحل، المرجع السابق، ص.65.

(4) – نقلا عن: عبد الحميد.ساحل، لمرجع نفسه، ص.63.

(5) – الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، المصدر السابق، ص.75.

كما كان يدرك شروط التعليم الذي يتطلب النفس الكاملة و يرفض النفس الضعيفة و غير القادرة على رؤية الحقيقة بسبب غشاوة الجهل فكيف، نعرف الفرض في الدين بدون علم، فلا يعرف كذلك فضل الجهاد إلاّ بالعلم [1].

و كما كان يؤمن بأن العلوم التي لا تعترف بوجود الله، ليست علوما إلاّ باعترافها به و بعقيدة عميقة بالله، ونهايتها هي السعادة الحقيقية للإنسان[2] موفرًا بذلك للطلبة العلم المحيط الضروري للدراسة، إيمانًا منه بثمرة النجاح التي هي أداة لتحرير الإنسان و الإنسانية [3].

ولم يتردد كذلك في إرسالهم للتعرف على الآخر، و التعلم منه تكملة لتعليمهم الديني و تكوينًا لهم لمواكبة تطورات العصر؟[4]، و هو بذلك يوافق رأي رفاعة الطهطاوي[5] في الحاكم حيث يقول: « على الحاكم أن يقوم ببذل الجهد في المجال التربوي، الذي يعتبره كركيزة للمجتمع الإسلامي، لأنه يرتبط أساسًا بالأخلاق كما يجب و على الحاكم توفير المعدات الضرورية لذلك» [6] ورغم الحروب، الطويلة الذي خاضها الامير فقد عمل على نشر العلم، كوسيلة من وسائل الجهاد مصدقًا لقوله تعالى: (فلا تطع الكافرين وجاهدهم جهادًا كبيرًا) [7].و قد نجح إلى حد كبير في بلوغ غايته من التعليم و عمل في إصلاحه نيلاً للأجر (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون) [8] فبذل عبد القادر بذلك جهدا كبيرًا في الحفاظ، على العلم و طلابه، و في توفير وسائله، بحكمة كبيرة فالله (يؤتي الحكمة من يشاء و من

---

(1) - يوسف. الفرضاوي، الرسول و العلم، ط7، مصر، مطبعة المدني، (1999)، ص.33.

(2) - R. Mimoune, «l'homme dans la vie et l'œuvre de l'émir Abdekader», in. Annales de l'université d'Alger, N°4, ...,p51.

(3) - Op.cit, p.51.

(4) بلحاج صالح، المقال السابق، ص.41.. - حمزة

(5) - رفاعة. بك الطهطاوي: كاتب مشهور من كتاب العهد الماضي من أئمة و باعثين النهضة الحديثة ولد بـ طهطا بمصر العليا سنة (1216هـ/ 1801م)، من ذوي الحسب و النسب مع أهم فقراء، ذهب عام (1242هـ/ 1826م) لفرنسا لتعلم الفرنسية و العلوم الحديثة، عام(1251هـ/ 1835م)، عين كمدير لمدرسة الألسن.

- أنظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مصدر سابق، مجلد.10، ص.149.

(6) - إسماعيل. زروخي، المرجع السابق، ص.237.

(7) - سورة الفرقان، الآية رقم: 52.

(8) - سورة التوبة، الآية رقم: 105.

يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا و ما يذَّكر أولوا الألباب) [1] إذْ كان الأمير يؤمن بأن بذل الجهد للصالح العام هو عمل يؤجر عليه مصداقًا لقوله تعالى: (إنّك كادح إلى ربك فملاقيه) [2] .

و هو مؤمن بأن العلم دليل الإيمان و العمل و شرط لتولي المناصب و هو ذاته العلم الذي يرفض التبعية. وحتى وهو بعيد، كان يراسل علماء الجزائر، ويحرص على استعادة كتبه التي ضاعت بسقوط الزمالة ومن هذه المساعي رسالته إلى مفتي بجاية الذي وجد كتاب صحيح البخاري والذي يخص الأمير وأراد إعادته له، فاتصل به مشيدا بعمله، ومطالبا به مهما كان الثمن الذي سيدفعه فيه بقوله:« فإنه بلغني أن صحيح البخاري من كتبي، اتصل بيدك وعرفت خطي عليه وإنك قلت إن وجدت من يبلغه من صاحبه أرسله إليه...وإن كنت تزيد الثمن الذي دفعت»[3].

---

[1] - سورة البقرة، الآية رقم: 269.

[2] - سورة الإنشقاق، الآية رقم6.

[3] - راجع: الملحق رقم: 19.

المبحث الثـالث: إحياء الأخلاق الإسلامية.

كانت دولة الإسلام و تبقى دولة عقائدية، مهمتها المحافظة على الأخلاق الإسلامية، عن طريق إرشاد و توجيه الأفراد فدولة الإسلام لم تقتصر في وظائفها على الأعمال الدنيوية، بل أيضًا على الأعمال الأخروية، بالرجوع إلى ما يأمر به الشرع [1] الإسلامي و لهذا يبقى الإصلاح كمصطلح و كضرورة دائمة لتقويم المجتمع، و هو في جوهره حركة علمية و عملية، ترمي إلى تحسين الوضع الديني أو غيره، بالقضاء على مسبباته، و استبدالها بالقيم الأصيلة ببعث روح جديدة لبناء المجتمع من جديد [2]، و هذا بالضبط ما شرع فيه الأمير عبد القادر الجزائري نحو شعبه باستخدامه لأسلوبين:

أحدهما: هادئ بالنهي عن طريق التأمل و الفصاحة و الدهاء و صواب الرأي، لحمل خصومه على طريق الهدى.

و الآخر: بالترهيب حين يجد المخالفة و التعنت و العصيان[3] و يقول صاحب التحفة:« من العجب أن تمكن إمارته بقوتين قوة رغبة و قوة رهبة، إلاّ أن القوة الأولى كانت هي المعول عليها... » [4].

يعود الأمير للجوهر في تطبيقه القانون الشرعي، دون رفض القانون الوضعي الذي قد يحقق المنفعة للأمة [5]، فإجتهاد المعتمد على العقل و الحكمة والتكيف والمرونة مع كل المواقف التي تخص الفرد و المجتمع هام جدًا، و هذا ما سعى إليه الأمير بتربية شعبه و تهذيبه أخلاقيًا، من خلال بعض الأحكام التي أصدرها بخصوص بعض المحاذير و أهمها:

---

(1) - إسماعيل. زروخي، المرجع السابق، ص.97.

(2) - أحمد. ملاح، المرجع السابق، ص.71.

(3) - نفسه، ص.103.

(4) - محمد. بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مرجع سابق، ج2، ص.220.

(5) إسماعيل - زروخي، المرجع السابق، ص.190..

أ- منع المحرمات و محاربة الآثام:

1- عقوبة معاقـرة الـخمـور و الـقمـار و اسـتعـمال الـتبـغ:

رأى الأمير أن إصلاح المجتمع، لا يتأتى فجأة بل عليه إصلاح الفرد، بتعريفه لذاته و بنائها فيقول في مواقفه: « إن كل من لم يسلك طريق القوم و يتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصلح له إخلاص و لو كان أعبد الناس و أورعهم و أزهدهم فإن رحمه الله بمعرفة نفسه صحّ له الإخلاص» [1] و كان عليه إرشادهم، إلى ما يصح كطريق للتصالح مع الذات.

فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، و لذلك سعى الأمير إلى إبعاد جنوده عن كل المحرمات كالخمر، و القمار لأنها رجس من عمل الشيطان، و لكونه من مسكرات العقل و الضمير، لِما لها من مضار على صحة جنوده، الذين تحتاج إليهم أمتهم في ساحات الجهاد بأتم قواهم لتحقيق النصر، و لأن التدخين فيه إسراف يُحرمه الشرع [2]. و لما لهذه الآفة من مضار تقتل الوقت، و تؤثر الكسل وتضيع المال و تسبب الانحلال و السطو جشعا على أموال الآخرين[3].

و ليس معنى هذا تحريم قطعي من الأمير، و لكن التدخين مكلف و الجنود فقراء و كان الأمير حريص على إبعادهم عن هذه العادة المكلفة [4]، لدرجة أنه كان يفرض لردع المتجاوزين، عقوبات صارمة خصوصًا على شاربي الخمور و لاعبي القمار[5].

و قد أكد لنا هذا أحد الرحالة الذين إقتربوا، من مخيم الأمير إذ ذكر كيف أن أحد الأهالي، أسرع إلى أحد أعضاء الوفد، طالبًا منه إطفاء سيجارته، فيعلل أدريان بيربروجير هذا المنع« بأن عددًا من علماء المسلمين قد حرموا استعمال الدخان و حتى القهوة، و ليس ذلك التحريم المزدوج من نص القرآن بالتأكيد لأن الدخان و القهوة لم يكونا معروفين عند نزول القرآن و لكن يبدو أن الأمير عبد القادر باعتباره من المرابطين فقد اعتقد

---

(1)- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، مصدر سابق، ج1، (موقف 4)، ص.ص، 35-36.

(2)- طاهر. عزوي، المقال السابق، ص.192.

(3)– أحمد.ملاح، مرجع سابق، ص.110.

(4)– تشارل.هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.154.

(5)- يحي. بوعزيز، المرجع السابق، ص.142.

أن عليه أن ينضم إلى الرأي الأكثر تشددًا، على الأقل فيما يخص الرأي الذي يخُص الدخان» [1].

2- موقفه من استعمال الذهب و الفضة:

نهى الأمير عن إستعمال الذهب و الفضة، إلاّ في الأسلحة [2]، عملاً بما تقتضيه أحكام الشريعة، بتحريمها لإستعمال الرجل للذهب و الفضة، إلاّ بالمقدار المحدد في الدين.

و قد أورد (تشرشل) حديث الأمير بهذا الخصوص حيث يقول:« لقد منعت منعًا باتًا استعمال الذهب و الفضة في ثياب الرجال، لأنني كنت أكره التبذير و التحلل الذي يؤدي إليه و لن أتسامح إلا بتزيين الأسلحة و السروجّ » [3].

3- القضاء على الزنا و السرقة:

لقد فسر لنا الأمير عبد القادر في مواقفه آية مهمة تقول:(أفرأيت من إتخذ إلهه هواه و أضله الله على علم) [4] ، فالأمير يرى أن للنفس ميل إلى ما يؤذيها،لأن الإنسان بطبعه ثائر على الروح في مملكته الإنسانية يتبع هواه، و هو فراغ و ضلالة [5].

و لهذا حارب الأمير العهر بشدة [6]، لما فيه من مضار للمجتمع و من ضياع للأنساب و من تفكك في الأسرة، بل لأنه ابتعاد عن القرآن، و اعتناق للمحرمات، التي نهى عنها الشرع و جعل لها حدودًا، أخفّها الجلد، و تنتهي بالرجم كقصاص، حيث كان لا يتردد في عقاب المخالفين، ليكونوا بالفعل أسوء عبرة للبقية.

أما عن السرقة فقد كلف الأمير خلفاءه و أعوانه و قادته، بتحمل المسؤولية كاملة عن الجرائم و السرقات التي تقع في مناطقهم، و بالتالي حرص كل واحد على منع حدوث النهب، رغم طابع الخيام و اتساع المساحة.

---

(1)- أدريان. بيربروجير، « رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر في الونوغة و البويرة »، مقال سابق، ص.192.

(2)- الأميرة بديعة، ناصر الدين، مرجع سابق، ص.45.

(3)– نقلا عن: هنري. تشرشل، مصدر سابق، ص.ص، 153- 154.

(4)- سورة الجاثية، الآية رقم: 23.

(5)- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج3، (موقف) 350.

(6)– تشارل. هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.153.

حيث جعل الأمير، مهمة الأمن و الاستقرار، هي مهمة الدولة و ليست مهمة الناس، لدرجة أنهم امتنعوا عن نصب مصائدهم، لكثرة مصائد الدولة، و حرصها على القضاء على هذه العادة الهدامة التي تولدُ الاتكال، و نهب أرزاق الناس بدون تعب.

مع كل هذا الإهتمام ظهر الأمن من بعد الفوضى، و استتب الاستقرار و زالت سرقة الخيول ليلاً، و صار بإمكان المرأة التنقل و حدها دون أن تتعرض للإهانة [1] كما أصبح بإمكان أية فتاة قطع البلاد، التي تدين بالولاء للأمير بدون خوف، و لو كانت واضعة على رأسها تاجا من ذهب [2].

و ظل تحذير الأمير لمن تسول له نفسه السرقة، ساريا حتى على تعرض أمتعة الأجانب للسرقات، إذ يذكر لنا (الكولونال إسكوت) أنه تعرض للسرقة و تلقى تأكيدًا من الأمير عبد القادر، أنه لو عثر على أصغر أمتعته عند عربي لقطع رأسه على الفور [3]. يعود هذا الأمن، لنجاح الأمير في ترسيخ التصورات الإسلامية، في مجتمعه تنظيما له على هدي القرآن و السنة[4].

4- الـحـفـاظ عـلى الـصلاة:

تعد العبادة الوسيلة الوحيدة التي تكفل في الجانب الروحي من حياة الإنسان لتطهير النفوس و تنقيتها من الشَوائب، حتى تسير وفق العقيدة و لتسمح بالنهوض بالواجبات [5].

فأثر الصلاة مثلاً، هو أثر روحي تطيب به نفس المتعبد، و تصلها بخالقها وتوجهها إلى مراقبة سلوكها، و نزعتها حتى تسود المعاني الإنسانية في حياة المؤمنين [6].

---

(1)- هنري.تشرشل، المصدر السابق، ص.153.

(2)- ناصر الدين. سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص.216. - أنظر كذلك: عامر. البغدادي، مرجع سابق، ص.68. و أيضا: هنري تشرشل، مصدر سابق، ص.86. و أيضا: محفوظ قداش، مرجع سابق، ص.65.

(3)- سكوت، المصدر السابق، ص.98.

(4)- عامر.البغدادي، مرجع سابق، ص.69.

(5)- مصطفى. أحمد الزرقاء: « الأبعاد الروحية و السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية للعبادات و أهميتها لكل من الأمة و الفرد»، في: ملتقى الفكر الإسلامي العاشر، 12- 21 رجب 1396هـ/ 10- 19 جويلية (1976)، عنابة، مجلد 03، فسنطينة، مطبعة البعث، (1400هـ/ 1980م)، ص.430.

(6)- مصطفى. أحمد الزرقاء، المقال السابق، ص.439.

لهذا كان الأمير عبد القادر يلزم الناس بحضُور الصلوات الخمس في المساجد [1]، لتعويدهم على هذه الرياضة الروحية، التي تدعو إلى طاعة الله و أوامره ونواهيه [2]، حين يستقبل المصلى ربه طاهرًا، بعد أن أزال عن جسده نجاسة البدن والثوب و المكان، لتكون بها النفس صالحة صافية. مما يحدِثُ وحدة العقيدة و القلوب والصفوف و يخلق التضامن و التناصر. إذ الصلاة تنهي بذلك عن الفحشاء و المنكر و تأمر بالمعروف [3]، فلا يختلف التراص إذن داخل المسجد، عنه في الخارج و هم متراصو كمحاربين جنبًا إلى جنب أو كتاجر أو كجيران.

فلم تكن هذه الإجبارية إلاّ لجعل الصلاة فعلاً عمادًا للدين. فإذا نادى المؤذن للصلاة يخرج الأمير فيصل بهم إماما و يعاقب كل من تخلف[4] إقتداءا بالمعاملات التي كانت موجودة في دولة الإسلام، إذ كان إذا بقي التاجِرُ في دُكانه، وقت الصلاة تَجلده الشرطة [5]، حتى لا يعود إلى إهمالها، و هي عماد الدين كما سبق و أن ذكرنا (يا أيها الذين آمنوا أستجيبوا لله و للرسول إذ دعاكم لما يحييكم) [6].

فإهتم الأمير كثيرًا بالصلاة، حتى أنه كان يتولى الإمامة في الأماكن التي يقوم فيها بزياراته، وإذ صادف يوم الجمعة، يحثهم على فضائل الصلاة ودورها [7].

و لهذا اهتم كثيرًا بالمساجد التي كانت على عهد الحروب، خيمة كبيرة بها محراب تعقد بها الندوات الدينية[8]، و رغم ظروف الحـرب، حـرص الأمير على

---

(1)- محمد. طاهر عزوي، المقال السابق، ص.192. راجع: الملحق رقم:20.

(2)- مصطفى. أحمد الزرقاء، المقال السابق، ص.ص، 440- 441.

(3)- المقال نفسه، ص.454.

(4)– الأمير محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ص.ص، 211-212.

(5)- نفسه، ص.192.

(6)- سورة الأنفال، الآية رقم: 24.

(7)- هنري. تشرشل، المصدر السابق، ص.155.

(8)- الأميرة بديعة. الحسني، ناصر الدين، مصدر سابق، ص.128.

الصلاة لأنها تعلم الجميع، كيفية المحافظة على أركانها و شروطها و على إخلاص النية فيها، قبل كل شيئى، فمن يخاص النية في الصلاة، يخلصها في شن عمله على أعداء الله داخل نفسه، و يحصنها ليكون قادرًا على مواجهة أعداء الله في العالم الخارجي [1]. فالصلاة كانت و ستبقى فعلاً مرتبطة بالعبادات الأخرى كالجهاد.

فمن غير المعقول أن يترك المجاهد صلواته، و تقبل منه الشهادة، لأن الجهاد الحق يتطلب إيمانًا عميقًا و متواصلاً بالله سبحانه و تعالى، ليصل المجاهد إلى استعداد كبير للتضحية حين يُعلَنُ النفير للجهاد في سبيل الله [2] و لتصبح نوازع الشر ملجّمة محكمة و دوافع الخير عاملة[3].

---

(1) - حامد. الجار،: « الجهاد: أبعاده الروحية و السياسية و الإجتماعية، في حياة الفرد و المجتمع»، المقال السابق، ص.284.

(2) - حامد. الجار، المقال نفسه، ص.281.

(3) – مصطفى.أحمد الزرقاء، مقال سابق، ص.439.

ب- الـعـروبـة:

لقد اعتبر العديد من المؤرخين، مقاومة الأمير عبد القادر ببعديها الروحي و الوطني، كأولى مظاهر القومية العربية الحديثة [1] و قد أكدت مواقف الفكرية و السياسية [2] ذلك، فدولته كانت عربية اللسان، إسلامية الروح، وطنية الأهداف و المعالم، مجسدًا لها بكل أبعادها في كل تصرفات الدولة، مما يعطي لنا انطباعا صادقًا بمدى تمسكه بانتمائه الديني و بهويته العربية الأصيلة و تمجيده لمفاخر أجداده و إنجازاتهم في تمتين التجربة الإسلامية المستعملة في دولة الإسلام و مدنّيته و سنلمس أيضًا جهوده من أجل تكوين قيم و مثل موحدة للمجتمع العربي في الجزائر و المحافظة على هويت.

فمفهوم الأمير و نظرته للقومية تختلف عن نظرة غيره و هذا ما سوف نتعرف عليه من خلال هذا المبحث.

- مـفهـوم العروبة عند الأمـير عـبد القـادر:

كان الأمير يرى أن القومية تقوم على الدين و البطولة و الاقتصاد و العاطفة وتتحقق بالقوة العسكرية[3].

فكانت العروبة عند عبد القادر هي الصلة و العلاقة الوثيقة مع أرضِه و بني جنسه[4] فهو العربي، الشريف، عظيم النسب، المفتخر بالأمجاد و الذكريات التاريخية لأجداده[5]، و المنتسب للنسل المحمدي، فارتباطه بآل البيت، جعله يمدح هذا النسب معتزًا بانتمائه للعرب، معتبرًا ذلك شرفًا له و لأمته العربية هو ما أكده الكثير من الضباط الفرنسيين، و قد حكم الكثير من القادة العسكريين الذين كانوا في الجيش الفرنسي، على أن الأمير هو بحق الممثل الشرعي للقومية العربية في الجزائر[6].

---

(1) - عبد الحميد. ساحل ، أصول الفكرة الإصلاحية، مرجع سابق، ص.57.

(2) - محمد. أحمد عبد العاطي، « الإسلام و العروبة »، المقال السابق، ص.262.

(3) - محمد. أحمد عبد العاطي، المقال السابق، ص.268.

(4) - حمزة. بلحاج صالح، المقال السابق، ص.38.

(5) - مصطفى. نويصر، « الجذور التاريخية للوعي القومي الحديث بالجزائر (1847/1830) »، مذكرة سنة أولى ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (1983) ، ص.54.

(6) - عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ، مرجع السابق، ج3، ص.124.

و يزيد من هذا الافتخار تلك المكانة الراقية التي حظيت بها أُسرته بين بني وطنه من احترام، و دور هام في حماية الوطن، و الذَود عنه عملاً بالأخلاق العربية التي تمجد الفارس العربي و باحترامه لكل شيء وخاصة الكلمة و الوعد فيقول في لقاء رسمي جمعه بالجنرال بيجو عام (1252هـ/ 1836م) بعد التوقيع على معاهدة "التافنا" مجيبًا على بعض شكوكه « إذن لنا دينًا و أخلاقًا عربية تلزمنا المحافظة على قولنا » [1].

كان الأمير متمسكًا بهويته، مصرًا دائمًا على بعث المفاخر العربية التي اكتسبها أيضًا بفضل رحلاته إلى الحجاز، و دمشق، و بغداد و له في هذا أشعار منها قوله:

ورثـنـا سـؤدًا لـلـعـرب يـبـقـى
و مـا تـبـقـى الـسـمـاءُ و لا
الـجـبـالُ[2]

و في رسائِله كان دائمًا يستخدم كلمة العرب، وعيًا منه بضرورة الحفاظ على الهوية [3] بل يواصل و يعرفهم بتاريخ العرب المجيد و أدوارهم في الفتوحات فيقول لـ ديمشال في إحدى رسائله: « ... لقد ظهر لنا من مضمون كتبكم، أنكم تحتقرون قوة العرب مع دوام استعدادهم للقتال، و مسابقتهم للنزال في كل زمان، و إذا عدتم إلى كتب التاريخ قرأتم ما حقوقوه من الجرأة و الثبات و الإقدام » [4].

و يخبر بيجو في رسالة مماثلة عن الصفات و الأخلاق العربية، مفتخرًا بالوفاء العربي، و الشهامة التي تأبى الخديعة و الغدر بالأسرى، و خاصة المرأة التي حظيت بمكانة هامة، في المجتمع العربي، فيقول في هذا الصدد: « شهامتنا العربية لن تسمح لنا أن نحيد و لو بقيد أنملة عن احترامنا للمرأة، و تقديسنا لجانبها» [5].

و يعترف آخرون له كـ بول عفريل سنة:(1249هـ/ 1833م) بأنه « بطل القومية العربية الذي عرف، إنه يجمع حوله قوة القومية العربية المبعثرة».

---

(1) - المرجع نفسه، ص.40.

(2) - حمزة. بلحاج صالح، « الأمير عبد القادر الجزائري منهج التغيير و منظومة القيم »، لمقال السابق، ص.38.

(3) - مصطفى. نويصر، الجذور التاريخية، مرجع سابق، ص.62.

(4) – نقلا عن: هنري.تشرشل، مصدر سابق، ص.59.

(5) – نقلا عن: مصطفى. نويصر، مرجع سابق، ص.60.

بناءا على تقرير كتبه الماريشال فالي، فإن عبد القادر هو أمل القومية العربية، و هو المادية و الأخلاقية لها [1].

كما إعترف له بيجو [2] بلقب (سلطان العرب)، و أدرك الطابع القومي لنضاله فكان يرى فيه قائد القومية العربية و ممثلها حيث يقول في ذلك:« عليكم أن تهاجموا القائد و القومية العربية في صلبها و يجب القضاء على هذه القومية و على قوة عبد القادر وإلا فإنكم لن تحققوا شيئًا في إفريقيا» [3].

كما لقبه تريزيل [4] (Trizel) كذلك بأمير العرب [5].

و لهذا اعتبر الأمير الممثل الشرعي لقومه و شعبه، فقد حذر فرنسا من مهاجمة الدين و احتلال البلاد بقوله:« إن كرهكم سيقوى أكثر من أي وقت مضى » [6] وقالها بصريح العبارة لـ بيجو:« إن العرب لا يمكن أن يقبلوا حتى أن يسمحوا بالعيش تحت سلطة المسيحيين، حتى و لو كانت سلطة اسمية و إذا كانت فرنسا ساعية لوضع العربي تحت سيطرتها، فمعنى ذلك أنا ستدخل حربًا لا نهاية لها» [7].

و دولة الإسلام بالنسبة للأمير تقوم على أساس عقائدي، لا جغرافي ولا عرقي و هذا ما جعل الأمير، يبذل كل مساعيه بمساعدته للحركة السنوسية و بانضمامه لها عام (1298هـ/ 1880م)، عندما كانت تواجه الهجمات الاستعمارية في ليبيا و نجح

---

(1) – نقلا عن: مصطفى .نويصر، المرجع السابق، ص.ص، 44- 45.

(2) - بيجو: هو توماس روبارت، ولد سنة (1199هـ/15 أكتوبر 1784م) - و توفي سنة (1266هـ/ 1849م)، من عائلة أرستقراطية تقيم في ليموج، ترقى في الرتب العسكرية بفضل خبرته في الحروب خاصة الحرب الإسبانية، تولى القيادة في الجزائر خلفًا للمريشال فالي أشتهر سياسة الأرض المحروقة بعد أن وضعت فرنسا تحت تصرفه ثلث الجيش الإمبراطوري نظرًا لخبرته التي تلقاها في الحرب الإسبانية. - راجع: سكوت، مصدر سابق، ص.48، ص.112.، و أيضا: أحمد رويش، مرجع سابق، ص.173، Dictionnaire encyclopédique quiliet, Paris, Aristide Quillet, P.967.و أيضًا:

(3) - نفسه، ص.46.

(4) - تريزيل: ولد سنة (1190هـ/ 1780م)، و توفي سنة (1277هـ/ 1860م). - راجع: محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، مصدرسابق، ج3، ص.189.

(5) – سكوت، مرجع سابق، ص.49.

(6) - نفسه ، ص.64.

(7) - هنري. تشرشل، مرجع سابق، ص.110.

بعد أن عمل على إطلاق سراح شامل الداغستاني إيمانًا منه بالتضامن الإسلامي[1] وبقي في هذا الإطار حتى آخر رمق في حياته أحد رعايا السلطان العثماني[2].

لهذا حاربت فرنسا الأمير لأن أهدافه كانت كبيرة ولأنه كان يسعى لإقامة دولة عربية إسلامية في الجزائر[3].

جـ- الإقـتـداء بالسلف الصالح و استلهام قيم الحضارة العربية الإسلامية:

نظرًا لتربية الأمير الدينية، تأثر دائمًا بمآثر السلف الصالح و حاول جاهدًا الإقتداء بهم فكان بذلك معجبًا أشد الإعجاب بالخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي) في عدله و في اختلاطه برعيته.

و قد عبر الأمير عن مدى إقتدائه بالخليفة عمر و إعجابه به عن طريق هذه الأبيات:

و قـد سـرتُ فـيـهـم سـيـرة عـمـريـة
و إنـي أرجـو أن أكـون أنا الـذي
يـنـيـر الـديـاجـي بـأمـتـنـا بـعـدمـا لـوى[4].

1- الإحتفال بالمناسبات الدينية:

كما كان الأمير لا يضيع فرصة الاحتفالات الدينية، و خاصة عيد المولد النبوي حيث جعله حفلاً مميزًا، و كان يوزع الخراطيش مجانًا على جميع الأشخاص الذين يملكون بنادق بالإضافة إلى قراءة القرءان و ابتهالات دينية مميزة، توقظ في الجميع الشعور الديني الحي [5]. و حاول كذلك إحياء ما قامت به الدولة الرستمية [6] و كذلك

---

(1)- عبد الحميد. ساحلي، المرجع السابق، ص.68.

(2)- عبد الله. العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق، ج3، ص.124.

(3)- أحمد. رويش، مرجع سابق، ص.170.

(4)- ناصر الدين. السعيدوني، عصر الأمير، مصدر سابق، ص.216.

(5)- سكوت الكولونيل، مصدر سابق، ص.81.

(6)- الدولة الرستمية: دولة أقامها الخوارج في المغرب العربي الفترة من (137-279هـ/ 754-909م)، عندما قام عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي إلى المغرب جنديا فاتحا مع جيوش المسلمين التي كانت ترسلها الخلافة العباسية في بغداد و كان يدين بمذهب الخوارج و من بين الذين فرّ بهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ولاه على القيروان، كما دخلوا في حرب فاسية مع الخلافة العباسية، بسبب إصرار حكامها على إبقاء الحكم وراثيا بينهم، آخرهم يقظان بن أبي اليقظان سنة(296هـ/908م).أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد11، ص.205.

الدولة الموحدية [1] بقيادة عبد المؤمن بن علي [2]. إن بعث الثقافة العربية و المحافظة عليها كان شغله الشاغل لتتمكن الأجيال الصاعدة من معرفة هويتها وجذورها وجوهر حضارتها مدافعًا في نفس الوقت عن فكرة الحرية، وعن حضارة الإسلام والعروبة، و عن الأرض [3].

لقد ساهم اهتمام الأمير في بعث روح الوطنية و تحريك العوامل الروحية بعد أن بهت لهيبها في الفترات التي سبقت الاحتلال من اضطرابات قبلية و غيرها[4] منذ عصر الموحدين.

وكان بناء دولة عربية إسلامية مستقلة، وسيلته لمواجهة الغزاة و طردهم بفضل وحدة الجزائريين.

2- رموز الدولة:

للدولة الحديثة مميزات منها الرموز التي تدل على استقلالية هذه الدولة وتمييزها بذلك عن غيرها من الدول.

ولم تخرج دولة الأمير عبد القادر الجزائري عن هذا الإطار فقد أسس الأمير دولة لها لوائها الخاص وعملتها وختمها.

أ- اللواء:

كان العلم الذي اختاره الأمير عبد القادر لواء لجهاده من حرير أبيض محاط بإطار من الحرير الأخضر أسفله وأعلاه رسم عليه بالذهب المزركش على شكل دائرة كتب بداخلها الآية الكريمة:[نصر من الله وفتح قريب]، وكذلك ناصر الدين عبد

---

(1) - الدولة الموحدية:(515- 674هـ/ 1121- 1275م)، تنسب هذه الدولة إلى جماعة إسلامية كونها محمد بن تومرت المنتمي إلى قبيلة مصمودة، حيث ألف لهم عقيدة عرفت بالمرشدة و ترجع كلمة الموحدين لقولهم بأن الله تعالى وحده يمكن أن تتصوره المحسوسات وأقيمت هذه الدولة في شمال إفريقيا و إسبانيا حين أوصى بن تومرت بعده بالخلافة للقائد عبد المؤمن بن علي الذي أقامها على أنقاض دولة المرابطين و هو أول قائد يوحد دولة المغرب من مصر إلى محيط الأطلسي و سقطت على يد بني مرين (678هـ/ 1269م).

- راجع: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مجلد 24، ص.ص، 371-372. و أيضا: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مجلد31 ص.ص، 9756-9757.

(2) - أحمد. رويش، المرجع السابق، ص.170.

(3) - مصطفى. نويصر، «الجذور التاريخية»، مرجع سابق ، ص.75.

(4) - مصطفى. نويصر، مرجع سابق، ص.43.

القادر محي الدين [1]، ووسطها يد مفتوحة [2] لعلى دلالة الألوان ورمزيتها تغني عن الإطناب في إقتداء الأمير بالسلف الصالح ممن سنوا اللواء، وإحترموا رمزية ألوانه.

ب- خاتم الإمارة:

هو دلالة أخرى على السلطة، وهو في دولة الأمير كبير الحجم منقوش بشعارات الدولة.

<u>في الدائرة كتب عليه</u>: «ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجامها تجم»

<u>على جوانبه</u>: أسماء الخلفاء الراشدين، يسبقهما اسم الله ومحمد. الله، محمد، أبو بكر عثمان، عمر، علي.

<u>في وسطه</u>: كتبت بعض أسماء الله الحسنى: الواثق، بالقوي، المتين، ناصر الدين بن محي الدين والتاريخ سنة 1248هـ [3].

ويكون هذا الخاتم حيث تحرر المراسيم من قبل كاتب الدولة وبعد موت المتولي أو في حال عزله، يرجع الخاتم إلى دار الإمارة[4].

جـ- العملة:

رمز آخر من رموز الدولة الحديثة، ولهذا كانت عملة الأمير وطنية [5] لتتعامل بها الرعية ولإتمام مهام أخرى، فيقول قدور بن رويلة في: وشاح الكتائب، أن الأمير: «جعل للسكة الجارية في بلاده صرفا معلوما تتعامل به رعيته وإعانة لبيت المال»[6].

وقد صك [7] الأمير النقود وجعل لها دارا خاصة [8] في تاكدامت وهو المثبت في العملة نفسها، وجعلها أنواع من حيث قيمتها، ومادة صنعها أو ما كتب على وجهيهما أو على إحداهما تتميز بأن:

---

[1] –الأميرة بديعة الحسني، <u>ناصر الدين</u>، <u>مرجع سابق</u>، ص.44.

[2] – تشارل.هنري تشرشل، <u>المصدر السابق</u>، ص.62.

[3] – أحمد.مطاطلة، <u>المقال السابق</u>، ص.175. <u>وأيضا</u>: فوزي.أوصديق، <u>المرجع السابق</u>، ص.70.

[4] – أحمد.مطاطلة، <u>المقال السابق</u>، ص.175. <u>راجع</u>: <u>الملحق</u> رقم: 22.

[5] – محمد.بوزيان، <u>المرجع السابق</u>، ص.88.

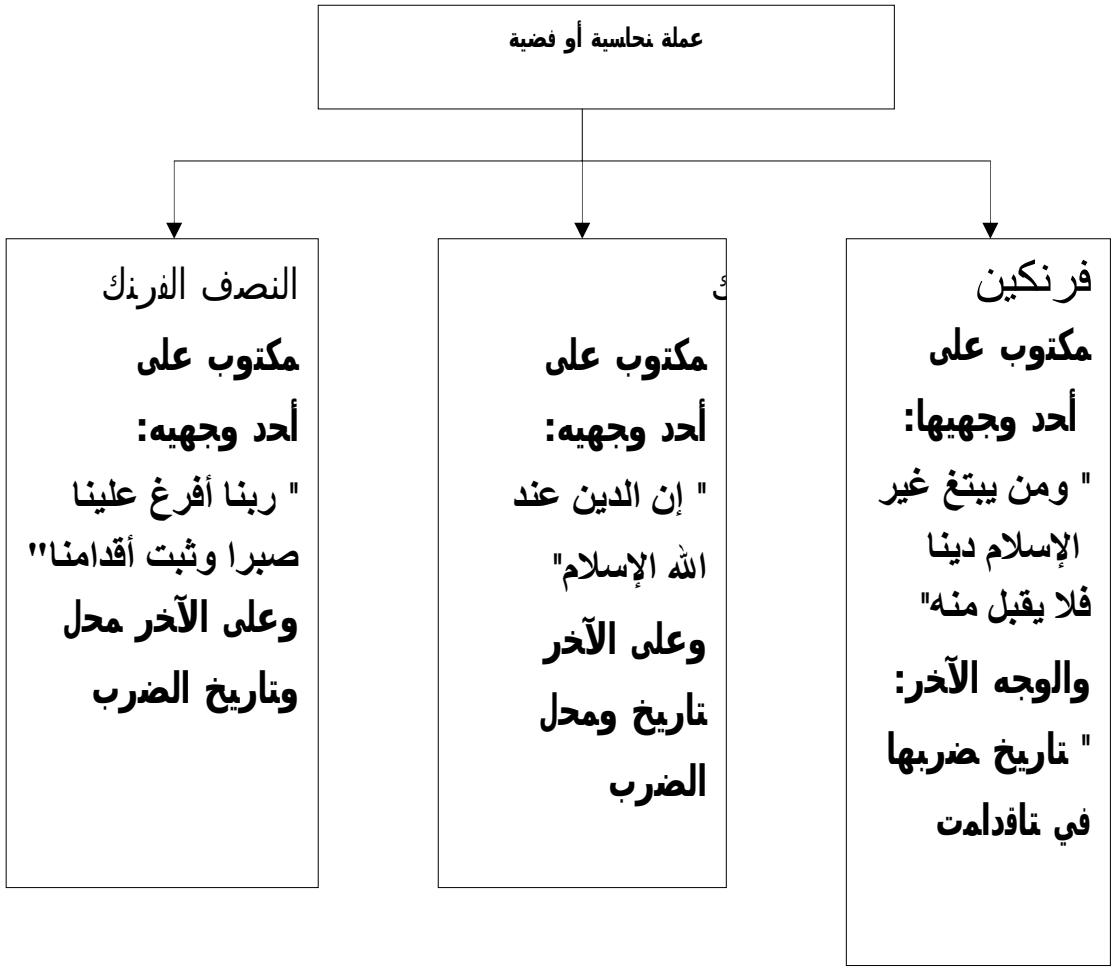
[6] – قدور.بن رويلة، <u>وشاح الكتائب</u>، <u>مصدر سابق</u>، ص.41.

[7] – <u>السك</u>: يقول ابن خلدون أنها اسم للطابع وهي الجديدة المتحدة لذلك ونقل إلى أثرها أنها النقوش المائلة على الدنانير والدراهم وطريقة إستخدام الأمير لها لا تختلف عن طريقة الحكومات السابقة له. <u>راجع</u>: عبد الرحمن.الجيلاني، <u>المرجع السابق</u>، ص.12.

[8] – تشارل هنري.تشرشل، <u>المصدر السابق</u>، ص.137.

كل صنف منها بنوعين من الفضة أو النحاس الأحمر مع اختلاف تسميتها كل شكلها مستدير.

مكتوب عليها من الوجهين:



لم ينسى الأمير بركة الآيات في العملة والمال، إلاّ أن اختياره التي ذكرناها بالذات يرجعها صاحب التحفة، إلى الظروف والحالات التي سنت فيه، هذه العملة بقوله:« وتنقله في رسم هذه الآيات بحسب ما كان عليه من اختلاف الظروف والحالات»[1]

وفي نفس الإطار الذي يخدم موضوعنا نورد تقييما آخر للعملة حسب تسميتها ونوع المادة التي صنعت منها

لم يصنع الأمير عملة ذهبية، ويكفيه فخرا أنها كانت تجربة رائدة أولية لبناء دولته، وهو لا يملك في ذلك إرادة غير إرادة شعبية التي هي إرادة الله[2] .

---

[1] – محمد.بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، المصدر السابق، ج1، ص.204.

أ- <u>المحمدية</u>: هي عملة من نحاس أحمر ولعل الأمير سماها[1] كذلك تيمنا بإثم الرسول ρ ،جعلها مستديرة الشكل قطرها بين 16- 17 ملم[2]،وزنها 9 ديسغرام[3] منقوش على أحد وجهيها بالخط المغربي "إن الدين عند الله الإسلام" ،والوجه الآخر أربع أسطر أفقية (ضرب في تاقدامت 1256)[4]

أما عن قيمتها فهي تُعادل الفرنك، أربعة عشر ونصف من السنتيمات، الربع أي خمس سنتيمات [5].

<u>النصفية</u>: وهي عملة من فضة مستديرة، قطرها 14 ملم وزنها 4 ديسغرام[6] كتب على أحد وجهيها [الله حسبنا ونعم الوكيل] [7]وتقرأ الآية [حسبنا الله ونعم الوكيل] والوجه الآخر مكان الضرب وتاريخه في تاكدامت 1254 [8] قيمتها نصف المحمدية تعادل سنتيمين[9].

كما سبق وأن ذكرنا لم يستعمل الأمير الذهب واستعمل النحاس والفضة كغيره ممن سبقوه في المغرب الإسلامي منذ عهد موسى بن نصير [10] كما ترك الناس أحرار في التعامل والتصرف بغيرها من أنواع السكة الرائجة يومئذ في الجزائر.

ثم أن نزعته الدينية و الإنسانية التي ليست بغريبة عن الإسلام و المنبثقة عن رؤية تؤمن بوحدة الأديان[11] فيقول عن الدوق أورليان [12]:

---

[2] – عبد الرحمن.الجيلالي، <u>المرجع السابق</u>، ج4، ص.16.

[1] - عبد الرحمن.الجيلاني، <u>المرجع السابق</u>، ص.10.

[2] – قدور.بن الرويلة، <u>المصدر السابق</u>، ص.41.

[3] – عبد الرحمن.الجيلاني، <u>المرجع السابق</u>، ص.10.

[4] - قدور.بن رويلة، <u>المصدر السابق</u>، ص.41. <u>أنظر</u>: <u>الملحق</u> رقم:21.

[5] – عبد الرحمن.الجيلاني، <u>المرجع السابق</u>، ص.25. <u>راجع</u>: <u>الملحق</u> رقم: 22.

[6] – عبد الرحمن.الجيلاني، <u>المرجع السابق</u>، ص.11.

[7] – السورة آل العمران الآية رقم: 173.

[8] – <u>المرجع السابق</u>، ص.11

[9] - <u>نفسه</u>، ص.11.

[10] – عبد الرحمن.الجيلاني، <u>مرجع سابق</u>، ص.17.

[11] - حمزة. بلحاج، <u>المقال السابق</u>، ص.39.

[12] <u>): كبير أولاد الماك لوي فليب، ولد بتاريخ 3 سبتمبر 1810 وتوفي في 13 جويلية 1842. Duc Dorléans</u> - <u>دوق أورليان (</u>

- <u>راجع</u>: أديب حرب، <u>مرجع سابق</u>، ج1، ص.216.

« إن فكرة عبد القادر كانت بمثابة القالب لتشكيل الأمة العربية فقد خلقت نظام الحكم في المرحلة الأولى ثم الشعب في المرحلة الثانية، و أرض السيادة في المرحلة الثالثة و الأخيرة»[1].

و قد أعطى الأمير البريق الحقيقي لهذه العروبة وربطها بحضارة الإسلام فكان حريصًا على الإقتداء بخير من جادت بهم هذه الأمة في تصرفاتهم و معاملاتهم وسننهم الحميدة، ليقرب شعبه إليه، و ليجعله يتعلم في كل مرة، من خلال الحرص على إقامة الاحتفالات الدينية التي تقرب بين الناس و بينهم، و بين الله عز و جل و تذكرهم بواجباتهم و الأمانات التي في أعناقهم.

[1] - المقال السابق، ص.39.

الخاتمة

الخاتمة:

يعد الأمير عبد القادر الجزائري من الرجال القلائل الذين جمعو بين تأسيس الدولة والفكر، بحيث لا يمكن تنافي دوره في العالم العربي الإسلامي، ولا إزالة فكره وذكره من الأذهان، رغم محاولات عديدة لإختلاس هذه الذاكرة، أو محاولة تشويهها أو طمسها، رغم الهزيمة التي يراها البعض بمثابة الموت المعنوي أو الكلي.

يبقى الأمير من الزعماء الذين ذاع صيتهم أكثر بعد الاستئمان وإلقاء السلاح، ولم ينتهي الأمير ولا دوره، بل تواصل بفضل مآثره التي جلبت له إحترام وإهتمام المطلعين عليها.

ولهذا يعد الأمير كنموذج للحاكم المثالي لأنه لعب عدة أدوار في نفس الوقت بحيث إجتمعت فيه كل الوظائف الإنسانية المخولة لصنع شخصية البطل، في الدين والعلوم والتربية والاقتصاد والمعاملات، وكذلك دور القدوة لكل الأجيال، لأنه ترفع كن كل كبر تافه على الإنسان، وتعامل بذلك مع الجميع، بروح علمية وإنسانية ساعده على ذلك عوامل عدة منها، نسبه الشريف والبيئة التي إحتضنته والزاوية القادرية التي ربته ملأ للفراغ الروحي والثقافي الذي كان يعيشه المجتمع، بسبب عزلة الحكام.

إن ثقافة الرباط قد قدمت للأمير عبد القادر تعليما نوعيا، خصوصا في الفترة التي كان مسموح بها من البايلك نظير حماية العثمانيين لسيد الهيئة القادرية في بغداد وكانت هذه الطريقة إحدى عوامل عبقريته الحربية لأنها عودته على الصبر والمجاهدة مع الذات قبل الآخرين.

فحركة الأمير الجهادية تحت لواء القادرية دليل على أن المجتمع الإسلامي آنذاك كان يمر بأزمة تؤدي حتما إلى حلول جذرية شريطة حجم التجاوب مع هذا المشروع والثقة المتبادلة بين كل الأطراف[1].

---

[1]– عبد الله.العروي، مرجع سابق، ج3، ص.124.

حارب الأمير بناءا على أسس متينة بكل قواه، المادية والروحية، كل من التعصب القبلي المدمر للوحدة، والخيانة التي تنخر روح الوطن وتدمر كل مجهود للصالح العام.

حاول الأمير بالترغيب والترهيب، مشاورا، غافرا، محتكما إلى القرآن والسنة، حيث كان الإيمان بالنسبة إليه وسيلة وغاية للسلطة والحكم الرشيد، لجوءا إلى الشعب بالمبايعة، فضرب به المثال في الجهاد والصبر والدفاع عن الحق ولهذا أطلق عليه الأستاذ أبو القاسم سعد الله، سيد المجاهدين، فلم يرفع الأمير سيف الجهاد ليحطم بل ليبني واضعا دعائم لدولته العصرية بتوفير كل وسائل الإزدهار[1]. منتصرا على العدو الداخلي في الذات، بالتعبئة الروحية، الفردية والجماعية، حسب أصول الشريعة عن طريق التركيز على الجانب الأخلاقي والعقائدي كقاعدة لتكوين المجاهدين والرجال بغرض تدعيم الجهاد.

نشر الأمير التصورات الإسلامية وطبق حدود الشريعة، بإستنباط الأحكام بمنتهى الذكاء والدقة فإستحق بذلك لقب الإمام والقائد، والمربي لأنه كان يلقي الدروس، في الفقه والتوحيد حتى في أحلك الظروف داخل خيمته المتنقلة مع الزمالة.

كما دعا أيضا إلى نبذ التقليد عن طريق الحث على الإجتهاد لهزم العدو الظاهري، ولم يمنعه من ذلك الإستعانة بخبرات الأجانب ولا إهمال الجوانب الروحية للمجتمع لأنه ببساطة لا يعتبر الآخر عدو كإنسان بل كمعتدي. ولهذا عامل الأمير أهل الكتاب بالحسنى ولعل صفحات معاملته للأسرى شاهدة حتى اليوم على ذلك.

أعطى الأمير بهذا إعلانا لأوروبا حول رسالة الإسلام الدينية التي ترسم آفاق التعاون بين المسلمين والشعوب الأخرى، وواصل الأمير تجسيد هذه النظرة العميقة مع مسيحيي الشام وموقفه المشرف بحماية الآلاف منهم.

---

[1]- أبو القاسم .سعد الله، " مساهمة بعض المفكرين الجزائريين في اليقظة الإسلامية في القرن 19" في: ملتقى الفكر الإسلامي السادس، الجزائر، مجلد 4، 24 جويلية- 10 أوت، (1972)، ص.105.

ساهم الأمير عملا وقولا في يقظة المسلمين مما كان يحيكه الإستعمار بزرع الفتن سواءا في الشام أو قبل هذا في موقفه المشرف من سلطان المغرب الذي رفض منافسته ولا الدخول في مواجهة دموية معه يكون لها تأثير على أخوة المسلمين وعلى المستقبل.

كان الأمير الصوفي المثالي في العالم الإسلامي الذي ربط بين الخلوة والواقع العلمي في سلوكاته ومعاملاته ومواقفه العامة والخاصة، فأبهر أعداءه بالذكاء والشجاعة والصمود، كما عرف الغرب المعنى الكامل للتصوف الإسلامي، رغم ما يعاب عليه من ثقة مبالغ فيها بالآخرين وتسامح يشبهه البعض بالسذاجة وأنه جعل الآخرين يستغلون طيبته، فلا يفهم حتما موقف الأمير إلاّ من عاش ذاك العصر، بروح الأمير المتدين، المترفع، القوي الصلة بربه، والمؤمن بالقدر خيره وشره، لم يتعامل الأمير إلاّ بمرحلية ذكية تعطي كل موقف حقه، فهو في قضية الأسرى يقبل بالتفاوض، ثم التبادل لأنه يعرف أيضا قيمة جنوده المجاهدين في سبيل الله ويعرف أيضا قيمة الإنسان.

يبقى عبد القادر الإنسان الخير الذي يشهد له الجميع بذلك هو نفسه من تعرض للخيانة والتراجع وإنهاك قوى جيشه من إخوانه في الدين قبل أعدائه من الفرنسيين.

نستنتج أن الأمير كان إبن بيئته، إستفاد كل الإستفادة من المكان في بلياك الغرب أو في رحلاته مبينا قدرته على التفاعل تأثير و تأثر متحررا من عقدة الآخر مقتنعا بضرورة تكافؤ القوى في أي مواجهة، مفضلا التأجيل على الإصطدام فأخذ من الحضارة الأوروبية وتعرف على جانبها المادي الذي يكمل الجانب الروحي لديه ويغيب فيها محافظا على أصالته العربية الإسلامية.

كانت تجربة الأمير تجربة إصلاح لكل المؤسسات ذات البعد الديني عن طريق تمسكه بالعدل والمساواة والإهتمام بالقضاء والمراقبة الدائمة لموظفيه في تكامل وتلاحم وتنسيق عن طريق توزيع الأدوار، لو لا عدم تجاوب بعض القوى ذات الوزن الهام وعدم الثقة البعض بسبب مصالح شخصية عودتهم على أسلوب العمالة

والخيانة والتمسك بالعصبية على حساب الدين ومصالح الأمة وما أشبه البارحة باليوم.

حين تتغلب العصبية على كل المشاعر الدينية والوطنية التي كانت أغلبيتها مع الأمير لتغير مجرى تاريخ الجزائر إلى إستمرار الإحتلال حتى ثورة نوفمبر التي قامت على نداء الله أكبر وعانت هي الأخرى من تكرر نفس المظاهر التي أطالت من عمر الإستعمار وسهلت توغله وتواطأت معه إلا أن حركية المجتمع الذي لا يرضخ إلاّ لأوامر الدين جعلت إمكانية الإلتحام مجددا بين الظاهرة العسكرية والدينية كما حدث تماما في دولة الأمير عبد القادر.

ويبقى هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة أعمق وتحليل أكبر لأصول الأمير ومواقفه مع الكثير من الدقة ويفتح آفاق دراسة كبرى للبعد الروحي في كل المقاومات الجزائرية للإستعمار الفرنسي.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتمنى تمام الإستفادة من هذا العمل المتواضع.

تم بفضل الله وتوفيقه.

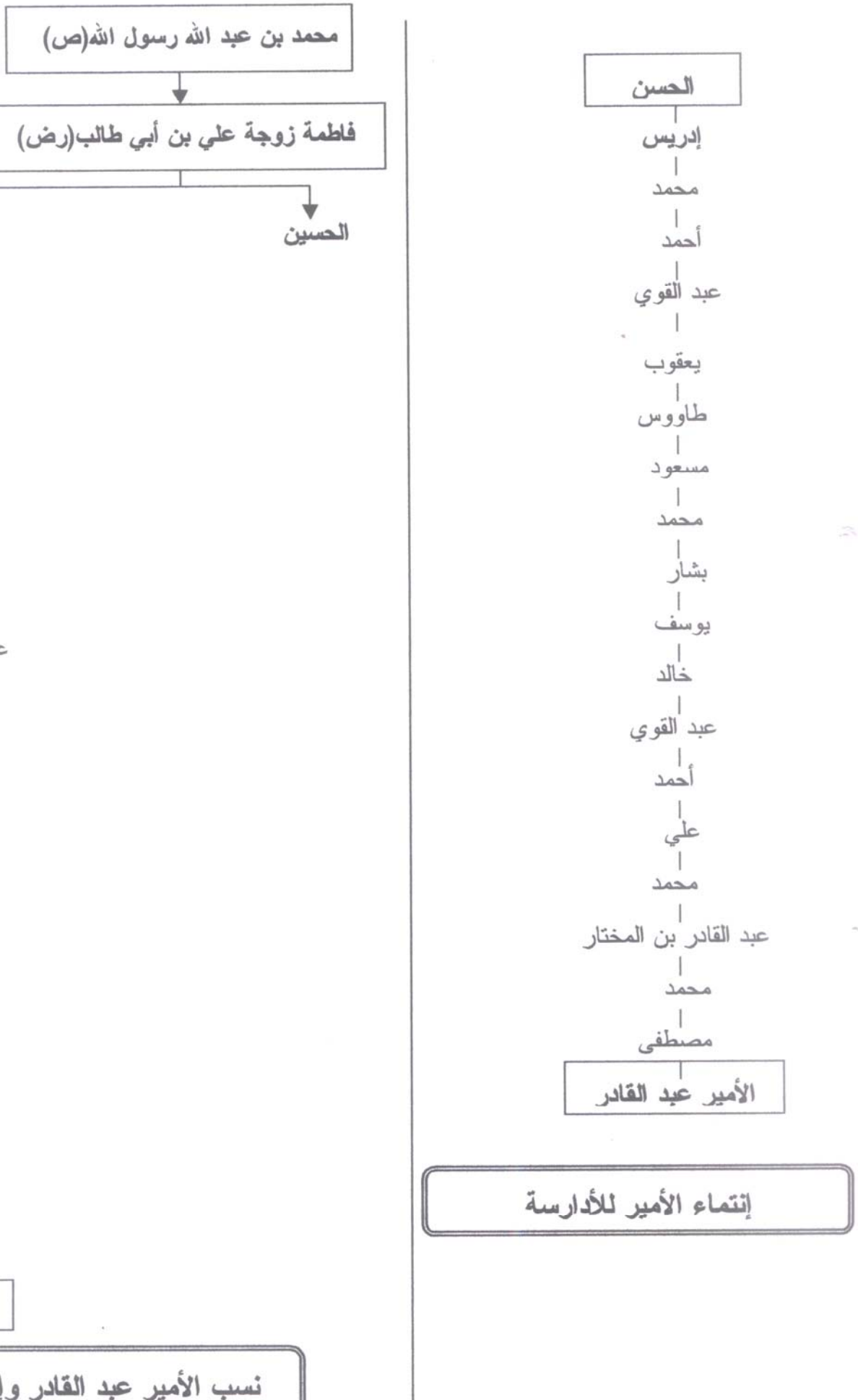
الملاحق

الملحق رقم : 01



صورة للأمير عبد القادر فى شبابه

الملحق رقم: 02



الملحق رقم:03

نموذج من كتاب سيرة الأمير.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله حمدا يوافي النعم ويدفع النقم ويرفع الهمم والصلاة والسلام على سيدنا العرب والعجم
سيدنا ومولانا محمد من بالنبوة والرحم وعلى آله الطيبين وشيعته وحزبه ونصر وبعد فان بعض اصدقائنا
النصارى طلب كتابا مختصرا يتضمن تاريخ ماجرى بيننا وبينهم في الجزائر من اصل الحدث ومتمم الحديث ببيان سبب
حلوا حرمي وطني بيروت بيروت مع ذكر النعوت بالجملة والتفصيل لما عسى ان يكون للناظر فيه والسامع
الغرض لما كنت منذ ونصف سنة بمصر عين الله الغفران قبل رجوعي لكتب الجملة والصلاة والسلام
على جميع النبيين الى المقام المعظم السيد الحاج عبد القادر رجع في الدين اجزه الله وارشده وامير
امره اذ طلب مني ذلك وهي انه تكتب له مع وصف الحادث جميع ما وقع بيننا وبين امراء الشرق
جوابا لحسن السيد الحاج في الدين رحمه الله وتكون كتابة تشمل تاريخ ما صار من الامور
العجيبة التي تتعلق باحوال الدين ابتداء وصولا الى وقتنا هذا من سعي الى الشرق وتولية سلطان
مسلمة العرب وتاويله مع ترتيب العسكر وبناء المراكب والمدافع وغير ذلك من الشرق وتعويض امور
الشرع وما جرى لامير الجزائر من العواقب والفتن مفصلا مشتملة مزايد والدين مع الجيش الذي
ذهب معه والجيش الساكن بعده وما جاء به هذا الجيش لنصرته ولما انشكر في مرسى الغزاوات حادثة
ملكة الجزائر وتبيين ما كان مقصودها في الحادثة مع امور الدنيا وما تلوه وما تشكى عنه الغزاة بسبب
واذا رضيت ان يبوح بكتم لها منهم لكونهم لها في الماضي وما تقتضي اذا كتبت في بلادهم وما تجري لهم في
مصالح المسلمين الذين لم يقبلوا الجزية وقبلوا حكمهم مشروطا بقاء شوكتهم وتبصل وقايعهم مع
سلطان الغرب واعلم انك اذا اصبت تكلمت وعلمت بان تشجع ان شاء الله وتبصل جميع كتب
الكذابين الذين كذبوا علينا وعلى جواد ذلك في الغوازي وفي التلاتين ونصف الفول والفلان من تكثير كذب
الكذابين علينا ولما جاء الناس من المالك العلاء والتعريف بما فيه الخير لهاء اهل الخير خاصة عشر
جمادى الثانية سنة اربع وستين ومايتين والف هذا اذا كتب الفضلان قبلها في امولانا ايده
النصر متتوبة والمتنوعب معاينة كلها تكلم اعلا الله مقامه واعاد علينا وعليه عوايد بركة بصلاح
الحال والمآل اجمع ذا الدعا على حسب ما طلب كانت المتوبة جاهزة بالموافقة وانا قد باعانة المالك
وسالته الكلمة المسالة الموصلة لخيراته نوعاد بتوبيل مقالة الصلاح الدين بقول الله وقوته وقلت ان اشغل
جميع ما طلب واشتغل كل ما رغب بقبض انصار الجواب في مقدمة وشعبة فصول المقدمة في بيان
واصفا اوصاف يدل على ان هذا الاول الذي احتسابه ان لم يكن فيه نفع ديني او دنيوي فلا اضر فيه من

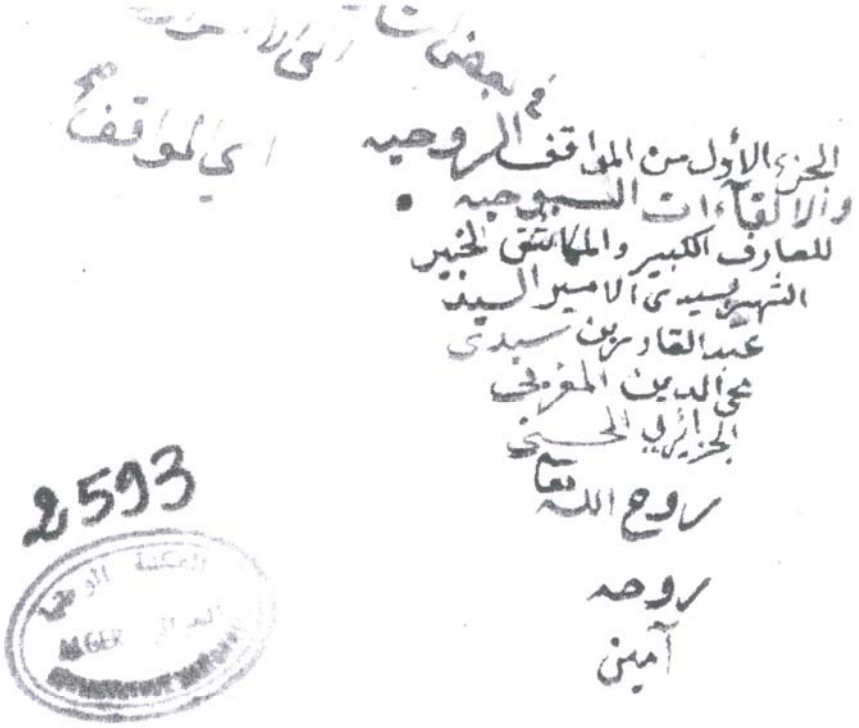
(رافضة وحتى لو ان احدكم دخل في جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال فيمشي شرار الناس في خفة الطير واحلام
السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم
بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ولا يرفع
ليتا قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كانه الطل او الظل
فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا ايها الناس هلموا الى ربكم
وقفوهم انهم مسئولون ثم يقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة
وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا فذلك يوم يكشف عن ساق واخرج من حديث ابي بردة عن ابيه
قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا
فخرج علينا فقال ما زلتم ها هنا قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك
العشاء قال احسنتم او اصبتم فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا مما يرفع رأسه الى السماء
فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت
اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبوا اتى امتي ما يوعدون وليس هذا اخر كلامه

والخلد هو العليل

2592

071600

نموذج من كتاب المواقف .



الجزء الأول من المواقف الروحيه
والإلقاءات السبوحيه
للعارف الكبير والمحاسن الخبير
الشهير بسيدي الأمير السيد
عبد القادر بن سيدي
محي الدين المغربي
الجزائري الحسني
رضي الله تعالى
عنه وعن
آبائه
آمين

2593

الحمد لله وحده ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان بيتين
للامام العالم الخليل بن احمد رحمه الله تعالى وهما

٥ لو كنت تعلم ما اقول عذرتني ٥ او كنت اجهل ما تقول عذلتك ٥
٥ لكن جهلت مقالتي فعذلتني ٥ وعلمت انك جاهل فعذرتك ٥

فهذان البيتان لسان كل عارف ومحقق
جوابا لكل جاهل منكر متعنت ملقلق

اذ هله واقلقه فاستغفر ربه من هذا الظن الذى صدر منه فلتة لا غير ولذا كان
التعبير بالفاء فالاستغفار والانابة مفرعات عن الظن اذ ليس للكامل ان يظن
بربه هذا فانه انما ياتى ما ياتى بالقاء الالهى اما بواسطة ملك او من جهة الوجه
الخاص به فهو على بصيرة وبينة فى كل ما ياتى ويذر وامر الحق تعالى للكمل لا تكون
حبائل للمكر ولكن الحق تعالى قد يامرهم باشياء فى بواطنهم ويمنعهم منها ظاهرا
لحكم والحكمة هنا هى الا يطلب احد من الخلفاء الكاملين بعد داوود عليه السلام
الظهور بالاسم الذاتى وهو المكمل ما لم فانه اذا منعه داوود وهو المنصوص على خلافته
فى القرآن وهو الذى كمل الله به ظهور الخلافة فانها من عهد ادم عليه السلام وهى
تتزايد فى الظهور الى ان كمل ظهورها بداوود عليه السلام فغيره من لم ينص الحق
تعالى على خلافته اولى بالمنع وايانا ان تسمع لخرافات القصاص وجهلة المؤرخين
ومن قلدهم من بعض المفسرين المؤلفين بنقل امثال هذا عن اهل الكتاب فان
مقام النبوة اعلا من ان يتكلم فيه برأى او قياس واعز من ان يدرك لغير نبى فما
علم العلماء من مقام النبوة الا ما علمه الناس من النجوم وعند ظهور هذا الماء
فالحذر الحذر من الخوض فى النبوة والانبياء مطلقا فالله يعصمنا واياكم من الزلل
فى القول والعمل وبعد كتابتى لهذا الموقف بقليل ورد على الوارد فى الواقعة
قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية

تم الجزء الاول من المواقف

بحمد الله وعونه

ويليه الجزء الثانى

المفتتح بقوله

موقف قال العلا

ونضر الله

الامتثال

للناس

2593

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

لكل عمل خير اوشر ثواب ولكل
كلام جواب والسلام من عبد القادر
ابن محيي الدين الاربع خلوتي من صفر
عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

لم يزال الناس بخير ما تباينوا
فاذا تماثلوا وا هلكوا والسلام من
عبد القادر بن محيي الدين الاربع
خلوتي من صفر عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط
بينهما حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها
خسر ومن نظر في العواقب نجا والسلام
من عبد القادر بن محيي الدين الاربع خلوتي
من صفر عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال بعض حكماء العرب:

جبلت القلوب على حب من احسن
اليها وبغض من اساء عليها
والسلام على من يقرضها ذا الكتاب
من عبد القادر بن محيي الدين الاربع خلوتي
رمضان عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

لكل عمل خير اوشر ثواب ولكل
كلام جواب والسلام من عبد القادر
ابن محيي الدين الاربع خلوتي من صفر
عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

لم يزال الناس بخير ما تباينوا
فاذا تماثلوا وا هلكوا والسلام من
عبد القادر بن محيي الدين الاربع
خلوتي من صفر عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط
بينهما حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها
خسر ومن نظر في العواقب نجا والسلام
من عبد القادر بن محيي الدين الاربع خلوتي
من صفر عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال بعض حكماء العرب:

جبلت القلوب على حب من احسن
اليها وبغض من اساء عليها
والسلام على من يقرضها ذا الكتاب
من عبد القادر بن محيي الدين الاربع خلوتي
رمضان عام ١٢٥٥

الحمد لله وحده

قال بعض حكماء العرب:

امران يصلحان الحركمال الحرية وهما
قبول الاحسان وإفشاء السرو ان
من احسن اليك ملكك ومن اعشيت
سرك اليه غلبت ان يعشيه
والسلام على من يغلب على هذا الكتاب
سعيد الفادربي محي الدين منصوري
عفى عنهما

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

ان من اكثر من ذكر الموت قنع بالقليل
من الدنيا ومن علم ان الكلام محمل فل
كلامه الا فيما ينفعه والسلام من
عبد الفادر بن محي الدين الاربعاوي
من صفر عفى عنهما

الحمد لله وحده

قال بعض حكماء العرب:

الاساءة والاحسان يذكران بكل لسان
ومن زرع عظما جنى ثمرة ندما عند كل
انسان
والسلام على من يغلب على هذا الكتاب
سعيد الفادربي محي الدين منصوري
عفى عنهما

الحمد لله وحده

قال حكيم من العرب:

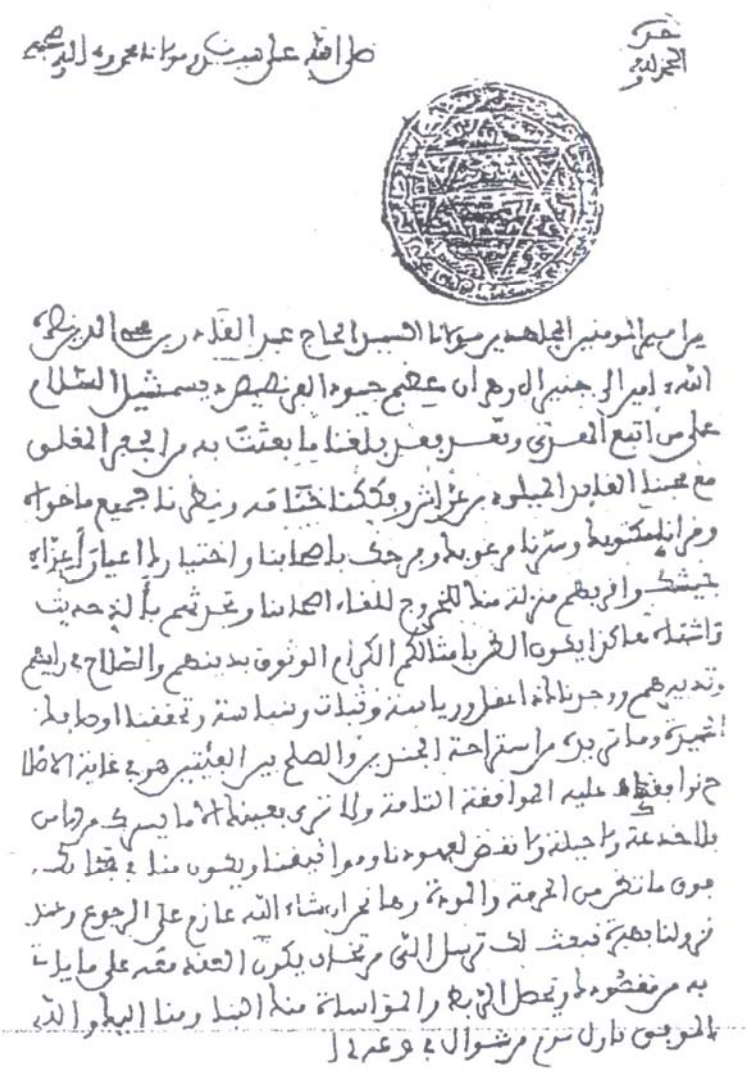
لا تضيعوا اموالكم وتصلحوا اموال
غيركم وما لكم ما فقد منه وما
ومال غيركم ما تركتموه وراءكم والله
سعيد الفادربي محي الدين الاربعاوي
خلون من صفر عفى عنهما

352

الملحق رقم:06



الملحق رقم:07



مراسلة من الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشال بتاريخ الأول من شوال 1249 هجريـــة/15 فيفـــري 1834.

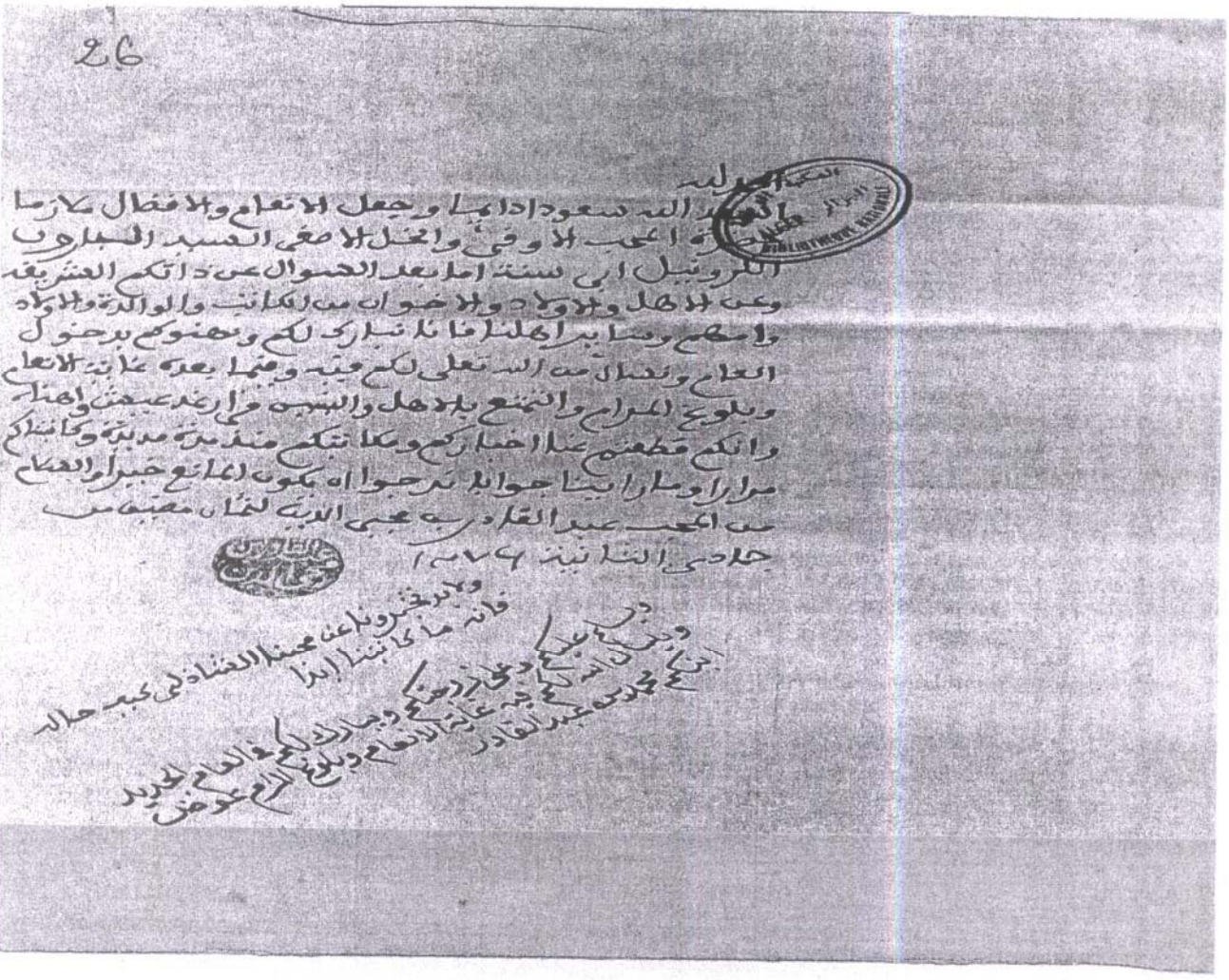
الملحق رقم:08

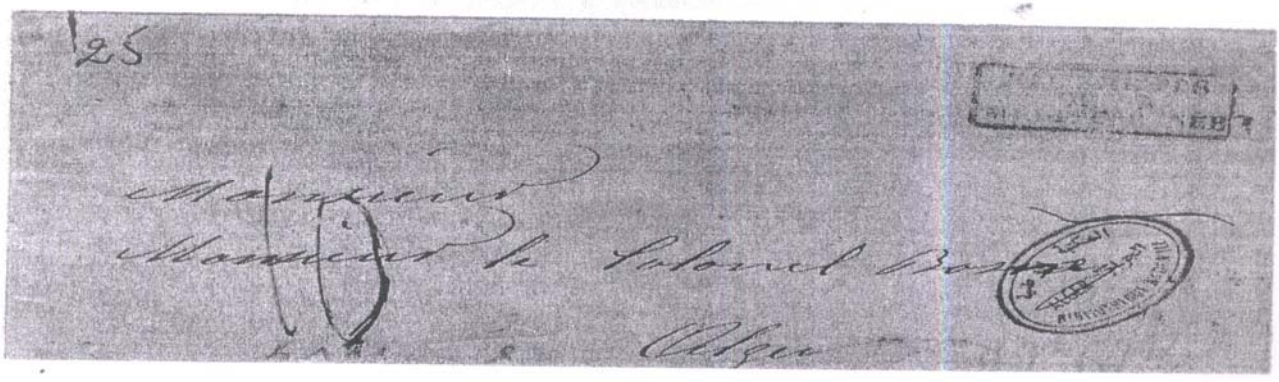
LE BORDJ
EL BIAR

LETTRE DE L'EMIR
AU Cdt BOISSONNET

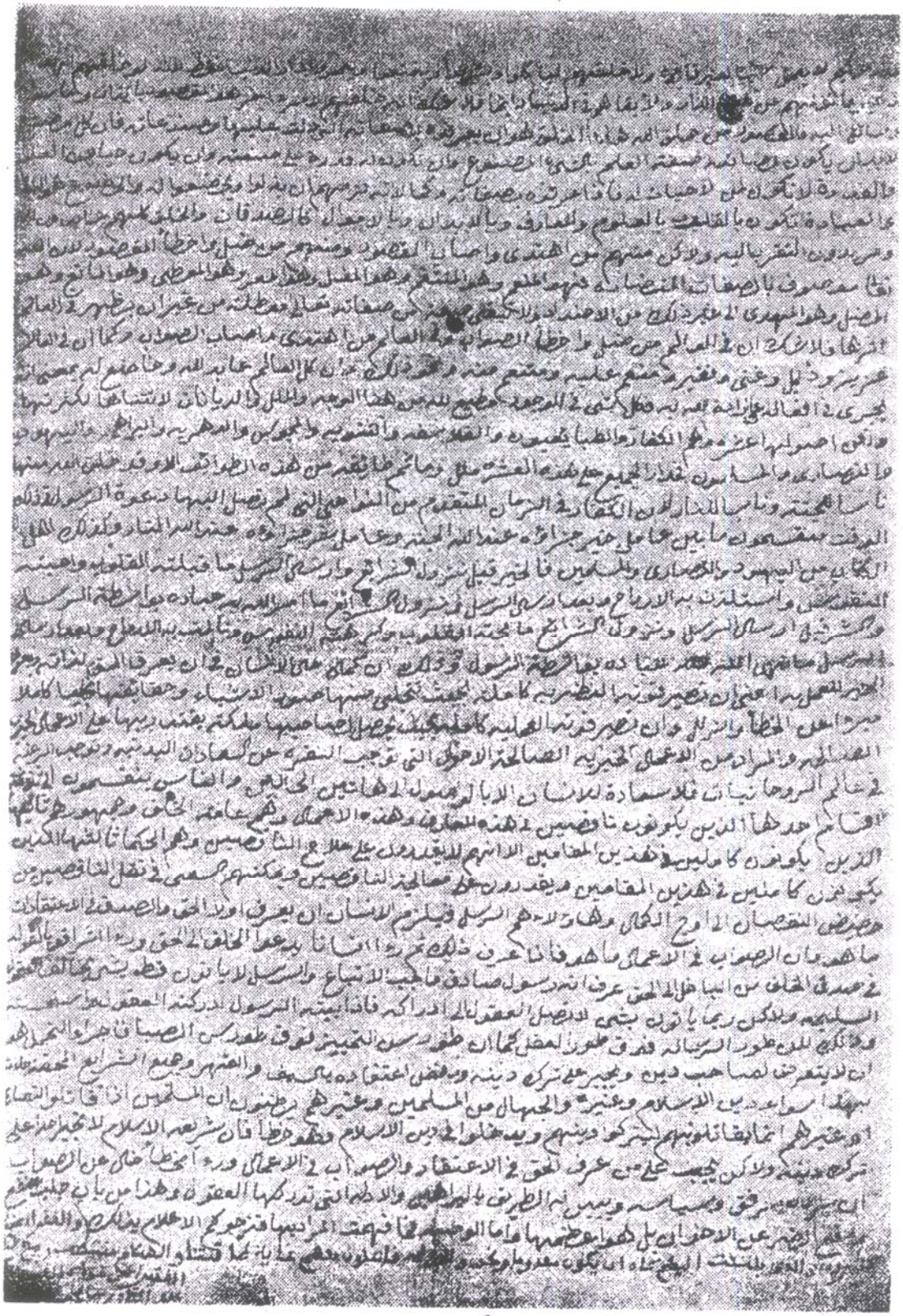
1879.

رسالة الأمير لبواسوني.





الملحق رقم:09



رد الأمير علي أسئلة لوج لهنري .

الملحق رقم:10

شجرة الحرحارة تحتك أغصانها بربيع الأمير تيمنا بمبايعة الرسول (ص) تحت شجرة بالحديبية (تمت مراسيم المبايعة في 28 نوفمبر 2

الملحق رقم: 11

نـــص صـــك البيـعـــة:

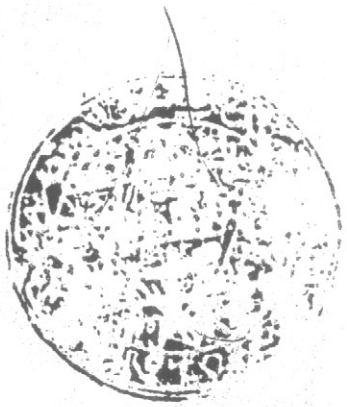
بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذّي لا نبي بعده.

الحمد لله، الذي جعل نصب الإمام من مهمّات الدين، لتصان به النفوس والأموال، وتج
كلمة المسلمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وأصحابه أجمعين.

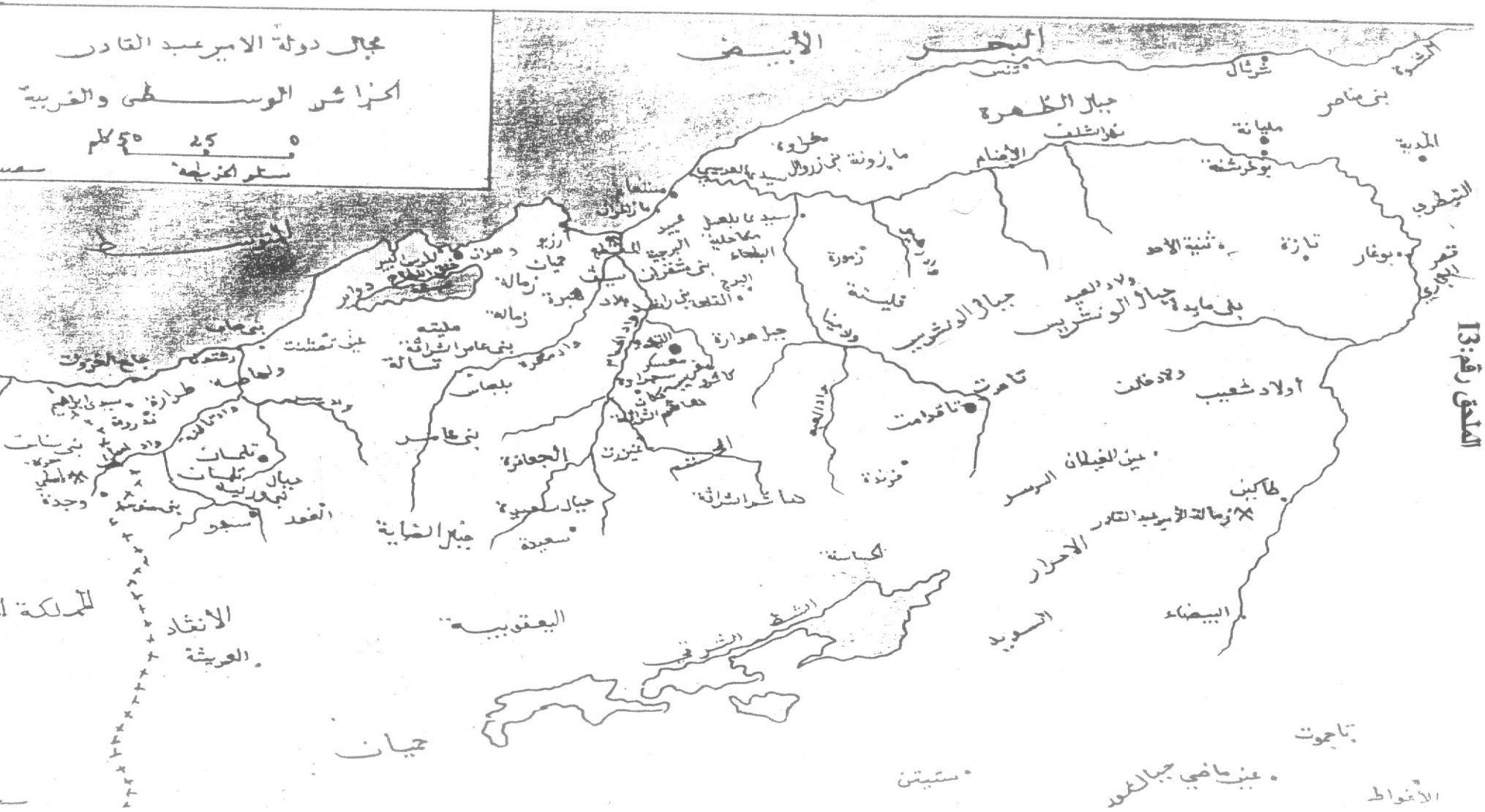
و بعد: فقد قال (صلى الله عليه و سلم) إن الله يحمي بالسلطان، مالا يحمي
بالقرآن. هذا، في الزمان الذي فاض فيه العدل. و نضب فيه الجهل. فما بالك بزماننا
الذي كثر فيه الباطل، وانتشر فيه. وخفيّ فيه الحقّ، ولم يظهر له أثر؟ ! حتى إن أعد
الله الكافرين، ملكوا كثيرا من بلاد السلام. وتشتت الكلمة. واختل النظام. ولم يجد الناس لقتا
سبيلا. و لا من يكون للجهاد دليلا. فلجئوا إلى الله تعالى. و سألوه أن ييسر
من يقوم بأمر دينهم، فما وجدوا من تتفق عليه كلمة أهل الحل و العقد، سوى السيد محي
الدين بن مصطفى بن المختار لكماله، وكثرة ما عنده من الأعوان و الأنصا
فطلبوا منه: أن يبايعوه على السمع و الطاعة، فاعتذر إليهم بكبر سنه. و بعد زمان طويل تك
فيه طلبهم مرات. ووقع إلحاحهم تارات. و رأى أن النظر في هذا الأمر، قد تعين عليه.
و أتاه بعض علماء "غريس" و هو من الصالحين، فقال له إن أولياء الله تعالى قد اتف
على نصب ولدي "عبد القادر" لنصر دين الله. ورأى أن ولده مستعد لهذا الأ
فحينئذ وافقهم على نصبه و نصرته، لكونه ذا حزم و عزم و شجاعة وعقل سليم و ذات سليمة، صا
لتنفيذ الأحكام. فاجتمع أهل الحل و العقد، و بايعوه من غير طلب منه للإمارة. و لا تابعة للنفس الأما

بل بايعوه رغما عليه. و طلبوا والده بالله تعالى. و توسلوا إليه برسول الله (صلى الله عليه و سلم) مد
تزيد عن سنتين، فوافقهم على بيعة ولده، تطييبا لخواطرهم، و رعاية لرفع الظلم عن
الضعيف، و دفعا للفساد و التعنيف. فحضر للبيعة: جميع أهل " غريس الحشم " شرقي وغربي
ووعباسي و خالدي و ابراهيمي و حساني و عوفي وجعفري و برجي
وشقراني وغيرهم . . . كبني السيد "دحو" وبني السيد أحمد بن عليس و " الزلامطة
و" مغراوة " و " خلوية " و" المشارف " وكافة أهل وادي الحمامز و أعلنوا جميعا: بطاعته و نصرت
والرعاية له، بحيث أنهم يحمونه، بما يحمون به أنفسهم و أموالهم. و أن ينصروه نصرا مؤزرا. و اتفق
علماء الإقليم على بيعته و طاعته، و لم يخالف منهم أحد، و هم في حال طوعهم واختيارهم
وفرحوا به أشد الفرح، نظرا لما كانوا عليه من الضيق و الترح. و كل من سمع به من أهل الأفاق
يزداد فيه رغبة، و ذلك لعلمهم بقوة عقله، و شدة نجدته، و صلاح رأيه. فعلى من بايع أن يبذل
جهده في نصرته و عضده، لقول الصادق الأمين: الدين النصيحة، لله و لرسوله و لأئم
المسلمين. و من نكث على نفسه. حضر ما ذكر من العلماء ووالأشراف، السيد الأعرج
و السيد محمد بن حوا بن يخلف و إخوته، و السيد محمد بن الثعالبي، و السيد عبد
الرحمن بن حسن الدحاوي و اخوته والسيد محمد بن عبد الله بن الشيخ
المشرفيو قرابته، و كافة أولاد السيد أحمد بن علي، حاصله جميع علماء " غريس " و أشراف
حضروا لهذه البيعة الميمونة، و رضوا بها. و حضرها كاتبه محمد بن عبد القادر، عامله الله بلطفه في
الباطن و الظاهر، في الثالث من رجب الفرد، سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف
(1248) هجرية الموافق للسابع و العشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة اثنتين
وثلاثين و ثمانمائة ألف ميلادية(1832)

الملحق رقم:12



رسالة الأمير لسلطان المغرب.

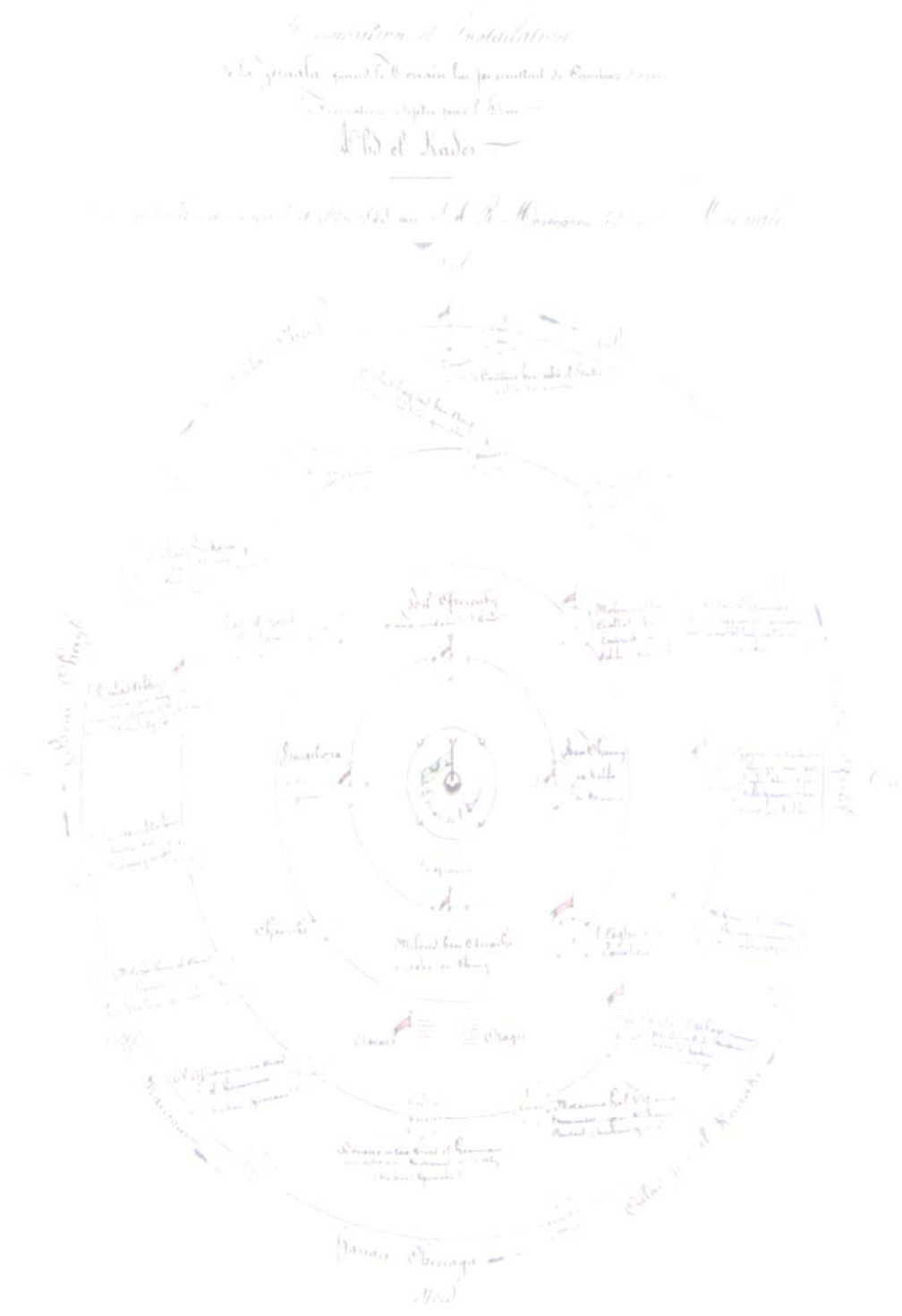

مجال دولة الامير عبد القادر
الجزائر الوسطى والغربية
البحر الأبيض
جبال الظهرة
جبال الونشريس
جبال تلمسان
جبال العمور
جبال سعيدة
جبال الشعابة
جبال تاهرت
جبال أولاد شعيب
جبال طاكين
جبال حيان
الأنقاد
العريشة
اليعقوبية
الحساسنة
الشرفة
الشوفي
الأغواط
بوغار
تازة
مليانة
المدية
تنس
شرشال
تلمسان
تاهرت
تاقدامت
تاجموت
عين ماضي
مستيتن
البيضاء
الملحق رقم: 13

الملحق رقم:14

الملحق رقم:15



الملحق رقم:16



الملحق رقم:17

صورة عن وثيقة دي ميشال

الجنيرال الحاكم جيوش البرنصيص في بلاد وهران وامير المومنين السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين رضيوا في الشروط الآتيه اذناه.

شرط اول

من اليوم وصاعدا يبطل الطراد بين البرنصيص والعرب الجنيرال حاكم جيوش البرنصيص وامير المومنين عبد القادر كل واحد من ناحيته يعمل جهده لكي تحصل المودة والعهد الذي يلزم ان تكون بين شعبين اللذين مقدر عليهم من عند الله ان يعيشوا تحت حكم واحد. ولاجل هذا امير المومنين لازم يرسل من عنده ثلاثة فاصل واحد لوهران واحد لارزيو وواحد لمستغانم والجنيرال كذلك فاصل للعسكر بيش مايكون التبايع بين البرنصيص والعرب.

شرط ثاني

الدين وعوايد المسلمين يكونوا ايما محرومين ومحامى عليهم

شرط ثالث

مرابط البرنصيص يتسرحوا احالا وكذلك مرابط العرب

شرط رابع

السوف يكون مسرح ولا احد يعارض احد

شرط خامس

كل العسكر الذين يهربوا من البرنصيص يستحق العربان يردوهم لعند البرنصيص وكذلك العرب الذين يهربوا من عند العرب بيش مايتعافوا على والطه عملوها ويجوا عند البرنصيص حالا يسكوهم الى فصل الامير ان كان في وهران او ارزيو او مستغانم.

شرط سادس

كل واحد رحيحي يسافر في البلاد يكون معه تزكره مطبوعه بطابع فصل الامير وكذلك بطابع الجنيرال الحاكم البلاد حتى الذي تكون معه هذه التزكره يحرموه ويحاموا عليه في كل البلاد. وهذه نسختين

Art. 1.

At date of to-day's hostilities cease between the French and the Arabs thereof.

The General Commanding the French troops of the Emir Abd el Kader will neglect nothing to cause to reign the utmost friendship which has existed between the two peoples since Divine Providence has established the same religion.

At the representative of the Emir to reside at Oran, Mostaganem and Arzew, there will be given a safe-conduct for the purpose of preventing any collision between the French and the Arabs.

Art. 2.

The Religion and the usages Mussulmans shall be respected and protected.

Art. 3.

The Prisoners shall immediately be sent back on both sides.

Art. 4.

The liberty of Commerce shall be entire.

Art. 5.

The military of the French Army who [illegible] shall be sent back. The deserters shall be claimed by the Arabs.

Likewise the malefactors Arabs who, pursued for [illegible] shall seek refuge among the French shall immediately be sent back to the representative of the Emir.

Any other Arab tribes occupied by the French.

Art. 6.

Any European who shall be found in the act of traveling in the interior shall be provided with a passport given by the Representative of the Emir and approved by the General Commanding, in order that he may receive in his travels the protection and aid of the authorities.

Fait en double expédition à Oran, le 26 février 1834.

Le Général Commandant,

[signature]

[illegible] بلاد العطاف [illegible] العسكر الجيش الحاج عبد القادر [illegible]

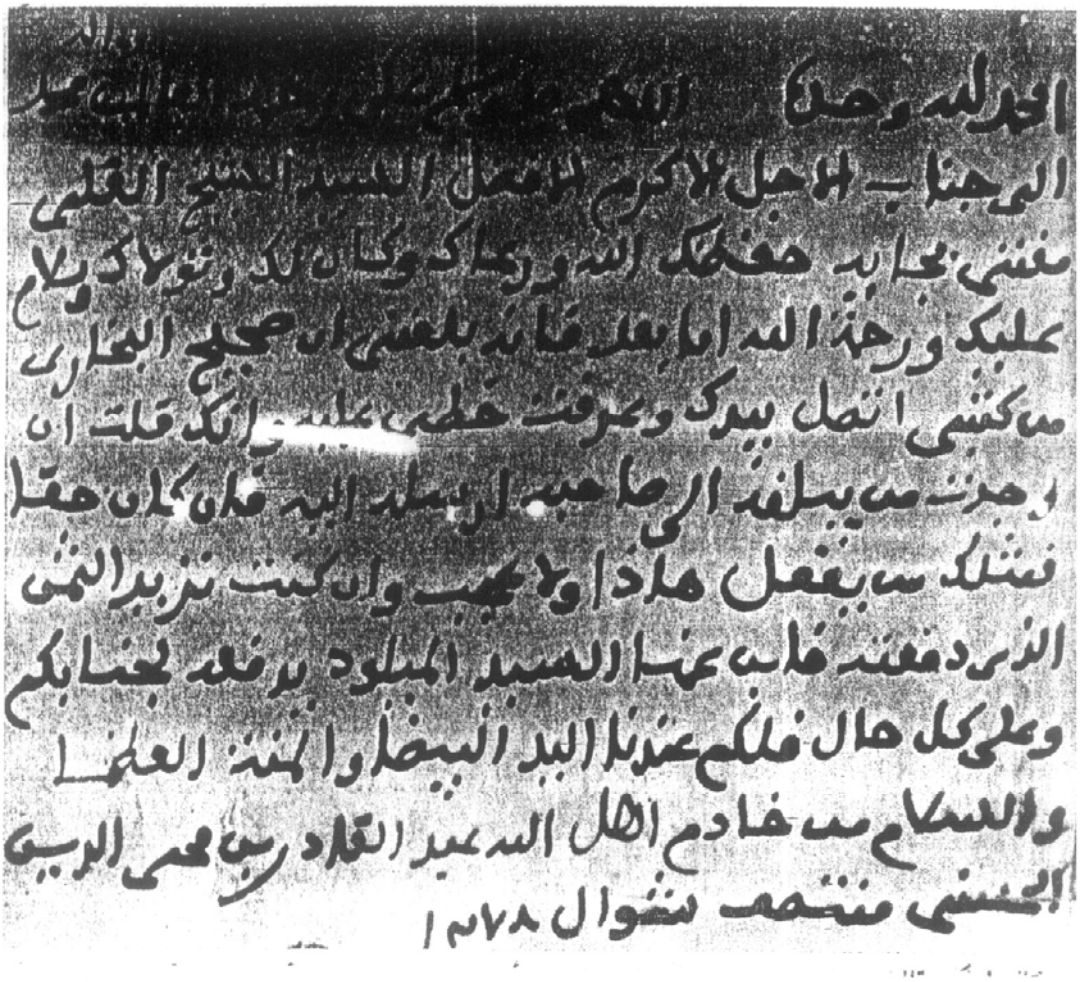
الملحق رقم:18



جنود الأمير عبد القادر



الملحق رقم:19



الحمد لله وحده
الى جنا - الاجل الاكرم الاصل السيد الشيخ القاضي
مفتي بجايه حفظك الله ورعاك وكان لك ونولاك وسلام
عليك ورحمة الله اما بعد فانه بلغني ان عجيج البحاري
من كتبي اتصل بيدك وعرفت خطي عليه وانك قلت ان
الجزء الذي يبلغه الى صاحبه ان يسلمه اليه فان كان حقا
فمثلك من يفعل هذا او يجيب وان كنت تريد الثمن
الذي دفعته فانا بعثنا السيد المبلوه يرفعه لجنابكم
وعلى كل حال فلكم عندنا البد البيضا والمنة العظما
والسلام من خادم اهل الله سيد القادر بن محي الدين
الحسني منتصف شوال ١٠٧٨

رسالة الأمير لمفتي بجاية.



مسجد الأمير بمعسكر

الملحق رقم:21



ختم الأمير عبد القادر

الملحق رقم:22





العملة المحمدية التي سكها الأمير، نُقش على أحد وجهيها الآية الكريمة ((إن الدين عند الله الإسلام))

(آل عمران ١٩).

البيبليوغرافيا

1- المصادر باللغة العربية

1- **ابن التهامي.مصطفى:** حياة الأمير عبد القادر، **مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم:2592، نشره محققا ونسبه لمصطفى بن التهامي، الأستاذ يحي بوعزيز بعنوان:** سيرة الأمير عبد القادر وجهاده **بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، كما حققه ونشره ونسبه للأمير عبد القادر الأستاذ محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، تحت عنوان:** مذكرات الأمير عبد القادر **الجزائر، دار الأمة، ط3، 1998.**

2- **بن رويلة.قدور:** وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب و يليه ديوان العسكر المحمدي المليانى، **تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (1968).**

3- **ابن زيدان.عبد الرحمن:** إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، **ط2، دار البيضاء مطبعة إديال، (1990).**

4- ابن سحنون.الراشدي أحمد بن محمد: **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني،** تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، قسنطينة،(1973).

5- **ابن عربي.محيي الدين:** خاتمة أنيس الغريب والمسافر،**تحقيق وتقديم رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،(1974).**

6- **ابن عربي.محيي الدين:** فصوص الحكم، **بحث و تقديم أنطوان موصلي، الجزائر، عن سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، موفم للنشر (1990).**

7- **ابن عربي.محيي الدين:** محاضرة الأبرار و مسامرة الأخيار، **المجلد الثاني ،بيروت، دار صادر، دون تاريخ نشر.**

8- **ابن عودة.المزاري(الآغا):** طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا، **تحقيق: دراسة يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1990)، ج2.**

9- **ابن هطال.التلمساني محمد:** رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، **تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، ط1، القاهرة، عالم الكتب، (1969).**

10- **أرشيف. المكتبة الوطنية الجزائري:** ملف وثائق الأمير عبد القادر، **وثيقة رقم:** 072619 **من** 1 **الى**16 .11- **أرشيف. المكتبة الوطنية الجزائرية:** ملف رسائل الأمير عبد القادر، **دون ترقيم، وثيقة رقم:** 26.

12- **بن عبد القادر.الوهراني مسلم:** خاتمة أنيس الغريب والمسافر، **تحقيق وتقديم رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (1974).**

13- **التسولي.أبي الحسن علي بن عبد السلام:** البهجة في شرح التحفة، **تصحيح، محمد بن عبد القادر شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1418هـ/ 1998م).**

14- **تشرشل.شارل هنري:** حياة الأمير عبد القادر، **ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله، ط2 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (1982).**

15- **الجزائري.الأمير عبد القادر:** ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، **شرح وتحقيق ممدوح حقي ط.3، بيروت، دار اليقضة العربية، (1965).**

16- **الجزائري الأمير عبد القادر:** ذكرى العاقل و تنبيه الغافل، **تحقيق ممدوح حقي، بيروت، دار اليقضة العربية، (1976).**

17- **الجزائري الأمير عبد القادر:** المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل و الإلحاد، **محررها عبد الله الخالدي المغربي، د.ط، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، دون تاريخ نشر.** وكذلك: **ط1، الجزائر، دار الطاسلي للنشر والتوزيع، وحدة الرغاية، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (1998).**

18- **الجزائري.الأمير عبد القادر:** المواقف، **صورة من النسخة الأصلية بالمكتبة الوطنية، ط1 الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، (1996)، ج1، ج2، ج3.**

19- **الجزائري.الأمير عبد القادر:** المواقف الروحية والإلقاءات السبوحية، **مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2593، 2594، 2595.**

20- **الجزائري.الأمير عبد القادر:** المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، **مراجعة وتصحيح لجنة من علماء دمشق، ط2، دمشق، دار اليقظة العربية، 1967، ج1، ج2، ج3.**

21- **الجزائري.محمد بن عبد القادر:** تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر. **شرح وتعليق ممدوح حقى، ط.2، دمشق، دار اليقظة العربية، 1964، جزآن في مجلد واحد.**

22- **الجزائري.محمد بن عبد القادر:** نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، **د.ط، مصر مطبعة المعارف، دون تاريخ نشر.**

23- **الجيلاني.عبد القادر:** ديوان عبد القادر الجيلاني، **تحقيق يوسف زيدان، ط1، بيروت، دار الجبل، (1998).**

24- **الجيلاني.عبد القادر:** سر الأسرار و مظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، **تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي، بيروت دار السنابل، دون تاريخ نشر.**

25- **الجيلاني.عبد القادر:** السفينة القادرية، **تعليق محمد المنلا، طرابلس، منشورات مكتبة النجاح،1304هـ.**

26- **أ.ف، دينيزن:** الأمير عبد القادر و العلاقات الفرنسية و العربية في الجزائر، **الجزائر، دار هومة،(1999).**

27- **سكوت.الكولونيل:** مذكرات عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، **(1841)، ترجمة إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1981).**

28- **السلمي.أبي عبد الرحمن:** المقدمة في التصوف، **تقديم و تحقيق دكتور يوسف زيدان، ط1 بيروت، دار الجيل،(1999)**.

29- **السنوسي.محمد:** الرحلة الحجازية، **تحقيق علي أشنوفي، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1978)، ج3.**

30- **الشقراني.أحمد بن عبد الرحمن الراشدي،** القول الاوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، **تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1991).**

31- **عبده.محمد:** الأعمال الكاملة، **تحقيق وتقديم محمد عمارة، ط1، بيروت، دار الشروق (1993)، ج3.**32- **الغزالي.محمد أبي حامد:** إحياء علوم الدين، **ط1، الجزائر، دار الثقافة، (1991)، ج1.**33- **كوران.أرجمند:** ، السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847) **ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم.**

34- **الناصري.أبو العباس أحمد بن خالد:** الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، **القسم الثالث الجزء التاسع تحقيق و تعليق جعفر الناصري. محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب (1956).**

35- **ولف .وجون.ب:** الجزائر و أوربا (1500- 1830م)، **ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (1986).**

2- المراجع باللغة العربية:

1- **إتين.برونو:** عبد القادر الجزائري، **ترجمة ميشيل خوري، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، (2001)**.

2- **أباظة.نزار:** الأمير عبد القادر الجزائري. (العالم المجاهد)، **ط1، دمشق، دار الفكر،(1994).**

3- **أوصديق.فوزي:** النظام الدستوري الجزائري، **الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،(1995).**4- **بركات.أنيسة:** محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية، **الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دون تاريخ نشر.**

5- **بروكلمان.كارل:** بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، **نقله للعربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط1بيروت، دار العلم للملايين، أفريل (1998).- بل.ألفرد**: الفرق الإسلامية في الشمال

7- **بن بكار.بلهاشمي:** كتاب مجموع النسب و الحسب و الفضائل و التاريخ و الأدب في أربعة كتب، **ط1، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، (1961).**

8- **بن السبع.عبد الرزاق:** الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، **ط.1، الكويت، مؤسسة جائزة. عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (2000).**

9- **بن الشيخ.التلي:** دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، **(-1830- 1945)، ط1، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1983).**

10- **بن عبد الكريم.محمد:** حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، **الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1981).**

11- **بن قينة.عمر:** في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، **الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، دون تاريخ نشر.**

12- **بوزيان.عمر:** جذور إتحاد المغرب والجزائر (1832- 1845)، **الرباط، منشورات دار عكاظ، (1988).**

13- **بوعزيز.يحي:** أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، **ط.1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ج2.**

14- **بوعزيز.يحي:** الأمير عبد القادر. رائد الكفاح الجزائري، **د. ط ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1983.**

15- **بوعزيز.يحي: ،** ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، **ط1، دار البعث (1980).**

16- **بوعزيز.يحي:** الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليلة، **ط1، الجزائر، دار البعث،(1982).**

17- **بوعزيز.يحي:** وهران، **د.ط، الجزائر، (منشورات وزارة الثقافة والسياحة)، طبع وحدة الرغاية مؤسسة الفنون المطبعية، (1985).**

18- **تيموريك.أحمد:** أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، **ط1، القاهرة، لجنة النشر للمؤلفات التيمورية، 1968.**

19- **الجزائري.سعيد:** الماسونية ماضيها وحاضرها لغاية عام 2000، **ط3، بيروت، دار الجيل (1996).**

20- **الجزائري.محمدبن عبد الكريم:** التصوف في ميزان الإسلام، **ط1، الجزائر، دار هومة (1997).**

21- **الجزار.أحمد محمود:** الله والإنسان عند الأمير عبد القادر، **ط1، الإسكندرية، منشأة المعارف، (1999).**

22- **الجيلالي.عبد الرحمن:** تاريخ الجزائر العام، **ط7، الجزائر، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، (1994)، ج4.**

23- **الحسني الجزائري.الأميرة بديعة:** الجذور الخضراء، **دمشق، دار السلام للترجمة والنشر (1994).**

24- **الحسني الجزائري.الأميرة بديعة:**ردود و تعليقات على كتاب حياة الامير عبد القادر لشارل هنري تشرشل،**دمشق ،دار الفكر،2001.**

25- **الحسني الجزائري.الأميرة بديعة:** فكر الأمير عبد القادر الجزائري. (حقائق و وثائق) **ط. 1، دمشق، دار الفكر للطباعة، (2000).**

26- **الحسني الجزائري.الأميرة بديعة:** ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، **ط. 2، دمشق، مطبعة السلام،(1992).**

27- **حقي.عدنان:** الصوفية و التصوف، **قدم له الشيخ محمد كريم راجح، ط2، دمشق، دون تاريخ نشر.**

28- **رضا.رشيد:** الخلافة، **د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية (1992).**

29- **الركيبي.عبد الله:** الشعر الديني الجزائري الحديث، **الجزائر، ط1،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،(1981).**

30- **رويش.أحمد:** في صحبة الأميريين. أبي فراس الحمداني، و عبد القادر الجزائري، **ط.1 الكويت، مؤسسة جائزة. عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (2000).**

31- **الزبيري.محمد العربي:** الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، **الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، و المؤسسة الوطنية للطباعة، (1982).**

32- **زروخي.إسماعيل: الدولة في الفكر العربي الحديث، ، دراسة فكرية فلسفية، ط،1، القاهرة دار الفجر للنشر و التوزيع، (1999).**

33- **زيادة.نقولا:** صفحات مغربية، **بيروت، منشورات دار الطليعة، أوت (1966).**

34- **الزين.سميح عاطف:** الصوفية في نظر الإسلام، **دراسة و تحليل، ط.4، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العلمي.دون تاريخ نشر.**

35- **ستودارت.لوثروب:** حاضر العالم الإسلامي، **ترجمة عجاج نوهيض، ط3، سورية، دار الفكر (1971)، ج2.**

36- **سعد الله.أبو القاسم:** أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، **د.ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1978)، ج**37.**03- سعد الله.أبو القاسم:** تاريخ الجزائر الثقافي، **بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1998) ج1، ج4، ج6 ج7.**

38- **سعد الله.أبو القاسم:** الحركة الوطنية الجزائرية، **الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء الأول القسم الأول، (1992).**

39- **سعد الله.أبو القاسم:** محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، **ط3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (1982).**

40- **سعيدوني.ناصر الدين:** دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، **(الفترة الحديثة المعاصرة) الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،(1980) ج2 .**

41- **سعيدوني.ناصر الدين:** من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، **ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1999).**

42- **سعيدوني.ناصر الدين:** الجزائر منطلقات وآفاق، **(مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، ط1، بيروت، دار الغرب الجزائري، (2000).**

43- **سعيدوني.ناصر الدين:** عصر الأمير عبد القادر، **ط.1، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،(2000).**

44- **سعيدوني.ناصر الدين:** و رقات جزائرية، **(دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني) ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (2000).**

45- **السيد.فؤاد صالح: القادر متصوفًا و شاعرًا، د. ط،الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب(1985).**

46- **الشرقاوي.محمد عبد الله:** ، الصوفية و العقل، **ط1، بيروت، مكتبة الزهراء، دار الجيل (1995).**

47- **الصلح.عادل:** سطور من الرسالة تاريخ حركة إستقلالية قامت في المشرق العربي عام 1877، **د.ط، بيروت، (1966).**

48- **العربي.إسماعيل:** معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، **الجزائر، مؤسسة للفنون المطبعية وحدة الرغاية، (1986).**

49- **العربي.إسماعيل:** المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، **د.ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (1975).**

50- **العروي.عبد الله:** مجمل تاريخ المغرب، **ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي دون تاريخ نشر، ج**51.**3- العسلي.بسام:** الأمير عبد القادر الجزائري، **ط2، دمشق، دار النفائس، (1986).**52- **علي.الوزير محمد السيد:** الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، **د.ط، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،(1986).**53- **غرايبية.عبد الكريم:** سورية في القرن التاسع عشر (1840- 1876)، **د.ط، دمشق، الجيل للطباعة، (1961).**

54- **الفاتح.حسن الشيخ:** في الزهد و التصوف، **ط1، بيروت، دار الجيل، (1991).**

55- **الفاسي.علال:** الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، **ط1، مطبعة الرسالة، (1948).**
56- **الفاوي.عبد الفتاح أحمد:** التصوف عقيدة وسلوكا، **ط1، بيروت، مكتبة الزهراء، دار الجيل (1995).**
57- **فركوس.صالح:** الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1850)، **الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (1993).**
58- **القرضاوي.يوسف:** الرسول و العلم، **ط7، مصر، مطبعة المدني، (1999).**
59- **محمد.صالح عبد اللطيف:** أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، **ط1 بيروت ، دار الغرب الإسلامي، (1996).**
60- **المرابط.جواد:** التصوف و الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، **دمشق، دار اليقظة العربية (1966).**
61- **مناصرية.يوسف:** مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1847-1882)، **الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، (1990).**
62- **نويصر.مصطفى:** الأمير عبد القادر في ذكراه المؤوية 1983م، (لمحة تاريخية و بيبليوغرافية)، **د.ط، الجزائر، مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث، (1983).**
63- **هلال.عمار:** الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء **الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (1988).**

3- المقالات باللغة العربية:

1- **« الأمير بين قوسين »: أصداء الملتقى الوطني الخامس حول الزمالة في:**الخبر، **عدد 2993 1 أكتوبر (2000).**
2- **باغلي.بن أحمد محمد: « أسئلة الجنرال دوماس حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر.»** في: أعمال الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، **عدد خاص، الجزائر، دار الحكمة، (2001).**
3- **برج.عبد الرحمن محمد: « أسئلة الجنرال دوماس حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر.»** في: أعمال الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، **عدد خاص، الجزائر، دار الحكمة، (2001).**4- **بركات.أنيسة: « الجانب الأدبي من شخصية الأمير »**، مجلة التاريخ، **(عدد خاص بوفاة الأمير عبد القادر)**، (1983).5- **بلحاج.حمزة صالح:** « **الأمير عبد القادر الجزائري. و منظومة القيم»** ، في: الثقافة، **الجزائر (وزارة الثقافة والإعلام)، العدد 114(1997).**6- **بلغراد.محمد: « الجانب الصوفي و الثقافي في حياة الأمير عبد القادر الجزائري »**، في: مجلة التاريخ، **عدد خاص بوفاة الأمير عبد القادر الجزائري،(1983).**

7- **بلحمسي.مولاي**: **« زمالة الأمير عبد القادر و ملحمتها »، في:** أخبار معسكر ، **عدد خاص (2001)، ذكرى 118 لوفاة الأمير عبد القادر (23 ماي 1883- 23 ماي 2001).**

8- بلحمسي.مولاي: **« الإستخبارات العسكرية ودورها في إستراتيجية الأمير عبد القادر »** في: أخبار معسكر، **نشرية ولائية تصدر عن ولاية معسكر، العدد 03، (2001).**

9- **بالسايح.بوعلام: الأمير عبد القادر المغاربي و الإمام شاميل، الأسيوي رمزان بارزان للدفاع عن الاستقلال الوطني و الذود عن الإسلام»، في:** محاضرات الموسم الثقافي، (1998- 1999) **المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر،(1999).**

10- **بناني.محمد الصغير: « معالم شخصية الأمير عبد القادر من خلال شعره و معالم فكره السياسي»، في:** مجلة الثقافة، **السنة 16، عدد 96/11- 1986/12.**

11- **بن حراث.عبد القادر**: ، « **جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الادبية »، في** : مجلة أمال، **العدد 8، جويلية،1970).**

12- **بن خوجة.محمد الحبيب: « دور الإسلام في الكفاح التحريري. »، في:** ملتقى الفكر الإسلامي السادس، **(13 جمادى الثانية- 1 رجب 1392هـ/ 24 جويلية- 10 أوت 1972م) بالجزائر، مج.1، قسنطينة، دار البعث،(1393هـ/ 1973).**

13- **بن زرقة.سعيد: « الفروسية العربية في شعر الأمير عبد القادر.»** في: المعرفة،**عدد 1964/10/15.**

14- **بوزيد. بومدين: « مواقف الحيرة في أحوال الأمير»، في:** الخبر، عدد2719، **السبت 1991/11/20.**

15-**بوعبدلي.المهدي: « أضواء على حياة الأمير عبد القادر »، في:** مجلة التاريخ، **عدد رقم 02 (1975).**

16- **بوعبدلي.المهدي: « وثائق أصيلة على حياة الأمير عبد القادر »، في:** مجلة الثقافة، **الجزائر العدد 75، (1983).**

17- **بوعزيز.يحي: « الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر»، في:** مجلة مسالك، **الجزائر تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر، عدد3، (1998).**

18- **بوعزيز.يحي:** « **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنيين التاسع عشر و العشرين »، في:** مجلة الثقافة، **العدد ماي، جوان (1981).**

19- **بوعزيز.يحي**: ،« **الأمير عبد القادر و الحوار في خدمة الإنسانية** » ، في: أعمال ملتقى الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، **الجزائر، دار الحكمة، (2001).**

20- **بوعزيز.يحي: « شرعية السلطة والولاية لدى الحاج أحمد باي، الأمير عبد القادر » في:** صوت الأحرار، **عدد 673، 16 ماي (2000).**

21- **بوعزيز.يحي: « جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية » في:** الأصالة**، الجزائر، السنة الخامسة، العدد 48، أوت (1977).**

22- **بوعياد.محمد: « عبد القادر الإنسان... »**، **في:** الثقافة، **عدد 75، سنة (1983).**

23-**بونار.رابح: « نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر »**، **في:** مجلة الثقافة، **الجزائر، السنة الثالثة، العدد 15، جوان، جويلية، سنة (1973).**

24- **بيار بروجير.أدريان: « رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر في الونوغة و البويرة 1837-1838 »**، **ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، في:** مجلة الذاكرة**، العدد 5، ربيع الثاني 1419هـ - أوت 1998.**

25- **تابليت.علي، « رواد المقاومة الشعبية الأمير عبد القادر. مسيرة نصف قرن من الكفاح المستميت »، في:** مجلة أول نوفمبر**، العدد 151-152، (1997).**

26- **تركي.رابح: « من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر. الأمير عبد القادر و التربية التى نشأ فيها في تكوين شخصيته أثر البيئة الثقافية و.»** في: مجلة الثقافة، **العدد. 88، السنة. 15 (جويلية- أوت. 1985،**)

27- **تكور. فضيلة: « تعليق حول نداء الأمير عبد القادر لأهل فجيج مع وثيقة النداء»، في:**مجلة التاريخ، **(عدد خاص)، (1983).**

28- **التميمي.عبد الجليل: « الأمير عبد القادر بدمشق »، (1855/1860م)، في:** المجلة التاريخية المغربية، **تونس، العدد 15-16،1979).**

29- **الجار.حامد: « الجهاد و أبعاده الروحية و السياسية و الإجتماعية في حياة الفرد و المجتمع »، في:** ملتقى الفكر الإسلامي العاشر، **(2 رجب- 10 رجب 1396هـ/ 10- 19 جويلية 1976م) ، بعنابة، مج.3، قسنطينة، دار البعث، (1400هـ/1980م).**

30- **جاماتي.حبيب: «من أبطال العرب عبد القادر الجزائري »، في مجلة:** الهلال**، المصرية القاهرة، 1 فيفري 1951، مجلد 59، ج2.**

31- **جحا.فريد: « عبد القادر الجزائري متصوفا »**، في:مجلة المعرفة، السورية، **عدد 185 جويلية، (1977).**32- **الجزائري.إدريس: ،« شمولية شخصية الأمير و نظرته لمفاهيم عدة تفرض الإعجاب » في:** مجلة مسالك**، عدد2، جوان، جويلية، 1998).**33- **الجيش: «الذكرى 48 لوفاة الأمير عبد القادر »،في:** مجلة الجيش**، السنة الرابعة،(1967).**34- **حاجيات.عبد الحميد: ، « الأمير عبد القادر و إنتاجه الأدبي. »، في:** مجلة التاريخ**،عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، (1983).**

35- حاجيات.عبد الحميد: « مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط، » في**:مجلة التاريخ**، الجزائر،(1984).

36- أديب.حرب: « رجال وتاريخ، عبقرية الأمير عبد القادر العسكرية »، في: **مجلة أول نوفمبر**، الجزائر، عدد 161، (1999).
37- الخطيب. محب الدين: « الطريقة التيجانية على المشرحة »، في: **الفتح**، سنة 09، عدد 481، 10 رجب (1353هـ).
38- خليفة.شعبان عبد العزيز: محمد.طاهر.عزوزي،« حوار الأمير عبد القادر في فترة الجهاد بالجزائر » ، في: **أعمال ملتقى الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، الجزائر**، دار الحكمة (2001).
39- دودو.أبو العيد: « الوجه الآخر لمقابلة تافنة »، في: **المجاهد الثقافي**، العدد 08، جوان (1969).
40- دودو.أبو العيد: « جيش الأمير في نظر راسلوف »، في: **مجلة الدراسات التاريخية**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، عدد 11-12، سنة (2000).
41- الزرقاء.مصطفى أحمد: « الأبعاد الروحية و السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية للعبادات و أهميتها لكل من الأمة و الفرد»، في: **ملتقى الفكر الإسلامي العاشر**، 12- 21 رجب1396هـ/ 10- 19 جويلية (1976)، عنابة، مجلد 03، قسنطينة، مطبعة البعث، (1400هـ/1980م).
42- زروخي.أسماعيل: « الدولة الوطنية و أصالتها عند الأمير » في: **مجلة سيرتا**، عدد 12 جوان، قسنطينة، (1999).
43- زنيبر.محمد: « دور الثقافة في بناء المغرب العربي الكبير »، في: **المستقبل العربي**، عدد 79، سبتمبر (1995).
44- زيدان.جرجي: « أشهر الحوادث و أعظم الرجال الأمير عبد القادر الجزائري» ، في: **مجلة الهلال**، المصرية، القاهرة، جانفي (1893)، السنة الأولى، ج5، و(1893)، ج6.
45 -سعيدوني.ناصر الدين: «النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر» في:**مجلة الثقافة**، عدد 75، (1983).
46- شريط.عبد الله: « مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير عبد القادر و نظرية الشيخ ابن باديس. » في: **مجلة الثقافة**، عدد 75، ماي، جوان، (1983)**.**
47- شعابنة.عبد الحميد: « الأمير عبد القادر المجاهد المثقف و السياسي الفارس.» في: مجلة **أول نوفمبر**، عدد 165، **48**.2001- شفيرات.عبد الحميد: « شخصيات تاريخية »، في: **مجلة الوحدة**، السنة 12، العدد 276 9 أكتوبر (1986).
49- شهيدي.جعفر: « الشعر – دوره في أخلاق المجتمع- رأي الشريعة فيه »، في: **ملتقى الفكر الإسلامي التاسع**،(1- 10 رجب 1395هـ/ 10-19 جويلية 1975م)، تلمسان، مجلد.02 قسنطينة، دار البعث، 1329هـ/ 1979م.

50- الشيبي.كمال مصطفى**:** « الشعر الصوفي هو الشعر العربي الوحيد الذي يصلح للعالمية » **كذلك: ملتقى الفكر الإسلامي الواحد و العشرون**، معسكر، 26، 1987/9/1/9.

51- صاري.جيلالي: ، « الدور التاريخي للطرقية بلدان المغرب العربي »، ورقة عمل، قدمت في**: ملتقى الفكر الإسلامي الواحد و العشرون بمعسكر** من 26 أوت إلى 1 سبتمبر 1987.

52- صاري.جيلالي: **«** الحكيم بن زرقة طبيب وجراح جيوش الأمير عبد القادر »، في**: مجلة الرؤية**، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، السنة الثانية، العدد 03، **(**1997).

53- صالح.خرفي**:** « الفروسية العربية في شعر الأمير عبد القادر.» في**: المعرفة**، عدد1964/10/15.

54- الصفاقسي.عبد الكريم**:** « محاضرة في تاريخ الأمير »،في**: مجلة البصائر**،عدد12،(1947) وعدد 15 (1949).

55- طالبي. عمار: « الأمير عبد القادر والتصوف »، في: **مجلة الثقافة**، عدد 75، ماي، جوان (1983).

56- عبد الرحيم.زكية: « الفكر الصوفي عند الأمير »، في: **ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرون**، من 26 أوت إلى 1 سبتمبر (1987)، معسكر، (عمل غير منشور).

57- عبد المجيد.فايزة: « مع صانعي التاريخ، الأمير عبد القادر الجزائري **»، في: مجلة العربي** مج2 ، العدد 57، أوت (1963)**.**

58- العربي.إسماعيل: « معاهدة تافنا انتصار الديبلوماسية الجزائرية »، في**: مجلة تاريخ وحضارة المغرب**، تونس، عدد 14-19، (1974).

59- العربي.إسماعيل: « مقاومة أحمد بن سالم **»، في: الأصالة**، عدد 79-81، (1980).

60- عزوزي.علي: « الأمير عبد القادر و الأسرى »، في**: الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية**، عدد خاص**،** عن دار الأمة، (2001).

61- عزوزي.محمد طاهر: ، « تصوف الأمير عبد القادر تصوف جهاد في الجزائر وفي السجن بفرنسا وفي المنفى باالمشرق العربي »،في: **مجلة المجلس الإسلامي الأعلى**، الجزائر، العدد الأول، (1998).

62- عيسى.علي: « الأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر »، في**: مجلة الثقافة**، الجزائر عدد 75، (1983)**.**

63- غلام الله.أبو عبد الله: « وقفة على كتاب المواقف »، **أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الروحية للأمير عبد القادر** ، د.ط، الجزائر، أكاديمية الجامعة لمدينة الجزائر، 21 جوان- 01 جويلية (1998).

64- الغيطان.جمال: « الأمير عبد القادر، البطولة بعين فرنسية »، في: **مجلة العربي،** الكويت العدد 296، جويلية، (1983).
65- فايد.محمد عبد الوهاب: « الأمير عبد القادر وتحرير الجزائر » في: **مجلة الرسالة،** العدد 70، السنة 14، 9 ديسمبر (1946).
66- القادري.عبد القادر: « الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسني » ، في**: دعوة الحق** الرباط، عدد 10، (1958).
67- قاسم.عون الشريف: « المجتمع المسلم و السلطة »، في: **مجلة المجلس الإسلامي الأعلى** الجزائر، عدد 4، (2000).
68- المدني.أحمد توفيق: « أبطال المقاومة الجزائرية: حمدان خوجة. أحمد باي، الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية»، في**: مجلة التاريخ** العدد 04- أبريل، (1977) .
69- المدني.أحمد توفيق**:** « الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر»، في: **مجلة الثقافة،** عدد خاص بذكرى وفاة الأمير عدد 1983/75.
70- المدني.أحمد توفيق: « هل كانت هناك خلافات بين الأمير عبد القادر وأحمد باي في مقاومتهما للاحتلال الفرنسي؟ »، في**: النصر،** الجزائر، 1978/04/24**.**
71- محمد.عبد العاطي أحمد: « الإسلام و العروبة في المغرب العربي »، في**: مجلة، قضايا عربية،** السنة السادسة، االعدد الثاني، جويلية (1979)**.**
72- مزيان.عبد المجيد: « تنبيهات بشأن قراءة المواقف »، في**: مجلة المجلس الإسلامي الأعلى** العدد الأول، سبتمبر 1989.
73- مصطفاوي.عبد الرشيد**:** « القرآن و الشعر »، في**: ملتقى الفكر الإسلامي الرابع، (10-19 أوت 1970)،** بقسنطينة، دار البعث.
74- مطاطلة.أحمد: « نظام الإدارة و القضاء في عهد الأمير عبد القادر » في: **مجلة الذاكرة** (المتحف الوطني للمجاهد)، العدد الرابع، الجزائر،(1996).
75- مفتاح.عبد الباقي: « علاقات الأمير بالعلماء والصوفية »، في: **أعمال ملتقى الأمير عبد القادر، الجزائر،** دار الحكمة، (1998).
76- مفتاح.عبد الباقي: « الأمير عبد القادر الجزائري مع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي » في**: مجلة_مسالك**،العدد رقم 5، (2002).
77- مفتاح.عبد الباقي: « الأمير عبد القادر مرجع المتصوفة ومفتاح الأسرار الغيبية »، في: **مجلة مسالك،** العدد 6، جوان (2003).**78-** مناصرية.يوسف: « مهمة ليون روش في المغرب ومحاولة الإيقاع بين السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر (1845-1847) »، في: **مجلة التاريخ،** عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير، (1983).

79- مياسي.إبراهيم: « بناء دولة الأمير عبد القادر »، في: **جريدة المساء،** 18 سبتمبر(1998).
80- الميلي.محمد: « أخلاق الفروسية والإعتبارات الإنسانية ظهور الأمير عبد القادر وبناء دولة حديثة »، في: مجلة **الحدث العربي الدولي،** عدد 34، ديسمبر (2003).

4- القواميس والموسوعات:

1- **أبي حزام.أنور فؤاد:** معجم المصطلحات الصوفية، **مراجعة جورج عبد المسيح، ط1، بيروت مكتبة لبنان ناشرون،(1993).**

2- **أفندي.محمد ثابت وأخرون**: دائرة المعارف الإسلامية، **القاهرة، وزارة المعرف العمومية (بدون تاريخ)،مجلد 3، مجلد 11، مجلد 14.**

3- **البستاني.بطرس:** دائرة المعارف قاموس عام لكل فن و مطلب، **بيروت، دار المعرفة مجلد 9، مجلد 10.**

4- **البستاني.بطرس:** محيط المحيط، **، بيروت، مطابع تيبوبرس، (1998).**

5- **بشارة. أنطوان:** جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية، **ط3، بيروت، دار المشرق، (1997).**

6- **البعلبكي.روجي: ،** موسوعة روائع الحكمة و الأقوال الخالدة، **ط.2، بيروت، دار العلم للملايين، أفريل(1999).**

7- **البغدادي.إسماعيل باشا:** هدية العارفين و أسماء المؤلفين و آثار المصنفين، **د.ط، إستانبول وكالة المعارف،(1951)، مج1.**

8- **بمطرف.محمد عبد القادر:** جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن و قبائلهم، **ط.4صنعاء، الهيئة العامة للكتاب، (1998).**

9- **بن عاشور.محمد الفاضل:** تراجم الأعلام، **تونس، دار التونسية للنشر،(1970).**

10- **الجنيدي.أنور:** تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، **ط1، القاهرة، منشورات المكتبة الإنجلو مصرية، (1970).**

12- **خورشيد.إبراهيم زكي** و آخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، **ط1،الشارقة، مطابع الهيئة العامة (1998)، مجلد 10، مجلد 16، مجلد** 13.**32**- **الزركلي.خير الدين:** الأعلام قاموس و تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقين، **ط12، بيروت، دار العلم للملايين، فبراير، (1997)، ج3، ج**14.**4- عبد الباقي.محمد فؤاد:** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، **دار الحديث، (1987).** 15- **العجم.رفيق:** موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، **ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون (1999).**16- **العربي.إسماعيل:** معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، **ط1، الجديدة المغرب، منشورات دار الأفاق، (1993).**

17- **القشاني.كمال الدين عبد الرزاق:** ، إصطلاحات الصوفية**، مصر، الهيئة المصرية للكتاب (1981).**

18- **الكيالي.عبد الوهاب:** الموسوعة السياسية**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر (1990)، ج3، ج5، ج6.**

19- **محمد.الحلو عبد الفتاح:** أعلام التراث الإسلامي**، ط1، جدة، دار عكاظ للطباعة والنشر (1981).**

20- **مؤسسة أعمال الموسوعة:** الموسوعة العربية العالمية**، ط.2، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر(1999)، ج1، ج2، ج4، ج5،ج6، ج7، ج8، ج10، ج11، ج13، ج14، ج16 ج17، ج21، ج24.**

21- المنجد في اللغة العربية المعاصرة**: ط1، ، بيروت، دار المشرق، (2000).**

22- المنجد في اللغة والأعلام: ط34، بيروت، دار المشرق، (1994).

23- النبهاني.يوسف: **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق ومراجعة براهيم عطوة عوض، بيروت المكتبة الثقافية، (1999)، ج2.

24- نويهض.عادل: **معجم أعلام الجزائر**، ط1، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (1971).

5- <u>الرسائل الجامعية:</u>

1- البغدادي.عامر**: دولة الأمير عبد القادر الجزائري(1832-1848)،** دراسة في نظام الحكم في الإسلام، بحث تكميلي لنيل الماجستير، كلية الشريعة والعلوم الإجتماعية وقسم العلوم السياسية السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، (1987).

2- بن حراث.عبد القادر: **أغراض ديوان الأمير عبد القادر،**رسالة ماجستير، ديبلوم الدراسات العربية العليا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، (1966).

3- تلمساني.بن يوسف: **الطريقة التجانية وعلاقاتها بباياك الغرب و الأمير عبد القادر (1782-1839)**، مذكرة السنة الأولى ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (1987/1986)**.**

4- تلمساني.بن يوسف: **الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية)،** (1798- 1900)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،(1998).**5**- ساحل.عبد الحميد: **أصول الفكرة الإصلاحية من خلال الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية (1903- 1925)**، كلية الآداب و اللغات، قسم علوم الإعلام و الإتصال، جامعة الجزائر (2000 – 2001).

6- غطاس.عائشة: **سياسة العثمانيين الدينية في الجزائر(1516- 1830)»،** مذكرة السنة الأولى ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، (1981-1982).

7- ملاح.أحمد: **التصوف و الإصلاح عند الأمير عبد القادر،** دراسة تحليلية نقدية (رسالة ماجستير)، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، (1987)، (عمل غير منشور).

8- نويصر.مصطفى: **الجذور التاريخية للوعي القومي الحديث بالجزائر (1847/1830) »** مذكرة سنة أولى ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (1983) **.**

6- المصادر باللغة الأجنبية:

1- **Abdelkader (émir) :** Autobiographie**, Alger, Edition Dar** El Oumma (1997).

2- **Abdelkader (émir):** le livre d'Abdelkader , **traduit par Qustave Dugat,** Appel à l'intéligent avis à l'indiffirent**,Tunis,EditionBousalama.**

3- **Delpech.A : Delpech**,«**histoire de'Lhadj Abdelkader , par son cousin Hasen ben Ali Ben Abi Taleb», traduction partielle, in:** Revue Africaine **T.20/1876.**

4- **Hamet.I** : Gouvernement marocain, et la conquête d'Alger, présenté **par Ali Tabilt, Alger, Thala éditions, les éditions Chiheb.**

5- **Roches.L** : Trente-deux ans à travers l'islam, (1834-1844), **Paris, Librairie académique Didier perrin et C^{ie}, libraires, D'éditeurs, (1904).**

6- **Rinn.L :** Marobouts et Khouan, Etude sur l'Islam en Algérie, **Alger, Imprimeur libraire de l'Académie, 1884.**

7- المراجع باللغة الأجنبية:

1- **Azan.P** : l'émir Abdelkader, de fanatisme musulman au patriotisme français, (1808- 1883**), Paris, hachette,(1925).**

2**-Benachenhou.A :** l'Etat Algérienne en 1830 des institutions sous l'Emir Abdelkader

3- **Emerit.M** : d'Algérie à l'époque d'Abdelkader**, collection de documents inédits sur l'histoire de l'Algérie 2 e série documents divers IIV, Paris, Larose, (1951).**

4- **Estailleur.P :** Emir magnanime Abdelkader le coyant**, Paris, libraire Arthéme Fayard, (1959).**

8- المقالات باللغة الأجنبية:

1- Azan.p **:** ,«les débuts d'Abdelkader», in: **bulletin de la société de géographie d'Oran**, T.XII, (1921).

2- Bourouiba.R : « Places fortes et établissements militaires fondés par l'émir Abdekader » in : **Madjallat et tarikh , (**centenaire de mort de l'émir Abd-el-Kader (1883-1983) : numéro spécial centre matériel d'études historiques, Alger, (1983**),**

3- Canard.M **:** « Chamil et Abdelkader**», in: Annales de l'institut d'Alger des orientales**, Alger, T. XIV, 1956.

4- Delpech.A : ,«histoire de'Lhadj Abdelkader , par son cousin Hasen ben Ali Ben Abi Taleb», traduction partielle, in: **Revue Africaine**, T.20/1876.

5- Emerit.M : « Un problème de distance morale : la résistance Algérienne à lépoque d'Abdekader », in **:Revue d'information héstorique** N° 127,juillet octobre (1953), Paris,.

6- Filali.K : Le différend quadiriyya-Tidjanyya en Algérie avec une lettre d'Abdelkad Al-Tidjânî **», in : Revue d'histoire maghrébine,** Zaghouan, Tunise, N° 87/88, (1997**).**

7- Gognalans.L : « une proclamation de l'Emir Abdelkader aux habitants du Figuig en 1836 », in **: Revue Africaine**, N° 57/1916.

8- Kaddache.M : ,« Abdelkader Franc maçon» par X.Yacono notes de lecture, in **: Revue Histoire et de civilisation du Maghreb**, N°3/ 1967/.

9- Mimoune.R : « l'homme dans la vie et l'œuvre de l'émir Abdelkader» in: **Annales de l'université d'Alger**, N°4.

10 -Nadir.A : "Les ordres religieux et la conquête française (1830- 1851)", in**: Revue Algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques**,éposode 4 (1972),

11- Tessier.H : « L'amitié de l'Emir Abdekader et de l'évêque d'Alger un épisode symbolique de l'attitude de l'Emir à l'égard, des chrétiens son amitié avec Mgr Antoine
Dupuch, évêque d'Alger », in **: L'emir Abdekader et les valeurs humaines, Colloque international, université d'Alger et la fondation Emir Abdelkader,** 22-23 novembre 2001.

12- Tessier.H : « l'entourage de l'Emir ABD elkader et le dialogue islamo-chrétien » (esctrait d'un ouvrage inedit) in **: islamo christiana,** Roma Instuto, Di Studi, Arabi,T1,1975.

13- Paret.R : « Quand l'Algérie ne savait pas qu' elle était Algérienne », in **:** **Prenves,** octobre (1966), N° 188.

14- Patroni.F : « Une improvisation de l'émir El-Hadj Abdelkader **»,** in **:** **Revue africaine,** N° 40 année (1896).

15- Yver.G : « Les préliminaires des la négociation de la Tafna », in **: Revue africaine,** N° 64, (1923).

16- Yver G. « Abdekader et le Maroc en 1838 », In **: Revue africain,** N°60, année (1919**).**

17- Ycono X : « Les préliminaires des la négociation de la Tafna », in **:** **Revue africaine**, N° 64, (1923**).**

9- القواميس باللغة الأجنبية**:**

1- Dictionnaire encyclopédique : **quiliet, Paris, Aristide Quillet.**
2- Larousse **: L/3 Tome III Paris, (1966).**

الفـهـارس

الـفـهـرس

1- فهرس الأعلام.

2- فهرس الجماعات.

3- فهرس الأماكن والبلدان.

4- فهرس المصنفات.

5- فهرس الملاحق.

6- الفهرس العام.

فهرس الأعلام

-أ-

آدم: 114، 127.
أبو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خلف: 61.
أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي: 62، 63.
أبو القاسم سعد الله: 31، 340.
أبو بكر الصديق: 91، 334.
أبو عبد الله الزروالي: 277.
أبو عبد الله غلام الله: 131.
أبو مدين شعيب الحسين الأندلسي:40، 41، 86،52
أبي أحمد بن عبد الرحمن الكزبري: 63، 75.
أبي الحسن علي الشاذلي: 40، 41، 52.
أبي الحسين البصري: 60.
أبي العباس المرسي: 60.
أبي القاسم الجنيدي: 41.
أبي حامد الغزالي: 87، 92، 110، 124، 126.
أبي يزيد الفيرواني: 33.
أبي عبد الرحمن السلمي: 82.
أبي عبد الله المجاوي: 38.
أبي قراط: 112.
أبي محمد عبد السلام بن مشيش: 40، 41، 52.
أحمد التيجاني: 42، 56، 240، 241، 305.
أحمد القديم بن عبد القادر: 16.
أحمد المازري: 60.
أحمد المجاهد: 38.
أحمد المحفوظي: 247.
أحمد المختار: 16، 17، 37.
أحمد الهاشمي المراحي: 247.
أحمد الوغي: 37.
أحمد باي: 238، 239.
أحمد بن إدريس: 46.
أحمد بن التهامي: 233، 234.
أحمد بن الطاهر:22.
أحمد بن المختار: 16
أحمد بن خوجة: 22
أحمد بن سالم: 262، 279، 290، 292، 301
أحمد بن عبد الله الجزائري: 45.
أحمد بن علي: 35، 37.
أحمد بن علي بن أبي طالب: 242.
أحمد بن محي الدين: 38.
أحمد بن يوسف: 35، 55.
أحمد بومعزة: 37.
أحمد رزوق: 40.
أحمد رويش: 130، 138.
أرسطو: 23.
أرسطو طاليس: 63، 112.
أفلاطون: 63.
أنس بن مالك: 282.
أوروج: 25.
إبراهيم بن الفاضي: 247.
إبن تيمية: 86، 94.
إدريس: 222.
إمام الحرمين: 110.
إميريت: 12، 280.
إبراهيم الأحدب: 76.
إبراهيم عليه السلام: 114، 266.
إبن آمنة: 229.
إبن التهامي: 38، 117، 120، 129، 129، 294.
إبن الحاجي: 33.
إبن الزيان: 37.
إبن العريف: 39.
إبن الفارض: 137، 159، 179.

إبن النيفرو: 33.
أبن سحنون الراشدي: 34، 35.
234 أبن سينا: 124.
إبن عاشور: 33.
أبن عباد الرندي: 57.
أبن عطاء الله الإسكندري: 57.
أبن عودة المزاري: 226.
أبن فريحة: 37، 234.
أبن مالك: 33، 121، 282.
أبن محمد عبد الحق بن سبعين: 39.
أبن ونونة: 33، 74، 274.
أستاليان: 291.
الآغا: 105، 314، 312، 303
الأصفهاني: 35.
الأعرج بن محمد بن فريحة: 234.
الأمير عبد القادر الجزائري: 9، 10، 11، 12، 13،
16، 17، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 27، 30،
32، 33، 35، 36، 37، 38، 41، 46، 50، 51،
52، 53، 54، 55، 59، 60، 63، 64، 65، 66،
67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 75، 76، 77،
78، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91،
92، 93، 94، 95، 96، 97، 100، 101، 102،
103، 104، 105، 106، 107، 108 ، 109، 110،
112، 113، 114، 116، 117، 118، 119، 120،
121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128،
129، 130، 131، 132، 134، 135، 136، 137
140، 142، 143، 144، 145، 146، 147،
148، 149، 150، 152، 153، 154، 155، 156،
157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164،
165، 166، 167، 168، 168، 169، 170، 171،
173، 175، 177، 178،179،180،181،182،183،
، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191
192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199،
204،203،202،201،200، 208،207،206،205
211،210،209، 212، 215، 216، 217، 218
219 225، 226، 228، 229، 230، 231، 233
226، 228، 229، 230، 231، 233، 234،
235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242،
243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250،
251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258،
259، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267،
268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275،
276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283،
284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291،
293، 294، 295، 298، 299، 300، 301، 302،
303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 311،
312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319
320، 321، 322، 323، 324، 325، 328، 332،
333، 334، 335، 336، 337، 338، 339.
الإمام اليوس: 85.
الإمام شامل: 76، 194، 195، 196 ، 332.
الإمام علي: 16، 17، 126، 280.
اللإمام مالك: 247، 307.
الباي بوشلاغم: 27.
الباي حسن: 37، 48، 218، 219.
الباي محمد الكبير: 33، 34، 35.
البخاري: 63، 152، 301، 302، 322.
البغدادي: 10، 79.
البوحميدي: 274، 290، 292، 293، 294
البيضاوي: 111.
التفتزاني: 111
الجيلاني: 17، 40، 45، 51، 52، 53، 55، 56، 62 138،
86، 87، 88، 93، 133، 225.
الحاج الحرشي: 60.
الحاج بن عيسى: 237.
الحاج عبد القادر: 247.
الحاج لحبيب: 292.
الحاكم العام: 273.
الحبيب بوعلام: 223.
الحسن بن علي: 19.
الحسن بن موسى:53، 60.

الحسن علي بن عبد السلام التسولي:259،258،257،256.
الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار: 41.
الحسين علي بن أبي طالب: 38.
الحسين بن أعراب: 46.
الخزر باشا: 26.
الخضير المهاجي الإدريسي: 47.
الداي: 26، 30.
الداي حسين: 27، 28.
الراغب: 111.
الرسول صلى الله عليه وسلم: 61، 73، 79، 92، 109، 121، 136، 158، 168، 171، 234، 242، 245، 281 285، 286، 336.
الزهراء: 175، 176، 178.
الزهراء بنت عبد القادر: 20، 27.
السلاوي الناصري: 12، 222، 226.
السلطان: 104، 106، 187، 221، 223، 227، 241، 271، 278، 284، 308.
السلطان عبد الرحمن: 29، 42، 223، 235، 256.
السنوسي: 33، 37، 40، 46.
الشاذلي: 41، 89، 157، 201.
الشافعي: 42، 61، 111، 240.
الشفراني: 221، 228.
الشيخ بن قندوز: 48.
الشيخ التيجاني: 56.
الشيخ الحملاوي: 46.
الطاهر بن حوا: 36.
الطيب بن المختار الغريسي: 37، 38.
الطيب بن عبد الرحمن: 37.
العربي الزبيري: 10.
العلج علي: 26.
الفاسي: 45، 76، 77، 90، 135، 137، 160، 161، 168.
القصاب: 72.
الكتاني: 45، 46، 78.
المالكي: 240، 242.
المتنبي: 179.
المختار الحسيني: 38.
المزاري: 12، 226.
المسيح: 112، 113، 114، 121، 123.
المشرفي: 52، 233، 234، 247
المشرفي محمد: 38، 47.
المناوي: 111.
المهدي بوعبدلي: 119.
الماوردي: 226.
الهاشمي:222، 247.
اليافعي: 111.

- ب -

بابا الفانكان: 212.
براغي ديليه: 291.
باربا روس: 25.
بشار: 17.
بن الفكون: 33.
بن خدة بن أحمد القديم: 16، 20، 37.
بن دوران: 74.
بن زرقة: 277.
بن زعموم: 301.
بن صالح: 17.
بن عبد السلام التسولي: 76، 256.
بن الفريد: 22.
بن ڤونة: 33، 74، 274.
بن يامنة بن دوخة: 37.
بواسوني: 118، 119، 200، 201.
بوابيه: 30.
بول عفريل: 32.
بومدين بوزيد: 10.
بيار بروجير: 324.
بيار دزين: 29.
بيجو: 119، 239، 255، 275، 294، 330 331.

- ن -
نريزال: 239، 331.
- ج -
جالنيوس: 112.
جواد المرابط: 95.
- ح -
حسن بن باديس: 40.
حسن بن خير الدين: 26.
حسين باشا: 34.
عثمان خوجة: 30، 33.
- خ -
خالد: 17.
خالد: 46.
خليفة بن حمود: 223.
خير الدين: 25، 26، 191.
خير الدين التونسي: 191.
- د -
دلكونيور: 291، 292، 293.
دام ريمون: 219.
دوباش: 120، 289.
دوبرمون: 28.
دون خوسي: 61.
دوروفيفو: 30.
دوفال: 28.
دوق أرليان: 336.
دوكاس: 373.
دوماس: 138، 201، 202.
دميشال: 74، 197، 237، 239، 250، 251، 330.
دلوجي: 273.
دينزين: 317.
- ر-
رابح بونار: 128.
راسلوف:271، 272.
رشيد رضا: 237، 246.
رفاعة الطهطاوي: 321.
رين: 40، 55.
- ز -
زوجة الأمير:60، 74،73، 157،202، 267
305.
- س -
سالم تومي: 25.
سعد الله: 31، 40.
سعيد أحمد بن عيسى الخزار: 79.
سعيدوني: 10، 32، 36، 154، 212، 244.
سكوت: 12، 268، 283، 284، 285، 313حمدان بن
315، 326.
سليم الأول: 25.
سمنون المحب: 79.
سهل التستري: 111.
سوشيه: 290، 291.
سولت: 294.
سي السعيد: 301.
سيدي أبو عبد الله: 47.
سيدي السعيد: 292
سيدي الطيب: 37، 46.
سيدي الفاسي: 45.
سيدي الكناني: 45، 46.
سيدي المناطقي: 46.
سيدي بن عبد الله: 46.
سيدي بومدين: 46.
سيدي جمعة: 45.
سيدي خالد: 46.
سيدي راشد: 46.
سيدي عبد القادر بن المختار: 37.
سيدي عبد المؤمن: 46.
سيدي عفان: 46.
سيدي عقبة: 18.
سيدي مخلوف: 46.
- ش -
شارل العاشر: 27، 29.
شريف وزان: 42.
شيخ بن تكوك: 47.

شيخ بن عليوة: 47.
- ص -
صالح بن موسى: 17.
صدر الدين الشراوزي: 111.
صدر الدين القنوي: 134.
خرفي: 138.
- ط -
طالب بن جلون: 272.
طاهر بن الشيخ المشرفي: 247.
طاهر عزوي: 138.
طاووس: 17.
- ظ -
ظاهر السمعدوني: 77.
- ع -
عباس أفندي الإيراني: 77.
عبد الباقي مفتاح: 82.
عبد الحميد بن باديس: 10.
عبد الحميد حاجيات: 122.
عبد الرحمن الثعالبي: 45.
عبد الرحمن المحمودي الإدريسي: 47.
عبد الرحمن المصابحي اليلولي: 46.
الرحمن بن أحمد: .37
عبد الرحمن حسن البجاوي: 234.
عبد الرحمن بدوي: 131.
عبد الرزاق البيطار: 76، 129، 131.
عبد الرزاق بن السبع: 128، 129.
عبد السلام بن مشيش: 40، 41، 52.
عبد الغني الرافعي: 76.
عبد الفتاح الغاوي: 78.
عبد القادر البغدادي: 79.
عبد القادر الجيلاني: 40، 45، 51، 52، 53، 55، 62، 86، 87، 88، 93.
عبد القادر الصغير: 37.
عبد القادر بن السنوسي: 17، 37.
عبد القادر بن حراث: 144.
عبد القادر بن خدة: 20.
عبد القادر بن روكس: 247.
عبد القادر بن عبد الله المشرفي: 37.
عبد القادر بن محمد:16.
عبد القادر بن محمد بن ألبان الحلبي: 131.
عبد القادر بن محي الدين: 141، 142، 185صالح 195، 201، 228، 171.
عبد القادر بن مختار الإدريسي: 17، 37، 47.
عبد القوي بن عبد الرزاق: 16.
عبد الله البوسنوي: 131.
عبد الله بن عبد الله الرزاق: 47.
عبد الله بن يحيى: 17.
عبد الله شريط: 10
عبد المؤمن بن علي: 333.
عبد المجيد خان: 185.
عبد المجيد مزيان: 135.
عثمان: 334.
عروج: 25.
عضد الدين: 111.
علال الفاسي: 236.
علي الميلي: 61
علي بن أبي طالب: 16، 19، 38، 228، 233عبد 242.
علي جاويش: 26.
عمر: 274.
عمر بن الخطاب: 111، 302، 332، 334.
عمر بن دوبة: 37.
- غ -
غرسان: 275.
- ف -
فاطمة الزهراء: 17.
فخر الدين الرازي: 110
فراج: 61.
فوزي أوصديق: 314.
فيثاغورس: 23.
فليكس مورناد: 18.

- ق -
قدور بن رويلة: 102، 107، 274، 334.
قوستاف دوفا: 207.
قوقنالنز: 182.
- ك -
كلباس: 80.
كافنياك: 294.
كلوزال: 29.
كمال الشيبي: 178.
كوربي دوكنور: 287.
- ل -
لوسيان مورا: 211.
فليب: 29، 75
ليون روش، 274.
- م -
ماران: 291.
مارسيل أمريت: 12.
مالك: 121، 247، 307.
211.
محمد: 17.
محمد أبي راس المعسكري: 35.
محمد الأعرج السليماني: 47.
محمد الأعوج الغريسي: 47.
محمد الحراق التطواني: 76.
الخاني: 76، 129.
محمد الخروبي: 242.
محمد الرواوي العرواسي: 40.
محمد السعيد: 54.
محمد الشاذلي القسنطيني: 89، 157.
محمد الشريف: 45.
محمد الصغير بناني: 112.
محمد الطنطاوي: 76، 129.
محمد الفاسي: 77، 90، 160، 162.
محمد الكبير: 36، 34.
محمد المشرفي: 38.
محمد المهدي السكلاوي: 261.
محمد الموسوم: 46.
محمد النفس الزكية: 42.
محمد باشا: 132، 144.
محمد بلغراد: 110، 126، 140.
محمد بن آمنة: 234.
محمد بن أبي القاسم: 46.
محمد بن أحمد: 16.
محمد بن إدريس الأصغر: 17.
محمد بن الأمير عبد القادر: 270.
محمد بن الحنفية: 19.
محمد بن السيد محمد بن عبد الله السفاط: 38.لويس
محمد بن الثعالبي الزلماطي: 234.
محمد بن العربي: 242.
محمد بن حماد الصنهاجي: 52.
محمد بن حواء: 37.
محمد بن عبد الرحمن القشتولي: 46.
محمد بن عبد الرحمن القشتواي الجرديري مانيون: الأزهري: 43
محمد بن عبد القوي: 16.
محمد بن عبد الكريم الجزائري: 80.
محمد بن عبد الله: 47، 61.
محمد بن عبد الله الخالدي المغربي: 109
محمد بن عبد الله بن حسن الطصفاوي التجاني: محمد 29.
محمد بن شعبان: 55.
محمد بن علال: 290.
محمد بن عمر: 47.
محمد بن عودة: 35.
محمد بن محمد: 16.
محمد بن مختار الورغي: 247.
محمد بن يوسف السنوسي: 40
محمد بوطالب: 18.
محمد سعيد القاندي: 60.
محمد طاهر بن عزوز 74

محمد طاهر بن عزوز: 74.
محمد عبد الرحمن برج: 129.
محمد عبده: 76، 206.
محمد علي: 61، 262.
محمد عليش: 76، 259، 260.
الزبيدي: 53، 86.
محمود أفندي: 76.
القادري: 62، 87.
محمود الكيلاني: 74.
محمود باشا الأرنؤدي: 130.
محي الدين بن عربي: 39، 40، 52، 57، 86، 87، 124 131، 134، 135، 137، 139، 159، 179، 258.
محي الدين بن مصطفى: 17، 29، 38، 47، 53، 54، 56 84، 141، 142، 185، 186، 201، 218، 225، 226، 227، 228، 258، 265، 271، 234.
مختار بن عبد القادر: 16.
مردخاي: 247.
مسعود: 17، 76.
مصطفى الإمام: 76.
مصطفى ابن التهامي: 117، 120.
مصطفى البكري: 43.
مصطفى الرصاصي: 47.
مصطفى الرماس: 37.
مصطفى الغريسي: 20، 22، 47، 52.
مصطفى المغربي: 53.
مصطفى الهاشمي: 22.
مصطفى بن إسماعيل المزاري: 239.
مصطفى بن التهامي: 117، 120، 229، 242.
مصطفى بن المختار: 37، 52، 53، 233.
مصطفى بن عبد الله بن زرقة: 35.
مصطفى خزندار: 191.
ممدوح حقي: 125، 143، 144.
منصور الحنادي: 46.
موسى: 114، 120.
موسى بن نصير: 336.
موسى الجوني بن علي: 17.
موسى بن عبد الله: 17
مولاي الطيب الشريف: 42.
مولاي علي: 228.

- ن -

ناصر الدين: 103، 104، 212، 227، 229محمد مرتضى 235، 271، 333، 334.
ناصر الدين السعيدوني: 10، 36، 154، 244محمود نبيهة هانم: 130.
نور الدين أبي الحسن الشاذلي: 52.

- هـ -

هنري الرابع: 205، 206، 207.
هنري تسيه: 118.
هنري تشرشل: 107، 122، 218.

- ي -

يعقوب: 17.
يوحنا:112.
يوسف: 17، 35، 40، 55.

فهرس الجماعات

ـ أ ـ

أل البيت: 18، 19، 23، 243، 229.
آيت إسماعيل: 43.
أسافقة: 118، 119، 286.
أشاعرة، 112.
أوفاسي: 301.
أولاد سيدي دحوا: 37.
258.
أولاد نايل: 294.
إخوان الصفا: 23.
إنجليزي: 260، 272.
الأتراك: 31، 32، 47، 55، 60، 218، 219، 220، 225، 230، 236.
الأدارسة: 17.
87، 201، 202، 273.
الأغوات: 26.
الاقباط: 221.
الفرنسية: 62.
الأهواز: 227.
الأوروبية: 111، 273.
الإباض: 307.
الإسبان: 17، 25، 35، 199.
الإسلام: 6، 50، 51، 67، 73، 80، 81، 94، 101، 107، 109، 113، 115، 116، 123، 158، 175، 181 182، 183، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191 195، 196، 197، 202، 203، 207، 208، 210، 215 216، 217، 225، 232، 233، 236، 237، 245، 249 257، 258، 264، 265، 268، 274، 282، 285، 287 288، 289، 295، 300، 304، 311، 323، 327، 329 331، 333، 336، 337.
الإنكشارية: 25، 186.
الباب العالي: 56.
الباشاوات: 26.
البرانية: 33.
البرجية: 22، 55، 227.
التركية: 48، 51.
التيجانية: 42، 48.
الجزائرية: 9، 11، 13، 28، 45، 68، 122أولاد مختار: 140، 230، 232، 233، 266.
الجزائريون: 30.
الحاتمية: 53، 86.
الحزب الليبرالي الفرنسي: 73.
الحضر: 32، 42، 154، 221.
الحفصيين: 39.
الخلافة: 28، 30، 147، 152، 181، 184الأوربيين: 185، 189، 190، 231، 243.
الدروز: 75.
الدوائر: 32، 42، 55، 222، 227، 236، الأمة 239، 279، 299.
الدول الأوروبية: 75.
الدولة العثمانية: 30، 75، 153.
الدوناتيين: 11.
الديوان: 26، 31، 313.
الرحمانية: 43، 261.
الرستمية: 332.
الرهبان: 66، 116.
الرومان: 11.
الزاوية: 13، 16، 23، 24، 36، 43، 44، 47 50، 53، 54، 56، 57، 58، 70، 122.
الزمالة: 222، 227، 236، 239، 299، 242 255.
السنوسية: 331.

الشاذلية: 40، 41، 46، 47، 89، 90، 160.
الشيعي: 11.
الصليبي: 49.
الطريقة الخلوتية: 47.
الطريقة الطيبية: 42، 47، 220.
الطريقة القادرية: 5، 15، 20، 23، 24، 42، 47، 50
51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 62، 84،
86، 87، 225.
العالم المسيحي: 75.
العثمانيين: 31، 39، 55، 56، 265.
العرب: 118، 119، 120، 121، 125، 225، 229
242، 330، 331.
العلويين: 42.
العمارية: 55.
العيساوية: 55.
الغرابة: 223، 227، 234.
الفرنسيين: 11، 29، 54، 68، 75، 145، 197، 200
218، 221، 223، 224، 225، 237، 238، 251، 252
253، 255، 273، 274، 283، 289، 290، 291، 292
295، 309، 329.
القبائل المخزنية: 220.
القسسين: 108، 116.
الكراغلة: 31، 42، 74، 222، 299، 301.
المؤمنين: 81، 106، 186، 227، 225، 241، 266،
301، 326.
الماسونية: 205، 210، 211، 212.
المالكي: 240، 242.
المجتمع العربي: 330.
المخزن: 99، 301، 312، 332، 335، 360.
المذهب الإباضي: 307.
المذهب الحنفي: 307.
المرابطون: 20، 39، 43، 44، 237، 250، 323، 324،
337،118، 344.
المستشرقين: 118، 220
المسيحيين: 50، 122
المسيحية: 11، 25، 56، 114، 121، 122، 123.
المسيحيين: 50، 122، 123.
المشارقة: 38.
المكاحلية: 227.
الموالدية: 333.
النصارى: 51، 118، 210، 268.
الوهابية: 65.
اليعقوبية: 227.
اليهود: 51، 114.
البكرية: 43.
- ب -
بايربايات: 25،
بني هاشم: 20، 29، 228.
بربار وس: 25.
بربر: 229، 230.
بلاد القبائل: 39، 43، 46.
بن زعمون: 301.
بنو العباس: 227.
بنو القصر: 227.
بنو خويدم: 227.
بنو شقران: 227.
بنو عامر: 222، 234، 293، 300.
بنو غدوة: 227.
بنو مجاهر: 234.
بني زيان: 39.
بني هاشم: 20، 29، 222.
- ت -
تركية: 27، 30، 48، 51.
تونسية: 190، 191.
تيجانية: 9، 10، 11، 12، 15، 42، 48.
- ج -
جزائري: 16، 25، 28، 30، 31، 45، 46،
49، 50، 54، 60، 68، 80،78، 102،
140، 144، 158، 181، 190، 199،
230، 232، 250، 262، 266، 323،
، 123.

- ح -
حكومة الجزائر:232، 238.
- د -
درقاوة: 48.
- ر-
رؤساء القبائل: 44، 182، 221، 227، 229، 232، 282، 300.
روسية: 196.
رومي: 268.
- س -
سنجاس: 227
سنجرارة: 227.
- ص -
صبيح: 227.
- ع -
عشيرته: 254.
عكرمة: 227.
- ف -
فليتة: 35، 227، 237، 240.
- ق -
قبائل الصحراء: 73.
قبائل العطاف:227.
قبيلة: 20، 44، 223، 224، 231، 237، 240، 301، 302، 306، 315.
قبيلة بني هاشم: 20.
قضاة: 37، 248، 302، 307، 308، 309، 315.
- ك -
كراغلة تلمسان: 237.
كرغلية: 27.
- ل -
للإنسان: 48.
- م -
مجلس الشورى: 1، 102، 243، 254، 307، 308.
مذهب الإمام مالك: 307.
مرابطوا بجاية: 227.
مرابطوا وادي الزيتون: 238.
معتزلة: 112.
-هـ-
هوارة: 315.

فهرس الأماكن والبلدان

- أ -

أحواز معسكر: 227.
33أرزيو: 22، 47، 122، 248.
57أسيا: 56.
120أمبواز: 108، 118، 124، 196.
159أمريكا: 43.
218أوجاق الغرب: 26، 43، 198.
236أوروبا: 43، 198.
287أولاد نايل: .294
إيبيريا: 39.
إسبانيا: 192، 199.
إستانبول: 19.
إفريقيا الغربية: 43.
الأديرة: 66.
الأزهر: 61، 255، 259.
الأسواق: 103، 272، 304، 313.
190الأغواط: 42، .240
الأماكن المقدسة: 62، 173.
الأندلس: 319.
الإسكندرية: 28، 29، 57، 60، 121، 211، 219.
47الباب العالي: .56
البقاع المقدسة: 90.
البلاد العربية: 244.
البليدة: 32، 251، 252، 274.
التل: 276.
التيطري: 28.
262الجامع الأزهر:.62
الجامع الأموي:62.
الجامع الكبير: 39.

الجزائر: 14، 26، 27، 28، 29، 31، 32، 37، 40، 44، 45، 48، 53، 55، 56، 58، 59، 63، 66، 69، 74، 76، 88، 122، 129، 145، 146، 147، 156، 187، 189، 190، 191، 192، 200، 219، 220، 222، 231، 232، 233، 238، 244، 252، 257، 266، 276، 288، 289، 314، 322، 329، 332، 336.
الحامة:141.
الحجاز: 62، 330.
الحدود المغربية: 28.
الدائرة: 105، 292، 293، 294، 334.
الدردارة: 226، 227، 234.
الدوائر الفرنسية: 279.
الدولة العثمانية: 27، 31، 76، 154، 191.
الرباط: 37، 51، 89، 168، 185، 277.
الريف الجزائري: 50.
الزاوية: 15، 16، 23، 24، 36، 43، 44، 50، 53، 54، 56، 57، 78، 122.
الزاوية الطيبية الوزانية الشاذلية: 47.
الزاوية القادرية: 23، 24.
االزمالة: 32، 42، 55، 110
الزيتونة: 261.
الشام: 145، 175، 193، 205، 261، 272.
الشرق: 29، 42، 43، 45، 62، 64، 205.
الشلف: 60

الصحراء: 39، 43، 73، 138، 154، 155.
العاصمة: 27، 28، 33، 275، 279.
العشائر: 303.
الغرب الجزائري: 46، 50، 68، 220.
القاهرة: 60، 62، 130.
القبائل: 39، 43، 44، 46، 48، 55، 70، 71، 75، 182
183، 219، 220، 223، 224، 225، 226، 227.
القبائل الكبرى: 27.
القرويين: 255، 261.
القل: 46.
القليعة: 251. 171
القيطنة: 19، 21، 39، 54، 56، 62، 171.
الكاف: 62. 261
المدرسة المحمدية: 34، 39.
المدية: 27، 32. 60
المدينة: 91، 157، 221، 241، 254، 284، 313.
المدينة المنورة: 61، 62، 71، 72، 79، 91، 255، 276.
المسيلة: 47.
المشرق: 9، 23، 39، 64، 121، 129، 175، 205.
المغرب: 17، 39، 41، 42، 43، 48، 52، 55، 75، 151
175، 189، 186، 188، 221، 222، 223، 232، 233
236، 239، 244، 256، 259، 260، 261، 263، 272
275.
المغرب الأقصى: 69، 235، 256، 272.
المغرب الأوسط: 65، 101، 232.
المغرب الإسلامي:236، 336.
المغرب العربي: 86.
المقاطعات: 27، 277، 303. 315
المقطع: 285.
الهند: 51، 56.
الوهرانية: 42.

- ب -

باريس: 108، 125،124،109، 196، 211، 274، 279
بالمدرسة المحمدية: 39.
بالمسيلة: 47.
بايلك: 26، 27، 29، 32، 55، 233، 238.
بايلك الشرق: 27، 239.
بايلك الغرب: 27، 48، 220، 222.
بتلمسان: 27، 34، 38، 273، 317.
بجاية: 52، 227، 322.
بجرجرة: 43.
بدر: 286.
برج حمزة: 60.
بروسة: 130.
بسكرة: 276.
بغداد: 52، 54، 55، 56، 58، 62، 87،
225، 319، 330.
بفاس: 43، 56، 76، 222، 255، 256،
263، 272، 277، 293، 312.
بقسنطينة: 27، 32، 33، 38، 39، 45،
76، 187، 239.
بلاد الساحل: 39.
بلخورط: 276.
بمازونة: 27، 32، 39.
بمصر: 43، 61، 86، 101، 120، 121،
256، 259.
بوخرشفة: 253.
بوغار: 276.
بوفاريك: 291.

- ت -

تازة: 276، 284.
317.
تاكدامت: 237، 276، 284، 301، 304،
319، 334، 335، 336.
تماسين: 46.
تونس: 25، 29، 60، 190، 191، 220، 275
277.

- ج -

جامع الباشا: 34.
جامع العتيق: 34، 38.
جامع البيضاء: 34
جامع سيدي الأخضر: 38.

جامع معسكر:34.
زاوية سيدي محمد الشريف: 45.
جبا المائدة: 35،36.
جبل فزان: 46.
جيجل: 46.
- خ -
خصيبة:229 .
خنق النطاح: 34، 110.
خيمته: 71، 305، 315.
- د -
دار الإسلام: 182، 188، 189.
دار الإمارة: 103.
دار السلطان: 27.
داس: 27.
دمشق: 9، 11، 52، 61، 62، 63، 72، 76، 85، 123
125، 130، 131، 195، 211.
- ز -
زاوية مجاهر: 47.
زاوية أحمد بن عبد الله: الجزائري: 45.
زاوية الشقفة: 46.
زاوية الشيخ الحملاوي: 46.
زاوية الشيخ سيدي محمد المشرفي: 49.
زاوية الفيطنة: 22، 39، 84.
زاوية الكراط: 37.
زاوية سيدي أبو عبد الله: 46.
زاوية سيدي الخضير المهاجي الإدريسي: 46.
زاوية سيدي السعيد: 45.
زاوية سيدي الطيب: 46.
زاوية سيدي الفلسي:46.
زاوية سيدي الكتاني: 46.
زاوية سيدي المناطفي: 46.
زاوية سيدي بن عبد الله: 47.
زاوية سيدي جمعة: 45.
زاوية سيدي عبد الرحمن المحمودي الإدريسي: 47.
زاوية سيدي غبد القادر بن مختار الإدريسي: 47.
زاوية سيدي عبد الله بن عبد الله الرزاق: 47.
زاوية سيدي محمد الأعرج السليمان: 47.
زاوية سيدي محمد يحيى أسلمان: 46.
زاوية سيدي مخلوف: 46
زاوية الشيخ بن تكوك: 47.
زاوية عبد الرحمن الثعالبي: 45.
زاوية عبد الرحمن المصابحي اليلولي: 46
زاوية محمد الموسوم: 47.
زاوية محمد بن أبي القاسم:
زاوية محمد بن عمر: 47.
زاوية منصور الحمادي: 46.
– س -
ساحة تاقدامت: 315
ساحة تاكدامت: 315.
سبتة: 41.
سبدو: 276.
سعيدة: 276.
سوريا: 205، 212.
سوس: 57، 65.
سيدي إبراهيم: 75، 119، 291.
سيدي بومدين: 46.
سيدي تلمساني: 46.
سيدي خالد: 46.
سيدي خليفة: 46.
سيدي راشد: 46
سيدي عبد المؤمن: 46.
سيدي عفان: 46
سيدي عقبة: 46
سيدي فرج: 46
- ش -
شرشال: 27.
شرق الصحراء: 43.
- ط -
طرابلس: 62.
طيبة: 176.
- ع -
عرفة: 254.

عنابة: 32.
71عولجة: .56
عين طافين: 319.
عين ماضي: 42، .122
- غ -
غار حراء: 90، 91.
غرناطة: 39.
غريس: 33.
غمارة: 41.
- ف -
فجيج: 182، 183.
فرنسا: 11، 29، 42، 48، 75، 101، 144، 145، 184
196، 197، 199، 219، 236، 237، 251، 253، 254
257، 262.
- ق -
قسنطينة: 27، 32، 33، 38، 39، 45، 60 187.
البخاري:.46
قلعة بني راشد: .27
- ك -
كجامع كتشاوة: 38.
- ل -
لالة مغنية: 293.
- م -
مازونة: 27، 32، 39.
مدية: 276.
مراكش: 57.
مرسى طولون: 28.
مرسيليا: 317.
مستغانم: 27، 47، 185.
مسجد بن ناصر: 34.
مسجد قباء: 71.
معسكر: 21، 27، 32، 33، 34، 35، 36، 218، 222،
229، 231، 252، 271، 272، 274، 275، 276، 284
287، 292، 300.
معسكر بوخرشفة: 38، 39، 46، 47، 68،
103.
مكة: 52، 60، 61، 62، 68، 162، 171،
172، 174، 269، 270، 275، 285.
ملوية: 32، 35، 273، 276، 283، 290.
مليلة: 199.
- ن -
نابولي: 28.
نافرين: 28.
ندرومة: 47
- و -
واد الحمام: 19.
وادي الزيتونة: 237، 338.
وادي الشلف: 60.
وجدة: 220، 293.
وهران: 17، 21، 22، 27، 32، 37، 39، 42قصر
45، 48، 54، 55، 60، 111، 184، 218
219، 220، 221، 223، 225، 232، 279،
290.

فـهـرس الـمـلاحـــق

الملحق رقم:01	صورة للأمير عبد القادر في شبابه
الملحق رقم: 02	نسب الأمير و انتمائه لآل البيت: **راجع: الأمير عبد القادر الجزائري،** مذكرات الأمير عبد القادر **ص 44-45**
الملحق رقم: 03	نموذج من كتاب سيرة الأمير عبد القادر: **مصطفى ابن التهامي،** حياة الأمير عبد القادر، **مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2592 – الصفحة الأولى و الأخيرة**
الملحق رقم: 04	نموذج من كتاب المواقف: **الأمير عبد القادر الجزائري،** المواقف الروحية و الإلقاءات السبوحية، **مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 2593 الجزء الأول، الصفحة الأولى و الأخيرة.**
الملحق رقم: 05	حكم الأمير عبد القادر: **المكتبة الوطنية الجزائرية،** ملف وثائق الأمير عبد القادر، **وثيقة رقم: 72619 ، مجموعة من الحكم من 1 – 16 .**
الملحق رقم: 06	مساعي الأمير في فتنة الشام: **برونو.إتين،** عبد القادر الجزائري،**ص 518 .**
الملحق رقم: 07	**رسالة الأمير اديميشال**
الملحق رقم: 08	رسالة الأمير لبواسوني: **المكتبة الوطنية الجزائرية،** ملف رسائل الأميرعبد القادر، **دون ترقيم، رسالة رقم: 26 .**
الملحق رقم: 09	رد الأمير على أسئلة لوج هنري الرابع: **عبد الجليل التميمي« الأمير عبد القادر بدمشق 1855- 1860» في: المجلة التاريخية المغربية العدد 15-16 1979. ص31.**
الملحق رقم: 10	شجرة الدردارة: **الأميرة بديعة الحسني،** ردود و تعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل، **ص 26**
الملحق رقم: 11	نص صك البيعة: **محمد بن عبد القادر الجزائري،** تحفة الزائر، **ج 1 .155،154.**
الملحق رقم: 12	رسالة الأمير لسلطان المغرب: **Ismail Hamel**. Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger **; P 62.**

الملحق رقم: 13	مجال دولة الأمير عبد القادر**:** **ناصر الدين سعيدوني،** عصر الأمير**، الملحق**
الملحق رقم: 14	المسيرة الطويلة في في الجهاد و المقاومة للحاج أحمد باي و الأمير عبد القادر: **ناصر الدين سعيدوني،** الجزائر منطلقات و آفاق**، ص 120 .**
الملحق رقم: 15	وصية الأمير بخط يده لزوجته قبل ذهابه للجهاد**:** **الأميرة بديعة الحسني،** ردود و تعليقات**، ص 260 .**
الملحق رقم: 16	رسم تخطيطي للزمالة عند الإقامة **:** Itineraires**. N° 6 spécial – juin 2003 P 15.**
الملحق رقم: 17	صورة عن وثيقة ديميشال: **محفوظ قداش، الأمير عبد القادر،** سلسلة الفن و الثقافة**، الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، طبع مدريد، 1974، ص 24 .**
الملحق رقم: 18	أسلحة وجنود الأمير عبد القادر**:** **مجلة** مسالك**، العدد رقم 06 ، جوان 2003 ، ص 09 .**
الملحق رقم: 19	رسالة الأمير لمفتي بجاية**:** **محفوظ قداش،** الأمير عبد القادر**، ص 77 .**
الملحق رقم: 20	مسجد الأمير بمعسكر**:** Itinéraires**. N° 6 P 18.**
الملحق رقم: 21	ختم دولة الأمير عبد القادر**:** مجلة المسالك**، العدد رقم 06، ص 06.**
الملحق رقم: 22	العملة المحمدية: **الأميرة بديعة الحسني،** ردود و تعليقات**، ص 263.**

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	**10**
الفصل الأول: مكونات شخصية الأمير عبد القادر الجزائري.	
المبحث الأول: نسبه و مولده.....	**17**
أ- نسبه.....	**17**
ب- مولده.....	**19**
جـ - نشأته التعليمية.....	**22**
المبحث الثاني: عصره و محيطه.....	**24**
أ- عصر الأمير.....	**25**
1- الحالة السياسية.....	**25**
2- الحالة الإجتماعية.....	**30**
ب- محيطه الثقافي.....	**33**
1- لمحة عن حال التعليم.....	**33**
2- الطرق الصوفية.....	**39**
3- الزوايا السائدة.....	**43**
4- موقف مراكز السلطة منها.....	**47**
5- دور الزوايا.....	**49**
جـ - الطريقة القادرية.....	**50**
1- القادرية.....	**51**
2- إنتشار القادرية في الجزائر.....	**55**
3- علاقاتها.....	**55**
4- دورها التعليمي.....	**57**
5- مضمون الطريقة.....	**57**
6- رأي القادرية في الذكر والصلاة والحج.....	**58**

7- أثر الرحلة الدينية..... 59
المبحث الثالث: مميزات شخصيته الأمير عبد القادر الجزائري..... 66
أ- الأخلاق الإسلامية..... 67
1- قوة الإرادة..... 67
2- إحترامه البالغ لتقاليد الأسرة..... 68
3- الفروسية..... 69
4- التواضع والزهد..... 70
ب- التعامل الإنساني..... 72
1- الحوار وحب التواصل مع الغير..... 72
2- العبقرية..... 77
جـ- التصوف..... 78
1- ظهور التصوف..... 80
2- قواعده..... 81
3- تصوف الأمير..... 83
4- الشطحات الصوفية عند الأمير..... 91
5- الزهد..... 93
6- الكرامات..... 93
7- الإتحاد ووحدة الوجود..... 94
الفصل الثاني: إنتاجه الأدبي و الفكري
المبحث الأول: 101
النثر.....
أ- الأصول..... 102
1- وشاح الكتائب..... 102
2- المقراض الحاد..... 107
3- مذكرات الأمير..... 117
4- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل..... 123
5- المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد..... 129

ب- الحكم..... 140
المبحث الثاني: الشعر..... 143
ـ التعريف بديوان أمير..... 144
أ- الإتجاه الديني..... 147
ب- الإتجاه العاطفي..... 154
1- جمال الطبيعة..... 154
2- **الغزل..... 156**
جـ- الحجازيات و شعر التصوف..... 158
1- المحبة الصوفية..... 161
2- الخلوة في المحبة الصوفية..... 163
3- الخمرة الصوفية..... 164
4- مصطلحات شعر الأمير الصوفي..... 167
5- شعر وحدة الوجود..... 168
6- رجاء..... 169
7- حمد النعم..... 170
8- الحجازيات..... 171
9- المدائح النبوية..... 175
المبحث الثالث: رسائله..... 181
أ- رسائله إخوانه في الدين..... 181
1- نماذج من رسائله إلى رؤساء القبائل..... 182
- رسالته لأهل فجيج..... 182
2- رسائله لمركز الخلافة العثمانية..... 184
- رسالته للسلطان عبد الحميد..... 185
- رسالته للصدر الأعظم..... 189
3- رسائله إلى الإيالة التونسية..... 190

- رسالته للوزير مصطفى خزندار..... 190
- رسالته للوزير خير الدين التونسي..... 191
4- رسائله لأصدقائه وشركاء المحنة..... 191
- رسالته للإمام شامل الداغستاني..... 195
ب- مكاتبات الأمير للأوربيين ملوكا وأصدقاء..... 196
1- نموذج من رسائله زمن الحرب..... 197
- رسالته للجنرال ديميشال..... 197
2- رسائله لملوك أوربا..... 198
- رسالته لملكة إسبانيا إيزابيلا الثانية..... 198
3- نماذج من رسائله لأصدقائه من الفرنسيين..... 200
- رسالة الأمير لبواسونيه..... 200
جـ - إجابات الأمير لسائليه..... 201
1- بعض إجابات الأمير على أسئلة الجنرال دوماس..... 201
2- اجابات الأمير على أسئلة لوج هنري الرابع..... 205
الفصل الثالث:البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المنطلقات الشرعية
المبحث الأول: البيعة..... 217
أ- مقدمات البيعة..... 218
1- إحتلال وهران ولجوء الباي إلى عائلته محيي الدين..... 218
2- مبررات رفض الأمير للجوء الباي حسن..... 218
3- الحاجة إلى زعيم..... 220
4- الإستنجاد بسلطان المغرب..... 221
5- عرض الإمارة على محيي الدين..... 224
6- أسباب ترشيح عبد القادر للإمارة..... 225
7- إجتماع الدردارة..... 226
ب- البيعة (الخاصة) الأولى 227
1- تعليق حول محتوى وثيقة البيعة الأولى..... 230

2- شرعية البيعة الخاصة..... 231
جـ - البيعة الثانية (العامة)..... 231
1- تعليق حول محتوى وثيقة البيعة الثانية..... 232
2- شرعية البيعة العامة..... 233
3- لقب الإمارة والسلطان عبد الرحمن..... 235
4- مكملات البيعة الشرعية..... 236
4.أ- الحل الروحي..... 237
4.ب- الحل العسكري..... 238
4.جـ - حكومة الأمير..... 242
المبحث الثاني: الشورى..... 245
أ- مفهوم الشورى في الإسلام..... 245
ب- مؤسسات الشورى في دولة الأمير عبد القادر..... 246
1- المجلس الشوري الأعلى الأميري..... 247
2- إختصاصات المجلس الشوري الأعلى الأميري..... 248
3- دور الشوري الفرعية ودورها..... 248
4- إختصاصات دور الشورى الفرعية..... 249
جـ - نماذج من الشورى في عهد الأمير..... 249
1- الشورى في الحرب والسلم..... 250
2- الشورى في إنشاء الزمالة..... 254
3- إستشارة العلماء..... 255
4- قضايا الإستشارة..... 256
أ- قضية الجهاد..... 257
ب- قضية الخيانة والتعامل مع العدو..... 257
جـ - الإمتناع عن دفع الزكاة..... 257
د- قضية الصلح مع العدو..... 258
هـ - الهجرة..... 258

و- عن موقف سلطان المغرب..... 259
ي- قضية الإستئمان..... 261
المبحث الثالث: الجهاد..... 264
أ- ضرورة الجهاد ومقوماته..... 264
1- إستعانة الأمير بالقبائل للجهاد..... 268
2- إهتمامه بالجهاد وأهدافه..... 268
3- الجيش..... 270
- شكل الجيش وهيكلته..... 270
- عدد الجيش وعدته..... 272
- الحصون والقلاع الحربية..... 275
ب- معاملة الجنود ونوعية المعارك..... 276
1- إهتمام الأمير بسلامة وصحة جنوده..... 276
2- غذاء الجند..... 278
3-نوعية المعارك الجهادية..... 279
4- الإستشهاد (الشهادة)..... 280
جـ- معاملة الاسرى..... 281
1- رحمة الأمير بالمرأة الأسيرة..... 283
2- موقفه الصارم ضد التمثيل بالقتلى..... 285
3- العناية المادية والروحية للأسرى..... 286
- حرية الأسرى في المراسلة..... 287
- حرية الدين..... 287
4- قضية تبادل الأسرى..... 289
5- أسرى سيدي إبراهيم..... 291
- فصل الضباط عن الأسرى..... 292
الفصل الرابع: البعد الروحي لكفاح الأمير عبد القادر من خلال المعاملة والسلوك

المبحث الأول: العدل و المـساواة..... 298
أ- المساواة..... 299
1- المساواة في المشاركة بالحرب والجهاد..... 299
2- إلغاء الإمتيازات والضرائب غير الشرعية..... 299
ب- العدل..... 301
1- العدالة في إختيار موظفي الدولة..... 301
2- العدالة في النظام القضائي..... 303
3- العدل في إقتسام الأرزاق..... 305
جـ- القضاء..... 307
1- إختيار القضاة..... 307
2-ماوفره الأمير للقضاة..... 308
3- أنواع القضاة..... 309
4-إ ختصاصات القضاء في عهد الأمير..... 311
- القضاء المدني..... 311
- المحكمة..... 311
- القضاء الجنائي..... 312
- صاحب المظالم..... 313
5- أحكام قضائية..... 114
المبحث الثاني: التعليم..... 316
أ- بناء المدارس..... 316
ب- تشجيع العلم ومعاملة الطلاب..... 317
جـ- جمع الكتب و الحفاظ عليها..... 318
المبحث الثالث: إحياء الأخلاق الإسلامية..... 323
أ- منع المحرمات و محاربة الآثام..... 324
1- عقوبة معاقرة الخمور والقمار وإستعمال التبغ..... 324
2- موقفه من إستعمال الذهب والفضة..... 325

3- القضاء على الزنا والسرقة..... 325
4- الحفاظ على الصلاة..... 326
ب- العروبة..... 329
- مفهوم العروبة عند الأمير..... 329
جـ- الإقتداء بالسلف الصالح وإستلهام قيم الحضارة العربية..... 332
1- الإحتفال بالمناسبات الدينية..... 332
2- رموز الدولة..... 333
- اللواء..... 333
- خاتم الإمارة..... 334
- العملة..... 334
الخاتمة..... 338
الملاحق..... 343
الببليوغرافيا..... 372
الفهارس العامة..... 389
فهرس الأعلام..... 391
فهرس الجماعات..... 398
فهرس الأماكن والبلدان..... 401
فهرس الملاحق..... 405
فهرس المواضيع..... 407